UNIVERSAL
LIBRARY
OU_190774
UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء

للشيخ الامام العلامه

احمد بن محمد ابن عرب شاه

الشيخ المعلم فى المدرسة الكلية الفريدرحولهلمية

غبورغ ولهلم فرينغ

طبع
بالات ملكنا الاعظم ادام الله ملكه
فى مدينة بن محروسه
سنة ١٨٣٢ لمسيحية

*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شهدت الكائنات بوجوده، وسجل الموجودات عجمهم كلهم وعربهم، بلطف الجاداة بقدرته، واعترفت المحدثات عن حكمته، وتخاطبت المخلوقات بلطائف صنعه، وشاعت الاطمار بتوحيده، وتلاعب وحوش القفار بتفريده، كل بادئ جهده، وان من شيء الا يسبح بحمده، بل المكان ومن فيه، والزمان وما تحويه، من تام وحامد، ومشهود وشاهد، شاهد انه واحد، منزه عن الشريك والمعاند، مقدس عن الروحة والولد والوالد، مبرأ عن الضداد والمنادد، مسبح باصناف المحامد، احمده حمدا تنطق به السعور والجوارح، باسكره شكرا يصعد بعمه صعد الصعد بالجوارح، واشهد ان لا اله الا الله، وحده لا شريك له، رب اودع أسرار ربوبيته في بريته، واظهر انوار صمدانيته في حيواني بحره وبريه، فبعض معرب بلسان دله، وبعض معرب ببيان حاله، تسبحه السموات باطمطها، والارض بغطمطها، والابحر بخريرها، والاسد بزئيرها، والجبال بهدهدها، والطير بتغريدها، والرياح بهبوبها، والبهائم بهيمها، والهوام بكشكشها، والغدران بنشيشها، والخيل بصهيلها، والكلاب بنباحها، والاغنام بثغائها، والسمران برقرقها، والرعود بعجعجها، والبغال بشحيجها، والانعام برغائها، والاغنام بثغائها، والذباب بطنينها، والفسي بريسها، والبراق بحسنها، والطباء بخنسها، كل قد علم صلواته وتسبيحه، ولازم أداء غيوبه وصوحه، وتمرغوا بذلك جسدهم وروحهم، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله، الذي من صدقه ابتغ مراده وانمر سوله، افضل من بعث بالرسالة، وسلمت عليه العرائه، وكلمه الحجر، وآمن به المدر، وانشق له القمر، ولبت دعوته الشجر، واستجار به الجمل، وسكى اليه شده العمل، وحن اليه الجذع، ودر عليه ماء الضرع، وسبح في كفه الحصا، ونبع من بين اصابعه الماء، وصدقه صب البرته، وخاطبته الشاة المصلية، صلى الله عليه صلوة تطفي بالاخلاص، وتسعى نقاباها بالخلاص، يوم توحد بالمواص، وتومر للجماء من القرناء بالقصاص، وعلى آله اسود المعارك، واصحابه سموس المسالك، وسلم تسليما، وزاده شرفا وتعظيما

اما بعد فان الله المقدس في ذاته، المنزه عن سمات النقص في صفاته، قد اودع في كل ذره من مخلوقاته، من بديع صنعه ولطف ادبه، ومن الحكم والعبر، ما لا تدركه البصر، ولا يكاد تهتدي اليه الفكر، ولا يصل اليه فهم ذوي النظر، ولكن تتفاوت ذلك للبصر بالرصد، ظاهر يدركه كل احد، قال الله تعالى، وجل شأنه جلالا، وفي الارض ايات للموقنين، وفي انفسكم افلا تبصرون، وقال تعالى سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم وقال من قيل، في تلاعيه التطاويل، ان في خلق السموات والارض واختلاف

الليل ، ملكه اسى جرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السمآ من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون قال الشاعر

ففى كل شىء له آية تدل على انه واحد

لكن لما كثرت هذه الايات والحكم ، وانتشرت ازهار رياضها فى وهاد العقول والأكم ، وترادف ما فيها من العجايب والعبر ، وتكرر ورود مراسيمها على رعايا السمع والبصر ، اعتادتها النفوس ، ولم يكترث لوقوعها القلب الشموس ، ولم يستعجبهن وجودها ، ولم يلتفت الى حدوثها ، فكثر فى ذلك اقوال الحكمآ ، وتكررت مقالات العلمآ ، فلم تصغ الاسماع اليها ، ولا عولت الافكار عليها ، فقصد طايفة من الاذكيا ، وجماعة من حكمآ العلمآ ، ممن يعرف طرق المسالك ، ابراز شىء من ذلك ، على السنة الوحوش ، وسكان الجبال والخروش ، ومن هو غير مالوف الطباع ، من البهايم والسباع ، واصناف الاطيار ، وحيتان البحار ، وسايرالهوامّ ، فيسندون اليها الكلام ، لتميل لسماعه الاسماع ، وترغب فى مطالعته الطباع ، لان الوحوش والبهايم ، والهوامّ والسوايم ، غير معتادة بشىء من الحكمة ، ولا يسند اليها أدب ولا فطنة ، بل ولا معرفة ولا تعريف ، ولا قول ولا عقل ولا تكليف ، لان طبعها الشماس ، والاذى والافتراس ، والافساد والفور ، والعدوان والشرور ، والكسر والتفريق ، والنهش والتمزيق ، فاذا أسند اليها مكارم الشيم ، ووصفت بمحاسن الاخلاق والذم ، واخبر انها تعاملت فيما بينها بموجب العقل والحكم ، وسلكت وهى مجبولة على خلقا سبل الوفا ، ولازمت وهى مطبوعة على الغدرة طرق الصفا ، وتعاطفت وهى ضالة اسباب العدل ، وتعلقت وهى حايرة باطناب الفضل ، أصغت الاذان الى استماع أخبارها ، ومالت الطباع الى استدشاف آثارها ، وتلقتها القلوب بالقبول والصدور بالانشراح ، والبصاير بالاستبصار والارواح بالارتياح ، لكونها اخبارا منسوجة على منوال عجيب ، وآثارا سدا لخمنها طير فى صنع بديع غريب ، لا سيما الملوك والامرآ ، وارباب الدول والرؤسآ ، والسادات والكبرآ ، وابنآ المعرفة والمنعم ، وذوو المكارم والكرم ، اذا قرع سمعهم قول العاقل صار الفعل قاصرا ، والنمر ضيغما لا عاصرا ، والفرد رئيس الممالك ، والثعلب وزيرا لذلك ، والذيب مورخا اديبا ، والحمار مناجما طبيبا ، والكلب كريما ، والجحش نديما ، والغراب دليلا ، والعقاب حاميلا ، والحداة صاحبة الأمانة ، والغارة حدية الخزانة ، والحية راقبة ، والبومة ساقية ، وضحك النمر منواضعا ، وغدا الاسد لانشاد الذيب سامعا ، ورقصت الغزالة فى عرس الثعلب ، وغنى الجدى مطرب الجدجد ، وتصادق الفيل والجرذان ، وصار السرحان راعى الضان ، وعاش الليث الحمل والذيب الحمل ، ورفع الباشق الحمامة على رقبته وتمل ، ارتاحت لذلك نفوسهم ، وزال عبوسهم ، وانشرحت خواطرهم ، وسرت سرايرهم ، واصغت اليه اسماعهم ، ومالت اليه طباعهم ، وادى طيشهم ، الى ان طاب عيشهم ، ولان اهل السعده ، وارباب السيده ، وهو منحل لعقل الحكومات ، والذى رفعه الله له الدرجات ، وانتصب لاعانة الملهوفين ، وخلاص المظلومين من الظالمين ، والمتنبهون بتوفيق الله لتدبير الامور ، وتعقبهن ما جرى به الدهور ، اذا تاملوا فى لطايف الحكم ، والفوايد التى اودعت فى هذه الحكم ، ثم سكروا فى لذات العبر ، وصفات العدل والسير ، والاخلاق

الحسنة، والقضايا المستحسنة، المستندة الى ما لا يعقل ولا يفهم، وهم [illegible] به تشف الانسان وتكرم، يرادفون مع ذلك بصيرة، ويسلكون بها الطرق المستنيرة، فتنوّر مسرائرهم وتتضاعف لذائذهم، وربما ادّى بهم فكرهم، وانتهى في تفسيم امرهم، أنّ مثل هذه الحيوانات، مع كونها عجماوات، اذا اتصفت بهذه الصفة، وهي غير مكلفة، وصدر منها مثل هذه الامور الغريبة، والقضايا الحسنة العجيبة، فنحن اولى بذلك، فيسلكون تلك المسالك، وقد ضرب الله ذو الجلال، في كلامه العزيز الامثال، فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وقال سبحانه بعد ذلك وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه، ما اعظم شانه، يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وقال تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وقال تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون الآيتين وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اسند سبحانه وتعالى الافعال والاقوال الى الجمادات بعد ما وجه الخطاب اليها وقد قال تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب وكل ما جاء على هذه الطريقة، فانه بالنسبة اليه تعالى حقيقة، لانه قادر على كل شئ، وسواء عنده الميت والحي، ولا فرق في كمال قدرته، وبالنظر الى اختياره ومشيته، في تصوير كمال عظمته وهيبته، بين الناطق والصامت والنامي والجامد، والشاهد والغايب والآتي والذاهب، كما لا فرق في هذا الكمال، بين الماضي والاستقبال، وقال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وقال تعالى فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض وقال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقال في الهدهد فقال احطت بما لم تحط به وقال الشاعر

ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب

وقالت العرب في امثالها قال الجدار للوتد لم تشقني، قال سل من يدقني، قال لمن ورائي، يعذرني ورائي، وقالوا اكرم من الاسد واشجع من الليث وقالوا رابت اسدا يرمي وثعلبا بصيد الاسد ومن اشهر امثالهم قالوا ان الارنب التعلبت تمرة فاختلسها الثعلب فاداها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا ابا حسل قال سميعا دعوت قالت اتيناك لتحتكم بيننا قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت تمرة قال حلوة فاديتها قالت فاختلسها الثعلب فاكلها قال لنفسه بغي الخير قالت فالطمته قال بحقك اخذت قالت فالطمني قال حر انتصر قالت فاقتص بيننا قال فضربت فذهبت هذه الاقوال امثالا وقالوا تحككت العقرب بالافعى وقال الشاعر قام الحمام الى البازي يهدده واستصرخت باسود البر اضبعه وهذا امر

مستفيد ... معروف بين الأمم غير منكور، والمراد التمثيل والتنظير، والاستدلال بالقليل على الكثير، فينفتح السامع تارة وتفكر اخرى، ويتنقل في ذلك من الاجلى الى الاخفى، ويتوصل بالتأمل في معانيه من الادنى الى الاعلى، ومن جملة ما صنف في ذلك واشهره، وما فاق على نظائره بمخبره ومنظره، وحاز فنون الفضلة، كتاب كليلة ودمنة، والمستمد بحكمه الطباع، كتاب سلوان المطاع، والمفحم بنظمه العجيب، كل شاعر واديب، معجز الخراعم الصادح والباغم، وفي غير لسان العرب، ممن نحا نحاه في الأدب، جماعة رفعوا اعاريقه، وسلكوا من هذا النمط طريقه، لكن تقادم عصرهم، واستتر اعصرهم، وتقصر ذكرهم، وصارت مصنفاتهم مطروحة، وعتاق نجائبها في ميدان الاهمال عنيفة، فاستدت من دهري فلذه، وعملت بموجب لكل جديد لذة، وسيرت فرس الافكار في ميدان هذا المضمار، وجمعت من الفائدة ما فقدوه، ومن العايدة في الدارين فوق ما رصدوه، فجاء مما يلعب عن دلالة الاخبار، وحفلة الادار، ورواه الاسمار، على لسان شيخ الظرفاء، ومنبع المعارف، واصل الظرفاء، وينبوع الطوائف، ذي الفضل والاحسان، ابي الحاسن حسان، فجاء هذا الكتاب ذريعة لمن الاسباب، وعمدة لأولي الالباب، من الملوك والنواب، والامرا والحجاب، وجعله عمدة لاديبه ونديه، ومن الله استمد الصواب، واستعيره من الخطاء في الخطاب، والجواب انه رحيم توّاب، حسبي وكفى، وعليه توكلت واليه المرجع والمآب، قلت

وان تعس الدهر علمي فهذه مدة لي ... ذرّ ذرّ عيون العقل في السدف

انبسته من خلاعات النهى خلعا ... وربما أرداك عقد الدر بالطرف

والعقل بحساج في ذرى سلعته ... الى الحرافة والمعقول للخرف

فعبرّ عن الرمز بين النمر منه ولا ... يلهيك عن درّه الضحوكة الصدف

الباب الاول في ذكر ملك العرب الذي كان لوضع هذا الكتاب الداعي والسبب

الباب الثاني في وصايا ملك العجم المميز على اقرانه بالفضل والحكم

الباب الثالث في خصائص ملك الانراد، مع خدمه الراهد شيخ النساك

الباب الرابع في مباحث عالم الانسان، مع الغريب جني الجان

الباب الخامس في اخبار ملك السباع، وخدمه امير الثعلب وصير الضباع

الباب السادس في اخبار الطير المسمى الهدهد، ووزيره الثعلب الاقرعي

الباب السابع في ذكر الحمار الذي الاذيال الجميلة، والذي دعي بسلطان الاذيال

الباب الثامن في خصائص الاسد الرابضة، وحيل الحمل الشارد

الباب التاسع في اخبار الثعلب، واخباره من الحاجة الى السبب

الباب العاشر في معاملة الاعداء والاحباب، وسياسة الرعية والحاشية، ونكت واخبار، وتواريخ احبار واسرار

الباب الاول

فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب الداعى والسبب

قال الشيخ ابو المحاسن، بلغنى من ذى فضل غير امين، انه كان فيما غبر من الزمان قبل من الاقيال، عزيز الافضال، عزيز المنال، وارف المعارف فاضل الفضائل وافر السيادة، كامل السعادة، ذو حكم مطاع، وجنود وأتباع، وممالك واسعة، ذات اطراف شاسعة، تحت اوامره ملوك عدة، ذو سطوة وتجدة، وله من الاولاد الذكور، خمسة انفار، كل بالشهامة مذكور، وبالعلم والحلم مشهور ومشكور، مترشح للسلطنة، متولٍ من والده مكانا من الامكنة، وكان اصغرهم عند ابيه، وهو ممتاز على اخوته واذويه، شمسى المنظر، اياسى المخبر، ذو فهم مصيب، ورؤى عقل خصيب، واسمه فى فضله حسيب، قد حصل انواعا من العلوم، وادركها من طريقى المنطوق والمفهوم، فكان لهذا الفضل الجسيم، يدعى بين الصغير والكبير بالحكيم، فلما دعا اباهم داعى الرحيل، وعدم الى دار البقاء احمال التحويل، استولى على السرير، اكبر اولاده، واطاعه اخوته ورؤس امرائه واجناده، وصار السعد يرافقه، والملك بلسان الهناء يخاطبه،

شعر نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تاوى اليه كواكبه

واستمر اخوته فى خدمته، مغتنمين ايادى نعائه، رافلين فى خلع محبته ومودته، ومضى على ذلك برهة، وهم فى ارغد عيش وانعم نرهة، ثم إنه حصل فى خواطر الاخوة، ما يخطر فى خواطر الاذكياء من الجفوة، وثمرة الحسد من الصدة والتباعد، فداخلتهم النفاسة، وطلبوا كاخيهم الرياسة، فعابوا لاخيهم ضير الجن، واظهر كل ما اكن، وقيل عنه ما اجن، واراد شق العصا، وان يشهر عنه انه عصى، غير ان اخاهم الحكيم، افتكر فى عاقبة هذا الامر الوخيم، وامعن فيه النظر، وساورته الوساوس والفكر، فانه وان كان اغرهم ذكاء، واوفرهم وفاء، فهو اصغرهم عمرا، واحقرهم قدرا، لا طاقة له على الاستبداد، ولا ان ينتحاز الى احد من ذوى العناد، اذ الانحياز الى احدهم ترجيح بلا مرجح، وتصحيح احد المتساويين من غير متصحح، فادى اجتهاده الى الانخزال، وتقليد مذهب الاعتزال، والقول بوجوب رعاية الاصلح، ومن امكنه العزلة خصوصا فى زمن الفتن فقد افلح، فاخذ يفكر فى تعاطى اسباب الخلاص، وكيفية التفصى عن عهدة هذا الاختصاص، واستنهض العدة الحاضرة، لتظفر به من شور هذه الدائرة، وتاخذ به الى جهة على حدة، الى ان ينجلى غبار هذه المنازعة، ثم اتبع الكتاب، فى مشاورة الاصحاب، فشاور فيه من اهل الثقة، وعرض عليه راى العزلة، وكيف يتمكن من هذه النعمة الجزلة، فقال له بعد ان استصوب رايه، وطريق التوصل الى الانفراد يا ذا الدراية، ان تستدعى فى تاليف تصنيف، وترصيف تاليف، يشتمل على فنون من الحكمة، وانواع من دقيق الادب والفطنة، وطرائف تتهذب بها اخلاق العباد، وتكون عونا على اكتساب مصالح المعاش والمعاد، وتوقر بها مكارم الاخلاق والشيم، وتدعو الى تهذيب النفس وطرايق الفضل والحكم، فيشير بذلك غزارة علمك، ويشتهر بين الخاص والعام نباهة فضلك وحلمك،

ولا تقصر [illegible] بقدر ان تتصدّى لتعويقك، وتحصل بذلك فوايد جمّة، أدناها الخلاص من ورطة عدة النعمة، الى ان يتجلى دجاها، وتنجلي شمس الاستقامة وضحاها، فاستفز راى الحكيم حسبما، على العمل بهذا الراى المصيب، ثم توكل على الله واعتمده، وتوجّه الى ما قصده، ودخل غير مُرتبك، على الملك، وقبّل الارض، ووقف فى مقام العَرْض، وذكر ما عزم عليه، وتوجه قصده، بعبارة رصينة، والفاظ رشيقة، فتامّل الملك فى خطابه، وتوقّف فى جوابه، وكان للملك وزير، ذو فضل غزير، فى غاية الحصافة، والمعرفة والظرافة، ان لُطف كان رافة، وان كثف كان آفة، يدبّر الطّور، بعيد الغَوْر، ان رفع ابلغ النّريا وان وضع انزل الى الثور، بينه وبين الحكيم، من سالف العهد وقديم، عداوة مُؤكّدة، وضدّة مُؤبّدة، وتحاسد الاقران غلّ قمل، وعداوة النظراء جُرْح لا يندمل، فبلغه ما انتمى الحكيم، الى مسامع الملك الكريم، فتصدّى للمعارضة، وتهيا للمعاكسة والمناقضة، واقبل يرفل فى ثوب المكر، وقد سدّد سهام الحَتْل والحَتْر، حتى وقف فى مقامه، واستطرد الى قضيّة الحكيم فى كلامه، واجْرى ذكره بالمناسبة، وعرض باموره فى المخاطبة، فذكر الملك له كلامَ اخيه، واستشار الوزير فيه، فاغتنم الفرصة، واراد القاءه فى غُصّة، بايراد مَثل قصد به اذاه وقصّه، ثم قال امّا ما قصده الحكيم، من العُزْلة فهو راى فوسم، وفكرٌ مستقيم، لان الاعداء اذا تفرّقوا، تشعّبوا، ومتى قلّوا، ذلّوا، وقد قيل شعر

وما يكثر الف خِلّ وصاحب وان عَدّوا واحدًا لكثير

واذا نقص اعداء الملك واحد لا سيما مثل اللئيم، حسيب الحكيم، فهى نعمة ضايلة، وسعادة حاصلة، ودولة مستصحبة، وكما قيل نعمة غير مُتَرقّبة، ويتوصّل من ذلك الى تشتيت امرهم الحالك، وتصادُم اقوالهم، وتخالف احوالهم، واضطراب آرآيهم وافعالهم، كما قيل شعر

وتشتّت الاعداء فى آرآيهم سَبَبٌ لجمع خواطر الاحباب

واما قصده من وضع الكتاب، فانه خطا لا صواب، وتَسَتُّره بان فيه فوايدَ وحكَما، واقوال العلماء والحكما، وان يرفع للعلم علَما، فانه مكر وخديعة، من سوء السريرة وخبث الطبيعة، يريد ان يستر خبثه، وان يُظْهر على فضل الملك فَضْله، ويستميل بذلك الوسواس، قلوب الناس، فتنصرف الوجوه اليه، وتُقبل الرعايا عليه، ولكن مولانا الملك، لا يَمْنع ذلك المُنْهمك، ويُجيبه الى ما سال، ويُنيبه بما يَدّل، ويُلزمه بالانفراد، ويُتْبعه لما اراد، وعَدّم الاجتماع بالناس، ليامن منه الباس، وتشتغل بنفسه، ويتقلّب فى طُرده وعَكْسه، واسال مولانا السلطان، ذا الايادى والاحسان، قبل الاذن له، وشروعه فى المسئلة، ان يجمع بينى وبينه، لاكشف من زيفه عينه، وابين شينه وزينه، واظهر لمولانا السلطان زوره ومينه، فيتحقّق دسايسه، وما بنى عليه وساوسه، وادّى اليه فكره، ووصل اليه خداعه ومكره، فعند ذلك يرى رايه السديد، ما يقتضيه امرُه العالى المنيف، فاجابه الى سُوله، وامر طايفة من رجاله، فطيّرهم الى الافق، بمراسم جَمْعها الانفاق، الى رؤساء مملكته، وكبراء دولته، باستدعاء العلماء، وذوى الفضل والحكماء، واولى الاراء والصلحآء، ومن يشار اليه بالفضايل، ويتّسم بسمة من الفواضل، وكل اديب اريب، من بعيد وقريب، وقاطن

وغرب، ويبّن لهم مكانًا، يجتمعون اليه، وزمانًا لا يتخلّفون عنه ولا يتقدّمونه، ويجتمع الجميع القوم، في ذلك اليوم، حسبما بَرَز المرسوم، في المكان المعلوم، وجلس الملك في مجلس عامّ، وحضره الخواص والعوامّ، واستدعى اخاه الحكيم، وقبله بالاحترام والتكريم، وانواع الاحسان والتعظيم، ثم قال ايها الاخ الكريم، والفاضل الحكيم، كان قد تقدّم منك الالتماس، بالاذن في مصنّف ينفع الناس، مشتمل على الفوايد، وفنون الحكم والعوايد، يكتسب الثواب الجزيل، ويخلّد الذكر الجميل، فاحببْتُ ان يكون ذلك بحضرة العلماء، ومجتمع من الاكابر والفضلاء، واتفاق آرآء الحكماء، وارباب الدولة والمناصب، وذوى الوظايف والمراتب، واهل الحلّ والعقد، المتعرّفين في الحكم والامثال بالنقد، ليأخذ كل منهم حظّه، ويشنّف سمعه ويزيّن لفظه ولحظه، فيعمّ الفايدة، ويشتمل العايدة، ويتحقق كل سامع وقايل، ما لك من الفواضل والفضايل، وتتميّز على أقرانك، ورؤساء زمانك، ويبلغ الاطراف، وساير الاكناف، ما لديك بالناس من اسعاف، وما قصدته لهم من أحسان وألطاف، فيتوفّر لك الدعآء، ويتكرّر الشكر والثنآء، لعظم فضلك وعقلك، وحسن رايك في نقلك، وقد اذنّا لك في الكلام، وسلّمنا الى يد تصريفك منه الزمام، لعلّمنا انك فارس ميدانه، وفي بيان معانيك بديع بيانه، ولسان فصاحتك يُدحرج كُرة البلاغة كيف شاء بصولجانه، فقُل ما بدا لك، احسن الله مآلك، فنهض الحكيم من مقامه، وحسر طَرْف لثامه، وبادر الارض بالتقبيل، وقال حيث اذن مولانا السلطان، وتصدّق بالاذن في حُسْن البيان، فلا بُدّ من اتمام الاحسان، وذلك بالاصغآء، وحسن الرعاية والارعاء، فان حسن الاستماع، هو طريق الانتفاع، وهو الدَرَجة الثانية، وهي مرتبة سامية، فان حُسْن الادآء، هو المرتبة الاولى، وتليها يا مَلِكا مُطاع، مَرْتبة حسن الاستماع، ثم تليها في الزيادة، مرتبة الاستفادة، والمرتبة الرابعة، وهي الجامعة النافعة، دَرَجة العَمَل، فيه الفضل كمل، واما الغاية القصوى، والدَرَجة العُلْيا، والمرتبة الفاخرة، فهي الاخلاصُ في العَمَل وثواب الآخرة، واتباع رضا المولى، بترك السُمْعة والريا، ثم لتحصيل العُلوم الوجيهة، ان النصيحة من حيث هي نصيحة، تشمئزّ القلوب منها، وتنفر النفس عنها، لان النفس مايلة الى الفساد، والنصيحة داعية الى الرشاد، والنصيحة تحضُ نفع ولا ضرّ، وخيرٌ وبرّ، والنفس مطبوعة على الاذى والشرّ، فبينهما تنافرٌ من اصل الخلقة، وتباينٌ من نفس الفطرة، والنفس مايلة الى ما جُبلت عليه، والنصيحة تجذب الى ما تدعو اليه، فل العزيز الجبّار والقهّار، حكاية عن الاخيار والكفّار، ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار، تدعونني لاكفر بالله، واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار، فالسعيدُ من تامّل في معاني الحِكَم، وسلك السبيل الاقوم، وتدبّر في عواقب الامور بالافكار، وتلقّى الاشياء من طرق الاعتبار، وقد قيل شعرٌ

اذا لم يُعِنْ قولَ النصيح قبول فانّ معاريض الكلام فصولُ

ثم عِش وأسلَم، وتبيّن واعلَم، يا ملك الزمان، ان افضل شي حلّ في وجود الانسان، واحسن جوهرة تزيّن بها عِقْد تركيبه، العقل الداعي الى كيفية تهذيبه في أساليبه، واشرف دُرّة ترصّع بها تاجُ العقل في تزيينه وترتيبه، الخُلق الحسن الذي فضّل الله به خيرة خَلْقه في تعليمه وتاديبه،

وخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وانك تعلم خاصة عظيم، والخلق الحسن ينال شرف الذكر في الدارين، ولا يضع الله الخلق الحسن الا في من اصطفاه من المعلمين، وافضل جنس الانسان، بعد الرسول الرفيع الشان، الملك الذي تجبى شريعته، وتتبع سنته وشريعته، واذا كان الملك حسن الخلق والفعال، فهو في الدرجة العليا من الكمال، قال الرسول النجيب، صاحب التاج والقضيب، محمد المصطفى الحبيب، صلى الله عليه صلاة يتمسك بادلتها اللبيب، ويترنح لنسمات قبولها الغصن الرطيب، الا اخبركم على من تحرم النار على كل هين ليّن سهل قريب، وروى ان ذلك السيد السديد، الكامل المكمل الرشيد، أتى برجل فظلمه فرعد فقال هون عليك فاني لست بملك ولا جبار انما ابن امراه من قريش كانت تاكل القديد، ومن جملة حسن الخلق العدل، والشفقة على الرعية والفضل، واذا حسن خلق الملوك العلية، تلاحمت بالضرورة الرعية، تتابعه او كارهة، وجرت في ميدان الطاعة فارغة، لان الناس على دين ملوكهم، سالكون طرايق سلوكهم، وارذل عادة الملك الطيش والخفة، وان يكون ميزان عقله خالي الكفة، وان عدم الثبات والوقار، من عادة الاطفال والصغار، والرجل الخفيف قليل الحيلة، لا يقدر على تدبير الامور الجليلة، ولا باب يوجد له ولا طاقة، للشروع في الاشغال الشاقة، ولا يستطيع ان يتحمل ثقل الرياسة، ويتعاطى اسباب الايالة والنفاسة، ولا قدره له على فتل المحكومات المشكلة، والقضايا العويصة المعضلة، ولا الوصول الى مراتب السيادة، ولا الدخول في ابواب السعادة، فان تدبير الممالك، وسلوك هذه المسالك، يحتاج الى رجل كالجبل في السكون والوقار اوان الثبات، وكالبحر الهايج والسيل الهامر اوان الحركات، ثم اعلم يا ذا العلا، والمالك المال والدما، انه يجب على الملك الكبير، اجتناب الاسراف والتبذير، فانه حافظ دماء الناس واموالهم، ومراقب مصالحهم، في حلهم حالهم ومالهم، والمال الذي في خزانته، قد اجتمع من وجوه مكاسبه، ومن خراج مملكته وفي اعدائه ومعادنه، انما هو للرعية، لمدت به عمم النبابة، وتصرفه في مصالحهم، وما جلب من حواصلهم وجواجهم، فهو في يده امانة، وصرفه في غير وجهه خيانة، فكما لا ينبغي ان يتصرف في مال نفسه بالتبذير، كذلك لا يتصرف في اموالهم بالاسراف والتقصير، ومصداق هذا المقال، قول ذي الجلال، جل كلاما، وعز مقاما، والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما، وينبغي للملك بل يجب، ان لا يستتر عن اعينهم ولا يحتجب، وان لا يبادر لمرسوم، الا بعد تحقيق العلوم، ولا يبرز مراسيمه بما لم يحقق فيه معلومه، وذلك بعد التامل والتدبر، وسبر غور القضية والتفكر، وهذا لان مرسوم السلطان، على دمه ابناء الزمان، هو بمنزلة القضاء، النازل من السماء، واذا نزل القضاء، وفتحت له ابواب السماء، لم يرد ولا يتعقبه، ولا يعوقه عن مصبه عدد ولا عدد، ولا حيلة في منعه لاحد، وامر اولي الامر على ذلك وعمرو، كالسهم الخارج من الوتر، بل كنبه سهام القضا والقدر، العاجز عن ادراك سره قوى البشر، كما انه اذا نفذ سهم المقدر والمقدر، لا يرده ترس حيلة ولا يعدله درع حذر، كذلك امر السلطان، لا ينبغي لمعدوره حرمان، ولا يمكن تلافيه الا بالامضاء والاذعان، فاذا لم ينفذ قبل ايراده في عواقب منه واعجازه، ربما ادى في الندم، والتاسف حيث زلت القدم، ولا يفيد الملك بعد الخلاف، والذي يرد السهم الى الوتر وقد خرق الشعف، وكما ان الملك

سلطان الانام ، كذلك كلامه سلطان الكلام ، وكلما ينسب اليه فهو سلطان حسنه ويجب عليه حفظ كلامه كحفظ نفسه ، وحسبك يا ملك الزمان ، لطيفة جرت للملك انوشروان ، فبرزت المراسيم الشريفة ، في بيان تلك اللطيفة ، فقال الحكيم ذكر اهل السير ، ونقلة الاثر ، ان الملك انوشروان ، كان راكبا في السير ان ، فحمل به فرسه ، وقوى عليه نفسه ، فاستخف شانه ، وحبك عنانه ، فهمزه وكره ، وضربه وكزه ، فراد جموحا ، ومادّ جنوحا ، فتجاذبا العنان فانقطع ، وكاد انوشروان ان يقع ، فلائف الفرس فاستكان ، ونجا بعد ان كاد يدخل في خبر كان ، فلما وصل الى محل ولادته ، واستقر واجب قلبه عن مخافته ، دعا سايس المركوب ، فلبّا دعوته وهو مرعوب ، فلعنه وشتمه ، واراد ان يقطع يده وقدمه ، وقال تُلجم هذه الداهية ، بلجام سيوره واعية ، فانقطعت في يميني ، وكاد الفاعل يرميني ، ثم دعا بالمقارع ، وبالجلاد ليقطع منه الاكارع ، فقال السايس المسكين ، ايها الملك المكين ، وصاحب العدل والتمكين ، اسالك بالله الذي رفعك الى هذا المقام ، ان تسمع لي هذا الكلام ، فقال قل ، ولا تطل ، قال كان هذا العنان يقول ، وكلامه فضل لا فضول ، ومقوله قريب من المعقول ، انملك انوشروان سلطان الانس ، وفرسه سلطان هذا الجنس ، وقد تجاذبني قوة سلطانين ، فاني لي طاقة التثبت لهما ومن اين ومن ابن ، لا جرم ذهب مني الحمل ، فتمزقت بين محاذبة سلطان الانس وملك الجبل ، فاعجب انوشروان من السايس هذا البيان ، فانعم عليه واطلقه ، ومن رقي عقابه وعذابه اعتقه ، واما اوردت هذا البيان ، ليتحقق مولانا السلطان ، ان حركاته ملكة للحركات ، وصفاته سلطان الصفات ، وكلامه ملك الكلام ، فلا يتعرفه في كل مقام ، ويتحفظ بالتامل قبل القول ، والتوقف لتبوء وتحفظه بالتصدق والطول ، واذا امر بامر فلا يرجع عنه ، بل يستمر على ما امر به ثقة بفضل سفيه ، ثم اعلم يا مالك الرقاب ، ان كلا من الثواب والعقاب ، له حد معلوم ، ومقدار مفهوم ، ينبغي للملك ان لا يتعدى لذلك حدا ، وعلى الملك ان يصغي الى النصيحة ، ممن مودته صحيحة ، وقد جرب منه التصدق ، وعلم منه الاخلاص في النطق ، لا سيما اذا كان ذا عقل صحيح ، ووُدّ صريح ، ولا ينفر من خشونة النصيحة ومرارتها ، ويتلقى ببرودة الخاطر وسلامة القلب حرقة حرارتها ، فان الناصح المشفق ، كالطبيب الحاذق ، فان المريض الكئيب ، اذا شكى الى الطبيب ، شدة المه ، من مرارة فمه ، تصف له دواء مرا ، فيزيد حرارته حرا ، فلا يجد بدا من شربه ، وان كان في الحال ينهض بكربه ، لعلمه بصدق الطبيب ، وانه في رايه مصيب ، وما قصد بالدواء الا مرّ ، زيادة الضرّ ، وانما قصد بالمه ، عود الحلاوة الى فمه ، ولا يستحقر النصيحة ، اذا كانت صادقة صحيحة ، ولا الناصح ، خصوصا الرجل الصالح ، فان سليمان وهو من اجل الانبيآ الكرام ، عليهم افضل الصلاة والسلام ، احد من ملوك الدنيا ، وحكم على الانس والجن والطير والوحش والهوآ ، استشار نملة حقيرة فانجح في امره ، وخالف وزيره آصف ابن برخيا فابتلي بفقره ، وسلب من جميع ما ملك ، وصار كما قيل أجيرا لصيّاد السمك ، ثم قال الحكيم حسيب ، ايها الملك الحسيب ، وانا لما رايت امور المملكة قد اختلت ، ومباشري مصالح الرعية قلوبهم قد اعتلت ، ولعبوا بالتقبيل والخفيف ، واستدل القوي منهم على الضعيف ، ومدوا ايديهم الى اموال الناس بالباطل ، واظهروا الحالي في حلية العاطل ، وخرجوا عن دايرة العدل ، وأطرحوا اهل العلم والدين والفضل ، وتولى المناصب غير اهلها ، وتنزلت المراتب الى غير محلها ، وحرم المستحقون ، وأقبل المختقون ،

الى ان ... ضلال، وعم الفساد والضلال، واستطالت يد الفساد، وقويت اعضاد الظلم على العباد والبلاد، وهذا كله لا يليق بشرف مولانا الملك ولا بأصله، ولا يجوز فى شرع المروّة ان يكون الظلم طراز عدله، اذ قدره العلىّ، واصله الزكىّ، اعظم مقاما من ذلك، ولا يحسن ان ينتشر الا صيت رأفته فى الممالك، وعلى الخير مبنى سلفه الكرام، وانطوت على مآثرهم صحايف الايام، وقد قيل شعر

وان الظلم من كل قبيح ... واقبح ما يكون من النبيه

وقيل شعر ولم أر فى عيوب الناس شيا ... كنقص القادرين على التمام

فما وسعنى الا الاحجام الى العزلة، والتعلق بذيل الانفراد والوحدة، وما امكننى ان اعمل شيا، ولا اقطع امرا، دون العرض على الآراء الشريفة، وامتثال ما تبرزه مراسيمها المنيفة، فقد قل الناصح، فى بعض النصايح، لا تخاطب الملوك، فيما لم يسالوك، ولا تقدم على ما لم يامروك، فلما اذن لى فى الكلام، قمت فى هذا المقام، وقلت قطرة من بحور، وذرة من طور، ورايت ذلك واجبا علىّ، ونفعه عايدا الىّ، وذكرت بعض ما وجب على سايرالناصحين، ولزم ذكره جميع المسلمين، من طريق واحدة، ولزمنى انا من طرق متعددة، ادناها طريق المروة، واعلاها بل اقواها وثيق الاخوة، التى هى اقوى الاسباب، واعظم الوصلات فى هذا الباب، فانه قد قيل السبب الذى لا يقطعه سيف الخذلان حبل القرابة، والبنيان الذى لا يهدمه معول الزمان اساس الاخوة، قال الله تعالى، وعز جلالا، وتقدس كمالا، سنشد عضدك باخيك، وقال القايل

اخاك اخاك انّ من لا اخا له ... كساع الى الهيجا بغير سلاح

وناهيك يا زين الملاك، قصة الونها مع الضحاك، قال اخبرنا ايها الحكيم، بذلك الحديث القديم، قال الحكيم بلغنى فى التاريخ، اليافع الشماريخ، ان الضحاك كان من احسن الناس سيرة، واصفاهم سريرة، قد فاق فضلا، وبلغ ذكره الافاق عدلا، فتربّا له ابليس، فى صورة الدهاه والتلبيس، وزعم ذلك الطواغ، انه طباخ، وصار كل يوم يهيّئ له من اطيب الاطعمة، ولذيذ الاغذية، ما يعجز عنه غيره، ولا يقدر احد يسير سيرته، ولم ياخذ على ذلك جراية، فبلغت رتبته عنده النهاية، واستمر على ذلك مدة مديدة، وايساما عديدة، والناس ما تكره، ان تخدم بغير اجره، خصوصا فى هذا الزمان، وتواساه الاعيان، فقال له الامام، فى بعض الايام، لقد اثبت علينا يدا وذكرا، وما سالتنا على ذلك اجرا، فاقترح ما تختار، اكافيك به يا مهتار، فقال تمنيت عليك، ان اقبل كتفيك، فانى افتخر بذاك، وان يقال مس فمه بدن الضحاك، فاعجبه ذاك واجابه، وحسر عن بدنه ثيابه، ودار ظهره اليه، فقبل لوحى كتفيه، ثم غاب عن عينيه، فبحرد ما لثمه، ومس جسمه فمه، اخذته حكة، وحكه موضع لثمه حكة، ثم خرج من موضع فيه سلعة، تلذعه شر لذعة، وتلسعه احر لسعة، ثم صارتا حيتين، اشبهتا كيتين، فصار يستغيث، ولا مجير ولا مغيث، فطلب الاطبا، فاعياهم هذا الدا، ثم لم يقر له قرار، ولا ياخذه سكون ولا اصطبار، الا بدماغ الانسان، دون سايرالحيوان، فمد يد القتل والفتك، ولاجل الادمغة استعمل السفك، فعجز الناس، لهذا الباس، وصاحوا ونـاحوا،

وغدوا مستغيثين وراحوا، فوقع الاتفاق، بعد الشقاق، على الاقتراع، لرفع النزاع، فمن وجبت قرعته، كسرت قرعته، وأخذ دماغه، وحصل لغيره فراغه، فعالجوا به الكيتين، وغذوا به الحيتين، فمرد به الألم، وبخف السقم، ففي بعض الادوار، خرجت القرعة على ثلثة انفار، فربطوا بالاغلال، ورفعوا الى النكال، ليجري عليهم ما جرى على الامثال، فبينما هم في الحبس، بين طالع نحس، وطرد وعكس، وقف للضحاك امراة وضيئة، واستغاثت به في هذه القضية، فاذناها، وسأل ما دهاها، فقالت ثلثة انفار، من دار، لا صبر على هذا ولا قرار، وحاشا عدل السلطان، ان يرضى بهذا العدوان، ولدي كبدي، واخي عضدي، وزوجي معتمدي، وكل مسجون، ليسقى كاس المنون، فرق لها الضحاك، وقال لا يعمهم الهلاك، فاذهبي يا مغاثة، واختاري واحدا من الثلاثة، وجهزها الى الحبس، ليقع اختيارها على من يرفع اللبس، فتصدى لها الزوج، وتمنى الخلاص من ذلك الموج، فتذكرت ما مضى، من عيشها معه وانقضى، واستحضرت طيب اللذات، والاوقات المستلذة، فتاقت اليه، ومالت عليه، فتحركت النفس الانسانية، والشهوة الحيوانية، فهمت بطلبه، وتعلقت بسببه، فوقع بصرها على ولدها، فلذة كبدها، فرات صباحة خده، ورشاقة قده، فتذكرت طفوليته وصباه، وتربيتها اياه، وحمله وارضاعه، وتناغيه واوضاعه، فعطفت عليه جوارحها، ومالت اليه جوانحها، فقصدت ان تختاره، وتريح افكاره، فلمحت اخاها باكيا، مطرقا عانيا، قد أيس من نفسه، وتمنى الاقامة بحبسه، لانه يعلم انها، لا تترك زوجها وابنها، ولا تختاره عليهما، ولا تميل الا اليهما، فافكرت طويلا، واستعملت الراى المصيب دليلا، ثم ادّاها الفكر الدقيق، وارشدها التوفيق، فقالت اختار اخي الشقيق، فبلغ الضحاك امرها، وما ادى اليه فكرها، فدعاها، وسألها عن سبب اختيارها اخاها، فان اتت بجواب صواب، وهبها اياهم مع زيادة الثواب، وان لم تاته بفايدة قاطعة، وعايدة في الجواب نافعة، كانت في قتلهم الرابعة، فقالت اعلم، واسلم، انى تذكرت زوجي وطيب عشرته، واوقات معانقته ولذته، وما مضى معه من حسن العيش، وتفضى من خفة الاحلام والطيش، فملت اليه، وعولت في الطلب عليه، ثم ابصرت ابني، وتذكرت مقامه في بطني، وما مضى لي عليه من عاطفة، وشفقة تامة في الايام السالفة، فغلبني حبه القديم، وشكله الوسيم، فملت الى اختياره، وخلاصه من بواره، ثم لمحت اخي المتقدم عليهما، فقست مقامه بالنظر اليهما، ففلت انى امراة مرغوبة، فتية عاقلة مطلوبة، ان راح زوجي فعنه بدل، واذا حصل الزوج وجد الولد وحصل، فتهيا العرض، ووجد عنهما العوض، واما الاخ الشقيق، فما عنه عوض في التحقيق، لان ابوينا ماتا وفاتا، وصارا تحت الارض رفاتا، هذا الذي ادى اليه افتكاري، ووقع عليه اختياري، وانشد لسان المقال، فيما يقتضيه الحال، شعر

وكم ابصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري

فاستحسن الضحاك هذا الكلام، ووهبها جماعتها مع زيادة الانعام، قال الحكيم وانما اوردت هذا المثل، لمولانا الملك الاجل، وعرضته على المختار، ومسامع النظار، ليعلم ان لي عن كل شي بدلا، واما عن مولانا السلطان فلا، كما قال من اجاد في المقال، شعر

وقد نعوض عن كلّ بمشيبه فما وجدتْ لايّام الصبا عِوَضا

وليس لى غرضٌ الا فى بقاء ذاتك النفيسة، ودوام حياتك العزيزة، ثم انى اخاف والعياذ بالله ان هذه البقعة التى أقبلتْ، والحركات الدائمة التى وجوه الخلائق منها اشكلتْ، تستاصل شأفة اسلافنا الكرام، وتقرض عقب أجدادنا الملوك العظام، فاخترتْ العزلة لذلك، فانها اسلم الطرق والمسالك، قال الملك لقد صدقتَ، اذ نطقتَ، وتحريتَ الصواب، فى الخطاب، وانا اتحقق حُسْنَ نيّتك، وخلوص طويّتك، وحسن وفائك، ويُمْنَ ارائك، فانك اخٌ شفيق، وصَدوق صديق، ولكن تعلم ان هذا الوزير، رجل خطير، رأيه مستنير، وفضله غزير، وهو من اصل كبير، وله علينا حق كثير، اريد ان يقعَ ما عزمتَ عليه، وصوّبْت فكرك المصيبَ اليه، مع محاورته، ومناظرته ومشاورته، فان كلا منكما ناصحٌ مُشفق، وحكيم مدقّق، وعالم محقق، وفى مثل هذه الاشيا، اذا اتفقت الارآ، وتوالى النَّفَس، وتكاثف نور القَبَس، ورقّ الحَبَك، ودقّ الحَبك، وضح الحقّ، وصحّ الصدْق، لا سيّما اذا كان الكلامُ بين عالمين، والسوال والجواب من فاضلَيْن كاملين، قال الحكيم، ايها الملك العظيم، اذا اقام الانسان فى صَدَد المعارضة، وتصدّى فى البحث الى المعاكسة والمناقضة، لا سيّما اذا كان من اهل الفصاحة واللَّسَن، وساعده فى ذلك الادراك الحَسَن، لا يَعْجَزُ ان يقابل الايجاب بالسَّلْب، والنَّفْىَ بالاثبات والاستقامةَ بالقَلْب، والعَكْس بالطَّرْد، والقبول بالرَّدّ، ويكفى فى جواب المتكلّم، اذا اوْرَد مسئلة لا نُسلّم، وقد قيل، فى الاقويل، لا تنفع الشفاعةُ باللجاج، ولا النصيحةُ بالاحتجاج، اما انا فقد بذلت جَهدى، وادّيت فى النصيحة ما عندى، وكشفتُ عن محذرات التحقيق أَسْتار الشكّ، وكرّرت على محكّ التصديق آثار الحكّ، فان وعيتم كلامى بسمع حَىّ، فقد تبيّن الرُّشْدُ من الغَىّ، وان اعرضتُم عن عين اليقين، فلا اكراهَ فى الدين، فتصدّى الوزيرُ للكلام، وحسَر عن ثَغْر بيانه اللثام، وبرز فى لباس الملابنة والخداع، وسلك تحْبيث الطباع، طريق الملاطَفة والاصطناع، ودسّ النسم فى الشَّهْد، ونزل من البقاع الى الوَهْد، وقال الحمد لله الكريم، الذى منّ على مولانا الملك بهذا الاخ الحكيم، الفاضل الحليم، الكامل العليم، والناظر فى العواقب، صاحب الراى المصيب والفكر الثاقب، فلقد بالغ فى النصيحة، بعباراته الفصيحة واشاراته المليحة، وكلّ شىء ابداه، الى المسامع الكريمة وانهاه، هو الذى يقتضيه العقل، ويرتضيه العَدْل، ويُقبله الطَّبْعُ القويم، اذ هو المنهج المستقيم، يترتّب عليه الذكر الجميل، ويحصل به الثواب الجزيل، ولكن الذى نعرفه فى حفْظ الرياسة، واقامة ناموس السياسة، هو الذى عليه القوم، فى هذا اليوم، وجرت عليه عادات الاكابر، ومَشَى فى سُلوكه الاصاغر، فان الزمان فَسَد، والعنصر فيه قد كَسُد، وزاد فيه الحقد والحَسَد، وتشرّب المكر والاذى الروحُ والجسد، فكلّ فى الروغان ثعلبٌ وفى العُدوان اسد، وصار هذا مقتضى الحال، والحمود من الخصال، والمغلوب من الرجال، والناسُ نُدور مع زمانهم، بقَدْر مكانهم وامكانهم، وقد قيل الناس بزمانهم، اشْبَهُ منهم بدينهم، وبعض السياسات، عند اهل الكياسات، يَقْتَضى العقوبة بالتغريم، واخْذ المال بالترسيم، ونهْىَ الانسان عن مُجّرم، نُمع كل مُوذ ومُحرم، وكان من الحماقة والبَلَه، كمن عاقب من لا ذنْبَ له، فان وَضْعَ الاشياء فى محلّها، وزمام الامور والمناصب فى يد اهلها، هو اصلُ القوانين

ومعتمد الملوك والسلاطين، فى الشرع والسياسة، ومقتضى العقل والكياسة، ومعدن [illegible] والفضل والفراسة، وناعيك ايها الحكيم الفاضل، قول الشاعر القايل،

شعر ومن لا يَذُدْ عن حَوْضِه بسلاحه يهدَّمْ ومن لا يَظْلِم الناس يُظْلَم

وما قيل شعر لا يَسْلَم الشرف الرفيع من الاذى حتى يُراق على جوانبه الدم

ومن مقالات انابك، اردشير بن بابك، رُبَّ إراقةِ دمٍ تَمْنَع من اراقةِ دماء وفى امثال العرب القَتْل انفَى للقَتْل وقيل

شعر لعلّ عَتْبك محمودٌ عواقبُهُ وربما صحّت الاجسادُ بالعِلَلِ

وهذا كله مصداقُ قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وناعيك يا ذا القدر الخطير، قصّة قابوس بن وَشْمكير، قال الحكيم للوزير، اخبرْنا ايها الدستور الكبير، كيفيّة ما انت اليه مُشير، قال الوزير ذكر ان قابوس بن وشمكير، ذاك الاسد المبير، قبَض عليه جماعة، كانوا جبذوا ايديَهم من الطاعة، وهم اركانُ دولته، وبنيان صولته، ثم قيّدوه وحبَسوه، واقاموا ولَده مقامه واجلسوه، ثم انهم لم يامنوا منه غايلة، وافكارُه لجايلة، وضُروبَ تدابيره الصايلة، فتوامروا ان يسبكوه، ويعمدوا الى دمه فيَسْفكوه، فارسلوا اليه قاتلا، فوثب اليه سايلا، ما سَبَبُ قَتْلى، وما ذا نابهم من اجلى، مع كثرة احسانى اليهم، واسبال ذيل اكرامى وانعامى عليهم، وتربيّتى اياهم كالاولاد، وفلَذ الاكباد، وصَونى اياهم، عمّن اذاهم، فقال اراقتك الدماء، هاج عليك الغرماء، واكثر لك الخصماء، ولما تغيّرت خواطرُهم عليك خافوا، وقبل ان تَحيف عليهم حافوا، فقال قابوس، والله ما سببُ هذا النكد والبوس، واثارة هولاء الخصماء، الا قلّة اراقة الدماء، يعنى لو اراق دماء القايمين عليه، لَما وَصل هذا المكروه اليه، فلما ابقى عليهم افنوه، وحين تَرك اذاهم اذوه، وانما اوردت هذا التنظير، ليَقِفَ خاطرُك الخطير، انّ امورَ السياسة، وقواعدَ الرياسة، كانت تقتضى تارة اقامة الحُرمة بالسَفْك والسَبْك واخرى بالعَفْو والتَرْك، واما الان فذلك الحُكْم قد انتسخ، والفَسادُ فى قلوب العِباد رسخ، وقد قيل شعر

تَلْجى الضرورات فى الامور الى سُلوك ما لا يَليق بالأدَبِ

ومِزاجُ الزمان قد تغيّر، والمعروف فيه قد تنكّر، وصَفْوُ اهليه قد تكدّر، وقد اعرضوا عن طاعة السلطان، واتّبعوا مخادعة الشيطان، وكل منهم قد شرّخ، وباض الشيطان فى دماغه وفرّخ، وتصوّر لخيالاته الفاسدة، ومحالاته الكاسدة، انه بما يكيد، يبلغ ما يريد، وهيهاتَ وشتّان

لقد هزلتْ حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامَها كل مُفْلِسِ

وهذا كما قال الله تعالى يَعدهم ويمنّيهم وما يَعدهم الشيطان الا غروراً وما شعروا ان الملوك والسلاطين ممن اختاره الله تعالى، والبسَه من خِلَع جبروته كمالا وجلالا، وجعلهم بامور عباده قايمين، وبعين عنايته ملحوظين، وكما ان الرُسل والانبيا، السادةَ الاعلامَ الاصفيا، هم صَفْوةُ الله تعالى من خليقته، ومختاروه من بين بريته، من غير كَدّ ولا جَهْد، ولا سعى منهم ولا

جدّ، ما سبق ... سمى ابصرح الى الرسالة، ولا ارشوا على نيل هذه الكرامة والنبالة، انما هو تخصّص فضل من الله تعالى وعنايانه، والله اعلم حيث يجعل رسالاته، كذلك الملوك والسلاطين، القايمون بادمة شعاير الدين، والمنتصبون لفصل الاحكام وخلاص المظلومين، من الظالمين، هم ممن اختاره الله من خلقه، واجرى على يديه لهم بحار كرمه ورزقه، والسلطان ظل الله فى ارضه، يجرى بين عباده شريعة نعله وفرضه، قال من له الخلق والامر، اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر، وقد غفل اعل هذه الممالك، عن السلوك فى هذه المسالك، وعن ادراك هذه الحقايق، وعرضوا عن الدخول فى احسن الطرايق، وهى طريق المحاشمة، والتفقح والمكارمة، وعدّوا المكر من حسن السياسة، والخداع من العقل والكياسة، والتحيّل على اكل اموال الناس من الذكاء، ومظالم العباد من خلال الصدق والصفا، وتملقهم للملوك والسلاطين من اسباب الوصول الى الاغراض، مع تحسين الظواهر وفى البواطن امراض، فظواهرهم ظواهر الانس، تشتمل على المودة والأنس، وما فيهم تحت الثياب، الا كلاب وذياب، ولاجل هذا سلّطنا الله عليهم، ومدّ يد بسطنا اليهم، نعاملهم بالفراسة، ونعمل معهم بما تقتضيه الكياسة، وتستصوبه الآراء السلطانية من قواعد السياسة، قال الحكيم حسيب، بعد ما ادرك ما فى الكلام من فكر غير مصيب، اعلم ايها الوزير الناصح، والدستور الشفوق الصالح، ان الرعيّة بمنزلة السرج، والملك شبيه الشمس فى البرج، واذا تلالأ على صفحات الأكوان، وانار فى وجه الزمان والمكان، اشعّة نور الشمس الوهّاج، فى شعاع ووجود يبقى للسراج، وان انوار قلوب الرعايا، وما تحصل لها من أشراف ومزايا، انما هو من فيضان اشعّة قلوب ملوكهم، وان الرعيّة تبع للملوك فى سلوكهم، فاذا صفت مرآة قلب السلطان، اشرقت بالطاعة قلوب الرعايا والاعوان، بل الزمان والمكان، تابعان لما يضمره وينويه السلطان، وقد قيل اذا تغيّر السلطان، تغيّر الزمان، وهل اتاك ايها الدستور، واقعة الرييس مع بهرام جور، قال الوزير أخبرنا يا باقعة، كيف كانت تلك الواقعة، قال الحكيم، اخبرنى شيخ عليم، بالفصل مشهور، ان بهرام جور، وكان ذا ايد، عزم على الصيد، فخرج فى عسكر جرّار، وانبثوا فى الصحارى والقفار، وبينما هم قد تفرّقوا شغر بغر، حرّكت يد الشمال بالنخل غربال المطر، ثم تراكم من السحاب، على وجه عروس السماء النقاب، وانهمل الغمام المدرار، وصارت الدنيا جنات تجرى من فوقها الانهار، واقبلت سوابق السيول، تجرى فى مضمارها كالخيول، فتشتت العساكر، وتشوّشت الخواطر، ففقد بهرام جور، كفرا من الكفور، وطلب القرى من تلك القرى، منفردا عن عسكره، مخفيا سرّ خبره، فنزل فى بيت الرئيس، وهو رجل خسيس، فلم يقم من حقه بالواجب، لانه لم يعلم ذلك الراكب، فتشوش خاطره، وتكدّرت ضمايره، وتغيّرت عليهم نيّته، وان لم يتغيّر بشريته، فلما اقبل الليل، جاء الراعى وهو يدعو بالويل، ويشكو كثرة المحن، من قلة اللبن، وذكر ان المواشى لم تدرّ ضرعا، مع ان رعيتها كان احسن المرعى، ولا وقف لذلك على سبب، ولا درى كيف حال حالها وانقلب، وكان للرئيس بنت تساجد الاقمار لحدودها، وتتقصّف الاغصان على قدودها، اذا ماستْ فى الرياض عند ورودها، فلما سمعت كلام الراعى، قالت انا والله عرفت السبب والداعى، وهو ان سلطاننا، الذى نيته حفظتْ اوطانها، تغيّرت نيّته علينا، وتقدّم ضميره بالسوء الينا، فظهر النقص فى ماشيتنا، وسيعدى

ذلك الى انفسنا وحاشيتنا، وقد قيل اذا هَمّ الحاكم بالجَور على الرعايا أدخل اللهُ النقص فى اموالهم حتى الزروع والضروع فقال ابوها اذا كان الامرُ كذلك، فلا مقامَ لنا فى هذه الممالك، فالاولى ان نتحوّل عن هذا المكان، الى مقام لا يُضْمر فيه سُوا لرعيّته السلطان، فنستريح فى ظل حاكمه، ونرعى فى مسارح مكارمه، كل هذا وبهرام، يُصْغى الى هذا الكلام، فقالت البنت ان كان ولا بُدّ من الانتقال، واقتعاد مطيّة الارتحال، فما تصنع بهذه الاثقال، والازواد الثقال، فقدّمْ لهذا الضيف منها، يَحْصُل التخفيف عنها، ويقع لك فايدتان احدهما حُسْنُ المَضيف، وثانيهما التخفيف، فامتثل ابوها ما اشارت بنتُه، ونقل الى الضيف ما حَواه بيتُه، من طعام وشراب، ونُقْل وكباب، وبَسط بساط النشاط، واخذ فى دواعى الانبساط، وانتقلا من الحاشمة، الى المكالمة والمنادمة، وعملا بموجب ما قيل شعر

وما بَقِيَتْ من اللذّات الا احاديث الكِرام على المُدام

فلما هجم جيش السُكْر، وهزم جُنْدَ العقل والفكر، تذكّر بهرام مجالسَه، ومُوانسَه فيها ومجالسَه، وما فيها من مغازلة الغزلان، واصوات الغوانى والقيان، فاظهرت حشْمَةُ السَلْنَنة من مُضْمَرها، وتفوّه بشىء يلوح بخبرها، وتاقت نفسُه الى معتادها، فاعرب فى شطحاتها عن مرادها، وقال للرييس، ايها النديم الكيس، لو كان لنا من يُطْربنا بصوته، او يُبْهجنا بصورته، ولو انها وصيفة، او ذو صورة نظيفة، وحركة لطيفة، ولا نطلب زيادةً على النَظْر، وحُسْن المفاكهة والسَمَر، والمنادمة الى السَحَر، لزالت وحشة الاغتراب، ودهشة وحدة الشراب، فانه قيل الشرابُ بغير نَغَم غَمّ، وبغير دَسَم سَمّ، وان مذهبنا ما قيل شعر

اتاذنون لصَبّ فى زيارتكم فانّكم فى مَحَلّ السَمْع والبَصَر

لا يُضْمِرُ السُوْء إنْ طال الجلوس به عَفُّ الضمير ولكن فاسِقُ النَظَر

فنهض الرئيس، وترك مذهبه الخسيس، واستعمل المُرُوّة، وسلك سبيل الفتوّة، وانشد شعر

وكلّ قيادةٍ لاخٍ وخِلّ بلا جُعْلٍ فتلك من المُرُوّة

واخْطَر بالبال، ما نظمه الشاعر وقال

ما ناظِمُ الشِعْر فى مقامِ فَتًى يقود فاسمعْ مقالةَ النُظَرَا

الّف هذا حُروفه وسَمت همّةُ هذا فالّف الحُرَفا

ومن مذهب المَجوس، اباحة فرج العروس، فدخل الى بيته، وذكر ما جرى بينه وبين ضيفه لبنته، وقال اى ربيبة الحُسن والاحسان، اظنّ ان ضيفنا من اكابر الاعيان، ومقرّبى حضرة السلطان، وقد التمس منى ما يزيد سروره، ويُفيد حضورَه وحبورَه، ويُلْهيه بمفاكهته، وحُسْن منادمته، وما عندنا مَنْ يصلح لذاك، اى مادّة السرور سواك، وانا اعرف عفّتك ونزاهتك، وحُسْنَ محاضرتك ومفاكهتك، ورصانة رايك، ورزانة عقلك وذكايك، فان رايت ان تمتّعيه بالنظر الى جمالك، وتفتّنيه بمصايد غُنْجك ودلالك، ولو بلحظة، او بلفظة، ثم تَعودى الى كناسك، مفتخرةً بين

اهلك واناسك، فذاك منك واليك، وما اريد ان اشقّ عليك، وليس فى ذلك عار، ولا فى خدمة الضيف واكرامه شنار، فاجابت اباها، وكان ذلك رضاها، وجدّ قصدها ومناها، فاقبلت الى خدمة الضيف، ولعبت معه من لحظها، وقدّها بالرمح والسيف، الى ان صادته بلحظها المكسور، وامسى قلبه وهو فى يدها ماسور، وكان قد خرج للصيد فاصطيد، وصار مع سلطنته من جملة العبيد، وانشد

ارى ماء وبى عطشٌ شديدٌ ولكنْ لا سبيلَ الى الورود

ثم قرّر فى ضميره، انه اذا وصل الى سريره، يطلب هذا الرئيس ويصاهره، ويقطعه هذا القرية ويعاشره، ويجعل ابنته خوندة، ويسلّم الى ابيها جُندَه، فما استتمّ هذا الخاطر الخطير، حتى جاءهم الراعى المستجير، وقال ان الغنم التى ما نَضَتْ بقُشرة، ولا درّت دُرّة، قد تفاجت ضروعها القاحلة، فيها هى دارّة حافلة، قد صارت كالسيول على السابلة، فلم يبق وعاء الا امتلاء، وقد روى من الجيران الملاء، وها هى تُشخب وتسيل، وفاضت فاروت الحفير والجليل، واغنت الجيران، وكانها غدران، فقالت بنت الرئيس، لله الحمد والتقديس، الذى اصلح نيّة سلطاننا، حتى استقر بنا فى اوطاننا، وعاد علينا ما سُلبناه، ورجع الينا ما طُلبناه، فتعجّب بهرام جور، من هذه الامور، ولما اصبح الصباح، ركب فرسه وراح، فاستقرّ فى ولايته الزاهرة، وامضى ما كان نوّاه من المصاهرة، واسبل على الرئيس ذيل الانعام، وزاد له من الاكرام، ما انتظم به امره واستقام، وانما اوردت هذا الخبر، لتعلم ان الزمان فى الجيء والمرّ، متبعٌ ما اضمر السلطان وما اظهر، وما احلاه فى امر رعيّته وما امرّ، وقد قيل عدل السلطان، خيرٌ من خصب الزمان، واذا لم يكن الملك برعيّته شفوقا، ولا بارّا ولا رفيقا، ولم يتجاوزْ عن مسيئهم، منليقا لذوى ذنوبهم متشوّقا لمجيئهم، محسنا لمحسنهم، رؤيما بحفظ مؤمنهم، فالاولى بهم ان يهاجروا عن مملكته، ويخرجوا عن اقليمه ولايته، قال ربّ العالمين، وهو اصدق القايلين، لنبيّه وحبيبه سيد المرسلين، وهو نعت فظّا غليظ القلب لانفضّوا من حولك وينبغى للحاكم ان لا يواخذ احدا، حتى يعلم ان له حل ذلك، ولا تزر وازرة وزر اخرى، ولو ثُوقب احدٌ بجريرة احد، وحمل على الذى لم يذنب عقوبة ونكد، لفسدت المملكة، وانتشرت المهلكة، فاضطربت الرعيّة، واختلت القواعد السلطنية، ولو فعل ذلك المعدّم من الملوك، لهلك الصعلوك، واستدّ الطريق المسلوك، واخرمت القاعدة على المالك والمملوك، ولم يبقَ للمتاخر شيء، ولا على وجه الارض حىّ، ويجب على من باشر عن الملوك امرا من الامور، او حُكّما على الجمهور، ان يكون فى دينه متينا، وعلى الناس امينا، سديد الفكر، قويم النظر، صدوق النطق، ظاهر الصدق، دايرا مع الحق بقضّا بروامه، خواتيم امره والعواقب، عادلا بين الأخصام، شفوقا على الخاص والعام، ثابتا فى الدوارل، معدودا فى الهوارل، مشغولا بتهذيب نفسه، متفكرا يومه فى غده وامسه، متميّزا بالدلايل المرضيّة على ابناء جنسه، واضعا الاشياء فى محلّها، متفحصا بنفسه عن جُلّها وقلّها، مقيما كل احد فى مقام لا يتعداه، ومنصب معلوم لا يتخطاه، حتى تستقيم لذلك امور المملكة، ويثبت على الخبر قواعد السلطنة، ويطمئنّ خاطرُ مخدومه، ويركن اليه فى منطوق قوله ومفهومه، فيقبلَ قولَه وفعلَه، ويعرف فضلَه وفضلَه، وكذلك يجب ان يكون الملك كريم الاعراق، لطيف

الأخلاق، شريف الأعلاق، وفى جميع احواله، متمسّكا بذيل افضاله، مراعيًا سيرة اجداده من الملوك، سالكا طريقة ما طرقه الملوك من السلوك، لان من لا يشيّد اركان اسلافه، ولا يقوّى أساس بُنيان أشرافه، يُصيبه ما اصاب الذيب، من الجدى المغنى المصيب، فسال الملك من اخيه، ان يذكر له ذلك المثل وينبّهه، فقال بلغنى يا مَلِك الارض، وحاكم طولها والعرض، انه كان فى بعض الغياض لذيب وجار، واعلّ وجار، فخرج يوما لطلب صيد، ونصب لذاك شباك الكيد، وصار يجول ويَصُول، ولا يقع على محصول، فاثّر فيه الجوع واللغوب، واذّنت الشمس للغروب، فصادف بعض الرُعيان، يسوق قطيعا من الضان، وفيها بعض جدْيان، فهمّ عليها لشدّة الجُوع بالهجوم، ثم ادركه من خوف الراعى الوجوم، لانه كان متيقظا، ومن الذيب على ماشيته متحفّظا، فجعل يراقبه من بعيد، والحرص والشره يزيد، والراعى سايق، وللذيب عايق، فتخلّف جدىٌ غبىّ، غفل عنه الراعى الذكىّ، فادركه الذيب النشيط، واقتطعه بامَل بسيط، بشّر نفسَهُ بالظَفَر، وطار بالفَرَح واستبشر، فلما راى الجدىُ الذيب، علم انه أُصيب بيوم عصيب، وظفر فتّاب البلاء من قُضّبه باوفر نصيب، فتدارك نَفْسَه بنَفْسه، واستَحْضَر حيلَة جاشه وحَدْسه، وعلم انه لا يُنَجّيه من تلك الورطة الوبيلة، الا مُغيث الخداع والحيلة، وَاذْكره مُذْكر الخاطر، ما قال الشاعر،

شعر ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا به الخَطْبُ الا وهو للقَصْد مُبْصِرُ

فتقدّم بجاش صليب، وقبّل الارض بين يدى الذيب، وقال له مُحبّك الراعى، لجنابك داعى، يسلّم عليك، وقد ارسلنى اليك، يشكر صَداقتك وشفقتك، وحشمتك ومرافقتك، ويقول قد تركتَ بحُسْن ايالك، عادة اجدادك وآبائك، فلم تتعرّض لمواشيه، وحفظتَ بنظرك ضعاف حواشيه، وقد حصّل لضعافها الشبع، وامّنت بجوارك للجوعَ والفزع، وحصّل الأمْنُ من الجزَع، فسيجعل جوارَك وغياضَك احْسَنَ مُسْتَنْجع، لان ضعاف ماشيته شبعت وَرويت، وانتعشت وَقَويت، فاراد مكافاتك، وطلب مصادقتك ومصافاتك، فارسلنى اليك لتاكلنّى، واوصانى ان أُطربَك بما اغنّى، فانى حَسَنُ الصوت فى الغنا، وصَوْتى يزيد فى شَهْوة الغدا، فان اقتضى رايك الاسعد، غنّيتُك غناء يُنسى ابا اسحق ومَعْبَد، وهو شى لم يظفر به اباوك واجدادك، وما يناله اعقابك واولادك، يُقوّى كَرمك، وشهوتَك وقَرَمك، ويُطيب مَأْكلك، ويُسنى مَأْمَلك، وان صَوْتى الذيذ، الذّ للاسماع من جَدّى حنيذ، وخبز سميذ، وللعَطْشان من قَدَح نَبيذ، فرايك اعلى، وامتثالك اولى، فقال الذيب لا باسَ والك، فغنّ لى ما بَدا لك، فرفع الجَدْىُ عَقيرته، وراى فى الصَراخ خيرته، وملاء الدنيا عياطا، واعقبه صُراطا، وانشد شعر

وعصفور الخَشا يَهْوَى جَرادَه كما عَشِق الخَروفُ ابا جُعادَة

فاهتزّ الذيبُ طَرَبا، وتمايل عُجْبا وتَجَبا، وقال احسَنْتَ يا زينَ الغَنَم، ولكن هذا الصوت فى البُعْد، فارفعْ صوتك فى الزير، فقد اخْتجلتَ البلابلَ والزرازير، وزِدْنى، يا مغنّى، قولى شعر

اقرّ هذا الزمانُ عَينى بالجَمْع بين المُنَى وبينى

ولْيكُنْ يا سيّد الجداء، هذا فى اوْج الحُسَيْنى، فاغتنم الجدى الفرصة، وازاح بعياطه الغُصّة،

وصرخ صرخة اخرى، اذكر بها الطامة الكبرى، ورفع الصوت، من عين الموت، وخرج من دايرة الحجاز الى العراق، وكاد يحصل له من ذلك الانفتاق، وقال

قفوا ثم انظروا حالي ابو مذقة أكّالي

فسمعه الراعي يشدو، فاقبل بالمطرق يعدو، فلم يشعر الذيب الذاهل، وهو بحسن السماع غافل، الا والراعي بالعصاة على قفاه نازل، فراى الغنيمة في النجاة، واخذ في طريق الحياة، وترك الجدي وافلت، ونجا من سيف الموت المصلت، وصعد الى تلّ يتلفت، اذ تغلت، واقعى ياكل بذيه ندامة، ويخاطب نفسه بالملامة، ويقول ايها الغافل الذاهل، الاحمق الجاهل، متى كان على سماط النسرّحان، الخبز والاوزان، واي جدّ لك فاني، او اب مفسد جاني، كان لا ياكل الا بالمغاني، وعلى صوت المثالث والمثاني، فلو لا انك عدلت عن طريقة ابايك، ما فاتك لذيذ عشايك، ولا امسيت جايعا تتلوى، وجمرة فوات الفرصة تتذوى، وبات يخرق ضرسه وناببه، ويخاطب نفسه لما نابه، شعر

وعاجز الراي مضياع لفرصته حتى اذا فات أمرٌ عاتب القدرا

وانما اوردت هذا التنبير، لمولانا الملك والوزير، ليعلم ان العدول، عن طرايق الاصول، ليس الا داعية الفضول، ولا يساعده معقولٌ ولا منقول، وامور ذميمة، وعاقبته وخيمة، وتاعيك متّل كالعلم، من اشبه اباه فما ظلم، ويوخذ من مفهوم هذه الحكم، من لم يشابه اباه فقد ظلم، خصوصا الملوك والسلاطين، الذين اختار رفعتهم ربّ العالمين، وذلك لئلا يدخل على قواعد المملكة، من حركات الاختلال والاختلاف حركة، ولله يا ذا الاحسان، ما قيل في شان انوشروان، وهو شعر

لله درّ انوشروان من رجلٍ ما كان أعرفه بالوغد والسفلِ

نهاهم ان يمسّوا عنده قلما وان يذلّ بنو الاحرار بالعملِ

وكل هذا من عدم التدبّر، والتامل في العواقب والتفكّر، ومن ترك التامّل والافتكار، اصابه ما اصاب ابن آوى من الحمار، حكي ان الملك اخذنا ايها المختار، كبغية هذه الاخبار، فقال الحكيم كان، في جوار بستان، ماوى، لابن اوى، وكان ذلك البستان، كانه قطعة من الجنان، غفل عنها رضوان، كنبر الفواكه والرطب، خصوصا التين والعنب، فكان ابن اوى، يدخل البستان من مجرى الماء، وياكل من الثمار، كيفما اختار، فيتحرّق ذلك الخبيث، ويباخذ في الفساد ويعيث، كانه ذميم ترك الذمام، او لئيم بغداد كفر احسان اهل الشام، فتضرّر البستاني، من اضرار ذلك الجاني، وعجز عن صيده، ودفع كيده، فراقب دخوله، ليختله ويغوله، الى ان راءه يوما دخل، وفي البستان حصل، وباكل العنب اشتغل، فبادر الى ثغرة الماء فسدّها، وسدّ الطرق التي اعدّها، ثم دخل الباغ، وحصل ذلك الضاغ، وحاشه فاوهنه، وضربه الى ان اثخنه، فذهبت قواه، واسبلت يداه ورجلاه، فتصوّر انه مت، لما سكنت منه الحركات، فشحطه بذنبه، فرماه على العظام الرفات، فاستمر لا يفيق، ملقى على الطريق، الى ان تراجعت اليه نفسه، وقوى حدسه وحسّه، فتحرّك وهو هشيم، وتنفس وهو سقيم، ثم تدحرج الى منزله، وقد احاط به سوء عمله، الى ان صحّ

فهمه، وقوى جسمه، فافتكر فيما جرى من الجار القديم، عليه من العذاب الاليم، فقال اذا كان جارُ العَمْر، وقرينُ الدهر، قصد دماري، ولم يَرْعَ لي حقّ جواري، لاجل قوت فضل عن افواه، وانبت اجره في ديوان حسناته، وشد لحنقي، على حَلْقي، مُسدّ الطُنُب، ولم يَعْمَل بموجب قوله تعالى والجار الجُنُب، بل لو رَمَق، في بدني ادنى رَمَق، او اقلّ حَرَكة، لما تَرَكه، فلا خَيْرَ لي في جواره، ولا في قرب دوره، فان سلمت هذه المرّة، فما كل مرّة، تسلم الجرّة، والاليقُ بالحال، الارتحال، وطلب الرزق، بالتوكل والرفق، والذي شقّ الاشداق، تَكفّل لها بالارزاق، وان اله الخلق، لم يُعدّمْ احدًا بقَطْع الرزق، ثم انه افتكر في جهة السفر، واين يكون المستقر، وكان لابيه نديم، نيب وهو صاحبٌ قديم، ساكنٌ في بعض الغياض، المجاورة للمروج والرياض، فتوجه اليه، وترامى عليه، وتوسّل بصحابة ابيه لدَيْه، وقال صداقة الآبا، قرابة الابنا، وذكر حاله، وما جرى له، وان جاره خانه، ولم يراع حقّه ومكانه، فقصد ان يكون تحت ظله، نازلا في محله، ليفوز بمجالسته، ويَحْظَى بموانسته، ويقضي باقي عمره في خدمته، ولا يقايل وفاءه حتى يحل في حفرته، فتلقاه بالقبول والاقبال، والفضل والافضال، والبشر والبشاشة، والبُشْر والهشاشة، وبسَط له فراشه، وازال قَبْضه وانكماشه، ودهشه واستيحاشه، والبسه رياشه، وتذكر والده، وجدّد مَعاهده، واسدى اليه من احسانه، ما انساه ذكر اوطانه، خصوصا جوار جاره وبستانه، وانشده بديها فقال شعر

فاهلا بمحبوب قدبمٍ ودادُه ... وسهلا بمن قد كان والده ابي

تحكم على زوجي ومالي ومسكني ... واهلي واولادي وجاهي ومنصبي

ولم يكن عند الذيب ما يُطْعم ضَيْفه، ويُشْبع جَوْفه، فاستبعد للكياد، وعزم على الاصطياد، فقال ابن آوى اين تريد، وتتركني وانا وحيد، فقال قد امنتُ خوفك، واريد ان املاء جوفك، ومن المعلوم، ان عدم الضيافة لُوم، فقال لا تَنعبْ، انا اذهب، فلي صاحب حمار، كانه تيس مستعار، يُصْغي الى قولي، ويعتمد على قوتي وحولي، فاني اخدعه، والى ذراك استتبعه، فاونقه حبالك، وافعل معه ما بدا لك، فصيّره لنا طعاما، فانه يكفينا اياما، فاستصوب الذيب، راي ذلك المريب، وتوجّه ذلك الغدّار، لياتيه بالحمار، وصعد تلا ينتظره، ويرتقب ما يكون خبره، فتوجه ابن اوى لطلب النزبون، فانتهى في سيره الى الطاحون، واذا بحمار قد اوسقوه حملا، واوسعوه ذلا، وعلى ظهره تمّ قد فحم ظهره، وادمى دُبْره، فطرحوا حِمْله، واصلحوا حَبْله، وتركوه يسعى، وفي المرج يرعى، فتقدم ابن اوى اليه، وسلم سلام معرفة عليه، واظهر له المحبّة والوداد، وساله عن احواله والاولاد، فقال اي احمل وولد، وانا في هذا البُوس والنكد، ما بين حمل ثقيل، وجوع طويل، وركوب وسخر، ومصايب أُخَر وأُخَر، هذا يركب، وهذا يضرب، وهذا يسحب، وهذا يحمّل حِمْله، وهذا ينخس بالمسلة، وهذا يحبس على الجوع والذلة، وهذا يقود بحبله، وهذا يجود ولكن بذله، فدنه في شاني قيل شعر

ولا يُقيم على ضَيْم يُراد به ... الا الاذلّان غَيْرُ الحيّ والوَتِد

هذا على الخسف مربوط برمّته ... وذا يُشَجُّ فلا يرثي له أحَد

فتوجع له ابن اوى وتفجّع، وحوقل واسترجع، والتهب واضطرم، واظهر التحرق لما راى به من الألم، واخذ يلومه على مصاحبة بنى ادم، والمصابرة على ايذايهم، وجفايهم وغدرهم وقايهم، وقال حتى مَ هذا الذل، والتطوّق بهذا الغلّ، وتحمل انواع الهوان من البعض والكلّ، والامَ هذا العطش والجوع، وعدم القرار والهجوع، وارض الله واسعة الفضاء شاسعة الارجاء، ففيم تذوب من اللغوب تحت الحمل الثقيل، والجر العريض الطويل، فقال الحمار يا اخى، لو وُجِدَ لى، ملجاء او مسرح، او مدخل او مَطْرَح، او مغارات او مَجنح، لوثبت اليه وانا اجمح، وتخلصت من هذا البلاء العظيم، والشقاء الجسيم، او لو رايت احدا شفوقا، او مصافيا صدوقا، يهديني الى الخلاص طريقا، لاستعنت برايه، ولاستشفيتُ لدائى بدوايه، قال ابن اوى يا اكمه، انى اعرف بالقرب اجمة، ازهارها فايحة، وانوارها لايحة، وانهارها بالصفاء غادية ورايحة، غياضها نضرة، ورياضها خضرة، ورباها حصينة، ودارها امينة، وانا ساكن فيها، آمن فى ضواحيها ونواحيها، فان اقتضى رايك ذهبت بك اليها، لتقف عليها، فان اعجبتك سكنتها، فوقيت النوايب وامنتها، فانها بمعزل عن السباع الجواسر، والضباع الكواسر، والجوارح والنواسر، لا يطرقها انسان، ولا يدخلها حيوان، وسترى منى خير جار، وحسن جوار، وستحمد عاقبة مقالى، وما تراه من أفعالى، وتخلص من جفاء بنى ادم، وتبقى مخلّدا فى النعيم المنعّم، ونعيش معا فى عيش رغيد، وعُمْر هنىّ سعيد، وتحصل المونسة، ويمن المعاشرة والمجالسة، واما انا فلا اجد رفيقا مثيلك، ولا صديقا عديلك، فلما سمع الحمار هذا الحوار، رغب فى الخلاص، من الاقتناص، والبلاء الذى هو فيه، والشقاء الذى بُوِّئه ويوّذيه، فسلّم قياده الى ابن آوى، وقال اسرعْ بنا الى ما ذكرت من ماوى، لئلا يرانا رَصَد، ولا يشعر بنا احد، ثم اعجلا فى السير، واشهبا فى سبرهما الطير، فتقدّم الحمار سابقا، واعيى ابن اوى لاحقا، فخدع وغالط، وخلّط وبالط، ونادى الحمارَ انّى، ان كنت تعبت فاركب علىّ، فقال الحمار بل انت اركب، ولا تتعب، فظفر ابن اوى على الحمار، وسار لا يقرّ له قرار، وابن آوى يهديه الطريق، وهو فى نشاط ونهيق، فلما قربا من الاجمة، فتح عينيه ذلك الاكمه، ورفع آذانه وبَصَرَه، فراى الذيب قاعدا منتظره، فعرف ان تلك مكيدة، نصبها ابن اوى ليصيده، فقال شعر

تاتى الخطوبُ وانت عنها غافل

ثم استحضر عقله المفقود، واستعمل وهله الموجود، وعرف انه ان غفل عن نفسه، فقد سعى برجله الى رمسه، وانتقل من المرض الذى هرب منه الى نكسه، ومن خموله وذله الى تعسه وعكسه، فتردّد متفكّرا، واقام متحيّرا متحيّرا، فقال له ابن اوى ما لك، اسرعْ فقد احسن الله حالك، وآمن فكرك، وفرّغ بالك، وجعل الى عافية الخير مآلك، لئلا يدركنا احد، ويلحقنا ضرر ونكد، فقال الحمار يا اخى شاهدت قدود اغصان رشقة، ونشقت روايح ريحان عبقة، وسمعت خرير انهار، واصوات البلابل والهزار، فندمت حيث لم اقطع علابقى، واودع جارى ومرافقى، وانبتّ احسن بنات، واجتنى وما وراى التفات، فانى اذا ولجت هذه الغيضة، ورعيتُ مروج هذه الروضة، ورايتُ ما فيها من التنزّهات، التهى عمّا لى من تعلّقات، فتضيع انذاك مصلحتى، وتذهب عند جيرانى ودايعى وذخيرتى، ولا اقدر على مفارقة هذا المقام النزه، ومجاورة مثلك ايها الجار الفكه، وقد عزمت على

الرجوع، لاصحب ما لى من مال واثاث مجموع، واحمى وقابى مطمئن، وخاطرى عن الالتفات مستكن، قال ابن اوى، اتركك ما لك من ماوى، ولا تؤخر اوقات السرور، وساعات الفراغ والحضور، وما خلقته هو لك، وتلاقيه امرٌ مستدرك، ولا باسَ أن تدخل هذا المكان، وتدور فى هذا البستان، وتعاهده ولو مرّة، وتشاهده ولو نظرة، ثم تعود، وتفعل ما تريد، وفى الجملة تاخير وقت السرور، غير محمود ولا مشكور، قال الحمار الامر كذلك، وقاك الله شرّ المهالك، ولكن الهوى الدواعى فى هذه القضية، والحامل على الرجوع وان كان بليّة، وصبّة من ابى كانت عندى مخفيّة، كنت اعمل بها، وامشى فى دربها، ولا افارقها فى نومى ولا فى يقظتى، وكنت اجعلها حرزا أعلقه فى رقبتى، واذا لم يكن معى، ومصاحبتى فى مضجعى، لا يقرّ لى قرار، ولا ياخذنى اصطبار، ويعترينى شبه الاوام، وارى خيالات فاسدة فى المنام، وتغلب على دواعى فنون السوداء، ولا اجد غيرها دواء لذلك الداء، وفيها وصايا نفيسة، هى لروح العقل بمنزلة الاعضاء الرئيسة، فاذا حَصَلتْ تلك الوصيّة المعيّنة، فقضيّة ما سواها هيّنة، ثم الوى راجعا، لا سامعا لابن اوى ولا طايعا، فافتكر ابن اوى انه اذا ترك الحمار وحده، فوّته قصده، وخيّب الله كدّه، وابطل جدّه وجَهْدَه، فراى لنفسه المنفعة، انه يرجع معه، فربّما ينتج سَعْيَه، ويُسلّب الحمارُ وَعْيَه، فقال للحمار يا اخى شوّقنى هذه القضيّة، الى الاطّلاع على هذه الوصيّة، لاستفيد منها، واخذ حظى من الفضل عنها، فلا بد لى من مصاحبتك، والذهاب معك ومرافقتك، قل له الحمار لا دافع، ولا مشاقق ولا ممانع، فقال له ابن اوى فهل فى حفظك منها شئ، فان كان فانفه الىّ، لنتذاكر فى الدروس، ولا يفوتنا فينا النعب والضيق، فقال نصيحة واحدة، هى بصدقى شاهدة، وهى كلمة مجمّلة، فوايدها فيها مفصّلة، وهى ان قال اياك ان تفارق هذه الوصية، فان فارقتها تقع فى بليّة، وساخبرك بمادرها فى المسير، اذا تذكرته ايها البصير، ثم سار قليلا، واذكر طويلا، وقال هذه اخرى، منحتها ذكرى، وهى اذا وقعتَ فى شدّة، ورُمْتَ لخلاصها عُدّة، فتصوّرْ اصعب منها، يحصل لك التنهى عنها، وتهوّن عليك، وتَعُدّها نعمةً اهديتْ اليك، فتشتغل بشكرها، وتستانس بذكرها، فقال ابن اوى احسنت يا حمار، هذا مقام الاخيار، والصالحين الابرار، ثم سار سيرة رابثة، وقال هذه نصيحة ثالثة، فقال قل، واسلم وطُلْ، قال لا تحسب ان الصديق الجاهل، خير من العدو العاقل، وان علم العدو العاقل، خير لك من جَهْل الصديق الجاهل، قال ابن اوى ما احسَنَ هذه النصيحة، وابْيَنَ عباراتها الفصيحة، وصار الحمار يقطع الزمان والمكان، ويُشغل ابن اوى بالهذيان، ثم قال الحمار ما احسن التذكار، لقد تخيّلت الرابعة، وهى الرابعة النافعة، المتبوعة لا التابعة، فاسمعها ان كان لك اذن سامعة، فانها للمنافع جامعة، وللشهوات قاطعة، قال ابن اوى ما احلى كلامك، واعلى فى الطف مقامك، وانزه منادمتك، وافده مكالمتك، بالله شنف المسامع، فانى بقلبى وجوارحى لك سامع، فقال مهلا حتى اتذكرها، واتصوّرها كما ينبغى واتفكّرها، وانتهى ابن اوى عن نفسه، وساقه القضاء الى رَمْسه، فوصلا الى الضيعة، وقد وقع ابن اوى فى ضيعة، فالحّ على الحمار، وقال اخبرنى ما بقى لى اصطبار، فقال قل لى ابى، بكلام فصيح عَرَبىّ، لا تجعل مقامك ومقيلك، بمكان يكون ابن اوى اليه دليلك، والذيب فيه جارك وخليلك، فاذا جَعَلْتَ لك فى هذا المكان ساحة، فما ذا ترى يكون

لك فيه من راحة، وان اردت ان تخلص من هذا المكان، فانصت الآذان واذكر الله بالاذان، فانه يعجيك من النصيب، ثم رفع عقيرته بالنهيق، وردّد صوته بين الزفير والشهيق، فسمعه معارفه من الكلاب، فبادرت اليه مستبشرين بحسن الاياب، وسارعت اليه، واجتمعت حوانيه، فما شعر ابن اوى، الا وهو منوّط في البلوى، فنفر للهرب، فادركه من الكلاب الثلب، فاحتوشته، وانتوشته، واختطفته، وافتلقته، ووزعته، ومزعته، وقرشته، فلم تبق منه عينا ولا اثرا، وذهب دمه في تدبيره هدرا، وانما اوردت هذه الامثال، وعرضتها على الراي العال، ليُعلم ان الاغترار بالكلام المحال، والاصغاء الى الحكايات والقول البطّال، من غير تنقل من الفاظها الى معانيها، وتامّل في مآل مقاصدها وفحاويها، والاعتماد على القصايا المزخرفة، والركون الى المسفسفة، لا يفيد سوى الندم، وزلّة القدم، والامل في الولايات والمناصب، التفكر في الخواتيم والتامّل في العواقب، والاّ فليس في ذلك، سوى اضاعة العمر والمصير الى المهالك، وقلت شعر

وأسعد من يُلسى الولاية من اذا قضا نوبها يُلسى الثناء المطرّزا

فلما انتهى الكلام، الى هذا المقام، وراى الوزير، برايه المنير، ما في هذه الفصول، من الفضل دون الفصول، اعترف للحكيم حسيب، بالفضل الحسيب، والراي المصيب، وحسن النصيحة والبيان، وصحة الدليل والبرهان، واذعن للحق، واناب الى الصدق، وقال لقد اتيت النصيحة من بابها، واوصلتها الى ثلابها، وقل كلام قررته، وبيان حرّرته، انما هو سحر كررته، وشكر جررته، وثوب سداد بيّنته، وسبيل رشاد اوضحته، وباب صواب فتحته، وميزان احسان ارجحته، وعلى كل عاقل مستمع وناقل، ان يقتدي بهذه النصايح، ويوصلها الى السابح والسابح، ويغتنم فوايدها وعوايدها، ويعمل بموجبها، ولا يخرج عن مذهبها، ثم ان الملك لما اصغى الى هذا الفضل، وفهم ما تضمنه من حكمة وفضل، اغرغ على اخيه، واغله وذويه، لباس الانعام، وواظاه بمزيد الاكرام، وقال لقد فمت ايها الاخ الشفيق، والصديق الشفيق، في تدقيق النصح بالتحقيق، وحللت المشكل وجلوت الطريق، واديت حقوق الفتوة، ومواجب المودة وشرايط الاخوة، والان فقد حكمناك في ولايتنا، وولّيناك على حكامنا وقضاتنا، وبسطنا يدك في الاقليم، واطلقنا لسانك للمتعلم والتعليم، فتحكّم في الرؤوس والاطراف، وتصرّف في الاتلاف والاسعاف، واشرع فيما انت بصدده، ولا تنظر الى المخالف ولدده، وكن منشرح الصدر، قوي الظهر، قرير العين، مبسوط اليدين، مبارك الطلعة، صبيح الوجه والمنعة، رحب القلب طويل العضد والساعد خلي البال، بهي الحال، فانك من بدن كريم، وفحل على الطاعة مستقيم، وفي الفضايل ذو قدم وصدق، وفي الصناعة ذو نجع ورفق، ولا تزال عما عزمت عليه، وقصدت اليه، من النصايح الملوكية، والفصول العلمية والعملية، واحفها بتلك الحكم السنية، والفضايل البهية، والشمايل المرضية، فانها لذة الاشباح، وغذاء الارواح، وانطراز المضى على خلع المساء والصباح، فنهض الحكيم من مجلسه، وقبل خد الارض بنغو جبينه وفمه، وامتثل المراسيم المشيرة، واشتغل بتاليف هذه الحكم الطريفة، وترتيبها بالعبارات اللطيفة، واستظرف في تاليف هذه الحكم، من حكايات ملك العرب الى وصايا ملك العجم، والله سبحانه وتعالى اعلم، والحمد لله على مكرمه الاتم، واحسانه الاعم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،

الباب الثاني

في وصايا ملك العجم، المتميز على ملوك زمانه بالحكم، والفضل والكرم،

ثم قال الراوي حسان، معدن الظرافة والاحسان، فتوجه الحكيم حسيب، الاديب الاريب، الى ايراد الأخبار، وتشنيف المسامع بالاخبار، فقال بلغني من رواة الاسفار، ونقاد الاسفار، ان ملكا من ملوك الامصار، وسلاطين العجم يدعى شهريار، وهو وان كان من العجم، لكن كان في الحكم، والجود واللطف والكرم، أمّة من الأمم، ملكه عظيم، وفضله جسيم، وولايته في أحسن اقليم، حسن السياسة، وافر الكياسة، ثناؤه عاطر، وعطاؤه مائر، ووابل حشمة من سحايب هيبته منهاطر، وله من الاولاد، وافلاذ الاكباد، ستة رجال، الى المجد والكرم عجال، وكل له في الفضل والافضال، اوسع مجال، مشهور بالزعامة، مذكور بالشهامة، كفه سخي، وطبعه أريحي، ذو شجاعة باسلة، وبراعة كاملة، وحشمة وافرة، وهيبة زاجرة، وهمة أخرقا للمكارم زاخرة، مع رفق ولين، للمملوك والمسكين، وصلابة في الدين، وكان الاكبر سنا منهم، متميزا في هذه الشيم عنهم، وأعظم طلبا، واوفر نصيبا، وكانه في شانه قيل شعر

هذا الذي ازدانت الدنيا بطلعته ... والملك والدين والانام والامم

فلما دنت شمس عمر ابيهم للافول، وقارب غصن عمره الذبول، وعزم قراس الأجل على طي بساط حيوته، واورد بريدي الفناء منشور نسايمه الى متونه، احضر نعشه، واكابر ذويه، وقال اعلموا يا بني اني استوفيت نصيبي من الدنيا، وارتقيت من مدارجها الى الدرجة العليا، وذقت حلوها ومرها، وعاينت خيرها وشرها، وعرفت خيرها وشرها، ومع ارتقائي منها الى المنازل الفاخرة، عملت بمقتضى وأتبع فيما انبيك الله الدار الاخرة، فتزودت لما وصلت اليه اسعد، ولما اخرت عمل اليوم الى الغد، ولم تلهني العقار، ولا ارجاء المهلة، عن استحضار ساعة الرحلة، بل لم ازل للرحيل متوقرا، وللتحويل والانتقال متاهبا، وانا اليوم عنكم راحل، وسفينة عمري ارسيت بالساحل، وهذا سفر لا رجعة فيه، ولا عودة لمسافركم اليكم نحوه، وهذا امر محتوم، وقدر معلوم، وقضاء قدره في أزل الآزال، رب لم يزل ولن يزال، سلطان ملكه لا يبيد، وكل الملوك تحت امره عبيد، لا راد لما قضاه، ولا مانع لما امضاه، ولا صانع لما بناه، ولا صادع لما سواه، حكم سبق على مخلوقاته وساقه، لا باب قوة في رده لاحد ولا طاقة، وقد خلت من وجدي، ان لي ملككم بعدي، وانكم خلفي، ومحيوا سلفي، وفيكم من يقوم مقامي، ولا تمحو ايامي، ولا تدرس آثاري، ولا تطفي نور ناري، وها انا أعهد اليكم، واستخلف الله عليكم، وان كنتم الى الوصية غير محتاجين، ولكن الذكرى تنفع المؤمنين، فاعلموا ان أزكى زاد يتزود به بعد الموت العمل في ربض العبودية

وَرْدُ الشُّكْرِ، واذْكُ عطْرٍ يتعطّر به مجامرُ العقل فى غياض الحِكْمَة وِرْدُ الفكر، فانّ الشُّكْرَ قَيْدُ النِّعَم، وسَبَبٌ لازدياد الفضل والكَرَم، قال الله تعالى، وجَلّ جلالا، لَئِن شكرتم لأَزِيدَنّكم وقد قيل من شكر القليل، استحقّ الجزيل، وان الفكْرَ يُعْلى المقامات، ويُغْنى الكَرامات، فاحتملوا الاذى تُؤمَنوا، ولا تهنوا لنايبة ولا تَحْزنوا، ولا تفلّتوا الجُودَ والكَرَم فى التبذير، ولا البُخْلَ والتقتير من جُمْلة التدبير، فقد نصّب للاعلام أعلاما، من قال عزّ مقالًا وكلاما، والذين اذا انفقوا لم يُسْرفوا ولم يَقتروا وكان بين ذلك قواما، وقال جلّ مجيرًا وخبيرا، ولا تجعلْ يدَك مغلولة الى عُنقك ولا تَبْسُطْها كل البَسْط فتَقْعُدَ مَلومًا محسورًا وانْبعوا الاقوال بالأفعال، فلا خير فى قوّال، ليس بفعّال، ولا تُشوّهوا محاسن شيمكم بزُخارف الكَذِب، فانّ الصدْقَ اوّلُ ما ينبغى وافضل ما يجب، ووَسْمُ كلمة واحدة بالكذب نالفة، لا يُنقيه صَابونُ ألف كلمة صادقة، ومن تعوّد بالكذب فى نُطْقه، لا يُعْتَمَدُ على صدقه، وداروا الاعداء، مداراة الاصدقاء، يزدد صديقكم، ويكثر رفيقكم، ويجلّ وَدودُكم، ويَقِلّ عَدوّكم وحَسودكم، وعليكم بملازمة الاخيار، واياكم وصحبة الاشرار، ولا تتطلبوا للرغْبَة فى صحبة الاشرار سبيلا، ولا تُقيموا على ذلك ابدًا دليلا، فمن غالط نفسَه فى مجالسة الاشرار، وطلب وفاء ممّن جُبِّل على طبيعة الفُجّار، فقد اوجَع نفسَه باقوى كَيّة، واصابه مثلما اصاب الفلّاح من الحيّة، فسال الاولاد والدهم الملك، عن كيفية ذلك، فقال ذكر ان واحدا من الاكياس، طلب العزلة عن الناس، ولازم انقطاعه، وانقطع عن الجَمْعة والجماعة، واشتغل فى ادمة أوده بالزراعة، وانعزل فى ذيل جَبَل وصاحب حيّة كانت تانس بكلامه، وتاكل من فُضالة طعامه، فترقّت بينهما المعاهدة، الى ان بلغتْ الى المعاقدة، بان تكون المصادقة، خالية من المماذقة، ولا تكون كصُحْبة ابناء الزمان، تكرَعُ من الغَدْر فى غُدْران، ولا مَشوبة بنفاق، ولا مدخولة بريآء مشفاق، وان تَنْعقدَ بينهما المودة والاخآء، فى حالتَى الشدّة والرخاء، فمرّ على هذا مُدّة، وكل حافظ عَهْدَه، مراع محبّته ووُدّه، وكان الرَجُل اذا عَنّتْ له قضيّة، عرضها على الحيّة، واستشارها، واخذ اخبارها، وتخرج هى اليه، وتترامى على رجليه، ففى بعض الايام، وعام من الاعوام، وقع برد شديد، وثلج وجليد، وشتاء يقطع الحديد، فراى الحيّة وقد سقطت قُواها، وجمدت اعضاءها، ووقعت فى شر حال، وبرد ووبال، فحملته الشفقة والصداقة، والعهد الذى احْكَمَ وثاقه، على ان آواها، وحملها فى محلاة حماره فادفاها، ووضع المخلاة فى راس البهيم، وتوجّه لضرورة ذاك الفهيم، فحميت الحيّة بنفس ابى زياد، وتحرّك عرق العدوان القديم وعاد، وفعل خُبثها خاصيّته المالوفة، ولعب سمّها بشيمتها المعروفة، متبعًا حديثه، حرامٌ على النفس الخبيثة ان تخرج من الدنيا حتى تُسيء الى من احسن اليها فعضّت الحية شفة الحمار الرفيقة، عضّة مُحبّ لاقى فى خَلْوة عَشيقه، فبرد مكدنه من حرّها، وهربت فأرزّت الى جُحْرها، وانما اوردت هذه الامثال، لتعلموا يا ذوى الافضال، انّ من صحب الاشرار، ورغب فى مَودّة الفُجّار، لا بدّ من العثار، ولا يسلم من الانكسار والبوار، وقد قيل ان صحبة الاخيار، كجرة الفخار، بطيئة الانكسار، سريعة الانجبار، وصحبة الاشرار، كجرة الزجاج، سريعة الانكسار، بطيئة الانجبار، وبالجملة فى صحبة الناس فايدة، ولا فى مخالطة بنى ادم كبمرّ عايدة، وقيل بديها شعر

ولم ار من بنى الدنيا سلاما ... فان تَسَرْ فَبَلِّغْهُ سلامى

وينبغي ان يكون غمبتكم وحضوركم واحوالكم وامورهم واجتماعكم وافتراقكم وصلحكم وشقاقكم في حالتي السراء والضراء والبؤس والرخاء على وتيرة واحدة وعن حالتيه عن الاعراض الفاسدة اعني اذا رضيتم فبالحق واذا غضبتم فللحق واذا توجهتم على الحق واذا ملتم فمع الحق ولا تبطروا في حالة النعم ولا تضجروا في حالة النقم وعلى كل حال فلا بدع بينكم الاختلاف وذلك بتعريض الخلافة واختلافها وتضادها وعدم ائتلافها وقد قيل شعر

ان الذليل الذي ليست له عدد ... وقيل شعر

كونوا جميعا يا بني اذا اعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الضباط اذا جمعن تكسرا ... واذا افترقن تكسرت أفرادا

ولا تثقوا باحد من الكبار والصغار الا بعد الاختبار وذلك في شدة الضعف والرفق واللطف والشدة والرخاء والخوف والرجاء ولا تقدموا على قديم الاصحاب احدا ولا على الموثوق بهم من لا جربتموه ابدا وقد قيل في المثل المشهور النحاس المعروف خير من الحبر المنكور وقيل ايضا خير الاشياء جديدها وخير الاصحاب قديمها واسسوا قواعد أخراكم في دنياكم واغتنموا السعادة الباقية من الدار الفانية وعاملوا تجدوا وازرعوا تحصدوا وتفكروا من اول يومكم احوال غدكم ومن اوائل عمركم اواخر دهركم ومن ليلة الهلال سرار شهركم فكل من له صدق قدم يتفكر وهو موجود حالة العدم ومن ابان شبابه اوقات الهرم كما فعل عبد المناجي المراقب ما آل اليه في العواقب فتمثل الارض الاولاد وقالوا مولانا السلطان اعظم من افاد ولو تصدق على عبيده السابقة بكيفية تلك الواقعة قال الملك ذكر الحمقاء وذوو الفضل من العلماء انه كان في بعض الامصار تاجر من اعيان التجار ذو مال جزيل وجاه عريض طويل نعمه وافرة وحشمه وخدمه متكاثرة من جملتهم غلام فحايل السعادة من جبينه لائحة وروائح النجابة من ادبال شمائله فائحة قد افنى عمره في خدمة مولاه ولم يفتر لحظة في طلب رضاه فقال له سيده في بعض الايام لك علي حقوق يا غلام وانا اريد مكافاتك واطلب مواتاتك فتوجه هذه المرة في هذه السفرة فبينما رحت فيه لك بعد ان أعتقك من قيد رق اشغلك ثم اوسق مركبا واصلح له في السير شرقا ومغربا ووطاه باشياء امتثل مرسومها والتزم القيام بما تضمنه مفهومها فقال له مولاه سارفعك على اترابك واغنيك عن امثالك واصحابك واجعلك كاكبر من في الدنيا واجمع رفعتك بمنزلة المولى ثم اخذوا في تعبية البضايع واوسق مركب بالمتاجر والمنافع وسلمه الى الهواء والماء بعد ان توكل على رب السماء فسار في بعض الايام وهو في اهنى مرام واطيب عيش ومقام الماء رايق والهواء موافق والنكد مفارق والسرور مرافق حتى كان نوحا وخضرا الملاح وموسى وفتاه حافظا الالواح وبينما السفينة من نسف العواصف امينة تجاري السهم والطير وتباري الوهم في السير واذا بالريح هاجت وبالامواج ماجت وانبلج البحر تصادمت واطواد الامواج على الغرق تلاطمت فعجز عن ذلك الملاح الحاذق ونشر مذعب ابنه ابو الجاحف وترك شيخه الوقار والسكينة وروم نعش الخروف في الواح السفينة فشاهدوا من الهواء الاهوال وغدا وج البحر كالجبال

وصار طايرُ ذاك الغراب، بمن فيه من الاصحاب، كاحوال الدنيا بين صعود وهبوط، وقيام وسقوط، طورًا تُسامون الافلاك، وتناحون الاملاك، ويُنهون اخبار ظُلمات صاحب الحوت الى السماك، وطورًا يُهبطون الغُوَر، وينطرون قرن الثور، وربما مرقوا منه من تحت البروج، فلم يرانوا عاجزين حيارى سُدارى وما هم بسُكارى، يتناشدون شعر

وفلكٍ ركبناه والبحر زَفَّهُ فثار وحار وفار ومَارا

فطورًا علونا السماء وطورًا رُمينا الى الارض منها انحدارا

واخر الامر، نسفت السفينة الرياح، والقى كاتبُ الخاصب الى كل حرف من حروف الجبال لوحا من الالواح، واوعر الله سَهْلها، وخرّقها فاغرفها واغلّها، وذهب البحر باموالها وارواحها، وتعلّق الغلام بلوح من الواحها، واستمر نهذفه الامواج، وتصطدم به انياج البحر النيّاج، حتى وصل الى ساحل، فخرج وهو نُثيب ناحل، وصعد الى جزيرة، فواكهها غريرة، وتمعُها عجيب، لبس فيها داع ولا مجيب، فجعل يمشي في جنباتها، وينقوّت بما يجده من نباتها، الى ان اداه التوفيق، الى قم طريق، فسار في تلك الجدّة، وهداية الله له مادّة، فادّى به المسير، الى ان ترآى له سواد كبير، وبلغ مملكة عظيمة، وولايات جسيمة، ورأى على بُعد مدينة، مسورة حصينة، فقصد، ذلك البلد، فاستقبله طايفة من الرعال، نساء ورجال، يتبعهم جنودٌ مجنّدة، وطوايف محشّدة، مع طبول تُضرب، وفوارس تلعب، وزمور ترعى، والسنة بالنغماء والدعاء تنطق، حتى وصلوا اليه، وتراموا عليه، وادبّوا بين يديه، يقبّلون يديه ورجليه، مستبشرين برؤيته، متبرّكين بطلعته، ثم البسوه الحلع السنية، وقدّموا له فرسا عليّة، بكمبوش ذهب وسرج مُغرّق، ووضعوا له التاج على المفرق، ومشوا بالخدمة بين يديه، والجنايب في المواكب تجرّ لديه، ينادون حاشاك وانيك، سلطان الناس ندم عليك، حتى وصلوا الى المدينة، ودخلوا قلعتها الحصينة، ففرشوا شقق الحرير، ونثروا النثار الكثير، ورفعوه على السرير، واطلقوا مجامر الند والعنبر والعبير، ووقف في خدمته الكبير والصغير، والمامور والامير، والدستور والوزير، وانشدوه

قدمت قدوم البدر ببيت سعودٍ وأمرك فينا صاعدٌ كصعوده

وقالوا اعلم يا مولانا، انك صرت لنا سلطانا، ونحن كلنا عبيدك، وتابع مرادك ومريدك، فتحكّم كما تختار، وافعل ما تشاء في الكبار والصغار، وامض ما لك من مرسوم، فامتثاله علينا امر محتوم، وما منا في خدمتك الا له مقامٌ معلوم، فجعل يتفكر في امره ومبداه، ويتامل ما صار اليه ويتدبر في منتهاه، فقال ان الامر لا بدّ له من سبب، ولا بد له من آخر ومُنقلَب، فانه لم يصدر في عالم الكون سُدًى، وان لهذا اليوم من غير شك غدا، وان الصانع الحكيم، القادر القديم، السميع العليم، البصير الحيّ المدبّر الكريم، لم يُوجِدْ هذه الافعال، على سبيل الاهمال، ولم يحدث حدثا، سُدى ولا لعبًا ولا عَبثا، وجعل يلازم هذه الافكار، انآء الليل واطراف النهار، وهو مع ذلك قايم بشكر النعمة، ملازم باب مولاه بالطاعة والخدمة، واضع الاشياء في محلّها، والمناصب في يد اهلها، ملتفتٌ الى احوال الرعية، عادلٌ بينهم بالعدل والسوية، متعهّد امور الصغار والكبار،

بانواع الاحسان واصناف المبار، مؤسس قواعد الملك والسلطنة، على اركان الفضل والعدل مهما امكنه، منفحص عن محاسن المملكة، سالك مع كل من ارباب المناصب ما يقتضى مسلكه، ثم وقع اختياره من بين اولايك الجماعة، على شاب كامل البراعة، له فى سوق الفضل والوفاء اوفر بضاعة، متصفا بانواع الكمال، متحليا بربقة الادب والجمال، فاتخذه وزيرا، وفى اموره نصحا ومشيرا، فجعل يلاطفه ويرضيه، ويكرمه ويدنيه، ويفيض عليه من ملابس الانعام، وخلع الافضال والاكرام، ما ملك به حبة قلبه، واستصفى خالصة وده ولبه، وسكن فى سويدايه، وتمكن به من ضمير احشايه، الى ان اختلى به وتلطف فى خطابه، واستنصحه فى جوابه، وساله عن امر امرته، وموجب رفعته وسلطنته، من غير معرفة الرفق، ولا اهلية ولا استحقاق، لاحد من بيت الملك، ولا فى بحر السلطنة له فلك، ولا معه مال، ولا خيل تهديها ولا رجال، ولا معرفة يدلى بها، ولا شجاعة وفضيلة يهدى بتهذيبها، فقال له ذلك الشاب، فى الجواب، اعلم، ايها الملك الاعظم، ان اهل هذه البلدة، وعساكر اقليمها وجندة، قد اختبروا امرا، واصطلحوا على عادة تجرى، قد سالوا الله الرحمن، ان يقيض لهم فى اوان، شخصا من جنس الانسان، يكون عليهم ذا سلطان، فاجابهم الى ذلك، فسلكوا فى امره هذه المسالك، وذلك انهم فى اليوم الذى قدمت فيه عليهم، يرسل الله تعالى من عالم الغيب رجلا اليهم، فيستقبلونه كما استقبلوك، ويسلكون معه طريقة الملوك، من غير نقص ولا زيادة، وقد صارت هذه ليهم عادة، فيستمر عليهم سنة، فى هذه المرتبة المستة، فاذا انقضى الاجل المعدود، وجاء ذلك اليوم الموعود، عمدوا الى ذلك السلطان، وقد صار فيهم ذا مكان وامكان، وعلقة ونشب، واخاء ونسب، ونبتت له اوتاد، وصار له اهل واولاد، جردوا برجله من النتخت، وسلبوه ثوب العزة والرخت، والبسوه ثوب الذل والنكال، واوثقوه بالسلاسل والاغلال، وحملوه الاثقال والاقارب، وانوا به الى بحر قريب فوضعوه فى قارب، وسلموه الى موكلين ليوصلوه الى ذلك الجانب، فيوصلونه الى ذلك البر، وهو قفر اغبر، لا به انيس، ولا رفيق ولا جليس، ولا زاد ولا ماء، ولا نشو ولا نماء، ولا معبث ولا معين، ولا قريب ولا قرين، ولا قدره ولا امكان، على الوصول الى العمران، ولا ظل ولا ظليل، ولا الى الخلاص سبيل، ولا الى طريق النجاة دليل، فيستمر هناك غريبا وحيدا، فريدا طريدا، الى ان يهلك عطشا وجوعا، لا يملك اهبة ولا يستطيع رجوعا، ثم يستانف اهل هذه البلاد، ما ثم من فعل معتاد، فيخرجون بالاعجة الكاملة، صوب تلك الطريق السابلة، فيعرض الله تعالى لهم رجلا، فيفعلون معه مثلما فعلوا مع غيره قولا وعملا، هذا دابهم وديدنهم، وقد نير نك شعرهم وباطنهم، فقال الغلام المفلح، لذلك الوزير الناصح، فهل اطلع احد ممن تقدم، على عاقبة هذا النمائم، قال بل قد عرف ذلك، وتحقق انه عن قريب هالك، ولكن غرور السلطنة يابيه، وسرور التحكم والتسلط يغويه، وحضور البلدة الجاهلة لسوء العاقبة ينسيه، فلا يفيق من غفلته، ويستيقظ من رقدته، الا وعمامه قد منى، والاجل المضروب قد انقضى، وقد احاطت به نوازل البلاء، وهجم عليه بوازل القضاء، فيستغيث، ولا مغيث، وينادى للخلاص، ولات حين مناص، فلما سمع الغلام، هذا الكلام، اشتد مغتما، وبقى متحيرا، وعلم انه لا بد للايام ان تمضى، وهذا الاجل المضروب ينقضى، وانه ان لم يبادر امره،

ويتلافى خبره وشره، ويتدبّر حاله، ومصيره ومآله، عسى هلاك الابد، ولم يشعر به احد، واخذ يفكّر في وجه الخلاص، والتفصّي من شرك هذا الافتراس، ثم قال للوزير الناصح المجرب، ايها الرفيق الشفيق، والنصوح الصديق، جزاك الله عنّي خيرا، وكفاك ضرا وضيرا، انّي قد افكرت في شي ينفع لنفسي وحبيبها، ويدفع شر هذه البلية التي وقعت فيها، واريد معاونتك، واسئلك مساعدتك، فاني رايتك في الفضل مميّزا بين اقرانك، فايقا في محاسن الشيم على اصحابك واخوانك، فقل افعل يا ذا الرئاسة، وحبّا لك وكرامة، فقال اعلم يا ايها الصاحب الاعظم، ان الرجوع الى هذا المكان، الذي كنت فيه خارج عن الامكان، والاقامة في هذا الملك المعهود، انما هو الى اجل معدود، ووقت محدود، وانقضاؤه على البتات، وكل ما هو آت آت، وكيفيّة الخروج قد عُرفت، وطريقها تقرّرت اذ وصفت، ولهذا قيل، يا ذا الفضل الجزيل، دخلنا مضطرّين، واقمنا متحيّرين، وخرجنا كارهين، ولم يبق جهة تخلص، من هذا المفترس، الا طريق واحد، وسبيل غير متعدّد، وهو ان نتخذ طائفة من البنّائين، وجماعة من المهندسين والنجّارين، وتذهب بهم ايها الوزير، الى مكان انيه نصير، حيث لا لنا فيه مغيث ولا نصير، فتامرهم ان يبنوا لنا هناك مدينة، يشيّدوا لنا فيها اماكن مكينة، ومخازن وحواصل، وتملأها من انواع المتواصل، من المآكل الطيّبة، والأطعمة والاشربة، اللذيذة المستعذبة، ولا تغفل عن الارسال، ولا تجيز الامهال والاهمال، في الظهيرة والأسحار، والغدوّ والآصال، اذ اوقاتنا محدودة، وانفاسنا معدودة، وساعة تمضي منها غير مردودة، واذا فوّت شي من ذلك الوقت، فلا نعوض عنه الا الخيبة والمقت، فنتنقّل الى مناد على حسب نفاقنا، ومقدار قدرتنا واستطاعتنا، ما يكفينا لايامنا، او مقدار ما نتزوّد منها، اذا رحلنا الى غيرها عنها، بحيث اذا نعلنا من هذه الديار، وطرحنا في تلك المهامه والقفار، وجفانا الاصحاب، وتخلّى الاخلاء عنّا والاحباب، وانكرنا المعارف والاولاد، واحتوشتنا في تلك البيداء، فنون الداء، نجد ما نستعين به على ادامة الايد، مدّة اقامتنا في ذلك البلد، فاجاب بالسمع والطاعة، واختار من المعمارية جماعة، واحضر المراكب، وقطع البحر الى ذلك الجانب، وجعل الملك يمدّهم بالالات والادوات، على عدد الانفاس ومدد الساعات، الى ان انهوا المعمارة العمارة، واكملوا حوائل الملك وداره، واجروا فيها الانهار، وغرسوا فيها الاشجار، فصارت تساوي البيها الاشيار، وبترنم فيها البلابل والهزار، بانواع التسبيح والاذكار، وغدت من احسن الامصار، وبنوا حواليها الضياع والقرى، وزرعوا فيها الرشاد والثرى، ثم نقل اليها ما كان عنده من الخزائن، ونفائس الجواهر والمعادن، وارسل طوائف الناس اليها، ومن احتياجاته المعوّل عليها، بحيث لو اقام فيها سنين كانت بكفايته، وفصلت اخبارها عن حاجته، واكثر من ارسال الاقمات، من الاشربة والطعامات، وجهّز الخدم والحشم، وصنوف الاستعدادات من النعم، فما انقضت مدّة ملكه، ودنت ايام هلكه، الا ونفسه الى مدينته تاقت، وروحه الى مشاهدتها اشتاقت، وهو مستوفز للرحيل، ورابض للنهوض الى التحويل، فاما تكامل له في الملك عام، لم يشعر الا وقد احاط به الخاص والعام، ممن كان يقدمه بروحه، من خدمه ونصوحه، ومن كان سامعا كلمه، مراعيا حرمته وحشمته، وقد تجرّد لجذبه من السرير، ونزع ما عليه من لباس الحرير، ومشوا على

عادتهم القديمة، وسلبوه نعمته الجسيمة، ومملكته العظيمة، وزالت الشمسة، والظلمة والظلمة، وشدوا وثاقه، وذهبوا به الى خزانه، ووضعوه وقد ربطوه، في المركب الذي عملوه واوصلوه الى ذلك البر، من البحر، فما وصل اليه، الا وقد افضلت خدمه عليه، وتسللت طوائف الحشم والناس لديه، ودقت البشاير لمقدمه، وحل في سروره المقيم ونعمه، واستقر في انعم سرور، واسنم في اعمر حبور، ثم قال الملك لاولاده، ولذ اكباده، وانما اوردت هذا المثل، على سبيل المثل، فاصغوا الي حسن التنظير، حتى ابين لكم النظير، وعوا ما اقول، باذان القبول، وتاملوا رموز المعاني، من هذه الالفاظ التي اختجلت المثاني، ثم تفكروا وتبصروا، وبعد التفكر والتبصر تدبروا، ان ذلك الغلام المعهود، فانه المولد في اول الوجود، واما المركب الاول الذي اودعه، فهو بدن امه الذي استودعه، وانكسار السفينة، هو انشقاق المشيمة، والجزيرة التي خرج اليها، هي الدنيا التي دخل عليها، والناس الذين استقبلوه، فاقربه وذووه واخلوه، يربونه بالملاطفة والدلال، ويعاملونه بالاكرام والافضال، وذلك الشاب الذي هو وزيره، فهو عقله ومن ايمانه نوره، والسنة المتروبة اجله المختوم، وعمره المعدود المعلوم، ونزوله عن سريره، عبارة عن آخرته ومصيره، وخروجه من الدنيا بالاكراه، وشروعه في دخوله الى أخراه، والبحر الثاني الذي يطرح فيه، هو اهوال ما يعاينه عند الموت ويعانيه، والبر القفر اللحد والقبر، فالسعيد يتفكر في كيفية اموره واحواله، ومبداء اموره ومآله، ثم يتدبر في قلة خطه، ويستعد لما خلق من اجله، ويتحصن ان الامة في دار الفناء يسيرة، وهي بالنسبة الى الامة بدار البقاء قصيرة، وانه اذا جاء وقته محتم، لا يتاخر عنه ساعة ولا يتقدم، فباخذ في الارتياد، من الاستعداد، ويتهيأ ما امكن ليوم المعاد، ويعد نفسه كالمسافر، الذي اتى بعض الحاضر، فلا يقيم اكثر من يوم، وقد رحل مع القوم، كما قيل

شعر — الا انما الدنيا كمنزل راكب — اناخ عشيا وهو يضبح راحل

في سفر طويل، زاده قليل، ظاهره ناعمة وشرفه مظلمة، وظلامته دامسة، ولا انيس له ولا رفيق، ولا مصاحب ولا صديق، ولا دليل ولا خليل، ولا مجيب ولا معيل، ولا معه ولا شفيع، ولا مدد ولا معين، فيهيئ لهذا السفر بقدر الامكان ما قدر من الزاد والماء، والمراكب والاداة، وغير الطريق، والمسافر والرفيق، والخادم والانيس، والمنادم والجليس، ويمهد المضاجع للمبيت والمقيل، ويهيئ المنزل في النزول والرحيل، وفي الجملة لا يترك من أفعال الخير شيا الا فعله، ولا مجملا الا فصله، ولا مناخرا الا قدمه، ولا معاملا في مبايعة بر الا أسلفه فيه واسلمه، وليعلم ان كل ذلك محتاج اليه ومضرور اليه، اذا نقر الى دار البقاء واقبل عليه، فاذا جاء وقت الرحيل، ونادى منادي الانتقال والتحويل، وجد ما كان عمله حاضرا، وكل ما قدمه الى رياض الخير نزها ناضرا، كما دل ذو الجلال، واخبر به الصادق في الوعد والمقال، ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني لا خوف عليهم مما هو امامهم، ولا يحزنون على ما خلفوا ورآءهم، فاذا دخل في قبره وجد روحه من رياض الجنة ونداء منادي قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه واما ذلك الشقي، المعتل العقل، الذي اهمل امره، ونسي الله وذكره، واهمل ما خلق لاجله، ونام في غفلة الجهل وشهوة واعرض عن التلذذ بالمسير، في

هذه المدة القصيرة، واستمرّ سكران في ميدان العصيان، من خمرة الشغبان، وتردّى لباس الردى، اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى، فهدمت عمارتهم، وما ربحت تجارتهم، حتى اذا جاء الوقت المعلوم، ونزل به الأجل المحتوم، فتر أمام، فتراءى له اعلام، واما ان كان من المكذّبين، الضالّين، فنزل من حميم، وتصلية جحيم، فنزل من دار الغرور، الى نار الشرور، فندم ولا ينفعه الندم، وقد رثت به القدم، فخاب مآبا، وقال يا ليتني كنت ترابا، فانظروا يا اولادي، ومن هم بعدي وعتادي، حال الفريقين، وتاملوا مآل الطايفتين، ولقد بذلت في النصيحة جهدي، واستخلف الله عليكم من بعدي، فعل اكبر ولده، وهو لسلك محاسنهم واسنة عقده، جزى الله مولانا عن شفقته خيرا، وأولاه على حسن النصيحة اجرا وذخرا، فلقد احببت قلوبنا بزواجر حكمك، وشنفت أسماعنا بجواهر كلمك، ولكن اخوتي وان كانوا من أولي العلم، وارباب النباهة والحلم، لهم العقل الغزير، والفضل الجمّ الكثير، والراي المصيب المنير، غير ان حدة الشباب عليهم غالبة، ودواعي النفس بشهواتها مطالبة، لا سيّما اذا حصلوا على ملك عريض، ونفايس مال طويل عريض، فان اتفق مع ذلك مرافق منافق، ومصاحب ممذق، وصديق خدوع، ومبالغ مكّار فاوع، اضلّهم عن سواء السبيل، وصار ليم الى طريق المخالفة اوضح دليل، فتحوّل صداقتنا عداوة، وتتبدّل فيها بالمراة الخلاوة، فيقترع الرخاء، وتتمزّع الاخاء، ويبغي بعضنا على بعض، وتعود الاخوّة على موّتنوعها بالبغض، وتتولّد لذلك الفتن، وتتّجر الى صنوف المحن، ويشهر من العداوة ما يدلّ، فالراي عندي انه ما دام زمام التصرّف في يد الامكان، يقتصر مولانا السلطان، على مقدار جهده، في مصلحة عبده، بحيث لا اكون مصعة للمانع، ومشغلة لكل قالب فارغ، ولا يسلمني لانياب الحوادث، ومخالب الدهر الكوارث، فانه يكفيني من نوائب الزمان، ما يدهمني والعياذ بالله من معاندة مولانا السلطان، جعلني الله تعالى فداءه، ولا اراني فيه يوم اساءه، فليأخذ بيدي من هذه الورطة، وينتاجني من شرّ هذه الهبطة، فانه قبل من لا يقبل المستقيل، ولا يغيث المستغيث، ولا يتعتّد بمعنى هذا الحديث، ولا يربح غنّة في الغنّة، ويعون عبد الامكان الفرصة، يصيب ذلك الاحدّ، ما اصاب الجزّ الذي لم يخلص الغرانة، الواقعة في شرك الجبانة، قال السلطان، قل لي كيف قصة ذلك الجزان، قال ذكر ان بعض الصيّدين، تحابس الكيّدين، نصب حبالة، لصيد غزالة، فعلق بها، مهاة من المها، فتلبلت مجالا، واضطربت بسما وسمالا، فوقعت عينها على جزان عنبد، فتفرّج عليها من بعيد، فنادته بلسان ذلق، وانشت عليه باسان طلق، وقالت يا فارس ميدان المروّة، واسد العصبيّة والفتوّة، والموصوف بالشجاعة والعفّة، وكونه انزل ذمّا واجرى في السفّ، هذا وقت الكرم، واوان استعمال مكارم الشيم، وفعل المعروف، واغاثة الملهوف، وصرف النجدة، الى كشف الغمّة، وان كانت سوابق الصداقة بيننا معدومة، ونقوش المنافرة على صحف حوادثنا مرقومة، ونقود المعرفة والاخاء في جيب انتباهنا مكتومة، ونحن في الشدايد يعرف الاخاء، والاحوال تخبر في الرخاء، كما قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة بل في الشدايد يعرف الاخوان

وقد فصدتك في الحلاص، وفرس شرك الاقتناص، وخلصتك من سجن القناص، فافرض هذه

الشبكة باسنانك الحداد، وافتح بيني وبينك باب الوداد، فاني امدحك صدقا، وأن اكون لك عتيقا، وأعرف لك الجميل، وفضل هذه الفضيلة، فاصير لك عبدا الى الممات، فاسرعني قبل الفوات والوفاة، ومع هذا يا ذا الجاه، لا يكن عملك الا لله، فقد قيل

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فقيقعة الجرذ وقهقره، ولعب بابديه وتمسخر، وتمرغ بمينا وشمالا، وتقشف تطربا ودلالا، وتسخر بالغزالة وكلامها، وبادر الى عدلها وملامها، وتمرد بحرارتها، وحلى بمرارتها، وذل شهوتك الردية، وحرض نفساء الشقية، رماك في هذه البلدة، وحركت سجيته الذميمة، وطبيعته اللئيمة، واحرقك بها وزقرق، وطمر وطقر وصفق، وقل عجبا لراس الاحمق، من الجهل المصرح، والعمى المروح لموارد الردى، من دلايل البلاغة والغنا، ولو تعرضت لشبكة الصياد، لدللت على عقلي بالفساد، وحاشا فكري المصيب، ورائي النجيب، ان اجلب لنفسي مرضا، واصبر صا لسهم الصياد غرضا، ولو فعلت ذلك، لتعمدت الى المهالك، وتعمدني بي الصياد فعاداني، وترصدني واذاني، وحفر بالمعول وكري، واوقد النيران في جحري، فسلبني قراري، وبلغني دماري، وادل الافسام ان يخليني عن ديارك، فاني وان خلصت من الموت بسلام، لا استطيع ان اسكن بهذا المقام، وقد قيل لا تسلك غير طريقك، ولا تصاحب سوى رفيقك، واما انا فما لي بمصادقتك حاجة، فدعني عنك هذا الصوت وانا حاجة، ثم هز عنقه، ونشر في صدره، وتبختر في مشيته، وتمايل في غلبته، ووثب في نبهه وكبره، يريد الدخول في جحره، وقد نزع الشيب آيسا في حبايل نكره ومكره، وحبايل شدايده وسره، فقص الله له حدا، حتفه من البواء واخفت نباه، واما الشيب فاما أيس من الجرذان، توجه بعمق نيته الى الرحيم الرحمان، وقطع آماله عن كل احد، ورفع ضرورته الى الواحد الصمد، واخلص نيته الصادقة، وقطع من الخلايق علايقه، ثم جاء الصياد واوقد، وقصد به البلد فصادف ذا شفقة، فاستراد منه بدينار واعفه، ولم اورد هذه اللطيفة، الى المسامع الشريفة، الا ليعلم ان النواني، عن فن الغاني، واغانة المليوف، امر مخوف، لا يرغب فيه ذو عقل، وباغاثة الملهوف واخذ يد العاثر ورد المقل، ولا بد من تامل العقاب العقابا قبل نزولها، وتقلب طريقة دقها قبل حلولها، والخلاص من ورطتها، قبل بعثتها، واسال صدقت مولانا، الذي بالاحسان اولانا، الارشاد الى عمل طريقة طريفة، لطيفة نظيفة، خفية حفيفة، تكون عدتي وشدتي، مبعدة للود بيني وبين اخوتي، دل الملك نعمر ما فلت، وجبت في ميدان العواب وجلت، فاعلم ان في مملكتي ملوكا كبراء، واساتين امراء، ورجالا وجنودا، وابطالا واسودا، انا انشانهم، وبنعمة مثلك اعددتهم، كل منهم ذو وفاء، وحر مودته ذو صفاء، وباطنه خال من الكدر والجفاء، يقومون معك بادني اشارة، ويحفظون جانبك من النهب والغارة، خصوصا فلان، امير ممالك خراسان، فانه اعظمهم بابا، وامنعهم جنابا، واوسعهم في الفضل رحابا، واشدهم محبة، واقربهم مودة وقربة، واوفاهم عبدا، واصفاهم ودا، سيجدك في حال اضطرارك البه، فلا يكن اعتمادك بعد الله الا عليه، مع اني سأعلم جمعهم وآمرهم بايصالك، وأوكد عليهم في ذلك،

فلا تختر شيئا من التكلف بمالك، فقبل وجهه الارض، ووقف في مقام العرض، وقال ايها الملك المحتشم، اعلم ان محبة غالب الاصحاب، وصداقة اكثر الاحباب، ومن يدّعي خلود المودة، وتبدل ضميرا في ذلك جيده، انما هي لاغراض، وناشئة عن أعراض وأمراض، فاذا حصل ذلك الغرض، وزال العرض والمرض، بردت عن المحبة قلوبهم، وفرغت من بعد المودة جيوبهم، وطيرت بالجفاء وعدم الوفاء عصفورهم، ومن حمله ذلك الحسد، الذي لم يخل منه جسد، على نيل مرتبة، والبلوغ الى منصبه او زوال نعمة المحسود، وعدم الرضى بقضاء المعبود، فاذا لم يحصل المراد، يبدل القرب بالبعاد، والحب بالبغضة، والصحة بالمرضة، كما جرى لنديم الملك الفاخر، مع ضيفه المسافر، فقال الملك نوشاد، اخبرني بكيفية ذلك، وما تولد من قصة حسده، قال النديم أخبر المملوك، انه كان عند بعض الملوك، جماعة من العلماء، وطائفة كثيرة من الندماء، كل منهم نظيف الجاورة، عفيف المجاورة، نظيف المعاشرة، خفيف المكاشرة، ظريف الحركة، كثيف البركة، وبينهم شخص قد سادهم في هذه الصفات، وقانهم في علو الدرجات، اظرفهم نهجة، وانتفهم بهجة، واسرفهم مبجة، عذب المكالمة، حلو المنادمة، تقبل الفصاحة نعرة انفاسه في خطابه، وتتهلل محيا البلاغة لاشراق جواهر جوابه، اسمه رشيق، وهو لكل عشير، وللملك اكرم نديم، واقدم خديم، وصديق قديم، يقبل عليه، ويميل دون الكل اليه، ففي بعض الايام، قدم على الملك بعض الاعاجم، وكان من بغداد، من ذوي الفسق منهم والفساد، رجل من الشطار، عيار مكار، فرار غدار، مسخوط الرجم، ليس في السماء له نجم، غير ان عنده ما يقال، وقد خدم اهل الفضل والافضال، فعاف بطبعه من شمايلهم، وتلبس شاعرا بخصائلهم، فخلطاه الرشيق، بما يقتضيه حذقه وتلطفه، ورياضته في اخراقه، وتقدم في احترامه، واكرم نزله، واقام عليه نعما خرجه، ومال اليه بتليينه، وبعثه من خواتن جواسه، وبدا له بوجه تبدي فضلا، وبفتح بابا من التحمل وفضلا، الى ان غلب على ذلك الزنديق، حسد النديم المشي بسموم، تكونه من خوان الحشمة النسيبة، وفضائل الخدمة الحاسبة، وكبير الندمة، وخطير الخدمة، فالتمس من اسديم، ذلك الوغد الذميم، ان يوصله الى الشرب الشريفة، وتسهل عليه خلال نعمه الوريفة، فنصر الرشيق، الفقير الذليل في عقبى هذه العقبة، وما يجلب منها من بليّة، فانه قد كان، ادرى من ذلك الشيطان، سوء أفعاله، من أقواله، ووخيم غرامه، من شمايل حركاته، وشوم سجاياته، وحقق ذلك من عذبات لسانه وفلتاته، وكل شي تزرعه ينفعك، الا ابن ادم تزرعه ينفعك، ومن اكرم ذا خسة، ورأى من امره عكسه، فلا يلومن الا نفسه، فصار يسوف به ويماطله ويماذقه ويصانعه، ويداري الوقت، خوفا من المقت، الى ان أيس ذلك منه، وقطع الرجاء عنه، فتغلب فيه غضبه، واشتعل شواظ لهبه، فما رأى ليبرد هذه الغصة، الا كتابة قصة، يعرضها على الندماء، على ان الملك، يضع فيها لشدة حسده، من الرشيق ويقت من عضده، ويغري الجبري، عليه بما هو منه بري، فراقب الفرصة، وكتب القصة، يذكر له مساوي فيها، ومن جملة مساويها، ان جسد الرشيق، من الداء العتيق، ما عجز الاطباء، واعيا الحكماء والالباء، وان ذلك الداء يعدي، وفعله اللازم يتعدى فيردي، وان كثيرا من الناس، الاخيار الاكياس، ممن

اطّلع على دآبه، ومُعْضل بلآيه، يتحامَوْن صُحْبَته، ويتجنّبون قُربه ومواصلته، وان هذه فصيحة عَرَضها، وعلى نفسه رصيها، اذ القيام بابدايها وَجب عليه، وانهاؤها الى المسامع الشريفة مَندوبٌ اليه، فلما وقف المَلك على مَضمون ما ابداه، ذلك اللجيب فى مُدّعاه، تذكّر ما دله لبيد للنعمان، عن وزيره النَّمْسىّ فى ماضى الزمان، رجز

نحن بنو امّ البنيـن الاربَعَهْ ونحن خَيْرُ عامِرِ بْن صَعْصَعَهْ

اليك جَـاوَزْنا بلادًا مَسْبَعَهْ نُخْبِرُ عن هذا خَبيرًا فاسْمَعَهْ

مَهْلًا أبَيْتَ اللَّعْنَ لا تاكُلْ مَعَهْ إنّ اسْتَـهُ من برص ملمَّعَـهْ

فانّه يُدْخِـل فيهـا اصبعهْ يُدْخِلها حتى يُوارى اشْجَعَهْ

كانّما يَطْلُب شيا ضَيَّعَهْ

فاشمازّت من الرشيق نفسُـه، وذَوَى فى رياض مصـاحبته غَرْسُه، فامر الحُجّـاب والبوّابين، ان يكونوا لدخوله على الملك آيبن، فلمّا ان جاء الرشيق، وقصد الدخول بجـاش وثيـق، منعوه من الدخول، وقنّعوه عن الوصول، فرجع خائبا خاسرا، وبقى حايرًا دايرا، ولم يَشكّ ان هذا الضَرْب، سَهمٌ غرب، لانه لم يعلمْ له سبـب، فعضّى من الزمان العَجَـب، فشَرَع يتفحّص فى سبب ابعاده، ويتردّد بين أغْواره وانجـاده، ويذهب رايـدُ فكره كـلَّ مَذْهَب، ويَعْزِم علـى توابعه ليُوقفوه على موانع هذا المَطْلَب، الى ان وَقَف على السبب المُضْرم، وعلم انه الاحسانُ الى ذلك المُجْرم، ولَسْعُ ابْرة ذلك الآبار المُخْرم، وظهر لذلك البحر البر، سرّ قوله الاحسانُ الى اللئيم سَلَف فى الشرّ، فاجتمع بجماعة من اصحابه، وطايفة من خُلّص احبابه، وعَرَض عليهم قصّته، واستَدْفع بآرايهم غُصّته، ثم تَعَرّى من لباسه، عند الخواصّ من أناسه، ليتطروا الى جَسَده وبأسه، فراوا بدنا كسبايك الفضّة، وأطرافا ناعمةً غضّة، واعضآء تحسدها من الحُور غوانيها، مسلّمةً لا شيبة فيها، فاجمعوا على سَلامتها، وذكروا للملك محاسنها بعلامتها، وشهدوا بحُسْن صفايها، ورونق مآتيها، وانها سليمةٌ من الادوآء، بريّةٌ من كل دآء، وكانّها فى شانها كما قيل شعر

وأعْجَبُ ما شاهَدْتُ فى وصلهِ وَقَدْ تَرَعْنـا غلالات وثَـوْبَ حَيَـاء

تَـلألأ نـورٌ فى مُـرَقْـرَق مـاء وصـورةُ رُوحٍ فى مِـثَـالٍ هَـواء

وانما شدّه الحَسَد، عابت ذلك الجَسَد، فقال الملك صدقتم، وحقيقة الحال تَنَقّتم، ولكن كيف وقد قيل، وامتلأ الكون بهذا القال والقيل، شعر

قد قيل ذلك إنْ صِدْقًا وإنْ كَذِبا فما احْتِيـالُك فى شىء وقد قيـلا

ثم قال الملك لجماعته، المنتظمين فى سلك طاعته، والذى يدور فى مَعْلومى، ويبرز به مرسومى، ان لا يدخل الرشيق علىّ، ولا يُحوّلَ نَظَرَه الىّ، فأننى اذا نظرته، تذكّرت ما قيل واستحضرته،

فتشمئزّ النفس والخاطر، ويتكدّر الباطن والظاهر، ويتشوّه وجه العيش الناضر، ثم امر له بمال جزيل، واقطاع عظيم جليل، ومنعه من المثول بين يديه، والدخول عليه، وانما اوردت هذه الحكاية، المتضمّنة لهذه النكاية، لتحيط العلوم الشريفة، والآراء المنيفة، انّ بعض المدّعين الصداقة، وانما مهما بأحكام الوثاقة، لا يُعتمد على دعواهم، ولا يُرتكن الى مضمون فحواهم، فربما يكون صداقتهم من هذا القبيل، فتؤدي الى داء دخيل، وغمّ عريض طويل، لا يُمكن علاجه، ولا يُسلك منهاجه، واعظم ما في ذلك، ما يُؤدي الى المهالك، وهو عداوة الأقرباء من الآباء والابناء، وذوي وشايج الاخاء، فان ذلك غلّ قمل، ومرض لا يبرأ وجرح لا يندمل، وان عداوة الاجانب، اسهل من مجانبة الاقارب، وانّ الاقارب انما يرجّون لدفع الدآء فاذا كانوا هم الاعداء، فقد اعضل الدآء، ومن شواهد هذا ايضا الملك الفاضل، ما جرى لابن سلطان بابل، مع عمّه الظالم القاتل، الخابن الخاذل، فقال الملك الكبير، أظهرنا على صورة ذلك ايها الخبير، قال ذكر اهل التاريخ، ايها العالي الشماريخ، انه كان في ممالك بابل، ملك عظيم فاضل، كريم الشمايل، عدله مشكور، وفضله مذكور، وجوده في الافق مشهور، همته عالية، وثغور الممالك بعقود فواضله حالية، واقواه ممالكه كثغور الغواني بشنب العدل والأمان زاهية، وله ولد صاحب حسن وجمال، وفضل واقضال، وملاحة ودلال، وصباحة وكمال، غير انه صغير السنّ لم تمرّ به التجارب، ولم يبلُ احوال الاباعد والاقارب، لا مارس الانام، ولا سايس الايام، ولا سبر العدوّ والصديق، ولا خبر الحريق والرحيق، ولا فرق بين المفارق والمرافق، والمنافق والموافق، والمصادق والمصادم، والملاصق والمصارم، فلما دنت وفاة ابيه، جمع اخصّاءه وذويه، واراد ان يعهد الى ولده، ويرقيه الى مسنده ومُستنده، ثم تدبّر في اموره واحواله، وتفكّر في مصيره ومآله، فاختشى انه ربّما اخلّ بشي من القواعد، فابعد الادانى وادنى الاباعد، او وضع شيا في غير محلّه، او ولّى منصبا غير اهله، وذلك لعدم تدبّر، او فساد تصوّر، او لشؤم رقيب، وفقد مرشد شفيق، او لغرض فاسد، من كاشح او حاسد، فيختلّ نظامه، ويعوج قوامه، ويفسد امره، فيخونه زبده وعمره، وكان للملك اخ، بل فخ، يدّعي المقة، ويُظهر انه ثقة، وله حنو وشفقة، فعهد اليه، واعتمد عليه، وسلّمه ولده، وجعله وصيّه ومُستنده، واجلسه مكانه، واشهد عليه من رؤساء المملكة اركانه، انه اذا ترشّح ولده للولاية، وآنس منه رشده للرعية والرعاية، يجلسه على السرير، ويُسلّمه الكبير من جنده والصغير، ويكون هو له احسن وزير، وامين مُشير، ونظام مُلكه، ورأس فلكه، وعضد ساعده، وساعد مُساعده، وانابك عسكره، وعماد اموره واوامره، فانّ نفس ولده الآن في سنّ جهلها، فاذا غدت من أوعار رعونة الصبا الى سهلها، يؤدّي اليه مُلكه بمقتضى قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدّوا الأمانات الى اهلها فتقبّل اخوه ذلك منه بقبول حسن، وتكفّل له ان يأسو جراح المُلك احسن اسا، واظهر التودّد والترؤف، والتملّق والترقق، والتلهّف والتأرّق، والتاسّف والتحرّق، وبكى وناوه، وشكى وتدلّه، وتمسكن، حتى تمكّن، فلما قضى الملك نحبه، واجاب ربّه، صعد اخوه على السرير، وتمكّن من الجليل والحقير، وتحكم في الكبير والصغير، وتشربت المُلك أنشلاعه، وعمرت بحب المُلك والتسلّط في دور تمّعه رباعه، وابنُ اخيه في كفالته، والممالك في ايالته، واستمرّ الصغير تحت نظره، لا يفارقه في سفره ولا حضره، يكتسب كل يوم مخايل السعاده، ويلوح من حركاته شمايل

السيادة، ويظهر على أعطافه الملوكية يوما فيوما آثار الحسنى وزيادة، الى ان ارتفع قدرا، وصار فى الكمال هلال أوصافه بدرا، فشمر عمه من رياض همته عرف الطلب، وقوى فى ذلك ما كان تقدم من سبب، وعرف انه لا بد له فى ذلك من تعريجه، فلو منعه لقال كل الحلو باستهجانه وقام بتقبيحه، فحل عقوده، وتغل جنوده، وختل من عسكره بنوده، وتفسد صورته وسيرته، وتنقص من حبل عمره مريرته، فلا يحصل من الملك، الا على الهلك، فاعمل الكيد، وخرج الى الصيد، فعرفت العساكر، وانفرد الملك الماكر، ومعه ابن اخيه، فاختلى به فى تيه، فوثب عليه، وجمعه بكر بمنيه، والقاه فى البرية، الى مخالب المنية، وتركه وحيدا، اعمى فريدا، لا يجد دليلا، ولا يهتدى سبيلا، ولا يعرف مقرا ولا مقيلا، ثم اجتمع بعسكره، شاكا انه فاز بظفره، مخبرا بوفاته وتعميد خبره، ففرغ بانه، واصلح حاله، واستمال خاطره، واستقرت اموره، واستفامت اوامره، فلما هجم الليل، اقبلت السباع من كل واد كالسيل، وقصدت الوحوش والهوام، ما لها من ماوى ومقام، وعوت الذئاب وزأرت الاسود، وهمرت النمور والببور والفهود، فساورت ابن الملك الهموم، وناورته اصناف الغموم، واحتوشته المخاوف والوجوم، فلجا الى جناب الحى القيوم، جناب من لا يخيب قاصده، ولا يصدر الا بنيل الامل وارده، وصار يحسس بيديه، ويصغى الى الجوانب باذنيه، ويمشى الى كل جانب، وتهوى بيديه الى الاطراف والجوانب، ويتعلق بحبال الهواء، كالغريق الغائص فى الماء، فوقعت يده على شجرة، فعلق فيها انامله وظفره، ثم صعد عليها، واوى اليها، وتوجه بقلبه الى خالقه، وموجده وبارئه، وقطع عما سواه اسباب علايقه، واشتغل بالذكر والتسبيح، وفوض امره الى الله تعالى بامل فسيح، واستمر فى هذا الويل، برهة من الليل، وكان طايفة من الجان المهرة، كل ليلة تاوى الى هذه الشجرة، فيتذاكرون ما جرى فى العالم، وما صدر فى عالم الكون والفساد من افعال بنى ادم، ويقيمون افراحهم، ويتعاطون انشراحهم، فلما اجتمعوا تلك الليلة، ذكر كل دوله، وما جرى من الحوادث، من المفرحات والكوارث، وما وقع من العجايب، واتفق من واقعات الغرايب، فقال واحد من القوم، ومن اعجب ما وقع اليوم، من الامر الكريه، ما فعله ملك بابل بابن اخيه، وذكر ليهم القصة، وما تمخضت من بليته، وجعل يمزق، ويتحسرق، ويتبرم، وينصرم، وتحرق الارم، ويتعجب من عدم وفاء بنى آدم، فقال رئيس الجان، عذا غير بديع من طبع الانسان، فانه مجبول على الغدر، مطبوع على الدهاء والمكر، الم تسمع قول ذاهم، فى اوصاف خصاليهم، وقبيح شمايليهم، وما دون سمعك من خبر، اذا كان الغدر طباعا فلتة بكل احد تجر، ثم قال الرئيس اعلم، يا نفيس أنى اعلم، ما يزيل هذا الالم، ويشفى هذا التصرم، ويشفى هذا السقم، وهو ان هذه الشجرة النابتة، لنا خاصية عجيبة، اسمها شجرة النور، وفضلها فى ذلك مشهور، اذا اخذ من عصارة ورقها، ووضعه العمى على حدقتها، اجلى عمتها بقدرة رب براها، وخلقها فسواها، ورد اليها بصرها، وزاد قوة نشرها، ثم ان الحرابة العلابة، فيها حجر حية بذنبه، هى تابعة ملك البابل، الفاعل هذا الفعل السافل، وحيوته متعلقة بحيوتها، ومنونه موقوف على مماتها، لان نابعه على نابعها، وطبعه الئيم مطبوع على طباعها، فبمجرد ما تموت الحية يموت، وينتقل من درج الملك الى درك الملكوت، كل ذلك وابن الملك يسمع هذا القول،

ويلتجاء الى ذى القوة والحَوْل، حتّى مَنّ عليه بعد شديد العقاب بهذا الطول، فجعل ينادى أى حين الصّبح تهلّل، وبا ايها الليل الطويل الا أنجلِ، فما الاصباحُ منك بأمثل، فلما اصبح الصباح، ونادى مؤذّن السعد حتّى على الفلاح، تيمّم ابنُ الملك وصلّى، وحمد الله على النهار اذ تجلّى، ورَضّ بين حجَرين من ورق الشجرة، واكتحل بمابه فردّ الله عليه بصَرَه، ثم وجّه ذهابَه، الى تلك الخرابة، ورصَد خروج تلك الحيّة اللاطئة، وضربها ضربةً غير خائنة، فاحاط بها نارُ الهلاك، وفى الحال خرّ عمّه ميّتًا عن سرير الملك، وبينما العزاء عليه قايم، واذا بصاحب السرير عليهم قادم، وقد قصد مَلْك ابيه، وتمكّن من اهله وذويه، وتصرّف فيه كما شاء، والبَسَه خلْعَةَ الملك من يُؤتى الملكَ من يشاء ويَنْزع الملكَ ممّن يشاء، وانما اوردتُ هذا التمثيل، خوفًا ان يكون صاحب مولانا من هذا القبيل، فنبتدل المحبّةُ بالبُغض، فنرجع على موضوعها بالنقض، ثم ان بعض الاصحاب والاخوان، يفعل ما يفعله من الخير والاحسان، على سبيل المكافاة، لا على طريق المودة والمصافاة، فاذا كافى الاحسان، عاد الى ما هو عليه من العُدْوان، فاسأل الصدقات الشريفة، والمراحمَ المنيفة، والعَدْل المشهور، والاحسانَ المأثور، التأمّل فى عواقب هذه الامور، لئلّا يُصيبنا ما اصاب المسافر، ضَيْف الحدّاد المنافر، من العفريت المُلقى فى الحافر، قال الملك أخبرنى ايها الوَلَدُ النجيب، عن ذلك الامر العجيب، وذاك الله شرّ الوجيب، قال بلغنى من رُواة الاخبار، ان شخصًا من الاخيار، لازم الاسفار، وقطع القفار، فجاز مَشارق الارض ومَغاربَها، وبلغ اكنافها وجوانبها، وشاهد غرايبَها وعجايبَها، وقاسَى حرّ الزمان وقرّه، وذاق حلْوه ومُرّه، وعانَى خيرَه وشرّه، فاداه بعض المَسير، الى بلد كبير، فراى فى بعض نواحيه، وطَرف من ضواحيه، نافذةً من الصبيان، قد اجتمعوا فى مكان، فوصل اليهم ذلك الفقير، فوجدهم واقفين على حَفير، يرمُون فيه بالاحجار، وهم يستغيثون بالمنّان، من العدوّ المكّار، والحبيث الغدّار، والحسود القديم، والكافر الذميم، والشيطان الرجيم، فسالهم ما هذه المُعضلة، فقالوا عفريت وقع فى هذه البير المعطّلة، فهو عدوّ قديم نريد ان نقتُلَه، فقال تنحّوا حتى نَنظُرَ اليه، واساعدُكم عليه، فتنحّوا عن ذلك الطوىّ، فنظر ذلك الزكى، فى قعر الركىّ، فراى فى جانب منها عفريتا وهو منزوى وقد هشموه، وكسّروه وحطّموه، وكاد يهلك مما رجموه، فعند ما نظر اليه، رقّ له وعطف عليه، وقال افضلُ المعروف، اغاثةُ الملهوف، وان لم يكن بيننا سابقةُ صداقة، ولا وشيجة محبّة ولا علاقة، بل هداوتنا جبلية ومبايننا ازلية، لكن فعل الخير لا يبور، ولله عاقبةُ الامور، واذا قصد الانسان فعلَ خيرٍ، فلا عليه افعله مع اهله ام مع الغير، وقد قيل للتمثيل

ايها الانسان قد عداك الذمم ... افعل الاحسانَ وانفِه فى اليَم

ثم منع عنه الكبير والصغير، وساعده على الخروج من البير، واستنقذه من ايديهم واطلقه، فكان كمن اشتراه واعتقه، فلما راى العفريت هذا الاحسان، من ذلك الانسان، من غير سابقة ولا عُرْفان، قبّل يدَه ورجلَه، وشكر له هذه الفعلة، وقال انى عاجزٌ عن مكافاتك يا انسان، فى هذا الاوان، وان أسمى فلان، فان وقعتَ فى صعب، او ضللتَ فى طريق، فنادنى باسمى، احضُرْ اليك بجسمى، فانفعك فى ضيقك، وارشدك الى طريقك، واكافيك ايها اللوذعى، بما فعلته معى، ثم ودّع كلّ صاحبه، وخالف فى المسير جانبه، فوصل السيّاح الى بلد من البلاد، له فيها صديق حدّاد، فنزل

عنده واكرمه، ورحّب به وخدّمه، وكان تلك البلدة عادةٌ غيرُ حسنة، انهم في يوم معيّن من كل سنة، يقرّبون من تقدّم عليهم فيه، ولا يبالون احاملٌ هو ام تبيه، فان لم يقدم عليهم غريب في ذلك اليوم، اقترع فيما بينهم القوم، فمن خرجت قرعته سحبوه، وكسروا قرعته وقرّبوه، فوافق ذلك اليومَ قدومُ السايح، ولم يَرُدْ سواه من غاد ورايح، ولا شعر به احد، من اهل البلد، فاخذوا في القُرْعة بالاجتهاد، فطارت القُرْعة قُرْعةَ الحدّاد، فهجموا عليه وعزموا على تقريبه، فقال عندي غريبٌ لم يكن احدٌ بَدْري به، فلم يشعر السايح، الا وقد احاطت به الطوايح، فهجموا عليه، وربطوا عنقه ويديه، ثم سحبوه وحبسوه، وفي اثنين مكان اجلسوه، وشهروا النداء، انه حصل للحدّاد الفداء، فعلم السايحُ القضيّة، وتحقق انه تورّط في بليّة، فذكر اسم العفريت، وقد علقه الهمّ عُلوق النار بالكبريت، فحضر لساعته ووقفه، فراى السايحَ في هوّله ومقته، واطّلع على جليّة الشان، فقال لا تخشَ يا ذا الاحسان، أعلمْ ان امير هذا البلد، له ولد، هو واحدُ ابويه، وانى الآن اقرعه بين يديه، ثم انادى، في النادى، ان رُمْتم شفاء هذا العليل، فهو دعآء ذلك الرجل الجليل، السيّد الصالح، الراهد السايح، ضيف الحدّاد، الذى بسببه حصل هذه الانكاد، فأطلقوه والتمسوا دعاءه، فان فيه لعليلكم شفاءه، فلا تنلبوا من غيره دواءه، فاذا طلبوك، واعزّوك وأرغبوك، واكرموك، واحترموك، فادعُ بما يرفعُ نكدَهم، فانى اذذاك اتركُ وَنَدَهم، فاذا رأوا منك هذه الكرامة بنعوا في اكرامك وسلّموك الزمامة، وخيّروك بين الرحيل والاقامة، واقلُّ ما يفعل معك السلامة، ثم ذهب الى ابن الملك وخيّبه، وحلّ في اعتصابه وريّبه، فتخيّط العبيّ وتخبّل، وتكبّل وتحبّل، وكادت روحه تخرج فأسبل، واشتغلوا بشانهم، عن امر قرانهم، وتلبّوا الاطبّاء، فاعياهم علاج هذا الداء، فلم يقدروا على علاجه، وتعذّل مزاجه، وتفويم أعوجاجه، واشتغلت به الخواطر، وتنكّد البادى والحاضر، فعند ذلك نادى العفريت، من جانب المبيت، يسمعون كلامه، ولا ينظرون مقامه، ان زوال هذا العارض، ومنع هذا الداء المعارض، عند رجل قدّوة، مُستجاب الدعوة، رجل صالح، راهد سايح، عالم عامل، فاضل كامل، هو بركة البلاد والعباد، مادّة الصلاح قادّة الفساد، وهو ضيف الحدّاد، الذى فرّط في حقه منكم سوء الادب، فادركوه بالطلب، وأسرعوا نحوه، والتمسوا منه الدعوة، والا فان وَنَدكم ذلك عنوة، وبادروا باللحوق، لئلا يخرج السهم من الفوق، فان سهم هذا المُصاب، بسبب ذلك اصاب، فركب الملك بنفسه، وسارع الى باب حبسه، ودخل عليه، واكبّ على رجله، وطلب دعاءه، ورام لولده شفاءه، فتوسّى وصلّى، واعرض عنهم وتولّى، وتوجّه ودعا، فحصل للولد الشفا، ونهض في الحال، دانما نشطَ من عقال، ثم ان العفريت الجايح، اتى الرجل السايح، وقال لا تحسبنّ انى اذ غيّبناك، صادقناك او صافيناك، كيف وعداوتنا قديمة مغروزة، وعروق النباغض في حدادى ذوادما مركوزة، انا من نار وانت من تراب، شيمتك التربية وشيمتى الاحراق والاخراب، ومتى استقام اعوج مع قوام، او أحبّ مشرقيٌّ اهلَ الشام، وانما كان هذا الوفاء، لئلا أنسبَ الى الجفاء، والا نحن على الكفر دون الصفاء، وعلى ما نحن عليه من العدوان، كان لم يمرّ بيننا معرفة ولا كان، ثم صار شعلة لهب، وتركَ السايح وذهب، ثم قال ابن الملك فان كان صداقة هولاء الاصحاب، كصداقة اولئك الاحباب،

فما في صحبتهم فايدة، ولا في محبتهم ومودتهم عايدة، ثم قال ابن الملك ومن انواع المحبة والصداقة، وما ينعقد فيه العلاقة، نوع محبة تتوفر فيه الرغبة، تنشأ من فرط الشهوة، وتركب من صاحبه على المعهود، وتميل اليه النفس والطبيعة، ولكن يكون استحالتها سريعة، فتزول بادنى سبب، وتشبه شواظ اللهب، يلتهب ساعة وقد ذهب، وربما أدى الى الهلاك والتعطب، كما فعل بالبطة الثعلب، حيث دانت محبتها غير صادقة، ومودتها لزوجها بالشهوة ممازقة، وشتان ما بين المحبة الخالصة والمحبة المدافعة، لا جرم ادت الى عكسها، وازهاق نفسها، قال الملك اخبرني ايها الولد اللبيب، كيف هو هذا النظير، قال ابن الملك ذكر ان زوجا من البط، كان له ماوى على شط، جار بمن رياض، ومروج وغياض، ازاهيرها عطرة، ورياحينها نضرة، وقريب من وكر البطتين، ماوى لابي الحصين، فحصل لذلك الثعلب، المرض المسمى بداء الثعلب، فسقط وبره، وانمعط صوفه وشعره، وذاب جسمه، وتغيرا لحمه، وقرب التلف، والالحاق بمن سلف، وصار كما قيل

كخرقة باليـة بال عليها الثعلب

فاستنب لدائه، كلا من اوانه، حتى فاتت له سلحفاة، وقد انحله السقم واخفاه، واعتذى عليه المرض واستد، ان دواء دائك كبد البط، فان اكلت كبد بطة، نصلت من هذا البلاء البطة، وخلصت من العلة المشنعة، فقال ومن لي بهذا الدواء، وانا ليس لي حراك والبط في الهواء، فشفاء هذا الداء العضال، من باب التعلق بالخيال، وكان الثعلب يغتابني، اذ سمع انيني، ورأى سكوني، تحت أحمال شجوني، بقوله

فعل ثمر انه استنجد همته، واستمخى نيمته، وصمم عزيمته، واستعمل فكره، واستورى مكره، وقال لنفسه لا يعجبك من هذه الاشكال، الا انتشبث باذيال الاحتيال، لعل الله واهب المعونة، يمنحني بهذه الامنية، ثم توجه وهو يتمخطر، الى حوب البط، وصار يتلطى في جنبات الشط، الى ان لاح له بعد الاين، انني جانبي البطتين، فتخطى الى ان قاربها، ثم واثبها، فما ساعدته القوة فبقي في ثوة، فما وسعه الا ان غاص، واظهر المودة وخاص، وعبر عينه وبالغ، وارى من نفسه ان تلك الونية، انما هي من داعية المحبة، ونهضة الاشتياق الى الاحبة، ثم بادر وقال مرحبا بالصديق المصادق، يمن نعوذها بمسك العقة فاجد، واخلاقها الغادية بنشر الخير والراحة، المخدرة الحبة، بالعهد المتحببة، سبحان الله من قريبة رضية، جميلة الاوصاف بهية، فما اكثر احسانك وفضايلك، واوفر امتنانك وفواضلك، لقد عممت باحسانك، جميع معارفك وجيرانك، وانعمت زوجك وحلائك، وعطف كل احد بحسن الشيم خلائك، ولا زال يكبل عليها من حواصل هذه الخرعبلات، ويفعم أردان ظلبا من معادن هذه المعسوبيات، حتى سكنت بعض السكون، وركنت اليه ادنى ركون، ثم اخذ في الايناس، وتمهيد دواعد الاساس، حتى اطمأنت، واستكانت واستكنت، ثم قال انا لله، ولا حول ولا قوة الا بالله، تبين ما راى زوجك فيك من الخلل، ولاح له من عيب حتى فعل ما فعل، ذلت وما فعل ذلك الجعل، قال لو لا ان الغيبة، رديدة، والنميمة، مشومة ذميمة، ونقل المجالس القبيحة،

وان كانت وقايعها صحيحة، امرٌ مذموم، وهذا معلوم، لكنت افصحتُ، واشبعتُ القول ونصحتُ، وسنّ سبيل حسنى الضرائر، فعلل الخواطر، والورد لا يخلو عن شوك، ولا الشباب عن نوع نوك، فلما سمعتْ هذه النجوة، حملتها المحبّة الممزوجة بالشهوة، ان الحّتْ عليه، وسألته ايضاح ما لديه، واقسمتْ عليه بحقّ الجوار، الا ما اطلعها على هذه الأسرار، فقال لو لا ان الجوار ذمّة، لما فهْتُ بكلمة، خصوصًا وقد الحّت بالقسم، وتشفّعت بالجوار والذمم، وابصا لو لا وفور الشفقة، وعظم المحبّة والمقة، واعتمادى عليك انّك ثقة، وانّ صدرك مخزن الأسرار، وانك ستُّ الأحرار، ما اطلعتك على شي مما كان وصار، اعلمى ان زوجك المشتط، قد خطب بنت ملك البطّ، ولم في هذه المكيدة، مدّةٌ مديدة، آخرها اليوم، كان قد ارسل الى القوم، الماشطة الخطابة، ان يثبتوا اسبابه، فلما سمعت هذا الكلام، تاوّرها من الغيرة الضرام، ولم تشكّ في انه صادق، وذهلتْ على النبيين عن خبر الفاسق، وجميعُ الأخبار عن الأزواج، تتوقّف فيها النساء الاّ خبر الزواج، ثم انها تماسكتْ، وأرتْ تجلّدًا وتمالكتْ، وقالت الله أحلّ له من الازواج ما طاب له لا حيلة الا الانقياد، وترك العناد، ومواقفة السنّة والجماعة، والدخول تحت الاوامر بالسمع والطاعة، وما ذا يفيد التدلّه والحيرة، اذ الحلال جدْع أنف الغيرة، قال الامر كما ذكرت، وما احسن ما صبرت وافتكرت، وما يمكن الطعن في الحلال، ولكنْ هذا دليلُ الملال، وكل من ادّعى هواك، وتخلّل في ضلوعك ولو بخلال من سواك، فلا شكّ انه قلاك، وبنار الهجر والجفاء قلاك، وليس هذا سعةً وتمضى، ولا حادثةً تقع وتنقضى، انما هو امرٌ دائم، ونزاعٌ أبدَ الدهر قائم، وانا ما اخشى الا عليك، واشتغال خاطرك بما يصل من النكد اليك، فانّ حقّك ثابت عليّ، وضررك عائد اليّ، فانك جارةٌ قديمة، معروفة بحسن الشيمة، لم ار منك الا الاحسان، وعدمَ التعرّض الى ايذاء الجيران، وكل منّا قد اعتاد بالاخر، وباقى بصحبته وجواره وفاخر، واخاف ان يتحدّد لى في الجوار، من يتصدّى لي بالاضرار، ويؤذى ولا يعرف حقّ الجار، ولا يعرفني ولا اعرفه، ولا ينصفني وان كنتُ أنصفه، فيتكدّر لي الوقت، ولا أخلو من نكد ومقت، لا سيّما وانا ضعيف، مبتلى نحيف، فلا يستقيم الحال، ولا اقدر على الارتحال، ولا زال يشتدّ المضارب، ويفتل منها في الذروة والغارب، حتى اثّر فيها سمّه، ونفذ في سويدائها من مكره سهمه، فاسترشدته الى وجه الحيلة، في هذه النازلة الوبيلة، فقال ارى الرأى السديد، والفكر الرشيد، انه اذا وصل قولُه بفعله، واتّبع في اداه فرضَهُ بنفله، واختار غيرك عليك، وطلّقه والف زوج لديك، وارضَ الله واسعة، وهو المعتدى اذ بدأ بالمعاندة، وانا اكون السفير، في خطبة زوج يخجل البدر المنير، نعمْ دارك، وبعرف مقدارك، ويخدم كلبك وجارك، ويملأ وكنك خيرا، ويسنك سرا، ودماغ دبرك زبدا، مع كونه وافرَ الحشمة، مسموعَ الكلمة، قد جمع بين شرفي الاصالة والحرمة، قلت هذا الذى تقول، امر معقول، والى الان ما وقع، وعلى تقديره ان يقع، ان حمل الشعاف والنفاس، وتوجيع الاذيال المستجدة على الكرام العتاق، فيكون بيننا هذا الاتفاق، وان وقعت بيننا المعاندة، ولم تحمل في حقى منه مساهلة، ولا للصبر عليّ مقاتلة، كيف أشفيه، وعلى بعد مباح أعاديه، فضلا عن أنّى افارقه، وكيف أخرب ديارى، واثر محبّى وجارى، واسمت بى الاعداء، وحنانك بى من

كل جهة البلاء، ولكنّ المحمود، عندى يا وَدُود، الصبرُ على كل حال على الدهر النكدود، وتجرُّع الغُصَص لئلا يشمَتَ الحسود، وكما قيل فى المثل ما فى دخول جهنّم وبئس [illegible] ذلك الحبيث، انه لم يفده هذا الحديث، ولم تتمّ له الحيلة، وافكاره الوبيلة، فقال اقول الحقّ الذى خصلحص، ولا عنه محيد ولا محلص، ان زوجك قد نُقل اليه، انك اخترت غيره عليه، وانك عاشقة، وصاحبك له مخادعة ومماذقه، وثبت ذلك لديه، وعقد اعتقادُه عليه، وعزمه على الزواج، انما هو تعلّلٌ واحتجاج، لفتح باب الشرّ، وتعاطى اسباب النكد والضرّ، وقد صحّ عندى انّ ذاك الاقاك، الاثيمَ السفّاك، يريد لن يجرّعك كاسَ الهلاك، فتيقّظى لنفسك، وتداركى غدك فى أمسك، قبل حلولك فى رمسك، واستقيمى قبل عكسك، وانا منذ سمعتُ هذه الاخبار، لم يقرّ لى قرار، وذلك لوفور الشفقة وحقّ الجوار، وقد زدتُ ضعفا على ضعفى، وكدتُّ لهذا الغمّ، أُسقَى كاسَ حتفى، وانت يا غبنَ الحاسد، تعلمين ان ليس لى غرض فاسد، وهذا بديهىّ التصوّر، لا يحتاج الى تدبّر وتفكّر، وقد غررتُ عليك، والامرُ فى هذا كله منك واليك، فتفكّرى خاطرها، وتشوّرت ضمايرها، وضافت بها الحيل، وتاهَ منها العقل، وضاقت افكارُها وجالت، وبدر منها ان قالت، والله لو امكننى لقتلتُه، ولو وجدتُ فرصة لاغتلتُه، واسترحتُ من الدهر النكد الغبر، وهذا العيش الوحش النكد، فالتقف الثعلب هذه الكلمة من فيها، وعلم ان سهم خَتْله نفذ فيها، لان عُقودَ المحبّة انحلّت، وصورةَ المحبّة القديمة زالت واضمحلّت، وتلاشت الصداقة بالكلّيّة، وامحت شهوتُها بأدنى جزئيّة، فقال لا تهتمّى لذلك يا صرة هند، فعندى عقّار من عقاقير الهند، احلى فى المذاق من ساعة التلاق، وأمضى من السيف فى حكم الفراق، اسمه السير الموت، وتدبير الفوت، وسمّ ساعة، وتفريق الجماعة، لو اكل منه ذرّة، او شمّ منه نشرة، لقتل فى الحال، وفرق الأوصال، من غير امهال، فان اقتضى رأيك الاسدّ، ان تخلّصى من هذا النكد، دونك منه شذرة، تكفيك ذرة منه امره، فان شيت اطعمته، وان شئت اشممه، ولو لا انك عزيزة علىّ، لم أعرّفك من هذه الامور بشىء، ولقد فضّلتك على روحى، فاكتمى هذا السرّ ولا تبوحى، فتجمّلتْ منه جميلته، وقد عرفت قدره وفضيلته، وطلبت منه الدواء، لتذهب به عن قلبها الجواء، وتقبل زوجها المسكين، وتسلم من نكده وتستكين، وزالت تلك المحبّة القديمة، ونسيت الصحبة والصداقة القويمة، ووعدها الثعلب ان ياتيها بالعقار، وفارقها على هذا القرار، ثم انها انتظرته ليفى بوعده، واحترق صبرها من نار همّها ووقدها، وتقاعد الثعلب عنها، ينتظر ما ياتيه منها، فحملها مُثبر الوجد اليه، وساقها الاجل المحتوم الى ان قدمت عليه، فدخلت وكرّه، ودنت لتقبل يده وصدره، فاستمكن منها ذلك الغادر، ومزّقها كما يريد فصارت كالامس الغابر، وانما اوردتُ هذا التمثيل، لئلا يكون اصحاب مولانا من هذا القبيل، فيكون المعتمدُ عليهم، والمستند اليهم، كالنايم على تيار الأنهار، والمؤسّس بنيانه على شفا جُرُف هار، فقال الملك معاذ الله يا ولدى، وقرّة عينى وكبدى، ان يكونَ صاحبى ومعتمدى، من هذا النمط، وشبيها بالعقاربين والثعلب والبط، بل كل من اصحابى، وسائر أوليائى واحبابى، ما منهم الا الصديق المهذّب، والرفيق المؤدّب، والشفيق المرتّب، والعتيق المجرّب، وقد جرّبته فى المودّة والاخاء، والشدة والرخاء، والمروّة والسخاء، كما جرّب ذلك الناجر

صاحبَهُ فى الانتخاء والارتخاء، قال انوذد ينعم مولانا الامام، بتقرير هذا الكلام، قال الملك باغى ان بعض التجار، الاكرمين الاخيار، والكرماء الأبرار، كان له مثل جربل، وولد صالح جابل، سعيد الطالع، سديد المطالع، عالى الهمة، متوالى الحشمة، ميمون الحركات، جميل الصفات، حسن السيرة، مشكور السيرة، ظاهر السريرة، وكان ابوه قد تخيل فيه تخايل السعادة، وتفرس فيه آثار النجابة، فكان لا يفتر عن تاديبه، وارشاده الى سبيل الخير وتهذيبه، وتزيينه بمكارم الاخلاق وترتيبه، فقال له يوما يا بنى، ان الانسان محتاج الى كل شى، واعظم ما يحتاج اليه، ويعول فى التحصيل عليه، الصاحب الصافى، والصديق الموافى، والرفيق المساعد، فى وقت الشدايد، فان المال، مثيل، والذهب، ذاهب، والفضة، منفضة، والملبوس، بوس، والاكل شاكل، والخيل خيال والشواغل شواغل، والدهر داهى، والعصر عاصى، والاقارب، عقارب، والوالد، معاند، والولد، كمد، والاخ، فخ، والعم، غم، والخال، وبال، والدنيا وما عليها، لا يركن اليها، وما تمر الا رفيق ذو وفاء، مجبول على الصدق والصفاء، ان غبت ذكرك، وان حضرت شكرك، مامون على نفسك ومالك، واهلك وعيالك، فى حالك ومآلك، ان غاب صانك، وان حضر زانك، فهو افضل موجود يقتنى، واحسن مودود يعتنى، فان ظفرت به، فتشبث بسببه، ثم قل يا بنى قد اقمت فى الحضر، وانقضى لك فيه ما ذقت منه مما حلا ومر، فلا باس ان تحيط علما باحوال السفر، فان السفر محك الرجال، ومجلبة الاموال، ومكسبة التجارب، ومرآة العجايب، فاعزم على بركة الله تعالى وتوكل عليه، واصحب معك فيه ما تحتاج اليه، ثم افاض عليه المال، واضاف اليه صالح الرجال، وحين ودعه، وشاه بما استودعه، وقال يا بنى لا تجعل دابك، وطلبك واكتسابك، الا استجلاب الصاحب النافع، دون سايز المنافع، فانه اوفر بضاعة، واربح تجارة، وليس على الصديق الصدوق ابدا خسارة، فاجعله فى سفرك نصب عينك، واشتره بنفسك ومالك ونقدك ودينك، وقد قيل

اخاك اخاك ان من لا اخا له ... كساع الى الهيجا بغير سلاح

والمراد به الصديق، والصاحب الشفيق، واعلم ان الاخ الصلبى ربما يسرك، واما الصديق الصالح فانه ابدا يسرك، وقد قيل رب اخ لم تلده امك، فامتثل الشاب وصية ابيه، ثم توجه فى حشمه وذويه، بقصد جميل، ومال جزيل، فمكث غير بعيد، ثم عاد وهو سعيد، فقال له ابوه جيت وحييت، ما اسرع ما جيت، قل لى اين ذهبت، وما ذا اكتسبت، فقال يا ابتى امتثلت مرسومك الكريم، واكتسبت كل ولى حميم، وقد جئت بهم زمرا، وعدتهم خمسون نفرا، كل منهم صديق صادق، ورفيق رافق، فى الفضل بارع، وانى الخير مسارع، وفى الرخاء، صادق الاخاء، وفى الشدة، اوثق عدة، قال ابوه يا بنى كيف تصفهم بهذه الصفة، وتعرفهم بهذه المعرفة، ولم تجربهم فى قضية، ولا واقعة صعبة او رخية، وقد قيل

لا تمدحن امرءا حتى تجربه ... ولا تذمنه من غير تجريب

وقيل ايضا شعر

اذا رمت ان تصفى لنفسك صاحبا ... فمن قبل ان تصفى له انود اغضبه

فان كان فى وقت التغاضب راضيا وإلا فقد جرّبته فتجنّبه

وقيل ايضا

الناس اكيس من ان يمدحوا رجلا ما لم يروا عنده آثار إحسان

اعلمْ يا ذا اللبيب، انى خائف، ان يكون اصحابك، واصدقاءك واحبابك، مثل اصحاب ذلك الرئيس، المُدْبر الحمل التعيس، الذى اكلوه ورعوْه فى روْض وفره، وتركوه فى قفْر فقْره، قال ابنه قل لى يا ابتى كيف ورد ذلك وثبت، قال التاجر ذكروا رواة الاخبار، انه كان فى بعض الامصار، رجل رئيس، كبير نفيس، له ولد تعيس، وله اموال وافرة، وجهاتٌ متكاثرة، واماكن عامرة، وضياع ومزدرعات، وبساتين وافتاعات، وعقار له ارتفاعات، فكان ولده يمدّ يدَه، الى كل مَعْصية ومَفْسدة، ويغمر ذلك السفيه، على ما بلوح له من جهات ابيه، والتفّ عليه جماعة، من عبيد البطن والجَاعة، كلّما طير قرنى، ان راى خيرًا تدنّى، او رأى شرا تعلّى، ومدّ يدَ الاسراف، فى التبذير والاتلاف، فصار ابوه ينصحه، ويَرْدَعه عن جُموحه ويَكْبَحه، وقال له اى بنىّ استعمل الارْفاقَ فى الأنفاق، واستخلصْ من الرفاق ذوى الاشفاق، واعلمْ ان هذا المال هو لك مُدّخَر، ولتَصرّفك فيه مُنتظَر، وانما انا لك خازن، والله على أفعالك مجازٍ، وتيقّنْ ان المال هو عزّك فى الدنيا، وزادُك الى الأخرى، وان له وُجوهًا ومَصارف، وعَوارف ومَعارف، فاذا صُرف فى غير محلّه، ودُفع الى غير اهله، كان اثمًا ووبالا، وفى الآخرة عذابًا ونكالا، واحمقُ الناس، المستحَقُّ لنُزول البأس، مَنْ اكتسب المالَ حَلالا، وبذره فى الفساد يمينًا وشمالا، فادّخر به اثمًا وخَبالا، فصرفه على من لا يحمده، ويَفى عليه حسابه ونَكده، وانت اذا صَرفْتَ مالك ووزعْتَه، وفى غير مواضعه زرعْتَه، فانفقته على من لا يعرف فضيلتك، ولا يجْمل جميلتك، ولا يشكر لك صَنْعَك، ولا يَقْصد نَفْعَك، فلا يَجْلب لك سرًّا، ولا يَكْشف عنك ضرًّا، خرجتَ من عز الدنيا، وفُزْتَ زاد الاخرى، وهولاء الذين قبلك مُنْقطعين عن اليمين، وعن الشمال عزين، ثَمرةُ صُحْبتهم الندامة، وعاقبة أمرهم الخيْبة والملامة، والبُعْدُ عنهم غنيمةٌ وسَلامة، واذا كان الامرُ كذلك، فإيّاك يا وَلَدى ثم اياك، من صحبة هولاء الأحداث، والتلوّث بقربهم فانهم أخباث، واحتفظْ بصوْن مالك، ولا تُنفقْه الا على نفسك وعيالك، وفيما يبْقى ماء وجهك فى حالك ومآلك، ولا زال ابوه ينبّه عنانه، بقدر طاقته وامكانه، يُذكّره هذه الوصيّة، بُكْرةً وعَشيّة، حتى ادركتْه المنيّة، وخلّف ذلك المالَ العَريض، لذلك الوَلد المربض، فمدّ يَدَه كما كان الى كل مَفْسدة، ونسى يومَه وغَدَه، وشرح فى متن ميدان اللّهو، وكرّر ذلك الحديث من كتاب فقه الزَّعْو، باب الانجاس وسُجود السَّهْو، واجتمع عليه قُرناء السوْ، وخَلا له ولهم الجَوّ، فباضوا فى الفساد وصفّروا، وغابوا عن الرشاد وما حَضّروا، وصاروا يعظّمونه، ويكرمونه ويحترمونه، فاذا كذب صدقوه، واذا ضرط شمّموه وشمّتوه، واذا نَهَق طرّبوه، واذا اخطا صوّبوه، واذا قعد قاموا، واذا قام قاموا، يفدونه بالمُهج والأرواح، ويلازمون خدمتَه فى المساء والصباح، وكانت له امّ مُدبّرة، عاقلة مفكّرة، فقالت له يا بنى، لا تكن صَبيًّا، وتذكّر وصايا ابيك، واياك ومن يليك، وتامّلْ ما لديك، فاحفظْ ما لك وما عليك، ودبّرْ معاشك، وصُنْ ماء وَجْهك ورياشك، واعلمْ ان اصحابك، وعشراءك واحبابك، وندماءك ورفقاءك، واخصاءك واصدقاءك، كلّهم عَبيد البطن، وكوديقات بذى

شَبَق أَحَدُن، لا خير عندهم ولا مَيْر، وجميعهم كُسَيْر وغُوَيْر، فاياك وايّاك، وصحبة مَنْ لا تتولاك، لا تَرْكَنْ الى صداقتهم، ولا تعتمدْ على موافقتهم، ولا تتلمّسن الى مرافقتهم، فانهم في الرخاء ياكلونك، وفي البلاء يتركونك، والى محاليب القضاء يُسلّمونك، راسُ مال محبتهم ما في يديك، واساس بُنيان مودّتهم ما يَرونه من النعمة عليك، فان قلّ والعياذ بالله ذلك قلّوا، واحلولك في عَقْد النوائب مربوطًا واحلّوا، وافلّ الاقسام، يا ذا الأَصْل السامر، ان تجرب اصحابك، وتختبرَ من يلازم بابك، ويُقبّل بشفاه المودّة اعتابك، في شي نابك، اعجَزَ عن حَلّه نابك، من حوادث القضاء، او في حانة من أَحْوال الغَضَب والرضاء، او السَّعَة والضيق، او تكذيب او تصديق، فمن وجدته ناصحا صادقا، او مُناوعًا مصادقا، وفي كل الاحوال مُوافقا، وفي الرَخاء والشدة مرافقا، يُونف به في الغيبة والحضور، وحالتَي السرور والشرور، يُودّي الامانة، ويجتنبُ الخيانة، ويَغارُ على دينك وعرضك، ويُساعدك على ادآء سُنّتك وفَرْضك، فاركنْ اليه، واعتمدْ في امورك عليه، ومن وجدته منافقا، وفي اخلاصه مماذقا، يَنْسج شقّة الوداد بوجهين، ويتكلّم كخايض المداد بلسانين، فلا تَقْرَبْه، ولا تصحبه، وعُدّ بُعده غنيمة، والخلاص منه نعمة جسيمة، وانظرْ بعين التبات، ما في هذه الابيات، من حُسْن الصفات، فان كان بها متصفا، فتمسّكْ باذياله فانه من اهل الصفا، وهي شعر

وقد قيل قولُ المرء يَكْشِف عَقْلَه ... ويُبدي سَجاياه وما كان يكتُمُ
فهذا كلامي مُظْهِرٌ ما اكنّهُ ... واكثرُ هذا الخَلْق عن عَيْبهم عَموا
فمن شِيمتي أنّي مطيعٌ لصاحبي ... وأصفح عن خَصْمي وان كنت اخصُمُ
وارضَى لنفسي دون ما هو حقُّها ... وألزمُها للخلّ ما ليس يَلْزَمُ .
اذا قال أُصْغي للمقال وانّني ... لاعلَمُ منه بالمقال وافهَمُ
ولم أَشْكُ من خِلّ لئلا يملّني ... ومَنْ لي بخلّ لا يَملّ ويَسأَمُ
وافتَحُ في بَحْثي وان كنتُ غالبًا ... واسكُتُ حتى قيل ذا ليس يَعْلَمُ
لابْقى وُدّ الناس كيلا أُضيّعَه ... ومن لم يُدارِ الناسَ يُرْمَى ويُرْغَمُ
وفي كلِ ذا تَقْوَى الاله شعائري ... ولا بُدّ من لا يتّقي الله يَنْدَمُ
ولا نَقْصَ في عَقْلي واسْباب رَفْعَتي ... وأنّي وانّي بالكمال مُكَرَّمُ
ولي هِمّةٌ يَسْمُو الى الاوْج قَدْرُها ... ولكنّ خمولُ المرء للدين أَسْلَمُ
ووَجْه اعتقادي مثل عِرْضَيَ ابْيَضُ ... ودِيني مَتينٌ واعتمادي مُقَوَّمُ
وحَسبي من دنياي قُوتٌ وخِرْقَةٌ ... تبلغني آنار من قد تَقَدّموا
فهذي عزيزات لدىّ وانني ... لأَدْعُو الى هذا الخصال واعزَمُ

فاقرَ هذا الكلامُ فيه، وتامّل ما تضمّنته فحاويه، ثم اراد ان يجرّب مُلازميه، ومن هو بروحه وجسمه يفديه، فقال يوما من الايّام، وقد اجتمعوا على منادمة المُدام، اتفق امر عجيب، وشان غريب، وهو انه كان عندنا هاوُن، في زاوية مُخزّن، زنته رُبعُ قنطار، أُتي البارحة عليه النهار، فقرضَهُ وأكَلَه، وعَمّه بالأكل وشمّله، فلم يُدرَكْ من ذلك النحاس في مكانه، الا ما فضل من دُقادة أعتراسه وأسنانه، فترشّفت ثغورُ آذانهم مَنْطقه، واستحلى كُؤوسها كلٌّ منهم وصدّقه، وقالوا هذا وقع بغير شكّ، لان الهاوُنَ كان فيه ودك، والفارُ اسنانُه باضعة، واضراسه كجن حرافيش بغداد قاطعة، فلما راى انهم واثقوه، وصوّبوا كلامه وصدّقوه، ازدادت فيهم محبّته، وقويت بهم رُغبته، حيث رفعوا رَيْبَه، وسرّوا في جَيْب مكنونهم عَيْبَه، وحققوا مُحالَه، وصدّقوا مَقالَه، فاسْرَع الى امّه فرحا، مسرورا مَرِحا، محبورا منشرحا، وقال لها يا امّاه، وأي هَنْتاه، انثري كلامَ اصحابي، واخبري مظلمَ أحبابي، ذكرت لهم كلاما باطلا، ومن حلْبة الصدْق والامكان عاطلا، فحققوه بلا مرية، واثبتوا حقيقته من غير فرْية، وصاغوا له من جواهر الصدق أبهى حلْيَة، وذكر لها ما جرى لهم وله، من الجنون والخباط والوَلَه، فقالت امّه يا وَلَدي، ومُهْجَةُ كَبدي، هذا امرٌ يُضحك عليك منه الجاهل، ويبكي على حالك الحالك منه العاقل، كما قيل

امورٌ تُضْحِكُ السُفَهاءَ منها ... وتُخْشَى من عَواقِبِها اللبيبُ

اعلمْ ايها الذاهل الغافل، انك لستَ من اضحابك على طايل، وهولاء اعداء، ش صورة ارتاء، وهم في التمثيل، كما قيل، شعر

اذا امتحَنَ الدنيا لبيبٌ تكشّفتْ ... له عن عَدُوٍّ في ثياب صديقِ

ونبقن ان هولاء في النعمة خدّاعون، وفي النقْمة لَذّاعون، وانت شابٌّ غريرٌ، وبأعقاب الامور غيرُ بَصير، لا مارستَ الخُلُق، ولا فرّقتَ الصادقَ من ذي الأُلُق، ولا خَبَرتَهم، ولا سَبَرْتَهم، ولا دخلتَ مَداخلهم، ولا مبّزتَ خارجهم وداخلهم، انما الصديق الصادق، والرفيق الفايق، من بصّرك عُيوبَك، وغفَر لك بعد نصيحتك ذُنوبَك، فاطلعك على حقايق الاشيا، ونبّهك على ما خفي عنك من امور الدنيا، وارشدك الى ما يزينك، ويُصْلِح به دُنياك ودينك، وايّاك ان تصحك، لا من اضحكك وقهقهك، واما الذي يدلّس ويلبّس، ويُوَسْوِس ويُنَوّس، ويُروّج الباطل، ويُجلّي العاطل، فذاك ليس بصديق، على التحقيق، وانما هو عدوّ، فلا يكنْ لك معه قرارٌ ولا هُدُوّ، فلم يلتفت الشابّ لرُعونة الشباب، الى هذا الخطاب، حيث كان مُصادما لغرَضه، غيرَ شاف لعلّته ومَرَضه، وقال صَدَقتِ من نَطَق، وفاه بالكلام الحقّ، من قلّ افشاء السرّ الى النساء فعْلُ الاحمق، ثم تركها ترغو، واستمرّ هو وافرانه بلهو، وداوَمَ تلك الحال، حتى اذنَتْ بنفاذها الاموال، وأبيعَ الرخيص والغال، فما استفاق من سَكْرته، ولا استيقظ من رقْدته، الا والاموال قد ذهبتْ، والديون قد ركبتْ، وهو ينشد، والى مذهبه يرشد، شعر

نَبِّدْ هَبوا في مَلامي أيّهُ ذَهَبوا ... في اللَّهْمِ لا فِتْنَةٌ تبقى ولا ذَهَبُ

الى ان ذهبت السكرة، وجاءت الفكرة، وتفتت الصفراء والبيضاء في الحمراء والخضراء، واصبح الملقى على الارض السوداء، أنعس من قوس الغبراء، واتعس من تحت الزرقاء، فتراجع عنه الاصحاب، وعاداه الاصدقاء والاحباب، ورجعوا عنه، بعد ما سئموا منه، وصار ناديه ينادي

كأنْ لم يكنْ بين الحجون الى الصفا أنيسٌ ولم يسمرْ بمكة سامرُ

وصارت صحبتهم له تكلفا، وزورتهم اياه تعسفا، فاتفق انه في بعض الايام، قال في أثناء الكلام، لاولئك الجمع بعينه، الذين كانوا أجمعوا على صدق مَيْنه، انفار الغدار، اكل لنا في الدار، البارحة رَغيفًا كاملا، فاني على اكله شاهد، فما ابقى منه لُبابه، ولا غادر من غدير وجوده صُبابة، فتنادوا في الحال، يا المُحال والكذب في الاقوال، انفارُ الضعيف، كيف يُكمل اكل الرغيف، وهو عاجزٌ نحيف، وتناولوه بالطعن، وتناوشوه بالسنة السب واللعن، وزيفوا أقواله، وسفهوا افعاله، وانما ذكرتُ هذا الكلام، يا ايمنَ غلام، واحسنَ من بدر التمام، لتعلم انّ اكثر من يدّعي صدق الصحابة، من ذوي المعارف والقرابة، انما دعواه كذابة

كمرثية جميل لا يدوم انسكابها

وان الشخص مع الناس، الأوغاد الاكياس، بمنزلة كوز الفقاع، ان راوا فيه حلاوة الانتفاع، استلموه بالايدي ورفعوه، وقبلوه ورشفوه، واذا صفوا محصوله وفرغوه، قتلوه ورشفوه، وتحت الاقدام طرحوه، ثم قال التاجرُ لولده، راحة روحه وجسده، فان كان من صحبتهم، وفي سفرك اكتسبتهم، مثل هولاء الاصحاب، فابّاك ان تفتح لهم الباب، وترفع دونهم الحجاب، فقال الولد، معاذ الله الواحد الاحد، يا ابتي عندي ثبت انهم بدور كمام، وصدور عدلام، يقومون لقيامي، ويصيخون لكلامي، ويجيبون ندائي، ويؤمنون على دعائي، وهم اخلاء في السراء والضراء، فقال ابوه اعلم يا ابني، وقرة عيني، اني عمرت سبعين سنة، وعاينت من الامور الحسنة والحسنة، وبلوت الاصحاب، وتلوت الاعداء والاحباب، ورايت الدنيا واعلاها، وقلبت وعرها وسهلها، ولم اترك من جنس بني ادم، في اكناف الآفاق واطراف العالم، من المسلم والكافر والعرب والعجم، نوعا لم اختبره، وصنفا لم أسبره، فلم يصف لي منهم على التحقيق، غير صديق واحد ونصف صديق، فانت يا بنيّ العزيز عليّ، كيف قدرت في هذه المدة اليسيرة، على استصفاء هذه الجماعة الكثيرة، وها انا ذا يا امام، أريك مصداق هذا الكلام، واطلعك من بين الاصحاب على ما لهم من مقام، ثم عمد الى شاة فذبحها، وبدمها في ثياب طرحها، ثم دمجها، وفي كفن ادرجها، فقال لابنه قم يا ذا الارتفاء، ارني هولاء الاصدقاء، واحدا بعد واحد، ليتحقق عيبُ غيبهم بالشاهد، وتعرف طرائفهم، وتتبين حقايقهم، ثم وضع الشاة في عدل، واخفى عن كل احد هذا الفعل، وحمل العدل على ظهر الغلام، وخرج ليلاً والناسُ نيام، وقصد احد الاصحاب، وطرق عليه الباب، فخرج مسرعا اليهم، وترامى متواضعا بين يديهم، واظهر البشر والسرور، والابتهاج والحبور، وبالغ في الاحتشام، والاكرام والاحترام، وشكر مساعي الاقدام، ثم بادر الى دعوتهم بالدخول، وتعاطى انجاح ما لهم من سؤل ومسؤل، فقال له الشاب يا زين الاصحاب، وعين الاحباب، دع التكلف، لسبق المقام، فقد دعتني

دهيشة، وعرّفني بليّة، واعظم بها قضيّة، ويا لها من رزيّة، فقال ما هي، وقيت الدواهي، فقال كان بيني وبين واحد من اهل الشقاوة، خصومة قديمة واسباب عداوة، اسمه معروف، وذكره موصوف، لشخص مفقود، لم يكن له حقيقة في الوجود، وهو من اكابر الزمان، واحد الرؤساء والاعيان، فتلاقينا في خلوة، وتداعينا ما بيننا من جفوة، وتنابشنا الاسباب، وتناوشنا باللعن والسباب، وتناولنا في الشقاق شوّ الاعراض، وفارت القلوب بالاغراض من الامراض، وتنقلنا من المكالمة الى المشاتمة، ومن المشاتمة الى الملاكمة، وترقّينا من الكفاح الى الجراح، فثارت النفس المشومة الى ايقاع حركة ذميمة، فضربته وجرحته، ثم اجتهدت عليه فذبحته، وتركته وقتيلا طرحته، ولم يشعر بنا احد، من اهل البادية والبلد، وندمت غاية الندم، وانّى يفيد وقد زلّت القدم، وجرى قلم القضاء بما حكم، ثم افكرت بمن استعين، على هذا الامر اللعين، فدار في خاطري كل مساعد ومعين، فلم يمل القلب الا اليك، ولا استقرّ الخاطر في ركونه الا عليك، وقد قصدت جنابك، ويممت بابك، اذ انت اعزّ مخدوم، فالسرّ عندك مكتوم، وها هو مقتولا، اتيتك به محمولا، فاحفر لهذه الجثّة عندك حفيرة، واخفني عندك اياما يسيرة، الى ان تطفئ هذه النايرة، وتسكن الفتنة الثايرة، وهذا وقت المروّة، وزمان الفتوّة، والقيام بحق الصداقة والاخوّة، فلما سمع ذلك الصاحب اللبوق، هذا الكلام القلوق، تضجّر وتضوّر، وتنكّد وتضرّر، وقال يا اخي بيني وبينك عتيق، مع انه حرجٌ مضيق، لا يسعُ اولادي، ولا زادي وعتادي، واذا ضاق عن الاحياء فكيف بالاموات، وهذه قضية من اوحش البليّات، واطمّها لا تخفى عن الناس، ويُدركها ولو بالفراسة الأغبياء فضلا عن الاكياس، لان قضاياكم قبل اليوم مشهورة، وبلغني انّ عداوتكم قديمة مذكورة، وفي التواريخ وصدور الكتب مسطورة، ولكم وافعاتٌ ونوازل، وله أبتسامٌ كانهم انرغب الجوازل، فاما انا فلا يمكنني الدخول فيها، ولا تعاطيها بوجه من الوجوه ولا تلافيها، فاكفني شرّ ضيرها، واندبني الى غيرها، وانّي اكتم سرّها، فلا تخاف من جهتي شرّها، فالحّ عليه فما افاد، ورد غير ظافر بما اراد، فلما أيس منه، تركه وانتقل عنه، ودار على سايز اصحابه، وذكر لهم مثل هذا الامر وخطابه، فكان جواب الجميع مثل جوابه، الى ان اتى على الجميع، واستوفى شريفهم والوضيع، وراى ما هم عليه من طبع بديع، وكانهم كانوا متواردين على شرب هذا الصنيع، فعاد الى راى ابيه، ورجع الى صحّة نبائه النبيه، فقال له حققت يا بدر الفلك، صدق ما قلت لك، وتبيّنت ماغبة أصدقائك، وحقيقة اوليائك، وانهم نقش حيطان، وزقش غيطان، وغمامٌ بلا مطر، واكمامٌ بلا زهر، واجامٌ بلا ثمر، قال نعم، قال نعم، يا زين الأحباب، اريك ما قلت لك من حقيقة الاصحاب، ثم دخلا الطريق، وقصدا نحف الصديق، وطرقا الباب، فخرج وتلقاهما بالترحاب، فعالا له ذلك المقال، وقصدا بمعونته للخلاص من ذلك العقال، فقال حبّا وكرامة، حللتما بمنزل السلامة، أنا بكم نشيط، وأملكم بي بسيط، غير أنّ علمكم محيط، ان منزلي غير فسيح، ولكن أدفن فيه هذا الذبيح، وليس لي فيه مخباة ولا مخدع، ولا ممكن في مطاويه ولا مصنع، فاخاف ان امركم لا يختفي، وانا بهذا المقدار في امركم لا اكتفي، ويدي لا تملك غيره، وقد وقعت بهذا السبب في حيره، وبالجملة والتفصيل، انا اكفيكما امر هذا القتيل، فعالا لا تقنع بذلك، ولكن سدّ عنّا المسالك، فقال توجّها حيث

شئتما، فلا انا سمعتُ ولا انتما قلتُما، فتوجّها الى الصديق الكامل، وذكرا له الامر الحامل، وقصدا لتلافيه كرمه الشامل، فقال أوَشيٌ غير ذلك، ودكما الله شرّ المهالك، ففالا لا الاّ دفن هذا المقتول، واخباء هذا الامر المهول، وان نكون تحت اذيالك الساترة، حتى تسكن هذه الفتنة الثائرة، فانّ اخاه يطلبونا، فان يجدونا يسلبونا، ولا يرضَونا الا بالدمار، وخراب الديار، ولا يقنعون بالمال والعقار، وهذه قضيّة عظيمة، وداهية جسيمة، فان كنت تتّهض باخفائها، ونسعى فى اتلافها وحَمْل اعبائها، فقد قصدْناك، ودونَ الاصحاب اردْناك، وان عَجزْتَ عن سدّها، فلا عَتْبَ عليك فى ردّها، فلا تتكلّف فوق طاقتك، ولا تتجشّم لاجْلنا غير استطاعتك، فقال سبحان الله واسوتاه هذا يومُ المروة والوفا، وتذكّر رسايل اخوان الصفا، لكم الفضل اذ قصدتمونى، والجميلة التامّة حيث اردتمونى، امَ والله لو كان الفُ قتيل لواريته، ومهما كان من امر غيره جاريته، وداريته، ولا يُسْمع ابدًا خبره، ولا يرى عينه ولا أثره، واما انتما فاقديكما بروحى واولادى، وطريفى وتلادى، وعندى دارٌ انزهُ من جنان الأبرار، وأفسحُ من جنان الأحرار، فادخلوها بسلام آمنين، فانها تشرح كل قلب حزين، فلو اقمتم بها سنين، لما شعر بكم احدٌ من العالمين، فيها أرغبُ نديم، واقربُ خديم، واحسن جليس، وانمنُ انيس، فلنْ تملّوا مقامها، ولا تعدموا اكرامها، وانتم عند من لا يملُّ ابدًا نزيله، ونكم فى ذلك كلّه الفضل والجميلة، قال التاجر شكر الله سعيك، وحفظ على اصحابك مودّتك ورعيك، ثم اطّلعه على اصل القضيه، وامورها المكتومة المخفيه، وقال اردتُ ان أطّلع ولدى على حقيقة الاصحاب، وكيفيّة اتخاذ الاصدقاء والاحباب، ثم ودّعه وانصرف، وقد عرّف ولدَه من حقيقة الامور ما عرف، ثم قال لولده يا بنىّ، وأعزّ عندى من كل شئ، انْ اتخذتَ الصديق، فليكنْ صديقُك على هذا الطريق، والاّ فالانفرادُ احسن، والعزلة اوْفقُ ان امْكن، كما قيل شعر

فَانْ حِبّى كُلّ الملاح كمالاً هكذا فكذا والاّ فلا لا

ثم ان الملك قال لولده يا ذا الافضال، ان غالبَ اصحابى من الامرآء، وعساكرى من الرؤساء والكبرآء خصوصًا فلان، اميرُ ممالك خراسان، هو من هذا القبيل، وانا عوّدتُهم على هذا الخُلق الجميل، فكونوا فى الحقيقة، متمسّكين باسباب هذه الطريقة، فلما اكمل وصيّته اولادَه، جعل فى سفره عتادَه، ذكرَ الله وزادَه، ثم ودّعهم من دار الشرور، وانتقل الى دار الحبور والسرور، وقد عهد الى اكبر اولاده، واستودعهم القاهرَ فوقَ عباده، من لا تخيبُ الودايعُ لديْه، ولا يضيع من توكّل عليه، فسمعوا الوصيّة واطاعوا، وتعلّقوا بأهداب آدابها فما ضاعوا، واستمروا تحت أمر أخيهم، كما كانوا فى حيوة ابيهم، كانّ اباهم ما مات، ولمْ نَقعْ ببنهم شتات، فدام لهم السرور، وانحسمت عنهم مَوادّ الشرور، وأشرقتْ ممالكُهم وأملاكُهم، ودارت بالسعود أفلاكُهم، ثم ان الحكيم حسيب، انتقل فى كلامه العجيب، بعد فراغه من حكم ملك الاعاجم، الى فوايد ملك الاتراك والأغنام، فشنّف المسامع، وشرّف كل راو وسامع، وشرع فى القال والقيل، وحسْبنا الله ونعْم الوكيل، والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمّد واله وصحبه اجمعين، وسلّم تسليما كثيرا الى يوم الدين

الباب الثالث

في حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النسّاك

قال الشيخ ابو المحاسن حسّان، صاحب الحسْن والمحاسن والاحسان، ثم نهض الحكيم حسيب، الاديب الاريب، ووقف في مقام حمده، وقبّل مواطئ اخيه بشفاه خدّه، وقال ولقد بلغني ايها السلطان، ان في قديم الزمان، كان في التُرك ملك يسمّى خاقان، من الملوك العادلين، والسلاطين الفاضلين، برَسْم العدْل مَعْروف، وبقَصْم الجَدْل موصوف، كسر الاكاسرة، وقصر القياصرة، وزجر الجبابرة، وفغر فَمَ الدُعاء والثناء له الفغافرة، ملك بلاد الختن والخطا، واستولى على ممالك المغل والجتا، واطاع اوامرَهُ الترك والتتار، واستسلم لمراسيمه سُكّانُ الدشْت والقفار، فكان ياجوج من جُملة خَدَمه، وماجوج من بعض عبيده وخشَمه، وكانه وارث، ذربة يافث، فقوى في أخْذ المُلْك من ممالك الصين، فاخذ الى اطراف الشمال باليمين، ولم يكنْ له من البنين والبنات، مع كثرة السّراري والزوجات، سوى بنْتٍ واحده، لَمْلَعتها الاقمار ساجده،

شمسٌ ولا كالشمْس عند زوالها بدرٌ ولا كالبَدر في نُقصانه

بل بهَرت الشمسَ جَمالا، والبَدْرَ كمالا، وفاقت ملاح الدنيا شمايل وخصالا، وهي عزيزةٌ على قلب ابيها، كريمة على خولها وذويها، فصارت ملوكُ الأطْراف يخطبونها، ومن ابيها يطلبونها، فكان ابوها يفوّض الامرَ اليها، ويعتمد في تزويجها عليها، وهي لا ترغَبُ في طالب، ولا تُصْغي لخُطْبَة خاطب، الى ان عَنسَتْ، وخُطّابها أيسَت، وكان ابوها كما ذكر ذا فطْنة بالغة، وهيبة دامغة، فاختشى حَوادثَ الزمان، فاختلى بها في مكان، وقال اعلمي يا معدنَ اللطائف، ان البنت في منزل ابيها كالماء الواقف، ان مكث يأسَن، وان لم يستعمل أنْتَن، ولا اقول ذلك ملالا، ولا عُجْزا ولا استثقالا، بل لا بُدّ للمراة من زوج يَلُمُّها، ويستُرها اذ يَضُمُّها، ونعْمَ الختَن القَبْر، وأحْلى من البنت المقبْر، فان رايت الرَغْبَة في الزواج، تلبثُ لك كُفوا من الأزواج، وكان ذلك استَرَ لعرْضك، وادنى لاعمة سنتك وفَرْضك، وافرغ لخاطر ابيك، واشرَح لخدَمك وذويك، فقالت احسنَ الله الرحمن، الى مولانا الحنان، وكفاه كلّ جان، من الانس والجانّ، ان البنين من جُمْلة النعَم، والبنات من عداد النقَم، ونعْمَ الدنيا عليها الحساب، ونقْمها سَبَب للأجْر والثواب، ذلّ رب الارباب، فيما انزله من خطاب، في محكم الكتاب، المالُ والبنون زينةُ الحيوة الدنيا والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربّك ثوابًا وخيرٌ أملًا وقد جاء في بعض التفاسير ان الباقيات الصالحات، هن البنات، ومولانا الملك يَعُدّ وُجودي، نعمةً عليه من معبودي،

واسئل الصدقات الملوكية، والمراحم الوالدية، ان لا يعجل في امر تزويجي، والمبادرة كيف ما اتفق الى تزويجي، فان التامل في ذلك أولى، واكثر ثناء في الدنيا وثوابا في الاخرى، وذلك لان الكفاءة في الزواج معتبرة، وقد قرر ذلك الفقهاء البررة، وان لم يكن الزوج للمراة كفوا، فزواجها به بقع شخرية وهزوا، ولا يفيد سوى الغرامة، والفضيحة والندامة، فقال الملك لا أزوجك الا بكفوء كريم، يكون لك اذنى خديم، وعلى الناس اعلا عظيم، قالت يا مولانا الملك، وقاك الله شر المهمك، لا تحمل أعتراضي على الاساءة، وانما اسئل عن كيفية الكفاءة، فان كانت بالملك والمال، فان ذلك في معرض الزوال، وان كانت بانشاب الأنساب، فان ذلك ايضا خطاء لا صواب، قال منزل الكتاب، العزيز الوهاب، فاذا نفخ في الصور فلا أنساب، وقال من لا يجوز عليه كذب، من بطا به عمله لم يسرع به نسبه، واما الفقهاء حكموا بالظاهر، والله متولي السرايز، ونحن في قيد الانقياد، لا يسعنا الا ما امر به الشرع وأراد، واما انا فكفوي الكريم، انما هو الكامل الحليم، الفاضل الحكيم، قال الملك بارك الله في رايك وعقلك، انا ما ازوجك الا بملك مثلك، وابن ملك مثل ابيك، يرعاك ويكرم خدمك وذويك، يعدل بالسوية، ويحكم على ساير الرعية، قالت ايها الملك الكبير، واهب التاج والسرير، انا ما اعرف الملك، الا من يملك، الحكم على نفسه في سيره، ويكون متمكنا في الحكم على غيره، فيصح ان يقال في ملكه ذي الجلال، من الكمال والجمال، خلد الله سلطانه، وشيد اركان ملكه وبنيانه، قال الملك ومن هو ذاك، بارك الله فيك وهداك، قالت اما الحاكم على نفسه، فهو الملك لزمام جوارحه وحسه، قد جعل خزائن القلب والسمع، معدنا لجواهر العقل والشرع، فمهما اقتضاه العقل امضاه، وعمل بمقتضاه، وما ارتضاه الشرع وقضاه، كان فيه انقياده ورضاه، قد تحلى بعقود مكارم الأخلاق، ولو كان في أسمال أخلاق، وأشغل نفسه بتهذيبها، واجتهد في خلاصها من شرك عيوبها، واهتم بعيوبه، عن بعيده وقريبه، وبغيضه وحبيبه، فذاك الحاكم على نفسه، المتميز عن بني جنسه، واما حكمه على غيره، فهو ان يكون في سلوكه وسيره، منعزلا عن الناس، في زوايا اليأس، لا يسأل عن احوالهم وعيوبهم، ولا ينظر الى ما تحت ايديهم وجيوبهم، مانعا زمام العزلة، متنعما بهذه النعمة الجزلة، قد اتخذ التقوى والقناعة، احسن حرفة واربح بضاعة، قد سلم الناس من يده ولسانه، لا يدري بشانهم ولا يدرون بشانه، فذاك الحاكم على غيره، الفائز من ملك الدارين بخيره، فهو الذي خلد الله ملكه وسلطانه، وأوضح على العالمين برهانه، فان وجد بهذه الصفات موافي، فانه لي كفو مكافي، وانه كالبدر جلى، وفي الفخر علي، وفي الصدر لي ولي، فان أنعم الزمان بمثل هذا منالا، فنعم ونعم والا فلا لا، فجعل ملك الختن، يتطلب مثل هذا الختن، وارسل الفصاد الى اطراف البلاد، يسألون سكان الاكناف، وقطان الأطراف، عن موصوف بهذه الاوصاف، واستمروا على ذلك مدة، كل باذل جهده، حتى ارشدوا بعد زمان، أن المكان الفلاني به فلان، رجل اعرض عن جواهر العرض، فلم يكن له في الدنيا غرض، وهو بحسن الفتاه موصوف، وفي كرخ العبادة والاجتهاد معروف، جامع لهذه الصفات، ليس له الى الدنيا واهلها التفات، مشغول بانتساب الآخرة، وطلب نعمها الفاخرة، وهو من نسل الملوك، وقد ترك وراءهم السلوك، وسلك في العلم والعمل السبيل الاقوم، حتى كانه محمد بن الحسن وابراهيم بن ادهم، ولشدة ما هو لنفسه مجاهد، سماه الناس بالملك الزاهد، فاجتمع الخاقان على مصاهرته،

وجعل التقرّب اليه قُربةً لآخرته، فاخبرَ ابنتَه به، وكان حُلّ مشكلها ومشكوبها، وعقد بينهما النكاح، وحصل الصلاح والفلاح، فوافق شنٌّ طبقةً، وصار لعين مرامها كالحدقة، ومضى على ذلك برهةً، وهما فى طيب عيش ونزهةً، فاشتاق الخاقان، فى بعض الازمان، الى رؤية ابنته، وسرور مهجته، فامرَ داره، وقصد مزارها، لينظرَ حالها، وما سبا عمّا عليها وما لها، فوجدها فى عيش هنيّ، وامر سنيّ، فسألها عن احوال زوجها الزاهد، وكيف صبرها على عيشه الجامد، فاثنت خيرا، ولم تشك ضررا وضيرا، وذلت جميعَ ما يُذكره وبانيه، على حسب ما اربده وارتضيه، وارتفعاتُ احوالنا بسعادة مولانا فى دفاتر الامن منضبطة، وعقود حمولتنا بيمين صدقتك فى محور الرفاهية غير منفرطة، غير ان بيتنا واحد، وبسبب ذلك يتضرّر هذا العابد، فيه نبيت ونقيل، وحوانبه ما لنا من خفيف وثقيل، وقود ونفود، وخادم ومولود، فلا يتفرغ من الغوغاء للعباده، لانها تستدعى عزلة العابد وانفراده، وخلسة لمناجاة معبوده، ليظفر من حلاوة الطاعة بمقصوده، فاسأل احسان مولانا الخاقان بمنا يتخلى فيه للعبادة، ومكانا نضع فيه خرقتى البيت وعتاده، فقال حبّا وكرامة، وقربى وسلامة، ثم اجتمع الملك بصهره الذى به فاخر، وذكر له انه أعطاه بيتا اخر، أحدهما يكون لخلوته ومبيته، والاخر يضع فيه ما يحتاجه من عتاده وقوته، فقال الزاهد، ابها الملك الماجد، لو فعلتَ ذلك لتقسّم خاطرى، وتوزّع فكرى وسرايرى، ولا طاقة لى ان انعلّق بمكانين، وما جعل الله لرجل من قلبين، وانما الزاهد، من همّه فى الدنيا واحد، فانه على عدد التعلقات، يتوزّع القلب الشتات، واذا تعددت الاماكن، يحتاج كل منها الى ساكن، او حافظ او ضابط، او حارس او رابط، وانا لا اعتماد لى، بحفظ نفسى ايها الولى، فكيف يكون لى اقتدار، على حفظ الاغيار، واذا تقسمت أفكارى وفسد بالى، فكيف اقتدر على اصلاح حالى، وانّى يصلح مع فسادى، امورُ معاشى ومعادى، ثم انى اذا وزّعتُ نفسى، فقد نبّهتُ راقد حرصى، والحرص افعى قاتل، واسدٌ صايل، يقتلنى بسمه، بل بمجرّد شمّه، فقال الملك الكبير، لا تهتمّ لذلك ايها الزاهد الخطير، فان لى اماكن عديدة، وقصورا مشيدة، وحواصل مصونة، وخزائن مكنونة، الكلّ تحت تصرّفك واختيارك، لا منازعَ لك فيه ولا مشارك، فاجعل لكلّ جنس من قماشك، واثاثك ورياشك، وما يفوم بأودك ومعاشك، مكانا على حدّه، وناحية حفظ منفردة، واتخذ لنفسك مقاما، خاصّا بك لا عامّا، وانا اقيم على كل مكان حارسا، ان شئت راجلا، وان شئت فارسا، فعند احتياجك الى شى، اتاك قيّما ميسّرا من غير كدّ وعنّى، وتفرّغ انت لعبادتك، والاشتغال بامور آخرتك، وأقبل على ربّك، بجوارحك وقلبك، قل الزاهد، ايها الملك الماجد، الاغترار بالقصور، من جملة الفصور، والاعتماد على الجنان، من دواعى الجنان، واذا ورد من الملك الغفور، نلب على يد بريدى القبور، فما ذا تجدى الدور والقصور، وما ذا تنفع الحصون، او يدفع كل مكان مصون، وعند حلول ذلك الخطب المهول، تودّ النفس لو كانت القصورُ الممرّدة، والبروج المشيّدة، اذلّ من أقحوص قطاة، واقلّ من عشّ بزاة، وقد قيل، ايها الملك الجليل شعر

قمبلش من القطن من حلّه ... وشربة ماء قراح وقوت

يذلّ به المرء ما يرتجى ... وهذا كثير على من يموت

واعلم ايها الخادن، ان النفس لها خادمان، مُطيعان مُجيبان، لما تامرُ به سَمعان، وهما الشَهوة، والحِرص الشديدُ الدَعوة، اما الشهوة فزايدُ الاكل الكثير والشُرب، واما الحِرص فقايدُ الرَعونة والعُجب،

فهذا يقود الى تَبْعه وهذا يسوق الى رَبْعه

فهما ليلا ونهارا، وسرًا وجهارا، يزينان لها ما طبعا عليه، ويجذبانها الى ما خيل اليه، ويتقاضيانها حقهما، ويطالبانها مستحقهما، ولا بدّ للمخدوم من اقامة أود خادمه، واسترضاه انيسه ومُنادمه، وقد قال، من أنفَن المقال، شعر

ان الحبيب وانت ذاك هو الذى مع تيهه يَجْنو على عُشاقه
وكذا الرئيس وانت اكبر جِنْسه من فاصّ فى الخدّام من ارزاقه
يَهْتَمّ ان حَضَروا لهم بنوالِه يَغْتَمّ إن غابوا على أشواقه
مَع انّ حِشْمَتَه وفايضَ علْمِه تَرقى بكلّ مُنْتَهَى استحقاقه

ولكن رضى هذين الخادمين غاية لا تُدْرَك، ومَدَى قَعْر مقصودهما نهايةٌ عميقةٌ لا تُملك، وقد قال سَيّد الانام، عليه افضلُ الصلاة واتم السلام، يومًا وهو بين الاصحاب، كالشمس ليس دونها سحاب، والبدر لا تَحْجبه حجاب، ولا يملا جَوْفَ ابن آدمَ الا التراب، فالحِرص مُهلك والشهوة قتلة، وكل منهما فى الخسار والبوار علّة كاملة، وناهيك يا ذخر الحق وغياثة، اخبار اللصوص الثلاثة، فطلب الملك من الزاهد، ايضاح هذا الشاهد، فقال ذكر اهل الورانة، ان لصوصا ثلاثة، كانوا على سبيل الاشتراك، منعاطين اسبابَ التحرّم والهلاك، واستمرّوا على ذلك مدّة، حتى استولوا من الاموال على عدّة، ففى بعض الليال، ظفروا بجماعة من المال، ودخلوا الى مكان داثر خال، بفيّه الانفسام، وكانوا محتاجين الى الطعام، فوجدوا فى ذلك المكان الداثر، صَنْدوقًا مملوءا من الجواهر، ففرحوا وانشرحوا، وتصوّروا اوليك الخاسرون انهم ربحوا، فقالوا ان اشتغلنا بقسمة هذا المجموع، اكلنا وأهلكنا دلهب الجوع، فلاولى نَلَبُ الطعام، قبل الانفسام، ولو بادنى انتهام، ويسير التقسام، ثم ارسلوا احدهم الى المدينة بورقهم، ليباتيهم بما يَسُدّ من رَمَقهم، فلما انفصل عن مكمنهما، وغاب عن اعينهما، تحرّكت نفسه الخبيثة، بشهوة اخبث نارتة، وقوّاها الحِرص المشوم، لشدة الشره واللوم، ودعاه داعى الفساد، الى الاستيلاء على المال بالانفراد، فعزم على خَتْلهما، فوضع فى الطعام سمًّا لقتلهما، واما هما فعلى قتله عزما، واستعدّا لذلك بعد ما جَزما، ليصيرَ المال بينهما نصفين، ويصيرا فى ذلك كالأخوَيْن الالفيْن، ويكون ذلك كانه ورانة، لان شرّ الرفقاء ثلثة، ولم يَدْعُهما الى ذلك غير داعى الشهوة، واكّد ذلك داعى الحِرص وأحسّ بها دَعْوة، فلما وصل ذلك بالأكل، بادرا اليه بالقتل، ثم بعد ما قتلاه، عمدا الى الطعام فاكلاه، فبردا فى الحال، وتركا ذلك المال، ولحقا صاحبيهما المنتقل، وشيّبا تليد المال والطارف، وانما اوردت هذه الموعظة، لانها على احوال الدهر موقظة،

وان كان مولانا الخاقان، في امور داريه بقطران، لكن قد قال ربّ العالمين، وذكّر فان الذكرى تنفع المومنين، واعلم ان أعدى عدوّك بين جنبيك، وهي نفسك التي قتل ما ركنت اليك، فعاص هواها، ولا تعطها مناها، فان في اتباعها الندمُ عاجلا، والخسران آجلا، لا بعليل تُقنع، ولا بكثير تُشبع، ولا تظنّ انها اذا اعطيتَ مُناها شكرتْ، او اذا ذرّيتَها من براها ذكرتْ، بل متى امتنيا كفرتْ، او انسيتها نفرتْ، او ارخيتَ عنانها بطرتْ واشرتْ، وان نالت مطلبا، او تناولتْ مأربا، انتقلتْ عنه، وطلبتْ اعلى منه، فليس لها دوآء الّا القمْعُ عن دواعي الهوى، كما قيل شعر

النفسُ راغبة اذا رغّبتَها ... واذا تُرَدُّ الى قليلٍ تقنعُ

وكما قيل ايضا

وما النفسُ الاحيث يجعلها الفتى ... فان سَلَتْ تاقت والا تسلّت

واياك وطولَ الأمل، فانه مفسدة للعلم والعمل، قال الحكماء وعقلاء العلماء الامل شبكة الشيطان، ومُوجب الحرمان، فاجتهدْ ما دام لك على النفس مَلَكة، ان تُخلّص نفسك من هذه الشبكة، ولا تهتمّ للأفوات، فكل ما قُدّر فيه فوات، وكلّ ما هو آت آت، وكل ما رقمه القلمُ في العدم، وانبمه قضاء الله تعالى عليك وانت في العدم، سوآء كان خيرًا او شرًا، او نفعًا او ضرًا، فانت ملافيه، وعلى كل حال مواقيه، فاقنعْ قوانعَ القمع، عمّن لا يضرّ ولا ينفع، الى مَن ان شاء ضرّ وان شاء نفع، ولا تجتمع بعبيد مثلك الا في الجماعات والجُمع، ولا تنفيدْ بجوع وعُرى وانتسبْ وشبع، فقد قيل اذا شبعتَ فلا تهتمّ للجوع، فكم من شبعان مات قبل ان يجوع، واذا انتسيتَ فلا تهتمّ للعُرية، فكم من مُكتسٍ مات وثيابه جديدة مطوية، واعلم ان تتبّع الدنيا المخالفة، كانها على المخالفة محالفة، فاذا صممتَ عنها بذلك اليك، أقبلتْ عليك، وجاءت تهوي تحت قدميك، واذا طلبتَها هربتْ منك، وكلما ارتبطتَ عليها احلتْ عنك، وقد قيل، ايها الملك الجليل

مَثَلُ الرزق الذي تطلبهُ ... مثل الظلّ الذي يمشي معك

انت لا تدركهُ متبعا ... واذا ولّيتَ عنه تبعك

ثم اعلم ايها الخاقان، انك بمنزلة الجمان، وان هذه الخلايق رعيتك، فاقذه فيها بسهام مراسيمها فشيبتك، وانك في الحقيقة واحد منهم، لا تزيد بشيء في الذات والصفات عنهم، ولكن الله القديم، العالم الحكيم، وهو سلطان السلاطين، بل خالق الاولين والاخرين، رفعك عليهم، وتقدّم بامره ان يُطيعوك اليوم، فعال من له الخلق والأمر، اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر، فهم قد اذعنوا لك واطاعوك، فراعهم كما هم مراعوك، واطلب منهم اسنى المراعي واعدها، واوردهم اعذب المشارب واصفاها، فان الملك الذي سلمهم اليك، سوف يتقدّم بالسؤال عنهم لديك، وقد قال من انت خليفته على امته، كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فكن لهم كما تريدهم ان يكونوا لك، ودن لديك بهم يدنوا لك، واعلم ايها الملك المودود، ان هذه العهود، ان لم تتصرف في مصارفها، وتُزفّ من وجوه المطاعة في مطارفها، فانها جمرٌ تضرم، في نار جهنم، كما قال من يقول للشيء كُنْ فيكون يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم

فذوقوا ما كنتم تكنزون اسمع ايها الملك الصالح نصيحة مشفق ناصح، ولا تغترّ بالدنيا وزينتها، ولا تنظر الى حلاوتها وخضرتها، وايّاك والميل الى زهرتها ونضرتها، فانك ان ملكت اليها اسرتك، او جمعتها بادركون اليها كسرتك، وحسبك اى اعدل فقور، كفاك الرب الغفور، ومن بيده مقاليد الامور، ان وعد الله حق فلا تغرّنكم الحيوة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور، قال الراوى، فبهذه الحكم والفتاوى، فلما وعى خاقان الختن، هذه النصايح الصادقة النافعة من الختن، امر بها فسطرت، ثم نشرت وشهرت، وعلى المنابر قريت، وعلى رؤس الاشهاد ذكرت، وابلغها ابنه وقرر لها مقدار زوجيها وحكمته، وميّله عن الدنيا ورغبته، فقالت هذا الذى كنت اردته، وعلى مسامع مولانا الخاقان سردته، ثم انها اقبلت على طاعة ربها وبعلها، واصلاح احوالها فى قولها وفعلها، وقضيا عمرهما فى أنواع العبادة، واكتسبا بطاعتهما فى الدارين الحسنى وزياده، ثم اقتدى بهما الملك وعسكره، حتى انتشر فى آفاق الممالك بالعدل والصلاح خبره، الى ان اندرج الى رحمة الله تعالى ذلك البعيل، وبقى ذكره مخلدا على صفحات الايام جيلا بعد جيل، وقد قيل فى ذلك احسن القيل،

كانوا شموسا تضىء الدهر نائهم ... وفى شروق المعالى يقتدى بهم

غابت فلو لا ثناهم كالبدور أضا ... من بعدهم ناء اهل الفضل فى الظلم

فكذا يكون طالب السعادة الابدية، والكرامة السرمدية، اذا وافاه الله تعالى زمام الرعية، ان ساد فى الدنيا، يتيقظ لتحصيل السعادة الاخرى، واشتغل بما يرضى عنه المولى، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم تمت بحمد الله تعالى نوادر ملوك العرب والعجم والافراد، ويليه ذلك مباحث زاهد الانس العالم مع شيطان الجن الاثيم الافاك، ونسأل الله ونعم المسئول، ان يحقق لنا من كرمه واحسانه السول، ويعصمنا بفضله عن عثرات الفضول، والصلوة والسلام على اعظم نبى واكرم رسول، وعلى آله واصحابه واتمر بالتقديس والفاروق وذى النورين وزوج البتول، واخوانه من الانبياء والمرسلين صلوة وسلاما دايما ابدا تسلمانا بالعفو والقبول، ونمن من الكرم والفضل على قلوبنا بالوصول،

الباب الرابع
فى مباحث عالم الانسان مع شيطان العفاريت وجانى الجان

قال الشيخ ابو المحاسن، مَن طَوَّدَ علمه على ميدان الفضل اشمخ راس، فلما انهى الحكيم حسيب، ذو الفضل النسيب، ما طرزه ممّا هو ناسجه وحاك، وفصّله خيّاط تقريره على قامة المجد من خلع حكم العَرَب والعَجَم والاتراك، شكر له اخوه النّبيل هذا القيل، وافاض عليه من نيل نواله نَوْل النبيل، وادرك من ذلك الانموذج علوّ علمه، وسُموّ عَلَمه، وطُغوّ حُكْمه، وطموّ حِكَمه، ثم قال يا استاذ، بلغنى ان بغداد، خرج منها خارج، خُلق من النار من مارج، وهبط الى مَدارك الحِرْى عن المعارج، واصلُ شواظ ذلك المشوم، من عفريت خُلق من نار السموم، وان شَخْصَ ذلك الشَيْطان، جُبل من سخام الدُخان، فلهذا رَدِم وَجْهَه السواد، وتركّب سايرُ جَسَده من رماد، فهو جنّىّ ذميم، وشيطان رجيم، وقد شرَع ذلك لخنّاس، واخذ فى ابتلاسة والوسواس، يتعاطى ايذاء أكابر الناس، وانه فى هذه الايام، ذُعِى الى بلاد الشام، فلم يوافقه ذلك المقام، لانه مُهاجَرُ الانبياء الكرام، وهذا مجبول على سَجَايا اللئام، وطباع الاغتام المُغتام، فاقام فيها بالاضطرار والاصطرام، مدّة اشهُر وعدّه اعوام، واخذ فى الاضلال والتضليل، فاضلّ خلقا كثيرا عن سَواء السبيل، وتستّر ذلك الجانّ، بحجاب الانتساب الى جنس الانسان، ولَبِسَ لشَوْه العَمَا ثَوْبَ العميان، فكمن كُمونَ الشَوْك تحت وَرَق الوَرْد والريحان، واحتمى فى حمى الشقاق والنفاق بشقايق النعمان، والحقّ انه من نَسْل العفاريت، وكان عند الجنّ مَقيله والمبيت، او من الجنّ والبنّ الغازانيين له تربيت، فان يكُنْ عندك من ذلك شى، فشَنِّف من جواهر حكمه اُذنَىّ، فانك حكيم الجنّ والانس، وبكلماتك قد حصّل البَسْط والانس، قال الحكيم، نعم ايها الملك المعظم، انا جُبِيْنة الاخبار، ومُزَيِّنة الاخبار، وحَكَم الحَكَم، ولى فى البيان اَعْلا عَلَم، اما هذا الشخص المذكور، فانه بالفسق والفساد مشهور، ورقّ شرّه فى البلاد منشور، وكتابُ عناده بين العباد مسطور، وبيت حَسَده نعم الاله تعالى على خلقه اوليائه مقصور، وله صفاتٌ ذميمة، واخلاق خسيسة، تأنف مَرَدة الشياطين منها، وأنشاب أنساب تستنكف عَنَدَة العفاريت عنها، ومالهُ من دَوْلى، كما لى، لا يفى بذكرنا هذا الخطب، ولا يسعه غدا المخاطب، بل ولا يقوم به دفترٌ وحساب، ولكن البعرة تدل على البعير، فقسْ من هذا المصوّر الكبير على النسير، وكان قد اراد نَشْرَ الفساد، ببلاد العراق وبغداد، فعاكسه التقدير واجاد، فمُحِىَ من تلك البلاد، فوصل الى ارم ذات العماد، وتعاطى أسباب ما هو عليه من الزندقة والالحاد، فاثار اصناف الشر وانواع العناد، وابتدع من الشرور وابتدع ما يخرج عن حصر التعداد، وهو على ما هو عليه من المعاندة والمجاحدة وقصده الاعوج من تسديد اقوال الزائغة والملاحدة،

وسيوضع لذلك مصنّف مشبع على حدّة، وقد بلغني ايها الملك المعظم انه حصل له في ذلك المقام، مع عالم من علمائها الأعلام، فضايا ابهته على خمشوه، واظهر به ذلك العلم دسايس خبثه وشومه، مثل ما اتفق لعالم الانسان، مع شيطان العفاريت وجنى الجان، في عابر الدهر وماضي الزمان، فقال العبد العظيم، احبرنا ايها الحكيم، بذلك الحديث القديم، قال حكيم حسيب، حبّا وكرامة ايها الكريم الحسيب، ذكر ان في الازمان الغابرة، كانت صنوف الجنّ لانس ظاهرة، تتراآى باشكال مختلفة، وتتزيّا بامثال غير مونقة، وتظهر لهم الخيالات العجيبة، والصور المموّهة الغريبة، فتضلّهم ضلالاً مبينا، وتاتيهم من بين ايديهم ومن خلفهم وشمالا ويمينا، وتخطفهم مشافهة، وتواثبهم مواجهة، ففي بعض الايام، ظهر ببلاد الشام، مهبط الوحي ومهاجر الانبياء الكرام، ومحطّ رحال الرجال، من اهل الفضل والافضال، رجل من العبّاد، وافراد النقاد، ذي الاقران بالصلاح، وسادّ اهل الزمان بالورع والفلاح، وحاز شرفي العلم والعمل، فكمّل كثيرا منهم بعد ما كمل، واستمرّ يدعو الخلق الى خالقهم، وحثّهم على الانابة والتوكل على رازقهم، ورغبهم في الطاعة، واتباع السنّة والجماعة، ويقبّح الدنيا في اعينهم، ويحذّرهم من غدراتها في مكمنها عند مامنهم، وكان لنفسه المباركة نفوش في النفوس، يجذبها الى ما يروم جذب الحديد بالمغناطيس، ففي مدّة يسيرة، تبعه طوايف كثيرة، وانتشر صيته في الآفاق، وصفا للعباد وقت الطاعة وراق، وضربت اليه اكباد الابل، وامتلات الدنيا من العلم والعمل، فاضطرب امر المردة، والشياطين العنيدة، وتعطّلت سوق الفسوق، وخرج عرق المعاصي من العروق، وتخلّت العفاريت، وتمكّست اعلام الجنّ المصنتة، وضلّ سبيل الاضلال كل مارد خرّيت، وبطلت زخارفهم وتمويهاتهم، وعطّلت وساوسهم وتشويهاتهم، واعتاصهم الناس، وكسد الميسواس، وفسد فعل الخنّاس، فلما ضلّ سعيهم، ورفع الى كبيرهم فعيهم، فاجتمع العفاريت العتاة، والشياطين الغواة، والمردة العصاة، الى ابليسهم العنيد، وهو شيطان مريد، صورته من اقبح الصور، له اظلاف كاظلاف البقر، ووجه كالمسلاخ، وشعر كالسلخ، وخرطوم طويل، وراس كالفيل، وعيون مشقّقة بالطول، وانياب كانياب الغول، وشعر كالسعيهم، وجلد كالارقم، وهو يلهث كالكلاب، ومن ورايه عدة اذناب، فشكوا اليه حالهم، واظهروا في الشكوى ذلهم، وقالوا يا شيخ الملابيس، وابن عمّ ابليس، لقد عمّرت المدارس، فبطلت منا الوساوس، وتعمّرت المساجد، بكل راكع وساجد، وقيم وقاعد، وقارئ وهاجد، فطرد كل شيطان مارد، وتمشى منها الخلال، فوقف منّا الاحتيال، وامر بالمعروف، فوقعنا في الامر المخوف، وكثرت الحجاج، فكسرت منّا الاذناب، واذلّت الزكوات والحقوق، فطرد منّا كل عفوق، وعمر الخمس، فنام النفس، وعبد الله في المغارات والكهوف، فاستدّت علينا السبل فعلى من نخوف، ولم يبق لنا على بني آدم سلطنة، وصرنا في بحارهم اقلّ من نقطة، وعند جهرهم باذكارهم اذلّ من ضرطة، لا وساوسنا تؤثر في افكارهم، ولا مجالسنا تعلّل من اذكارهم، ولا تخييلاتنا تتراآى لابصار اسرارهم، فان استمرّت الحال، على هذا المنوال، لا يبقى لنا في الدنيا مقام، ولا بين جنس الانس للجنّ كلام، فلما وعى العفريت محوى هذه الشكوى، وتامّل ما في مطاويها من نازلة احاطت بهم وبلوى، اشتعلت نيران غضبه، وتاججت شواظات لهبه، قال امهلوني اتروّى، واتركوني اتلوّم واتلوّى، واتفكر في هذه

البليّة، وأكشفها لكم عن جليّة، فان الامورَ لا تُنتتج لعالمها، ما لم يتأمّل من قوائحها الى خواتمها، وتحقبُ المسابل انما يؤخذ من محكمها وحاكمها، وكان هذا العفريتُ العاتي، المارد الغيرُ الواتي، تحت يده وامره من مُقنبسي بَيْلسته ومَكْره، والشياطين المَرَدة، واغوال العفاريت العَنَدة، ذوايف شتّى، وأمم لا تحصى، ومن قديم في المكر والمراء، اربعةُ اشخاص كبراء وزرآء، كل منهم في الشيطنة والبلبلة، ومعرفة طرق الوسوسة، كابي عليّ بن سينا في علم الهندسة، غايةٌ لا تدرك، ونهاية لا تستدرك، فاجتمع هذا الغول بوزرآيه، ورؤساء شياطينه وكبرآيه، ثم قال لهم أفتوني في امري، وساعدوني على فكري في مكري، ووجّه الخطاب لكبيرهم الذي علّمهم السحر، المشار اليه في الدهاء والمكر، ما رايك في هذه العصيدة، والواقعة الرزيّة والداهية الدهيّة، فقال الوزير، يا مولانا الامير، وصاحب المكر والتدبير، انّ العقلاء وذوي التجارب من الحكماء جرّبوا بامر قطع، في الوقايع الفوادح، فقالوا شيآن لا بقاء لهما الروح في الجسد والسعْد في الصنايع، وهذا هو الصواب، ولكل اجَل كتاب، وما دام الاجَل باقيا، والسعْد واقيا وراقيا، ومُنادم السلامة ساقيا، وحافظ العوارض واقيا، لا يَنْفع الجدّ، ولا يَدْفع الحدّ، ولا تَنْفي الجهْد، ما أثبتَ السعْد، ولا تخرج الروح، ولو نشرت الجروح، فاذا تمّ الاجَل، وبدّل من السعْد العمَل، انعكس السعْد وانقلب، وفارقت الروح بلا سبَب، واذا كان ذلك كذلك، فهذا الرجل الناسك، سعْده عمّال، وطالعه في اقبال، فكل سهْم مكْر، فوجْده الى نحر حيازه يعود عليها، وكل رمح فكر تَوَجّها سنان عامله الى شاكلة بغاته يرجع انيابها، فانراى عندي ان نتربّص به الدوائر، ولا نهتمّ باحتيال محتال ولا مكْر مكاير، الى ان تنقضي مدّته، وتسقط من سعْد طالعه فوْته، فعند ذلك يفيد سعْدنا، ولا يضيع كدّنا، فقال العفريت للوزير الثاني، يا افضل جاني، اذن ما ذا تقول، وكيف تشير ان نصول، في ميدان هذا الامر ونجول، قال راى مولانا الوزير سديد، وكل ما اشار به فهو فيه مجيد، ولكن ليس بيْمنا امرُ العدوّ، ونركن مع وجوده الى قرار وخدوّ، واذا كان طالعه في قوّة فعاله تزيد في فوته، والمتهاونون في امره مساعدة في معاونته، ومعاونة في مساعدته، وهذا علامة العجز والانكسار، ومن اقوى الادلّة في الاحتياط والحذار، وان ربّ الارباب، وصنع عالم الكون والفساد على أسباب، فلا بدّ من تعاطيها في هذا الباب، وبذْل الجهود في معاملات الاعداء والأحباب، ولم يفتصر الشارع على التعذير والتنابع، الّا فيه حسْم مادّة الشرايع، واستعْمل لاستئصال حكم الصانع، فعندي ان نبذل الجهْدَ في حسْم مادّتهم، وتعاطي كسْر شوْكتهم، وبذْل الجهْد والجدّ، بما تصل اليه الطاقة واليد، وثبات الاقدام، في اثبات الاقدام، كما قال الشاعر وهو سلم الخاسر، في تنبيت الجاسر شعر

مَنْ رَاقَبَ النّاسَ ماتَ غمًّا وفاز بالّلذّة الجَسُورُ

وهذا الشاعر المسمّى، اخذ هذا من اخينا بشار الاعمى، من لنا بوجوده انس، وهو شيطان الانس، حيث يقول، ذلك الغول

من رَاقَبَ النّاس لم يَظْفَرْ بحاجته وفاز بالطّيّبات الفاتك اللّهِجُ

فاعزموا على هدْم ما يبنون، وصدّم ما يمْنون، والأخذ في تمزيق جلْدتهم، وتفْريق كلمتهم، [illegible] لنا على مساعدة الطالع، ولا على حدّ لبقاء الاجَل فضلا عن ان نقول

هذا الحدّ جامعٌ او مانع، وهذا الراى عندى اولى، ورايك يا رئيس التلبيس اعلى، ودونك يا غول، حسّن هذا المقول،

اذا كانت الاعداء نملًا فانهم اذا لم تمتهم اصبحوا مثل ثعبان

ومن هذا المقال، يا ابا الاغوال،

واللصّ ليس له دليلٌ ساترٌ نحو الذى يبغى كنوم الحارس

والاصلُ فى هذا كله حسمُ مادتهم، وردم جادتهم، وذلك اهلاك مُرشدهم، وافساد زادهم، فان قدرنا على اهلاكه، وتمزيق حبايله واشراكه، تشتّت شملهم، وتبدد جُلّهم وقلّهم، ففى العفريت للوزير الثالث، وكان احسّ عابث واجسّ عايث، قل لى ايها الوزير، ما سنح لك من التدبير، فى هذا الامر المُبير، والخطب الخاير، وما ذا ترى فيه وتشير، فقال لا شك ان الطباعَ تميل الى كل ما تسمعه، وما يُلقى الى النفس لا بدّ ان يُؤثّر فيه موقعه، وما اشارَ الوزيران، وعما نعمّ المشيران، فهو لا يخلو عن فوايد، بل هو متحلّ بعقود العوايد، واننى لاعلم انه اثّر فى الخواطر، كما يؤثر فى الرياض السُحُبُ المواطر، وفى الجُملة للكلام تاثير فى النفوس، يظهر آثاره فى الحسّ، ولهذا ترى رَقبقَ الشعر، يفعل ما لا يفعله دقيقُ السحر، وجليلُ العبارة، فيها من الاشارة، ما يشجع الجبان، وينشط الكسلان، ويسخّى البخيل، ويفتّى الذليل، ويسجّع الارواح، ويسخّر الاشباح، ويعطّف القلوب، ويؤلف بين المحبّ والمحبوب، ويُصيّر العدوّ صديقا، وغليظَ الاحرار رفيقا، وتامّلْ يا نبيه، ما قيل على البديه، وهو شعر

وشعرٍ اذا نادمت دعْرى به انتشى وكفّ عن الابذا وعادَ الى الاخا

اذكّرهُ اخلاقَ مالكه الذى تعلّمَ منه العلمَ والحلم والسخا

انالُ به ما لا ينالُ بفوّة ومالٍ وأرواحٍ ولا مجدَ اشمخا

وهذه قضيّة، تحتاج الى اعمال الروية، وامعان النظر، وتدقيق الفكر، وعندى الراىُ السديد، والفكرُ الجدى الجيد، ان انعرّس لهذا الرجل الدين، الداعى الى طريق الحقّ المبين، ليس بمحمود، ولا نائل قصده بمسعود، فانه على الحق، يتشبّث باذيال الصدق، ومن قصد مصادمة الحقّ اصطدم، وفى مهاوى الهلاك ارتطم، وقد كان فى بنى اسراييل، رجلٌ من اهل التبجيل، عالما بالتورية والانجيل، مشغولا بالعباده، باذلٌ فى امنة الحقّ اجتهاده، فنعرّس له جماعة، من اهل الفسق والخلاعة، فنعاطوا اهلاكه، وجعوا به نساكه، فعملوه بغير حسّ، فغارَ له الدين ورقّ، فاخبرنى من لا يُتّهَمُ بكذبه، انه قتل سبعماية الف نفس بسببه، فذعب بسبب ذلك الصالح، من بنى اسراييلَ الصالحُ بالطالح، ومن كان مع الحقّ، هاديا الى طريق الصدق، فان الله تعالى معه، ومن كان الله معه منعه، وحرسه وما ضيّعه، ومن تصدّى لضياع من حفظه الله، وعزم على ابتذال من اعزّه مولاه وكلاه، فقد قصد خراب عُمره وعمارته، وباع راس مال تجارته، ورضى بخسارته، وجنى بيده على نفسه، وحفر بيديه بيرَ مهواته ورمسه، واسمع يا نعمَ العون، ما جرى،

لمؤمن من آل فرعون، حيث كان على السداد، داعيا الى سبيل الرشاد، وقصد اعلاكه اهل الفساد، فقال وأفوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد، فغلبوا هنالك وانكسروا، ووقاه الله سيات ما مكروا، وايضا لو قتلنا هذا الرجل، وكان على ايدينا له تمام الأجل، فلا شك انه يقوم مقامه، من يلم عظامه، ويرم زمامه، ويحيي بعده آياته، فيقيم شعاره، وينكث ما قدمر وآثاره، فان تلامذته كثيرة، وطوايف جماعاته غزيرة، فينتظم لهم بعده الامر، ولا يضمر لنا فيهم من كيدنا الا الجر، واذا علموا ان ذاك منا، واشتهر فيهم ان ذلك الكيد منا، اخذوا منا حذرهم، وصنوا انينا عداوتهم وفكرهم، ثم أعملوا على استيصالنا، واستعدوا لقتالنا، لانا اعلمنا معتقدهم، وهدمنا عمادهم ومعتمدهم، ولا يمكننا بعد ذلك طلب المسالمة والسلامة، وتستمر العداوة بيننا وبينهم الى يوم القيمة، مع ان عداوتنا قديمة، وفي الجملة عاقبة من عادى اولياء الله وخيمة، واذا تقرر هذا المقول، وثبت بطريق المعقول، فاعلم ايها الغول، والشيطان المهول، ان اراي الصواب، في هذا المحساب، ان نأتي هذا الرجل وجماعته، بافسادنا طاعتهم وطاعته، وحيث لا يتيسر لنا المواجهة، ولا الحساب والمشافهة، ولا الاضلال في الظاهر، والتعادي بصورة المتجاهر، فنرتين لهم حب الدنيا وشهواتها، والميل الى زينتها ولذاتها، والركون اليها، والاعتماد عليها، ونلقي اليهم طول الامل، وبعد الأجل، فنثبطهم بذلك عن العمل، وندعوهم الى التهاون والكسل، ثم بعد ذلك نجلو خدور عرايس الحرص على ابصار أفكارهم، وقدود مرايس الشح وحب المال على اعين خيالاتهم وبصاير اسرارهم، فاذا زانت السنة عقولهم حلاوة حب الدنيا، وتمكن في ادمغة سويدايهم الرغبة في الاموال والابناء، سلبوا حلاوة الطاعة، وتفرقت منهم الجماعة، وزاغوا عن الطريق الاقوم، وراغوا عن السبيل الأمم، فنتوسل اذذاك منهم الى مقاصدنا، ونوقعهم كيف ما اخترنا في مصايد مراصدنا، لانهم هبطوا من سماء المنعة الى الأرض، واغلقوا بايديهم انفسهم اذ بغى بعضهم على بعض، فحاسدوا، وتحاشدوا، وتدابروا، وتناحروا، وتكالبوا، وتضاربوا، وتواثبوا، وتجاذبوا، وتحاربوا، وتحازبوا، وتراعبوا، وتهاربوا، وتجانبوا، وتناعبوا، وتسالبوا، وتلاسبوا، وتقابلوا، وتقاتلوا، وتفرقوا، وتمزقوا، وتحرقوا وتمزقوا، واحاز كل منهم الى ناحية، واعجب كل برايه فلا تعرف منهم الفرقة الناجية، اذ قد تفرقت اهواؤهم، وتصادمت آراؤهم، وحذبتهم اعراضهم الى الاتجاه، وخلبتهم أمراضهم مع الاهواء، ومال كل الى صوب، وأسس منهم الى الصواب الاوب، وتعدد الخلق الدمر، ولبس كل لصاحبه جلد النمر، ثم بعد ذلك زلوا وازلوا، وضلوا واضلوا، فتمكنا منهم كما نريد، وتصرفنا فيهم تصرف السادات في العبيد، وسلطنا عليهم دواعي الغضب والشره، وتعبنا بشبوخهم لعب الصبيان بالكرة، فنتقلب بهم اهواؤهم، ونزخرف لهم أفعالهم، كما قال من خلقهم وافعالهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم، ولا نقصد بذلك الا كبراءهم، وفضلاءهم وعلماءهم، وزهادهم ورؤساءهم، وحكامهم وحكماءهم، ولا نميل عن مكابرتهم، ولا نمل من مصابرتهم، ونجري في عروقهم، ونسكن في فروقهم، ونحرك في رعودهم وبروقهم، فان حركوا الى خير سكناهم، وان سكنوا عن شر حركناهم، وان عزموا الى الآخرة صددناهم، وان جزموا الى مواطن بر ردناهم، وان أموا مفسدة قدناهم، او هموا بعدية سقناهم، ولا بد لهذا العمل الكبير، من تدبير، وليتدرق جدك في المسير، ان نسيره، والجملة

نَبْذُل فى ذلك غاية جَهْدنا وجدّنا، ولا غضاضة فى ذلك علينا لانه صُنْعة أبينا وجَدّنا، وقد اخْبر بذلك جدّنا اللعين، لمّا خالف رب العالمين، كما أخْبَر فى الكتاب المبين، فى قوله فبعزّتك لأغوينّهم اجمعين، فاذا رآهم الناس، وقد وقع بينهم الباس، حصل لهم منهم اليأس، وتراجعوا عنهم، وهربوا منهم، وفسد اعتقادهم فيهم، بل قتلوهم بايديهم، اذ قد ظهر فسوقهم، وكسدت سوقهم، فان شينا اوقفنا حالهم وان رُمْنا الى الهلاك نسوقهم، واوثق ما نتوصّل به اليهم من الاسباب، فى حالة الانفراد الاعجاب، وفى حالة الاجتماع الكذاب، فان الاعجاب يُهْوى فى النار، والكذب يُخْرب الديار، وناهيك فضيحة التاجر، مع عبْده الكذّاب الفاجر، فسال شيخ الجنّ، عن بليّة ذلك القن، فقال ورد فى خبر، عن شخص مُعْتبر، انه كان فى مكان تاجر ذو مال، وزوجة ذات جمال، كل بهْوى صاحبه، وترْعى جانبه، ونفديه بروحه، ويتهشف رحيق رضابه فى غبوقه وصبوحه، كأنهما زوج حمام، وفّق بدمام، ففى بعض الايام، زال احدهما لرفيقه، وهو برشف من كاس عقيقه، شهْد رضابه مترحا خمرة ريقه، لو كان لها عُبَيْد، بتقاضى ما لها من حاجة وقيد، لخلصنا من جُمْلة عمرو وزيد، فذهب التاجر الى سوق الرقيق، فوجد مع نخاس عبدًا ذا فدّ رشيق، ينادى عليه أبيعه بكذا، على ما فيه من أذا، فقال وما عيْبه، زال كذْبه، لكنْ لا على الدوام، وانما هو مرّة فى كل عام، فقال عيبٌ هيّن، وشيْنٌ لين، فاشتراه، واتى به الى ذراه، فاستمرّ فى خدْمة حسَنة، حتى انى عليه سنة، ونسى سنّة عبْده، وآمن ربّه، وحبّب بالأمانة بده وبالنهارة جيْبه، فلما مضى عليه عام، كان سيّده فى الحمام، فنى البيت فى بعض الحوادث، فى صورة الجمل الهائج، شاقًا ناشرا، صارخا ثائرا، صائحا واويلاه، واسيّداه وامولاه، فسْئل ما لك والك، لا احْسن الله حالك، فقال رمح بغْل سيّدى فما نمانك ان تهلك، وسلّم الروح لخالقها وزال لوارثه تسلّم ما لك، فأقيم العزاء والسخام، وترْكهم وجاء الى الحمام، وهو يبكى ويُنوح، ويصرخ ويصيح، فساله مولاه، ما دهاه، فقال وقع البيت، على كل من أويت، فلم يبْق فى الدار، نافخ نار، فهلك الكبير والصغير، وذهب ما فيها من جليل وحقير، فخرج وهو يستغيث، من حدث ذاك الحبيث، فوجد اهل البيت سلمى، واتوه من الآمنين، فلام الغلام على خيانته، فذكر له ما سلف من اشرانه، ثم انه اسعده، ونسى هذا الكلام، ومضى عليه عام، فاستانف ذلك الحبيث، امره الخبيث، وزال لامراه مولاه، يا هناه، ان كنت نائمة فسيفنى، وخذى حذرك وتحفظى، واعلمى ان نيّة صاحبك، ان يلقى حبْلك على غاربك، لانه قد عشق عليك، ونبذ حبّل حبّك اليك، وتعلق قلبه ببنت رجل كبير، ولا يُنبئك مثل خبير، وقد حملنى على نصيحتك الشفقة، وما اسدبت الىّ من احسان وصدقه، فبادرى قبْل حلول الباس، ونزول افلاس فى الراس، فأثّر فيها هذا الحديث، واستشارت لما تفعله ذلك الحبيث، فقال لو ظفرت بشى من شعره، لكفيتك مؤنة مكره وغدره، فانّ لى صاحبًا منجّما، اسدنا معلما، يرقى الشعور، ويجعلها فى بحور، واذا وجد الى خبيثومه مساغة، ودخل البخور دماغه، صار عبْدًا لك على الدوام، وخطبت عنده بالمراد والمرام، وارتقيت الى اعلى مقام، ولكن ينبغى ان يكون من شعر لحيته، التفت على ترقيته، فلت وانى أصل الى ذاك، ووقاك الله اذاك، فقال اذا نمت، وغرق فى المنام، فاسلقى منه بموسى، لتكتفى الضرر والبوسا، ولما

أنك بموسى بحلق الشعور، فافعلي به ذلك من غير ان يكون له شعور، فانفقا هذا الاتفاق، واتاها بموسى حلاق، ثم توجه الى مولاه، وقد اضمر له ما دهاه، وقال اشعرت يا ذا النقنابل، ان زوجتك البديعة الشمنابل، تغير خاطرها عليك، وتقدمت بالاسف اليك، وهو لا اناك شفوق عليّ، وعزيز ومكرم لدي، ما انبانك من اخبارها بشيء، فاريد ان يكون ما انهيه اليك مكتوما، الى ان يصير عندك محققا معلوما، وقد ارسل اليها من يخطبها، فافسدها عليك وعوبطلبها، واما لها عنك بما يرغبها، فانفق معها انها تقتلك وتستريح، وستصبح في فراشك وانت ذبيح، وذاك يقوم بديتك، وقد ارسل اليها من الاموال والجواهر اضعاف قيمتك، فان اردت محقق هذا الكلام، فتناقل عندها في المنام، لتزول الشك بالبقين، وتتحقق اني من الصادقين، فاثر هذا الكلام فيه، وخاف من مكر النساء ودواهيه، فلما اقبل العشا، واحضروا العشا، تناول من ذلك الطعام، ونهض الى الفراش لينام، واظهر بين القوم، انه غرق في النوم، ومد اعضاءه واخذ، واسال لعابه وغط، فنهضت الزوجة البه، وقتحت الموسى ودخلت عليه، ومدت بيدها الى لحيته، ووضعتها على قرقوته، فتح عينيه، فراى آنة الموت توجهت اليه، فما تمالك ان وثب اليها، وجثم عليها، وخر بين زمام تعكزه، عن يد تامله وتدره، وخطف الموسى من كفها، وسقاها بها كاس حتفها، فلما راى فوران الدم، ادرك لاحق الندم، وانى بفيد وقد تبدل الوجود بالعدم، وانشد ناثر

يا مهاجة نزل الحمام عليها وجرى لها ذمر الردى بيديها

ووقع القال والقيل، واشتهر امر القتيل، ووقع في شرك الاقتناص، وعومل في صاحبه بالقصاص، وانما اوردت هذا الكلام، لتعلم ان ما اهلك الانام، واوقعهم في شرك الاثام، والكفر والفسق والحرام، مثل الكذب الذي حرمه علمهم الملك العلام، وهو لنا اوثق زمام، ولجذبهم الى ما قصدته من مرام، احكم خطام واعظم حرام، فاستحسن العفريت هذا الراي واستصوبه، واعجبه ما تضمنه من معان واستغربه، ثم قال رايت يا اصحاب، من الراي الصواب، ان اجتمع بهذا العالم الراشد، العامل العابد، في محافل عدده، واسائله مسائل عمّة وخاصّة، عن اسرار دقيقة، اطالبه فيها بحجازها والحقيقة، وانا اعرف انه بفاصم عن جوابي، وبأحجم عند اول خطابي، فاذا عجز عن جواب المسائل، في ذلك الجمع والمحافل، حضر الحاضرون جهله، فمبذوه من اول وهلة، واعترفوا لنا بالفضل الوافر، والعلم الغزير المتكاثر، فصاروا لنا اوداء، وانفصل ما شهدت به الاعداء، فتراجعوا عن اعتقاده، ونفضوا ايديهم عن محبته وودادة، وربما سعوا في دماره، وخراب دياره، فيكفوننا امره، ويزيحون عنا شره، واقل الاقسام، ان جماعة ذلك الامام، اذا راوا ما لنا في الفضل من تجارة، وعلموا ان راس مال امامهم الخسارة، انهوا بالسهو، وسهوا بالنهو، وانفضوا عنه وتركوه قايما، فنفصل اليه كيف ما كان قايما او نايما، وهذا ان لم يكونوا سبكوه وسفلوه، كما فعل صاحب البستان والمزرعة، من الغدر والتفخيد مع غرمايه الاربعة، فسال الوزراء، عن غدير ذلك الغدر كيف جرى، قال العفريت، كان من تكريت، رجل مسكين، ينشر البساتين، ففي بعض السنين، قدم قرية منين، وسكن في بستان، كانه قطعة من الجنان، فيه فاكهة ونخل ورمان، ففي بعض الاعوام، اقبلت الفواكه بالانعام، ونثرت الثمار عن ملابس الاشجار من الاذيال والاكمام، فاجات الضرورة ذلك الانسان، ان خرج من البستان، ثم رجع في

الخال، فراى فيه اربعة رجال، احدهم جندى واخر شريف، والثالث فقيه والرابع تاجر شريف، قد اكلوا واوسقوا، وناموا وارتفقوا، وتصرفوا فى ذلك، تصرف الملاك، وافسدوا فسادًا فاحشا خادشا، ومارشا وناوشا وفاكشا، فانكر ذلك بحاله، ورأى العجز فى فعاله، اذ هو وحيد، وهم اربعة وكل عنيد، فسارع الى التناخيذ، وعزم على التفتخيذ، فابتدا بالترحيب والبشاشة، والاكرام والبشاشة، واحضر من اطايب الفاكهة، وطايب المفاكهة، وسامح بالمماحة، ومازح بالمسامحة، الى ان اطمانوا، واستكانوا واستكنوا، وداخلوه فى اللعب، وداعبوه بما يحب، فقال فى اثناء الكلام، ايها السادات الكرام، لقد حرقتم اطراف الظرف، فى شى تتغالطون من الخرف، فقال احدهم انا جندى، وقال الاخر رسول الله جدى، وقال الثالث انا فقيه، وقال الرابع انا تاجر نبيه، فقال والله لست بنبيه، ولكن تاجر سفيه فهم الشكل كربه، اما الجندى فانه مالك رقابنا، وحارس حجابنا، حفظنا بجنوده، وتعهدنا بوعوده، وانفسنا واموالنا واولادنا بسيف دولته، ويجعل نفسه لنا وقايه، ويكفى فى اعدايا اشد نكايه، فلو مدّ يده الى كل منا ورزقه، فهو بعض استحقاقه دون حقه، واما الشريف فان جده محمد، ومن النار انجانا، وقد ملكنا كرامةً وحبًا، بقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرًا الا المودة فى القربى، وقد تشرف اليوم به مكانى، وحلت البركة علىّ وعلى بستانى، واما سيدنا العالم، فهو مرشد العالم، وهو سراج دينه الهادى الى يقينه، فاذا شرفونا بالحضور، وتفضلوا بان نكون من خدامهم، فلهم الفضل علينا، والمنة الواصله الينا، واما انت يا راوينا، ونور جفنى وتابعينا، باى شرط تدخل الى بستانى، وتتناول من سرجلى وبرمانى، قل بالعفو بسماحة، وتردد لى المراحة، او لك علىّ دَيْن، او عاملتنى نسية دون عين، انك علىّ جملة، قل بينى وبينك وسيلة، نفتضى تناولك مالى، والتحكم على ملكى ومنالى، ثم مدّ يده اليه، فلم يعترض احد من رفقته عليه، لانه ارضاهم بالطعام، واعتذر عما يتطرق اليهم من ملام، فاوقفه محكما، وتركه مغربا، ثم مكث ساعة، وهو يحامى الخاصة والرفاعة، ويغازل الجندى والشريف، على القهقه التشريف، ثم التفت الى الفقيه، وقال يا ايها العالم النبيه، انت مفتى المسلمين، والعالم بمنهاج الدين، وعلى فتواك مدار الاسلام، وبطمانك العارفة بين الحلال والحرام، بفتواك تستباح الدماء والفروج، فان اعتمد المدعو على خدا الخروج، أفتنى يا علم الزمان، محمد بن ادريس أفتاك بذلك ام النعمان، ام احمد بن حنبل ام مالك، فسوغ لك بذلك، أما سمعت قول مقر العلماء وحجاها، ومذل الجهلاء لجهلها، يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها واذا ارتكب مالك هذا المحظور، ونعاتنى العلماء والمفتون افبح الامور، فلا عيب على الاجتهاد والاشراف، ولا على الخبراء الاجلاف، ثم مد يده الى جلابيبه، واوقعه بتلابيبه، فاحكمه وشده، والمه رباطه، فما تجلده ولا رفداه، ثم جلس بلاعى الجندى السباعى، وغامزه على الشريف، فى النسب الشريف، ثم قال ايها السيد الاصيل الجيد الحسيب الاوتد، لا تعتب على كلامى، ولا تستثقل ملامى، انا الامير فانه رجل كبير، ذو قدر خطير، له الجميلة التامة، والفضيلة والمآثر، فانت يا ذا النسب الناضر، والحسب الناضد، والاصل الباذخ، والفضل الراسخ، سلفك الطيب اذن لك فى الدخول، الى ما لا يحل لك جدك الرسول، افدك باستباحة الاموال، أمّ زوج البتول انباك ان اموالنا كآل النبيت حلال، وانا دنت انت يا طيب الاسلاف، لا تتبع سُنّة

ابايك الاشراف، من الزهد والورع فلا عتبَ على الأوباش والاطراف، ثم وثب اليه، وكتف يديه، ولم يعطف الجندي عليه، فلم يبق الا الجندي وهو وحيد، فانتصف منه البستاني كما يريد، واوثقه رباطا، وزاد لنفسه احتياطا، ثم اوجعهم ضربا، واشبعهم لعنا وسبا، وجمع عليهم الجيران، واستعان بالجلاوزة واصحاب الديوان، وحملهم برباطهم، وعمائمهم تحت ابطهم، الى باب الوالي، واخذ منهم ثمن ما اخذوه من رخيص وغالي، وانما اوردت ما جرى، لتعلموا ايها الوزراء، ان التفاخيذ من الاعداء بالتفاخيذ، امرٌ من السهام في تنفيذ الاحكام واحكام التنفيذ، وهذا قبل تعاطي اسباب البيلسة، وفتح ابواب الوسوسة، فانه يقال في الامثال، عقدة تنحلّ باللسان، لا توخر حلها الى الاسنان، ونعم ما ارشد، من انشد،

فكم عقدةٍ أغنى اللسان لحلّها ... تراخَتْ وقد اعيَتْ نواجذ اسنان

ثم قال العفريت للوزير الرابع، ما ترى انت في هذا الامر الواقع، فقال حتى تردّد الامرُ بين آراء متخالفة، واقوال متقوّنة، واُقيم على كل عمل، برهان ودليل، فتعدد العمل، وتبلّد العقل، فعميت وجوه الترجيح، وتعذّب طرق التصحيح، فلا تمكن العقل لاعتمادها، ولا المَيل الى فرادها، فان ذلك ترجيح بلا مرجح، وتصحيح بلا مصحح، فربما يتصوّر النسي خمرا، فيكون عقباه سرا، ويموت سرا، فيظهر قصاراه خمرا، وقد دل مقرل الفرقان، على اشرف جنس الانسان، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم، وكم قضية تتصورها الفكر حمراء، وتقبل عما قليل عليها الحس فاذا هي سوداء، وذلك النمس، تتصور شبا بصفة وهو بخلافه، وذلك ساعد من وضع الحس فليس على ذلك معول، وساعده فساد المزاج مع ولده الاحوال، فقال عمر بن عبد ربه، ولبعض ذلك ايها الوزير اخبرني سنحس فتحه، انه كان رجل كامل، كريم الشمائل، محبوب الخصائل، مرغوب الفضائل، عزيز النزاء يحب الغرباء، عذب الموارد، مترصد للصادر والموارد، لا يسأل الضيف، من اين ولا لمن يضيف، وهو كما قيل للسيف والسيف، ورحله الرجل للنسا والضعف، قال بعد في بعض الادباء ضيف من اصحابه الكرام، فزاد في اكرامه، واحضر ما طاب من طعامه، فلما رفع السماط، ووضع ليبسط بساطه، قال لضيف اتحدثني، عندنا دوره من الشراب العتيق، قد ادخرته لنوائبي، واعددته لمآربي، وما عندي سواها، فان رايت احضرناها، وتعاطينا الراح، تغلب الانشراح، فذهب عند الاكرام، كما قيل

وما بقيت من اللذات الا ... احاديث الكرام على المدام

فسمع الضيف مقاله، وتحمل حماقته ودعى له فاشار المضيف المغفل الى ولده الاحوال، وقال اذهب الى المقصورة، فان عندك قرورة، فاحذر ان تكسرها، فان صدع الزجاج لا يناجبر، وما بعد صبرها، ولكن ما عندنا غيرها، فسوغه الى ذلك المكان، فتراءى له قروربان، فرجع من وقته، ونادى لوقته، ايها الاب المفيد، عندك قروربان فانهما فريدة، فخجل من سفيه وغضب، لئلا ينسب الى اللوم والعتب، فقال لابنه يا ابن البظراء، اكسر احدهما وهات الاخرى، فاخذ العصا وعبر، وضرب احدى ما كان تراءى للبصر، فلم يجد غير وعاء واحد وقد انكسر، فخرج الى ابيه وهو من الفكر في تيه، وقال امتثلت ما امرت، واخذت العصا وكسرت، فانكسر احدى القروربين، ولا ادري الاخرى ذهبت الى اين، فقال يا بني ان

الخلل من عينيك، والخطا فى ذلك منك واليك، وانما اوردت هذا المقول، لتعلم ايها الخول المهول، ان اقوى طُرُق العلم العيان، واذا حصل فى ادراكها الخلل والنقصان، ترى الصدق بصورة الكذب، والشى الواحد بالشكل اثنين، وهذا امر محسوس، لا يمكن ان تنكره النفوس، فكيف ترى تكون، وعن الفكر المصون، وهى بانواع الحجب محجوبة، وتخيلات الوهم وقضاياه مشوبة، ومرتباتها انما هى المعانى، دون المحسوس المشاهد المبانى، فعلى هذا ينبغى التامل فى عقبى هذه الحوادث، والتدبير فى قضاوى هذه الامور الكوارث، ثم الاخذ فى تعاطيها، والشروع فى اسباب تلافيها، بعد امعان الانظار، وانعام التدبير والافكار، ثم اعلم اينا الرئيس الداهى النفيس، شيخ المكر والتلبيس والمدلس، ان الله القديم، القادر الحكيم، لم يخلق فى الموجودات، ولم يوجد فى المخلوقات، اعز جوهرا من الانسان، فانه فضّله على جنسى الملك والجان، واختصه بتدفق الفكر وعميق الفكر وسرعة الادراك، فهو مع عدم الحراك، يحكم وهو ساكن على ما تحت الثرى وما فوق الافلاك، وشمله بعوايده، وعوده بفوايده، وتلطف به فى مصادره وموارده، فهو ارحم به من والدته الشفوقة ووالده، ووكل بحفظهم الحرام الكاتبين وملايكته، وراقبهم فى حجر نعمته، على موايد لطفه وكرمه ورحمته، كما تربى الوالدة الشفوقة، والطير الرفعة الرفيقة، ولهم العلم الغزير، والقدر الخطير، والراى والتدبير، والتلعيم على غوامض الاسرار، ودقيق الافكار، وان علمنا بالنسبة الى علومهم، وحلمنا فى النفس الى ذباتهم وحلمهم، كنسبة علم الفلاح المغبر، الى علم الطبيب المعبّر، قال المغربى، اخبرنى بذلك يا شيخ المصابيح، دل الوزير، اخبرنى شخص كبير، انه راى فى نومه فلاح، كانه خرج من بلده مفلاح، فلما اصبح الصباح، جاء الى رجل من اهل الفلاح، يعبر المنامات، وكان ذا كرامات، وقص عليه رويا، وطلب تعبير ما راه فقال له يا رئيس، هذا منام نفيس، لا اذكر ما فيه من تعبير، الا بدينار كبير، فحصل له بشاره فناوله دينارا، فقال تولد لك ولد ذكر، يكون سببا للفتوح والظفر، وكان له زوجة حامل، بقى لها ايام قلايل، فولدت ابن غلام، بعد ثلاثة ايام، فاستبشر الفلاح، بالظفر والنجاح، ثم بعد مدة، حصل للفلاح شدة، من مرض المه، واصاب قدمه، فجاء الى معبر المنام، وشكى اليه الالام، وقل يا شيخ المى، فى قدمى، صاعف غمى، وتضعف تمى، فقال له الطبيب، لا باس يا حبيب، هذا داء هين، وعلاجه بين، اعطنى دينارا ثانيا، اصف لك دواء شافيا، فاعطاه ما اشتهى، واستوصفه الدوا، فقال ضمده بعجة بعض كنرة الابرار، وضع عليه عسلا مسخنا على النار، ففعل ذلك فبرئت قدمه، وزال بالكلية المه، فافتكر الفلاح فى فعل المعبر الطبيب، وقوله المعبب، وامره العجيب، فانه بادنى عبارة عبر المنام، وباوهى اشارة ازال الالام، فراى الراحة، فى ترك الفلاحة، والاشتغال بعلم الطب والتعبير، فانه امر هين يسير، وبادنى امر حقير، تحصل المال الكثير، فباع الات الزراعة، وعزم على تعاطى ما فى الطب والتعبير من الصناعة، وتمّم كتبا ودفاتر، وبارديسا محرومة مناظر، ووسّع اكمامه، ووضع على راسه عمامة كغمامة، وجمع عقاقير واوراق، وبسنة بسنة فى بعض الاسواق، واشاع على لسان مخبر، ان فى المكان الفلانى طبيبا يعبر، وهو استاذ الزمان، وعلامة الدوران، وتلميذه فى حكماء اليونان، وفى التعبير ابن سيرين وشيخ كرمان، وتصدر كانّ رند وساسان، عاملا بما قاله شيخ البيان، شعر

الطب احسن علم يستفاد فطر ببين الانام به مثل الزرازير

واجمع لذاك كراريسا منشرة وجملة من حشيش مع عقاقير
وضع على الراس بيعارا تدوّره كفية النسر في وزن الفنادير
واجمع معاجين من رب تخالطها وانحن سفوفا واكحال العواوير
وسمّ ما شيت من اسماء معربة كالشند والمند والسرخا وخنفور
وقل من الهند جا هذا ومن عدن هذا وهذا اتى من ملك فغفور
وذا من البحر بحر الصين معدنه وذا من البربر المسمى ببربور
فان رايت بالاستسقاء ذا ورم فقل تورّم من لسع الزنابير
ان اقشعرّ فقل برد عراه وان يحم قل حرّه وهي التنانير
وان اتاك مريض لا تخف واشر بما ترى من دواء دونه البورى
فان يعش قل دواعى كان منعشه وان يمت قل اتاه حكم مقدور
كذلك الرمل والمنجم فاحذ على هذا المنال وخض في علم تعبير
فان اصبت فعل علمي ومعرفتي وفي التخلف قل ضد المقادير
وان رايت فعيبا غرّ منه ولا تنفكّ نفع معه في غبن وتكفير
وانت تحسن في هذا وذاك الى ذوق ومعرفة مع حسن تدبير

فانفق ان زمام الامام حليفة الانام، راى في المنام، شبا اتاه، وغيّر حاله، فحصل له في راسه صداع، وفي فواده اتجاع، فسمع بهذا المعبر الجديد، وانه استاذ مفيد، فارسل اليه، وعرّفه ما راءه عليه، فقال هذا منام، يدل على خير وانعام، وبقا ذكر الرمام، على ممر الدهور والاعوام، ولكن لا اعبر هذه الاحلام، الا بدينار تمام، فناوله دنيارا، واشهر بذلك اسنبشرا، فقال سوف لك غلام، بعد فلانة ايام، كالبدر التمام، يعيش كثير اعوام، ويخلد ذكرك على كر الايام، فتضحك الزمام، من هذا الكلام، وقل يا امام، انا رئيس الخدام، وشواشي بلا شي لا زوجة لي ولا سرية، ولا آلة ولا قرمية، فمن اين لي هذه السعادة، ولا فرحت بحسني الحسين فاني بحصل الزيادة، فلا تسخر مني، وكف كلامك عني، واخبرني بتعبير هذا المنام، ودعّ عنك الملام، فقال حقا اقول، وانا جربت هذا المنوال، وقد عبرت لك حتى انتعبير، ولا ينبئك مثل خبير، فقال الزمام يا اخي دع هذا المقال، فان وجود الولد مني محال، وانا رجل بي وجع، وما بقي فيّ منتجع، فقال وما ذا تشكو، والمك في اي مكان تُوه فقل في فوادي اوجاع، وفي راسي صداع، فقال يا زَيْنَ مَنْ فاخر، أعطني دينارا اخر، اصف لك ابسر دوا، يحصل لك منه النعافية والشفا، فدفع اليه الدينار، وتلطف منه دواء الدوار، وما بفواده من الغمر، او رنه الوضح والصرم، فقال يا ابا النعيص، ضمّد رجلك بعجّة من بعص، مخالفا اليها عسل مسار، وتبض مستخد على النار، فسمع الشواشي غضبا، وفار كالنار شواظ ونهب،

وعرف انه جاهل، ومن طريق العلم فاضل، فأدبه المناسب البليغ، وزجره الشبيه ما كان عليه من مخالفة السلف، فأسفر على كلاحته، بعد رجوعه الى فلاحته، وانما اوردت هذا المثال من الاقوال، لنعلم اننا ان اشتغلنا بمناظرتهم، اشغلتنا في محاورتهم، لانه في دفتر الاسرار، وعمى الأفكار، وتحجب الأنظار، لا يقاوم احدٌ جنس الانسان، فكيف باستطلاع اسراره، معرفته من ايّده الله تعالى برفيع المعاني وبديع البيان، فاذا قابلناهم في المباحث بمعارفه، تعود مساوئنا علينا بالمناقضة، فلما راى العفريت، خوّر ذلك الصفريت، وانه تكلل عن المقاومة، وتقاعس عن المصادمة، خاف ان يكون ارآء، باقي الوزراء، تبعًا لرايه، في عدم نفاذه، وتقدم مستصوبين لرايه، مستحسنين لشغابه، فارخى عنان الكلام، ليقف على ما عندهم من مرام، وتكلم مع عزته المباحثة، والمعابنة والمباعنة، والتصدّي للإقدام، والقاء المسايل بحضرة الخواص والعوام، ولئن مشى الملك الوزرا، ليرى ما هم عليه من الارآء، فقال للوزير الرابع نعم ما قلت ايها الوزير، والصواب ما اشرت من الراى والتدبير، فان الله خلقنا من النار، وهي تبعها الاهلاك والدمار، واحراق كل رطب ويابس وبارد وحارّ، والظلم والخسار، والافناء والجهل والبوار، وسلب الرفعة وعدم الوقار، وافساد ما وجده من غير فرق بين نفاع وضرار، وخلقهم من تراب، واليه لهم المآب، وطبعه الحلم والسكون، والتزيد والتركون، والنعام والعدل، والاحسان والفضل، ومع هذا فلو خرجوا عن جادّه ما جُبلوا عليه، وتلبسوا بغير ما نُدبوا اليه، ولو ادنى خروج، وَرَعوا ما للمارج من هروج، لتحكمنا فيهم كما نحتقر، ولعبنا بهم كما تلعب بالكُرة الصغار، فنحن اذا خرجنا عن دايرة طبعنا، وخالفنا اوصاف اصلنا وفرعنا، وفعلنا الى دايرة الخير عن جادّة الشر أقدام صنعنا، لا يقع لنا منهم صيد، ولا يؤثر لنا فيهم سيف كيد، فاذا عجزنا عن الابذاء في الظاهر، فلم يبق الا الاغواء في باطن الضماير، والتعلق باسباب ما يصل اليه اليد من الحيل البواطن والظواهر، فقد دانت الحكماء واهل التجارب، ومن ابتلى من مكايد الدهر بالنوايب، وعُنى من ذلك بالعجايب والغرايب، اذا تصدى الانسان، وعضد عزمه وتحزم عن مقاومته في الخصومة والخصومة، فعليه هدم ذلك الجبل، بمثابرتين الحذاق ومعاول الحيل، ويتسمعون في ذلك باعمل التجده، وذوي البطش الشديد والشدة، فيتوصل بهم الى حسم ذلك الداء، ولو كانوا اعداء غير اوداء، فنسايط بعض الاعداء على بعض، من ابين سُنّة ومن احسن فرض، ولقد احسن من قال، واجاد المقال، شعر

دفعتُ غنمي يوما فعلتُ لها يا ربِّ سلّطْ عليها الذيبَ والضبُعا

ولا يوجد في هذا الباب، لجمع شمل الاعداء اوثق من تفريق الاحباب، ومصداقه قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً ولا وضعوا خلالكم وما قويت اعضاد الاسلام في الامصار الا باجتماع كلمة الانصار، ولهذا قصد مَنْ نافقوا، لمّا توافقوا الانصار وتوافقوا، ان يستضعفوا ويتعارفوا، فانزل عليهم واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وهذا الفنّ يحتاج الى فكر عميق، ومكر دقيق، وعقل دبير، وفعل كثير، ومصيب راى وتدبير، وسلوك في تفريق الاصطناع، لما فعلت العقارب من الخداع، حين عجزت عن مقاومة الشجاع، فعلل الوزير بمعمر مولانا المدفعة، بتحقيق هذه الواقعة، لو سمعت

ان بعض التجار، كان له بستان في دار، والى جانبه حاصل، فيه المغل المتواصل، في ذلك الحاصل اوكار، تشاشر من شنار الفار، لها عدة منافذ، والى الجهات طرق ومآخذ، احدها الى جهة البستان، والبستان كجنة رضوان، فكانت الفارة، ذات الشطارة والمهارة، تاخذ من المغلات، واطايب المطاعم، ما يكفيها غدا وعشاء، صيفا وشتاء، وفي وقت الصيف، تخرج من ذلك المنزل اللطيف، الى جنة البستان، فتمشي حوالي الغدران، وتترقى الى اعالي الاغصان، وتتمرغ في المروج والرياض، وتتباختر في ظلال الدوح والغياض، ثم تعود الى وكرها، وتارز الى جحرها، فكان عيشها هنيا، وامرها رضيا، ومضى على ذلك دهرها، وانقضى في ارغد عيش عمرها، ففي بعض الاحيان، خرجت على العادة للتنزه في البستان، ثم بسكتها افعوان، فراى مكانا مكينا، وسكنا حصينا، بالاطعمة محفوفا، وبطايب الاغذية مكنوفا، فدخله واستوطنه، وترك ما سواه من امكنه، فلما رجعت الفارة الى مكانها المالوف، وجدت به العدو الظالم العسوف، فاحاط بها من الامر المخوف، ما يجعل اللبيب اذا عانقه الخوف، فاسرعت الى امها، وشكت اليها نوائب غمها، وما دهمها من نوازل همها، فقالت امها لا شك انك ظلمت احدا، ووضعت على ما ليس لك بدا، وتعديت الحدود، وعاملت معزما بصدود، فجوزيت باخراجك من وكنك، وابعادك عن مقرك وسكنك، ومن ظلم ضعيفا عاجزا، سلط الله عليه قويا لاكزا، وقد ورد يا انسي، في حديث قدسي، اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري، فلا تطيلي الكلام، ولا تتصوري انك ترجعين الى ما لك من مقام، ولا طاقة لك على مقاومة الثعبان، فدعي تعب الخاطر واطلبي لك ماوى غير هذا المكان، فتوجهت الى ملك الفار والجرذان، وشكت ما نابها من ذلك الثعبان، وقالت انا في خدمتك، ومعدودة من رعيتك، عمري على ذلك مضى، وزماني في العبودية والاخلاص انقضى، وابي كان في خدمة ابيك، وجدي عند جدك وذويك، لم نزل في رق الطاعة، متمسكين بحبل سند الولاء والمتابعة، كل ذلك لامر بدهم، او حادثة نازلة تسدهم، فنستدفع ذلك الخطب بحطابكم، ونستكفي هول ذلك النزل بجنابكم، والان قد وقعت حادثة، بالالباب عايثة، وبالافكار عابثة، وللارواح كارثة، وذلك اني قد خرجت من كنني لطلب قوتي، ثم رجعت الى مبيتي، فوجدت ظالما قد استحوذ عليه، وغاصبا قد دخل اليه، وهو ثعبان، ما لي به يدان، وقد ترامیت على جنابك، استدفع هذا البلاء بك، قال ملك الفار، يا سابقة الاشفار، من ترك ماله سابقا، فقد جعله ذاهبا، وقال ذوو الاعتبار، واولو الاستبصار، ينبغي بل يجب على الدرداء، وحافظ القلعة والحصار، ان تكون رجله ذات عرج وانكسار، لان لا يكون دينار، وجوده خارج الدار، وانت ايها الفارة، فرطت في امرك، والمفرط اولى بالخسارة، وقد خاب منك المسعى، لانكم دنوا اظلم من اقعى، ومن ظلم الافعوان، انه لا يعد نفسه في حفر مكان، ونبيذه مغان ومعان، ولكنه حيثما وجد سكنا، اتخذه لنفسه معاما ووطنا، وهذا قد عرف مكانك المرد، وهو جبار شرد، فلا يرايله، ولا بقاباله، ومن ابن يامني مثل هذا الماوى، وفي المثل عرف الكلب بيت اهله، فلا ولي ان ترتادي لك موضعا، تتخذينه معاما ومربعا، فقالت الفارة، وقد دارت لبذه العبارة، يا ايها السلطان، وملك الفار والجرذان، عما قليلة خدمتي وانقياد الى، وطاعة جدي الكبير الابي، واذا كنتم في الدنيا لا تنفعونني، وفي الاخرة لن تشفعوا لنا، لا

تدفعون فى الأولى، صدمات الدواهى والبلاء، ولا تحمون الاوداء، عن مواطئ اقدام الأعداء، ولا ترفعون فى الاخرى، نوايب الظلامة الكبرى، ولا تحلون ما لكم من اوليا، غرف الدرجات العليا، فاى فائده لكم علينا، ونعمة منكم تسدى الينا، وما انتم الا كما قيل، فى الاوائل،

اذا لم يكن لى منك عزٌّ ولا غنا ولا عند ما يغنالنى الدهرُ موئلُ

فكلُّ النفات لى اليك تكرّم وكل سلام لى عليك تفضّل

قال ملك الفار، يا قليلة الاستبصار، العديمة العقل والافتكار، اذا اجتمدنا فى رَدّك الى مكانك، وكنّا على النعمان كجندك واعوانك، فهل تتمكّنين، اى مسكينة وبنت مسكين، فى ان الافعى تموجه الى سلطانها، وتخبره بشانها، وانها أُخرجتْ من مكانها، وتستنصرى على سلطنا بقوة سلطانه، فيستنجيش ويستغيث، ويعرى بنا ذلك الخبيث، كما فعل الراقتمى العادى، العلقمى البغدادى، حين دعا التتار الطغام، لخراب مدينة السلام، ومن بعده الذميم، نابذ الذمام، من قصده دمار دار السلام، وبوار قبة الاسلام، ولا تكافه لنا بعسا كر الحيات، ونحن فى احيابهم كعسا كر الاموات، وتذهب الاموال والارواح، وتتعب القلوب والاشباح، ومع هذا الامر المعلوم، حصولُ القصد والظفر موقوم، فبالله انرحلى واذهبى، وابغى لكن سكنا غيره واطلبى، قالت هذا منزلى القديم، ومهرانى عن سلفى الكريم، وابن اذهب، وبمن ارغب، ان لم تغننى فهلكت، واندعكتُ وانسبكت، قال لا تطيلى القول، فلا قوة لنا ولا حول، فلما أيست الفارة، المكّارة الغدارة، تركت سلطانها، وسلكت طرقانها، وانشدت، فارشدت، شعر

لستُ الملوم انا الملوم لاننى انزلتُ آمالى بغير الخالق

ثم غاصت فى بحار الفكر، وتشبثت باذيال المكر، واستعرضت على مرآة افكارها، وجود الحيل، واستورت من زند اراديها شرارات النظر فى الجدل، واخذت تطوف فى اكناف البستان، فعثرت فى طوفها على ذلك الافعوان، نائما تحت ورده، منطويًا فى اهنى رقده، فرمقت غصنًا من الاغصان، فلاح لها البلاغبان، قد سعى البستان، وهو ثعبان، متربصًا فى الرياض على مسجد رحمان، فاعتصمت الخرمة وتوكلت اليه، وقربت منه ودارت حوالبه، ثم وثبت على وجهه وهو نائم، فنفخت مرعوبًا فاستاء فاستيقظ مسرعًا فراعها فهربت وتحصنت، ثم عاد وانحنى، بعد ما غضب وانتنى، فوثبت على وجهه، وادخلت ذنبها فى انفه، فنهض مستشيطًا محمدًا، فراعها وافته لا تتعدى، فقصدها فهربت، ثم رجع ذئبت وانبت، فتسام فى مستنده، فقربت منه وعضته فى يده، فانكته وآلمته، واوهجته بما اتمرمنه، فظفر من مرفده، واخذ عصاه فى يده، وقصدها، وقد ذاق نكدها، فهربت غير بعيد، فراى وجيها من حديد، فنبعها فمشت، ثم وقفت وارتعشت، فتمعه فى صيدها، وهو غافل عن كيدها، فمبعها وهى دبدبة، حتى انتهت الى الحية الراقدة، فعند ما راى النعمان، نسى افعال بنت الجرذان، فعمل ذلك الافعى، ولم يحب للفارة المسعى، فسالمت عدوها على عدوها، وظفرت لذلك بغاية مرجوها، وانما اوردت هذه الحكاية، لتعرفوا منها على طريق الكناية، وليعلم الضعيف اذا كان له اعداء كيف يوقعهم فى

مصائب الدنيا، واذا استعمل اللبيب، العقل المصيب والفكر النجيب، وساعده في ذلك قضاء وقدره، دل ما امل وأمن ما حذر، وافلح امره، وانجح فكره، وهذا اذا كان الضعيف مظلوما، والقوى ظالما غشوما، كالفارة والحيّة، وانتجت الفضيحة، واما اذا كان القوى مظلوما، والضعيف ظالما منسوما، كنا انهم عليه، مما توجهتم اليه، من معاداة شيخ الشام، المستحق للتبجيل والاكرام، والتعظيم والاحترام، فانه على الحق وانتم ظالمون، وقصد الصدق وانتم كاذبون، تريدون ان تطفئوا نور الله بافواهكم والله متم نوره ولو كره الكافرون، فهذا امر مشكل، وداء معضل، فانّى تصح اجسادكم وقلوبكم مرضى، ومن يحبكم وانتم مجبولون على البغضا، وكيف تفتقون وانتم على الباطل، وفي اى ذوق يتحلى ما مرّ بكم من عاطل، وانا اخاف، اى اجلاف، ان تستقر هذه الغصابا، بعد ارتكاب انواع البلايا، وتحمل المشاق والتعب، واقتحام موارد الهلاك والنصب، عمّا هو اشد وانكى، واحرّ لعينكم وقلبكم وابكى، كما اصاب مضيف العراق، من زوجته زبيدة ذات المظالم، حين بدا منه النزبور، على حافة التنور، فقال الوزراء للعفريت، افدنا هذا الصوت يا ذا الصمت، قال نزل في بعض الرستاق، من بلاد العراق، ففبر خيف، على مسكين مضيف، وكان بعد ايام الخريف، والبرد الشديد، يقطع الحديد، فبعد ما تبخسوا وتعشوا، سجروا التنور ليتدفوا، واقعى كل من الحضور، يتدفا على جانب التنور، فعمد الضيف الضعيف، مقابل زوجة المضيف، فظهر من تحت ثيابها، وجه ذلك الخريف الظريف، ولاح من تحت ذيل السجيف، دنه فرص رغيف، او راس فلندري او خد حبدري ينبف، او القمر شق فصفصين، او بدر من تحت ذيل حنين، فلما احسّ بحرارة النار، وظهر على وجهه الاحمرار، صار يمامط ويتجلى، ويتسه من الحر والندف تتدلى، فلمحه المضيف وهو يتثاءب، فنطق قائم رأسه وقعد، قام وتصاوب، وقد قيل، في الاقاويل، عصوان متعاونان، وهما اليدان، وعصوان متخالفان، وهما الرجلان، وعصوان متنابعان، وهما العينان وعصوان متحاجبان وهما اليد والفم وعصوان متباغضان، وهما الاذن والاست وعصوان متوافقان وهما العين والابر فكان الضيف بساره النظر، ويترشف سفاهه بلسان الفكر، وبود في مطالعة جبينه لو اتبع العين بالاذن، وجعل يغني ويترنم، ويهمهم بما يهمهم،

لبس في العاشقين اقنع مني انا ارضى بنظرة من بعيد

فنهد امام لهوه الهاجد، وجعل يقع ويقوم وهو راكع ساجد، ويسلم على محياه احسن التحيات، ويتشهد رافعا اصبعه بالسلام والصلوات، ثم غلبته الحيرة، فاخذ يجلد عمّته، فنظر صاحب البيت، فراى الضيف مستغرقا في ذيت وذيت، مشغولا بكيّت وكيت، متاملا معنى هذا البيت

وعند المتلفي انكشف المغطّا تثاءب كسّها ابرى تمنّى

فاراد ان يدعه ربة الدار، على هذا العثار، لتستر حالها، وتغطي مالها، بطريقة لا يعرفها احد، ولا يفطن لقبيحها، فمدّ يده الى سفود، وحرك به النار ذات الوقود، فعلق من الشرار

به فى الطرف، وما شعر بذلك احد وما عرف، ثم نعب ساعة بذلك العُود، واوصل فى خفية طرفه الى ذلك الشوق المعهود، لتتيقظ، فتجدها، فتوبخها واحرقها، واحرق رأس السفود بطرفها، فالتمت وانصبغت، واحترقت واختبثت، وتحركت برعجة فصرخت، فرادت فصيحة العين فصيحة الانف والاذن، ولم يحصل من تلك الحركة الا الخجالة والغبن، وانما اوردت هذه الحكايات، لتتأملوا فى العادات والنهايات، وان من لا يراقب، ما يأتى فى العواقب، ما الدهر له بصاحب، وهذا الرجل العاقل، الفهيم الراجح، ما فاق اقرانه، وساد اصحابه واخوانه، الا بشى تعدم به عليهم، وتحقق موجب تقدمه لديهم، وذلك درجات العلم والعمل، فبذلك ساد الرجل وكمل، وقد قال الله تعالى فى محكم تنزيله، وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، قل بعض اهل الفضل، وعالمه فى بيان الحق فضل، ما ناظرتُ ذا فنون الا علبته وما ناظرنى ذو فن الا غلبنى وانا اخشى ان نظرت هذا الرجل الفاضل الكامل، لا احصل منه على طائل، ويظهر فضله فصورى، فينهدم بنيان فصورى، فقال الوزراء، بعد ان اتفقت منهم الآراء، كلمة واحدة، منفقة متعاضدة، نعم ما راى مولانا الرئيس، صاحب التدنيس واستاذ التلبيس، واعجب اولاد ابليس، وتحسن ايضا يا بافعة، تحسى عقبى هذه الواقعة، ونعد جرى مثل هذا المجرى، يبين لوزجمهر وخدومه كسرى، فى قصة قاض فهيا الوزير، لخدومه الملك الكبير، لسال العفريت الجان، عن بيان ذلك الشان كيف كان، فقالوا بلغنا ايها الملك، وملقى الوسواس، فى صدور الناس، ان لوزجمهر الوزير، كان ذا علم غزير، ورأى وتدبير، وبديهة جواب تفحم العسر والتفكير، وذى حكيم زمانه، وعليم اوانه، ومن فاق بالفضل والحكم سائر نظرايه واقرانه، وكان مؤدبا عند خدومه، يزيد كل وقت فى تكريمه وتعظيمه، وتوقيره وتفخيمه، ويدعى الى نجاحه، وبعد قربه من اعظم مناحه، ويصبر على كلامه الصادع، ووعظه القارع ونصحه الناجع، لما فيه من الفوايد والمنافع، والحكم والبدايع، وقد قيل من احبك نهاك، ومن ابغضك اغراك، فكان الوزير يبادر قبل سايد الخدم، الى وظايف الخدم، ويعجل من الليل والظلم، حتى كاد دواعى النجم، او يسابقه فى الرجم، وذلك كل يوم، فيجد خدومه راقدا فى النوم، فيوقظه بلطفه، ويُنعم عليه هذه الخصلة، ويُعلن بالندا، وينادى فى الملا، فيقول افق يا محبوب، وتيقظ حبيبى تنعم بالمطلوب، فمن باكر افلح، ومن علّس لمطلوب افلح، ومن تخلف فى النوم، سبعد الى المنزل الغوم، وفقد المطلوب، ولا يدرك المحبوب، فاترك لذة الكرى، فعند الصباح يحمد القوم السرى، فكان كسرى يجد لهذا الكلام، انواعا من الالام، لانه كان يتميل السهر، الى وقت السحر، عاكفا على المدام، وسماع الانغام، ومعاشرة الندمان، ومعاقرة الندمان، واحيا الليل عمر ثان، فاذا نام واستراح، امتد نومه الى الصباح، فلا يوقظه الا عياط الوزير، وصراخ ذلك الصائح النذير، فلما

فدل عليه المدل، وغلب عليه ذلك الملال، ارصد للوزير في الطريق، من منعه عن التبكير بالتعويق، فتصدى له الرصد، واعروا راسه والجسده واخذوا قماشه، وسلبوا ربانه، فرجع الى بيته مكرها، ولبس دبابا عبرتاه فابطا ذلك اليوم، وتخلف في الخدمة عن القوم، فلم يجي الا وقد استبقط كسرى من المنوم، وهو جالس في صدر الايوان، وحواليه مباشروا الديوان، وسائر الوزراء والارتان، وعامة الجند والاعوان، كل في مقامه، صابط زمامه، قاعد برجهير وشادف للخدمة على عادته، ووقف في مقامه مع حماعته، فقال له كسرى ما دعى مولانا الوزير، في هذا اليوم المنير، الى التخلف والتاخير، وترك التبكير، وادمانه بالتعبير، قول الشاعر للحبر، شعر

بكّرا صاحبيّ قبل الهاجير ان ذاك النجاح في التبكير

فقال ان الخرامي، عارضني امامي، وتصدى في ظلامي، فاخذ ثيابي، وسلبني قماشي ورباشي، فرجعت الى كناسي، وخددت رمضي ولباسي، فهذا سبب تاخري، وعدم تبكيري، وموجب تخلفي عن وعتي وتقدمي، فقال كسرى ما افاد التذكير، الا الغرامة في التبكير، فلو لا التبكير ما سلب الخمس، ولا ذهب الدرس، ولا تم الخرامي بالمعاش، فانهن اللئام في العالم قبل الصباح، فقال برجهير في الحال واصاب، في الجواب، نعم ذلك كذلك يا اعمش، وانما ذكر قبلي الخرامي، فظفر بمقصوده وتبين نعيجه نامي، ولم ابكر انا بالمسبد الدا، فرجع عائده بخفي حنين عليه، فاعجب كسرى من حذاقه، وسرعة بديهته في جوابه، وانما اوردت هذا الفصول، بين يدي اسمعا الغول، وشبح المرده الهول، ليعلم ان كسرى وان كان عالما، فاضلا حاذما، الا ان للوزير وزيره، وانبع راي منيره، وانه لا بد من نفسه، اذ ادرك الوزير بفهمه، ما لم يدركه هو بحسه، فاسترسل معهم العفريت فيما هم عليه، والمخلف عما ندبهم اليه، وقال فياتي للحبابل نصدقهم، ونبداها التي الوسائل نكيدهم، فقال احد الوزراء بالنساء، فانهن زمازم المتخد وحبل الفتن والتغابل لا يتقرب تحت الكساء من اعظم وسائلها، واحكم اوتادها وحبائلها، وناهيك ما ذم العزيز العليم، الذي جبابين على عمر نفوسهم، وعاريش على الكيد ان كيدهن عظيم، وجعل كيدنا للمسيد الى كيدهن حيفا، فقال ان ذم الشيطان لهن صحيحا، وقال سيد السادات ورئيس الرؤساء، ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء، وقال اكرم ولدي، ومن قدره الرفيع عندي،

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال من اجاد في الفعل

وما ضر اعناق الرجال سوى النسا وابلى بلاء ما لهن به ابلا

وهم نار شر احرقت كبد الورى ولم تك الا مضرتهن له اصلا

فانهن اشراك الاذى واوتاد الارتماء، واسواق التمارق، ومعاريد المعاطس، ومصايد الغوايات، وحسبك ان ذا الذكر والخلق ما ذمه الله تعالى مثل ما ذم زوجة الرجل، ان يؤمنه على ما عنده لها، فسل العفريت عن ذلك الخبث، وبين ما فيها من مكائده، فسل الرجل عن حكمها من

العلماء، وعليها من الحكماء، اولع بضبط مكر النساء، وشرع في تدوينه صباحا ومساء، وصار يجوب البلدان، ويتتبع لذلك كل ديوان، يكتب ما يكون وما كان، ويحرر من ذلك الاوزان، بالمكيال والميزان، ويسبر غور ما يحمل المرء، وينبت في دفتر الحفظ ما يقف عليه، فمرل في بعض الانساء، على حي من الاحياء، فصادف ذلك النفيس، بيت الرئيس، فلفته امراه شريفة، ذات شمائل لطيفة، وحركات رشيقة خفيفة، وقبلته بالترحاب، وفتحت للدخول الباب، فاقبل عليها، وترامى لديها، فانزلته في صدر البيت، واخذت معه في كيت وكيت، كانها معرفة قديمة، وخدينة كريمة، وكان زوجها غائبا، وقد قصد جانبا، فشرعت في نزل الضيف، ليلا تنسب الى بخل وحيف، فاخذ يتتبع في ديوانه، ويسرح سوانح طرفه في طرف بستانه، يشغل اوقاته، ويتفكر ما فاته، ليتعاطى انباءه، فقال له ضرة الرئيس، ما هذا الكتاب الكريم، ايها الفاضل الحكيم، فقال شمي صنفته، وكتاب الفته، هو في الغريزة انسي، وفي الوحدة جليسي، فقلت يا ذا الحكم والحلم، ما ذا فيه من فنون العلم، فقال سرٌ مصون، وامرٌ محزون وذرٌ مكنون، لا يجوز ابداؤه، ولا يحل افشاؤه، قلت يا ذا الشكل الغريب، والوصف اللطيف، والعلم المنيف، هذا التعريف، لا يليق بالتصنيف، فان فايدة التصنيف الاشتهار، وثمرة العلم الانتشار، ودونك ما قاله اللبيب، في مخاطبة الحبيب،

اذمي من رضابك يا حبيبي فما للشهد دون الذوق لذة

وما اخذ الله على الجهال ان يتعلموا، حتى اخذ على العلماء أن يعلموا، فقال الامر كذلك يا زين البدور، ولكن هذا علم يصان عن ربات الخدور، فلت ان الله الجامل الذات، الجميل الصفات، ذكر المسلمين والمسلمات، والمومنين والمومنات، وما منع نساء الانصار، الجنات الاطهار، ان يسالن المصطفى المختار عليه الصلاة والسلام، عن غسل المراة في الاحتلام، ولا ان يتاخين معه المخاطنة، في السوال عن الخبايا والمستحاضة، فجمع في ميدان الاجتماع، وامر على المسامع والدفاع، وقال يا حضار، هذا سرٌ مصون، لا سيما عمّن في دينه وعقله رصين، وفراشا هذا العمل، عليّ الاصباح في السوال، وزادت في اللجاج، وصدت في الاحتجاج، وذرامت لديه، وافسمت بدلالة الخدلل عليه، فقال هذا علم لم أسبق اليه، جمعتُ فيه مكر النساء، وحكايات من احاد منهن وهن اسماء، ومن تعاطت لطايف الحيل، وخفيّ الفعل وخفيف العمل، ومن دعت بدهائها، حتى بلغت مناها، ومن وقعت في الشدايد، فاحتالت بدفين مكرها لملك المكايد، وخلصت من شرك المصايد، فلما سمعت، ما قال ووعت، ضحكت وجهها، واعربت تقبيلها، وتمايلت تمايل القضيب، وقالت سرٌ عجيب، وامر غريب، وضيعة عمر حاصل، فيما لا تحمد غايل، واشتغال فكر بالا، في جمع امر محال، لقد ركبت المشاق، وكلفت نفسك ما لا يطاق، ونسفُ الرمل بالمكيال، وغرف البحر بالغربال، ووزن الطود بالمنديل، وتحميل الدنا الاعباء، فارجع عن هذا الغلط، ولا تزمر في ذلك السلط، فان مكر ربات الخدور، لا يدخل ضبطه لبشر ولحت معدود، فقال لها انت غبيّة، وعن هذا الكلام غبية، وان كنت قاصة ذميمة، انا قد بلغت في ذلك الغاية، واحطتُ به بداية ونهاية، ووقفت على جمله ومفصله، فلم يشذ عني شيء من اخره واوله، فسلّمت، وما تكلّمت، وغالطت، وما باطلت،

وسادست وما راوست ، وفوّضت اليه هذا التحقيق ، وسلك معه غير هذا الطريق ، حتى كان هذا الكلام ، فى هذا المقام ، دان شيا فربا ، وصار نسيا منسيا ، ثم نزلت من برج المغازلة ، واخذت تلك الغزالة فى المغازلة ، وانتهى بها المقال ، الى هذا السؤال ، فقالت ايها اللبيب الماهر ، ما معنى قول الشعر ،

يهددنى بالرمح طبىٌ مهفهفٌ لعوبٌ بالباب البريء عابثُ
فلو كان رمحًا واحدًا لاتقيته ولكنه رمحٌ وثانٍ وثالثُ

فالرمح الواحد قده ، والرمح الثانى ما حوته يداه ، فقل لى يا ابا الحارث ، ما هو الرمح الثالث ، فقال ذلك النبيه ، قيل ما يظهر من تثنيه ، فانه من لين اعطافه ، وسرعة انعطافه ، تراه العينان ، كانه رمحان ، وقيل ما يظهر من ذلك المهفهف ، عند هزّه الرمح المنفف ، فانه يتراءى للعين ، ان الواحد فى شكل الاثنين ، ولهذا نظير ، فى اليوم المطير ، واحسن مثال ، عند رشق النبال ، وفى تدوير المجن ، وفتل الصولجان ، عند سرعة الدوران ، وقيل كان معه رمحان ، فقدّه واحد وهما اثنان ، وعندى يا ذُكَيّه النصر ، انه ليس المراد الحصر ، وانما المراد التكثير ، يا حُرّة البدر المنير ، لان عطفه كلما انهزّ هزه ، حصل فى صدر المتيّم وخزه ، ورمح قامته لا يزال يتثنى ويتقصف ، فتارة يميل واخرى ينعطف ، ولطعن العشاق يخطر وينهزم ، فالمتيّم لا يبرح من عنده فى ضعنات ، لما لم يزل من سهام جفنيه فى خرات ووخزات ، وهو من الجاز المرسل ، اذ المراد الطعن من ذلك الاسل ، وكان قصده ان يسرد الاعداد الى الغاية ، ويبلغ بها الى ما لا نهاية ، فيقول واحد وثالث ورابع ، وخامس وسادس وسابع ، فلم تسع الطاقة ، با من وصلها شاقة ، ورضابها عاقة ، ونظير هذا يا حُرّة ، ان نستغفر لهم سبعين مرة ، وليس المراد الحصر ، يا دقيقة الحَصر ، وبا عَيّن العِين ، فى السبعين ، حتى لو زاد على هذا العدد ، غفر لهم الواحد الاحد ، بل المراد انه لا يغفر زللهم ، بدليل قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، فقالت يا صاحب البيان وربّه ، اما اعنى بالرمح الواحد زبّه ، فافصحت له فى اللام ، بما لها من مرام ، فانها ثالث بنات هامر ، فخجلت عين الرجل واسدر ، لما افصحت عن مقصودها واوضحت ، فقالت حَيّيت وحُيّيت ، لا تستحى واصنع ما شئت ، فجرّد بهذا اللام اعابث ، من الشيخ الحكيم الرمح الثالث ، قد اليها يد الفاجر العابث ، وذهب لتلك الرجل الحازم ، وراودها مراودة العازم الجازم ، وصارت تلك اللاعة ، بين الاطماع والمناعة ، تتثنى وتتمنّع ، فتارة تعنف ، واخرى تتخشف ، وبينما هما فى المجاذبة ، والمداعبة والمطايبة ، وهى تنزو وتلين ، وتصعب وتستكين ، تراءى زوجها من بعد ، ففالت جاء زوجى وهو عنيد ، فسُلب القرار ، وسُلب الفرار ، ووقع ذلك الحكيم النبيه ، فى فمه فيها الحليم سفيه ، ودهمه ما هو اعم مما هو فيه ، من دواعى الغرام بدواعيه ، ونسى العشق والعشيق ، وسلب الخلاص من المضيق ، واظهر صورة حاله ، ما غناه الشعر فى ذلك ،

سألت مجيرة علما نبيها خبيرا بالوضيع مستعادا
وقلت اتسعد اعلى ام رحب ام النيك الذى للروح حدا
فقال سعيدتى وحق ربى اذا لم ار الزوجا غدا وغدا

واشتغل الحكيم بنفسه، وخاف حلول رمسه، وكان في طرف البيت صندوق مقفل، عليه ستر مسبل، فصحت له الصندوق، ورعت له باخبائه عن زوجها الخؤون، وامرته بولوجه، لتكفي من زوجها شرّ خروجه، فشكرها صنيعها وامتثل، وانحدس في ذلك اللحد النمس ودخل، فعلت عليه اغلاقه، واحكمت وثاقه، ثم تلقّت زوجها بالترحاب، ودخلت معه بالملاطفة في كل باب، وقدمت له ما اكل، وانشرحت له فركب ورحل، ثم قالت اخبرك يا حبيب، بوقوع امر غريب، وحادث بديع عجيب، وهو انه قدم حكيم، عالم حليم، فاضل عظيم، فاكرمت نزله، وبوّأته منزله، وكان معه كتاب، فيه التحب العجاب، فسألته عما حوى، فقال جمعت فيه مكر النساء، فقلت هذا شيء لا يحصى ولا يحصر، ولا يجمعه دبوان ولا دفتر، فلم يسلم الىّ، ولا عوّل عليّ، وذكر انه انهاه، ولم يدع من مكر النساء قطّ الا اودعه اياه، فلم يسعني الا اني غازلته، وداعبته وهازلته، فطمع من لين محاورتي، وحسن مجاورتي، في مراودتي وسلب عقله وبه في مراورتي، وطلب مني ذاك العفوف، ما هو اعز من بيض الانوق، ونحن نحن في العيش الرغيد، واذا بك قد اقبلت من بعيد، كل ذلك والحكيم يسمع قولها، ويحفظ حالها وحولها، وقد ايس من حموته، واتقن مواراة وفاته، وحلول فوته، فلما سمع الزوج هذا الكلام اضطرب، وزجر واصطخب، وقال ايتن ذلك الفاسق، الفاجر المنافق، امر والله لاذيقنه كاس التلف، ولالحقنه بمن سلف، فقالت ها هوذا في الصندوق محتفي، فخذ مدى منه تشتفي، فنهض وصاح، هاتي المفتاح، وكان قد سبق من زمان، بين الزوجين عقد رهان، انه من فتح منهما الصندوق غلب، واقام لصاحبه بما منه طلب، فلما ذكرت له حكاية الحكيم، سُدّه عن عقد الرهن القديم، وذهل لشدة الغيرة، ووفور الحيرة، وتوجه الى الصندوق، فبمجرد ما فتح القفل المعلوف، صاحت عليه غليتك يا معشوف، قُدّ ما ثبت لي عليك من الحقوق، فتذكر عقد المراهنة، ولم يشك في ان كلامها كان مداهنة، فضحكت بعد ما كان عبس، والقى المفتاح من يده وجلس، ولعنها ومكرها، ولعبها وغدرها، ثم اصطلحا، وانشرحا، وزادا نشاطا ومرحا، ثم خرج في ضروراته، وتوجه الى حاجاته، فاقبلت تلك العروس، الى الحكيم المحبوس، وافرجته من الاعتقال، وذكرت له هذه المناقلة والانتقال، وقالت ايها الحكيم العظيم، هل كتبت هذه الواقعة في كتابك الكريم، فقال لا والله الرحمن الرحيم، وانى قد سلمتُ اليك، وتبتُ الى الله على يديك، وانما اوردت هذا المثال، لاعرض على شيخ الشعال، وامام الاغوال، ان النساء في هذه الحركة اعظم منشبّث واحكم شبكة، وهن اسلب للب الرجال، واصعب من فتنة المسيح الدجال، خلقهن اعوج، وخلقهنّ اعوج، ورايهن غير سديد، والرجال لهن اذلّ عبيد، وهن وان كنّ ناقصات عقل ودين، فهن الكاملات في سلب الدين المتين، والعكر الرصين، وهل اخرج ادم من جنة المأوى، الا فتنة صدمته من قبل حوا، وما قتل هابيل قابيل، الا بسبب الزوجة ضمنا فيل، وكذلك من اوتي الايات فانسلخ منها، وقد عرف كل ذلك ابداء وانهاء، وغالب من عصى الله واساء، انما كان سبب كفره وطغيانه النساء، فلا تعدلوا عن هذا الراي المتين، ولا تتعرضوا لهذا الرجل فانه على الحق المبين، ولا تتصدّوا لمعارضته وسوءاله، فربما يكون مجالكم اعيى من مجاله، وانا

لا نقدر على منابذته، ومظاهرة جيلنا وعجزنا عند مباحثته، فقال سائر الوزراء، هذا الراى اصوب الآراء، فانا الى الان ما ارزناهم بالمخاشنة، وانما كنا نانيهم بالمخادعة والمحاسنة، فنزين لهم الباطل، ونحلى لهم العاطل، ونسوّد ناعة الصدق، الى ان ظهر هذا الرجل ونحن على ذلك، موقف فى طريقنا واراهم الحرب انسلال، وعلا شانه، ووضح برهانه، ونحن على ما نحن عليه من الاغواء، والعابهم فى مهاوى الاهواء، والحرب بيننا وبينهم سجال، فلو كاشفناهم بسوء الفعال، انكشف عندهم زيف نقدنا، وبطل ما كنا نسانه بحيدنا، فاذا ظهر لهم الحق من الباطل، وتميّز المحالى من العاطل، احذوا حذرهم، وحبطوا امرهم، وباروا بالعداوة، ومرّوا بالملوحة بعد الحلاوة، ثم ظفرنا بهم موهوم، ونصرنا عليهم غير معلوم، فلا نشعر الا بالندامة، ونرضى اذذاك بغنيمة السلامة، ونستمرّ على هذا العار الى يوم القيمة، وقد قيل شعر

لا تسْعَ فى الامر حتى تستعدّ له ... سعىَ بلا عدة فوْس بلا وتر

فعند ذلك استشاط العفريت غضبا، وطار شرار لهبه اشتعالا ونهبا، وقال لقد عظمتم شان هذا الانسان، واوهنتم بل اهنتم جانب اخوانكم الجان، وضيعتم حقوق الاخوان، وابطلتم حركات السعالى والغيلان، ونسيتم فنن جدكم الاعلى الثابتة على مر الزمان، ونحن ادق حيلة، واجل جماعة وقبيلة، واوسع فكرا، واسرع مكرا، واقدم وجودا، واعظم جنودا، واغزر علما، وادرا وفهما، ولا ارى لكم همة صادقة، ولا عزيمة موافقة، وانا ما قلت لكم ما تقدم من القول، الا لاخبر ما فى قرائحكم من الرد والعول، فلا اقوالكم سديدة، ولا افعالكم رشيدة، ولقد حل بكم الصغار، وسبقكم من الانس الصغار، واما انا فلا بد لى معه من المباحثة، والمنافسة والمنافثة، والقاء المسابل، والاحجاج فى الرسابل، من غير وسايط ولا وسابل، ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة فاعلموا ذلك وتحققوه، ثم امعنوا النظر وتفقدوه، وهذا هو الراى الذى صممت عليه، فليتوجه كل منكم بقلبه وقالبه اليه، وليعمل فى ذلك غث رايه وسمينه، وليسنن فجاج فوته وحجينه، ولا يدّخر شيا من رايه، فلا بد لى من لقائه، واعلموا ان الوادى الحرار، الذى هو الى جهة جبار، لو اتفقت الآراء على صرف جرايته الى جهة اخرى، وان بعد عن هذه الجهة الحرى، فانهم لو قصدوا ذلك من اسفل الوادى، لسخر منهم الحاضر والبادى، ولا بنهيبا لفاعله ما بتمناه، حتى يسد طريق الماء من اعلاه، وانتم ان قصدتم معالى الامور، واعلاك رؤس الجمهور، ذمر تعبدتم بالاوابد، وتنبدتم الادابر بالاوغاد والاسافل، فانكم اذا اغمار، وقد ضيعتم فى غير حاصل حاصل الاعمار، وقد قيل

اذا كنت لا بد مستترباً ... فمن اعظم التل فاستتر

وما النجم كالرمضاء، والجرو مع قصاده، ولا يكتفى الرئيس الا بالرئيس، ولا بقابل النفيس بالنفيس، وانى فخر لمالوك، اذا نازلوا السوقة والصعلوك، وقد قيل شعر

الم تر ان السيف يُزرى بقدره ... اذا قيل هذا السيف امضى من العصا

وما الدفى صناديد قريش يوم بدر، بدون اكفائهم فى النسب والعدد، وما ذا يفيد

بيلستكم ، وتجدى شيطنتكم ووسوستكم ، وانتم اولو الزعارة ، وذوو الشطارة والدعارة ، اذا قيرتم من الانس ، وغلبتكم اضعف جنس ، وهم اقصر اعمارا ، ونحن اطول اطوارا ، لم نزل نصادم الجبل ، ونفتحم الاهوال ، ونظهر كيف ما شئنا فى بابات الخيال ، ومن قبل جدنا اللعين ، جادل رب العالمين ، فصل فى حق جدكم انا خير منه خلقتنى من نار وخلقه من طين ونحن لاغوينهم اجمعين ، ونحن لانينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين وهم يموتون وهو من المنظرين وعلى كل حال نحن اقوى منهم واجرى ، واعرف بطرق الحزى والمكر وادرى ، وبالجملة الحكم على الشى فرع عن تصوره ، والشخص لا يجزم بحكم على شى الا بعد تقرره وتحرره ، وهذا الانسان ، الى الان ، لا سبرناه ولا خبرناه ، ولا عرفنا ولا عرفناه ، فكيف تقطعون له بالغلبة ، وتفضلون علينا مصبره ومنقلبه ، وان لم تصحصوا بالعبارة ، فقد دللتم على ذلكم بالاشارة ، وكفيتم والكناية ابلغ من التصريح ، ولوحتم وتلوحتم ادوح من الصريح ، هذا ونحن كم اضللنا من حكيم ، وازللنا من عليم ، وافسدنا من عابد ، وعقدنا من مفاسد ، وارصدنا لهم من مصايد ، واوصدنا عليهم من مراصد ، وابطلنا من طاعات ، وعطلنا من خيرات ، واحبطنا من صلوات ، واحبطنا من زكوات ، وضيعنا من حجات وصدود ، وضبعنا من مبرات ونفقات ، واسقطنا من اعمال صالحات ، وكم لنا فى الشر من سوق ، ومن سوق الى فسوق ، والقاء فى حرام ، وتسويل عظائم واثام ، وكم لنا من احكام أحكام ، على القضاة والحكام ، يستحسون بها المسحت والحرام ، ويأكلون بها اموال الايتام ، ويستبيحون بها الدماء والفروج ، وكم دخلنا فيهم فاخرجناهم من الاسلام خفى خروج ، وكم لنا فيهم من مصايب بعصايب ، وحواصب مناصب ، وكتايب نوادب ، وخرايب نواهب ، وغرايب نوادب ، نسلبهم بها دينهم ، ونمنعهم اعتقادهم الحق وبقينهم ، وكم لنا فى سكونهم الى الطاعات من حركات ، وفى ركونهم الى الخيرات من السقطات ، وكم حبست لهم الطاعات من همم ، فبددتها وساوسنا فحصل منها فى احشايهم الضرم ، وفى وجود خيرهم العدم ، وفى صحة ابمانهم السقم ، وفى شباب صدقهم الهرم ، وفى سحنون اعانهم الصفران والالم ، وفى دائره حلالهم الحرام والحرم ، وكم وكم وكم ، ونحن الان على ما كنا عليه ، وهذا هو الذى طبعنا عليه ، ونُدبنا اليه ، دابنا عن الحق اضلالهم ، وعن الصراط المستقيم ازلالهم ، والى المباطل دلالتهم واذلالهم ، نزين لملوكهم الاجراء ، ولكبرائهم الاغراء ، ولوسايطهم الاذراء ، ولعلمايهم المراء ، ولزهادهم الرياء ، ولتجارهم الربا ، ولامرايهم سفك الدماء ، ولنسايهم السلاطة والزنا ، ولخواصهم الغيبة والنميمة ، ولعوامهم الخوض فى جريمة ، ولمشايخهم قول الزور ، ولنسايهم البوائح والنجور ، وهذا دابنا ودابهم ، ولم نزل اوصافنا ورقابهم ، فان قلنا ان نصل بهم هذا الواصل ، فان هذا تحصيل الحاصل ، وان قلنا نستانف عملا جديدا ، فاذا لم نترك فى ذلك ما ينبغى مريدا ، وقد بلغنا فى كل ذلك الغاية ، وما نحن ملابسون منه ما ليس وراءه نهاية ، ولم يبق الا المقابله فى المقاتله ، والمباشرة بالمكاشره ، والمفاتحة فى المفاتحه ، والمكالحة فى المكالحة ، فلما سمع الوزراء هذا الكلام ، عرفوا ان اسباب دولتهم اذنت بانصرام ، غير انهم لم يقدروا على المخالفة ، فيما وسعهم الا المطاوعة والموالفة ، ليلا يسبقهم الى غرض ، فيحببهم منه عرض او مرض ، فحسنوا له راى المصادمة ، ومباحثة العالم والمقاومة ، وانفقت الاراء على ان يراسلوا العالم

اولا، فانتخبوا من بعضكم ان يكون مرسلا، فيحمله العفريت من الرسالة، ما يتضمن من الحماسة والبسالة، حسبما يراه المعمس، وفكره المدبر للحسس، وكان في شياطينه المردة، وغيلانه العتاة العندة، عفريت من الجن مارد مسنّ، اسمه حمنّ ابن محنّ، قد اصل عفاريته، وارل قواعده، وتشرب بعض بني ادم، وغمس منهم ذوايف في نار جهنم، بعد ما غطسهم من المعاصي في لمّ، لا يمنعه وجوم، عن الهجوم، ولا اخلاف الرجوم، من النجوم، شاهما اطار البواعق، في المشارق، وانسرم في الغرب بوارق بوادق، وملا ما بين الخمس من صواقع الصواعق، وفوّح نتان الوساوس، وفشاء الضربان في المجالس، فانتدب للشرور الثمن كل فعد وجالس، فلم له توفيق بين الحرامين، وتقريق بين الحلالين، وسفك دماء بين الاخوين، وآتاه البغضا بين الحبين، والعداوة بين الالفين، والعربدة بين السكارى، والحروب بين المسلمين والنصارى، وبالجملة فقد انبت بالوسوسة والتلبيس، حقولا كثيرة على ذرية ابليس، فتندبه العفريت الهام، الى هذا الامر المهم، وامهلا الى ان انسلخ اغاب الضوء ثم طارا في عنان الجو، حتى وصلا الى سفح الجبل، متعبد ذلك العالم البطل، الذي ملا الدنيا بالعلم والعمل، ثم كمن العفريت في مغارة، وارسل رسوله بالسفارة، بقول ابلغ عالم الانس، صاحب الكرامات والأنس، ومقرب حضيرة القدس، من شيخ العفاريت، النغاة المصابيت، اعلم انه من قديم الزمان، وبعد الحدثان، اضللت كثيرا من الناس، بالمكر والخداع والوسواس، وفي امثالي نزلت قل اعوذ برب الناس، وابن عمي هو الوسواس الخناس، وكان من جنس بني ادم، كذا وكذا الف عالم، خدامي ومعيني، وجندي وتبعيني، منهم رؤس الزهاد، وعلماء العباد، وعلى محبتي مضوا، وبانباع اوامري انقضوا، فانا فتنة العالم، واعدى اعداء بني ادم، الشيطان الرجيم، وابليس الذميم، اسم ذاتي، ووسم صفاتي، انا مقدمي الشياطين، وراس العفاريت المتمردين، ومحل غضب رب العالمين، خلقت من مارج من نار، وطبعت على انفاء البوار والدمار، رجوم النجوم انما اعدت لاجلي، وعتاة الغواة لا يصل راسها الى مواطئ رجلي، الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب اية صيغتي، وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم طراز خلعتي، اساجد لمن خلقت طينا مقام مقالي، لاحتنكن ذريته الا قليلا مجال جدالي، لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا منشوري القديم، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا مرسومي الكريم، الشياطين تستمد من زواجر مكري، والاعور اللعين يستفيد من ضمايم فكري، لم تمر فتنة في الزمان الغابر الا ولي شركة فيها، ولا حدث محنة لنبي ولا ولي الا وانا متعاطيها، جدي ابليس، نهض بجدي التعيس، والى نحو ادم هوى، فعصى ادم ربه فغوى، وانا قمت بانتسويل، حين قتل قابيل هابيل، وملت بقوم نوح عن اتباع النصوح، وارشدت المجوس الى عباده النار ووضع الناموس، واضللت عادا وثمود، وشدادا ونمرود، ودللت على عبادة الاصنام، في البيت الحرام، وعلى كيفية انشاء ابراهيم، نار الجحيم، وهديت قوم لوط، الى الخوض في انغلوط، ومحافر الشروط، وسولت لاولاد يعقوب، وحاولت في قصة ايوب، وتحديت لام سمعيل، وعارضت ابنيا وهو مع الخليل، وانسيت يوشع قصة الحوت، وساعدت على صاحب الحوت، وجلست بالعصيان، على تخت سليمان، وحضرت وقعة جالوت، وساعدت عليه جالوت، وانا كنت النمرود، لهامان وفرعون، وبحسن ضبطي، قتل موسى القبطي، وانا فتنت داود، واغريت قارون

والبهود، وسلطنة مر على الوالدة والمولود، وذلت على نشر زكريا، وذبح يحيى، وجرت على قتل الانبياء والاولياء، وبدلت تثليث النسوس، تناولي الخمس بامرون بالغسط من الناس، ودعوت الى عبادة العجل دون موسى، وساعدت على المغربون والاحلال بين امة عيسى،

وكم اغويت من رهبان بما زخرفت من صلبان

وقد بلغني عن جمع، من مستمع السمع، وشن قلبك على الذي، ووعاه خاطري ووقر في ذهني، وانا اسارع النجوم، واسابق الرجوم، ان لي اسماء، تذكر في السماء، منها الغابط الرقيبة، وشيخ نجد وارنب العقبة، والمعبم في الملتست البيضة، والمغري على نقض العهد بين قريظة، والمحرض على احد وبدر، من الصناديد كل جلبل القدر، والمشهور في احد النداء، والملقى العرب بالردة الى الردى، والمتسبب في قتل عمر وعثمن، واغتيال علي امير الشجعان، والمغري في وقعة الجمل وصفين، والملقى الفتن بين جنود المسلمين، وان شرّي يريد، ويقصد من الحجاج والوليد، وان في تكثير البدع، بين اهل الجماعات والجمع، وبثهم من الفتن، ما يطن، ويغلب من المنار، واهل البوار والخسار، انواع الشرور والجدال، الى حين بنفخ الدجال، وتستتم هذه الامور، الى يوم البعث والنشور، وفي الجملة والتفصيل، انا شيخ التعسفير والتضليل، وتلك صنعتي من المبتدا، وحرفتي الى المنتهى، ثم انك انت نبعت في هذا الزمان، وشهرت في هذا المكان، تريد ان تبدّ ما بنيته، وتعوّج بصلاحك ما بفسادي سوّيته، وترد كلامي، وتعاكسني في مرامي، وانا كنت في قديم الزمان، من قبل ان توجد انت في المكان، بديت في بنيه، وشهرت بين ذويه، بقولي

كلوا واشربوا وازنوا وطوفوا وغمروا الا واسرقوا سرا وخوضوا الدما جهرا

ولا تتركوا شيا من الفسق مهملا مصيركم عندي الى الجنة الحمرا

وكانوا قد سمعوا واجابوا، واطاعوا وانابوا، بشملي بزمر منتظمر، وامري بتفريق كلمتهم ملتئم، اسهم مراسيمي المسمومة نفذه في المشارق والمغارب، وسيوف مناشيري المذمومة قطعة في الاعجام والاعارب، كم لي في الاطراف، والافاق والاصناف، من ملك ونسب، وسمع من البر حاجب، واميس وصاحب، ووزير وكاتب، ومشير وحاسب، وجاسوس وندبم، وتابع وخدم، وناظر وعامل، وناقص وكامل، وكم لي من جاني، جمع بتفريق قلوبهم نقد سوبداتم الى بابي، وكم لي في المدارس، ذو وساوس، وفي الجوامع، والبيع والصوامع، من مذكر وواعظ، وامام وخطيب، ومقرى وعابد، وشيخ وزاهد، وكم لي في الزوايا، من خبايا، وفي اخصاب الروابي من روايا، وتبيد في النادي، فاق الحاضر والبادي، يعلم لي في الشبيبة اولادي، وفي البلسة حفدتي واجنادي، واما سابر الفساق في الافاق، وسكان الاسواق، وقطان الجبال والوهدان، ورحالة الصحاري والاودان، فكلهم لي عشتاق، والى رويتي مشتاق، وسل عني ارباب الخانات، وسكان الحانات، وبالجملة غالب الملوس، وارباب الوظايف، على باب خدمتي واقف، وعلى طاعة مراسيمي ليلا ونهارا عاكف، منائي منائم، ورضائي رضائم، وان خالف بعضهم سرهم نجوائم، الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم، وانت الان جيت بزرقك وسالوسك، وطامتك وناموسك، تبدد عي عساكري، وتشرد من يمين الانس عشايري، وتفرق

جموحي، وثناني من انفسق والفساق ربعي، من غير ان تشاورنسي، ولا تحادثني ولا تحاورنسي، ولا تباحث معي ولا تناظرني، وها قد جمت البك، ونزلت كالضيف المبرم عليك، اريد ان اناظرك في انواع من العلوم، واسئلك عن حقائقها من طريقي المنطوق والمفهوم، مستضيء من نور الانس والانس، وسائر نوع الحيوان ، بنفس، فيظهر اذذاك جهلك، فينبذك قومك واهلك، ويتركك معتمدون، وينتقل عنك وتتراجع مردودون، وافسد بهن العالم صيتك واذلعه، فاجعل بيننا وبينك موعدا لا تخلفه، فلما وصل رسول المعزيت، الخاسر الصفريت، الى الشيخ العابد، العالم الراشد، الجاهد الصامد، فعند ما وقع نظر الشيخ عليه، ووصلت سهام لحظاته اليه، كاد ان يتماوت كالملتاع، والى يعوم كالصداع الصلتاع، فبهت الذي كفر، واخذه الدهشة والحيرة، وغلب عليه الانبهار، وكاد ان يخسر من الانوار، فقال له الشيخ والك وما لك، وما احالك وغيّر حالك، وما موجب دخولك علي، وانت غير منسوب الي، فقال كف عني انوارك، واطو عني اسرارك، حتى اقول، فاني رسول، فما لي طاقة بروبتك ولا سواغ، وما على الرسول الا البلاغ، فقال رسول اي شيطان لعين، وبهتان لعين، فقال شيخ المعفريت، شيخ المصائبين، المشغوف بالخوافي، الواسع المناخر، المسلوب المفاخر، ابو السعائي، ابن الطائي، قد اقبل اليك في جمع كثير، وعدد من الجن غزير، وهو في المغاربت، وعتاة المصائبت، وقد حملني اليك رسالة، تتضمن من الحيث فحواها، ان شئت ابديتها، وان شئت رددتها، فقل فيما ترتد، وابلغ ما معك عن ذلك العبد، واوجز ما تقول، فلعن الله المرسل والرسول، فابلغ الرسالة وادائها، واسال في اوديتها مؤداها، فقال الراشد واذا اردنا ان نقبلك فربما امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا والله ما نلم شبه في هذا الليد، الا الحمار في الوحل والحمام في شبكة الصيد، فل لمرسلك ارى قدمك، اراني همك، واخوانك اغوى لك، وافعالك اغي لك، وسوالك اسواء لك، وخيالك اخيا لك، قاولي لك اولى لك ولعن الله اولى لك، لا شك ان الله تعالى اراد دمارهم، ان يجعل انارهم، ويخلي من ديارهم ديارهم، فيريح البلاد من فسادهم، والعباد من عنادهم، واذا اراد الخلاق، واحقر الداعين الى الحق، ولكنني بعون الله وقدرته، والهام الحق وقوته، لي من العلم والتسلط ما اجيبه، وبقتاله ، من خوفه في جوفه وجبينه، وسيطهر في الجمع وعلى رؤس الاشهاد عربه وعجيبه، وسيبين الله في بيان الحق غروته، ويكشف صحيح الامر ومريضه، وان اكن بدعاء رسوله وعزيمته، فان الله تعالى فضل نمرود العالي بمعونة، فريدون ليطفيوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون اما سمع ذلك المغبون، وعلم اللعين الجنون، انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فمن اراد حضوره وتغيير نفسه وتغييره ، وتعجيب معه من يريد، من كيد شيخ عبيد وشيطان مريد، فان الحق حق وباطل الباطل، فتهيأ في حلبة السباق للخلي من العاطل، ورد على هذا الجواب الرسول، وقد عجب من سماعه فاع العقول، ثم ان المعفريت المخذول، سأل الرسول عن اوضاع الشيخ الراشد، واحواله في المعاهد والمشاهد، وما شاهده من اموره وحكاياته، وحركاته وسكناته، واخلاقه ومعاملاته، وغريبة شيمه وصورته، وما شاع عنه في قومه من سيرته، فقال رايت رجلا سعيد الحركات، كامل البركات، صورته جسمانية، واوصافه نبيلة، وشيمته جليلة، بدنه مجبل،

وفتله عريض طويل، وكلامه الصادع على امثالنا فصل، وقذف الله في قلبه الفزع، واخذه نواقض الرعب والذلع، وسال والد ان هذه الاوصاف، لصفة الاعراب والاعراف، وسنطرحنا وراء جبل قاف، وانها لمنتجة الفلاح، وعلامة الفوز والنجاح، وانكم لهم المنصورون، وحزب الله هم الغالبون، ولقد ندمت على مراسلته، وكان الاول سلوك طريق، تحاملته، ولكن الشروع ملزم، ولا بد ان اقر ما عليه اعزم، فواعده الى وقت معلوم، وحشر واحشر من جنده كل حشي طلسوم، وعفريت غشوم، ومتمرد مشوم، وخلوق من قبل نار السموم، واجتمع من بني آدم عدد النمل والذر، واصحابه المتخلصون وجماعته، وكانوا الجم الغفير، والجمع الغزير، واشمرتوا بعد ما خبطوا واختبطوا، وحلوا وارتبطوا، انه ان اجاب الشيخ سؤالات العفريت، وسرى في نارهم سريان النار في الكمرت، لا يظهر بعد ذلك اليوم، لبني ادم احد من اوليك القوم، بل يكونوا عن الابصار محجبين، وتحت الارض وفي الجرائر والخرائب برنادقة بغداد منتفين، وان عجز الشيخ عن جواب سؤاله، يهلكه العفريت مع خيله ورجاله، ثم شرع العفريت في المسائل، والقاء المسائل، فقال العالم على كم قسم، وما العرض والجسم، وهل العالم موجد، واذا كان فهو واحد او متعدد، فقال الراشد الامام، العالم على ذلة اقسام، الاول معدات العناصر كالتراب والماء والنار والهواء ويسمى بالاستقسات، والمركبات، من هذه الاجزاء مفرده، لا تستمر على حاله واحدة، ولا تخلو من حركة واحدة، فاليها النفير من حال الى حال، الثاني الانسام النباتية، كالسموم ونواليها المتضدة، وهي متحركة بالنمو، وحركتها قسرية اذ ما ليست عن مزرعها خروج، فهي متحسرة من بعض الجهات، سيادة خاصة في الرضعات، وتوصف في حركاتها بالسعود والهبوط، والصعود والسقوط، والذهاب والمجيء، والرجوع واستقامة الحال، والاحراف والانصراف، والانحطاط الى الحضيض والانتصاب، ويحكم عليها بالاقتران والاقتران، والتربيع والتثليث والتسديس في السير، والمقارنة والرجوع، وتسمى السير والسرعة، وينسب اليها، ما حدث في العالم السفلي، من جنس الوقائع والحوادث، من الصحة بسعادة، ونقصان وزيادة، وخير وشر، ونفع وضر، وتأثير وتأثر، وعامل ومعمول، واجتماع وافتراق، وحدوث وزوال، وصحة وسقم، وسكون وحركة، ووجود وعدم، فبعض من وصف الطبيعة نسب الينا هذه الاشياء على الحقيقة، وذهب يتصور فيه وجه النعمة، فعول بعضهم الامر الى الربع الرصاني، واعتقد من لم يكن له ادراك، يزعم ان هذا اشراك، ولا يسند هذه الحوادث اليها، ولا يعقل في ذلك ابدا عليها، لا بالحقيقة ولا بالمجاز، ولا يسلم في ذلك طريق الجواز، لكن المعتزلون من المتاخرين، والمتكلمون من العلماء، من حكماء العقيقة، يسندون هذه الحوادث والمتاعب، الى قدرة الفاعل الحبير، والصانع القدير، الفاعل المختار، الذي يخلق ما يشاء ويختار، فاذا نسبوا هذه الافعال، الى غير ذي الجلال، انما يجعلونها في ذلك الباب كالآلات والاسباب، كنسبة الخبز في الاشباع، والنار في الاحراق والايجاع، وكفعل الماء في الارواء، وانما ذلك كله بتقدير صانعها، وما اودعه فيها من خواص بدائعها، كخاصة الاسهال الموضوعة في السقمونيا، وخواص الخمر وعده الكاينة في المومياء، والاسكار في الخمر، والاحراق في الجمر، وقد رأينا القوة النامية، عقيب الامطار الهامية، والشمس حامية تهيج وتنمو، وتموج وتركو، وهذا الصنع البديع، اذا حلت الشمس في برج الحمل وقت الربيع، واذا نقلت الى برج

الاسد، احترق ذلك الجسد، وعند نقلها الى البرجاس، ينقلب هواء الزمان، وكذا اذا تحوّلت الغزالة الى برج الجدى، فكانه باغ فى محاله الهدى، فتموت اذذاك قوة الزمان، وتضعف لذلك قوى غالب الحيوان، ودل هذا مشاهد محسوس، لا يمكن ان تنكره النفوس، خواص وضعيا خالق الكون، يستفاد بعضها من الطعم والريح واللون، وبعضها لا يدرك ما اودع فيه، الا بارشاد خالقه ومنشيه، هكذا جرت سنة العزيز الوهاب، ان الاحكام والودع تناط الى الاسباب، وقد يتخلف منها الاثر عن المؤثر، لبعلم من ذلك وجود الفاعل المدبر، وانها مقهورة تحت الامر، ومقسورة قسر العقل مع الحمر، ولو لا ذلك اى شر رجيم، لما تخلفت النار عن احراق ابراهيم، ولما ولدت مريم عيسى، ولاغرق البحر بنى اسرائيل وموسى، وكم من ابل وهو جيعان، وشارب وهو عطشان، ومدثر يتدفأ وهو بردان، والفلك الاعظم محدث بهذه الاجرام، ونسبتها اليه كنقطة فى بحر ضام، متناثرة بتاثيره، دايرة بتدويره، تتحرف فيها، على حسب ما انشاه باريها، وصرفه فيها منشيها، فاطر السموات والارض، جامع الخلايق ليوم العرض، وكما هى محاطة من الدايرة العود، كذلك هى محيطة بالدرة الذهنا، القسم الثالث العقول والنفوس الملكية، وهى اشرف من الاجرام العلوية، ومقام هذه العقول، فى مقام عزيز الوصول، دسمى اعلى علمين، وجواهرها لا توصف بتحريك وتسكين، ولا بهذه البسائط والمركب، واسرها بدع وشانها عجيب، واما العرض فما لا يقوم بذاته، وهو فى العالم كالالوان والطعوم واصواته، والروايح والطعم وارادانه، واما الجسم فما تركب من جوهرين واكثر، وما دم بنفسه دسمى الجوهر، واما موجد العالم فهو واحد لا يثنى، احد لا يتجزى، ولو لم يكن للعالم صانع، لكان العالم اتبع صانع، وكل رايت مصنوعا بلا صانع، وسقفا مرفوعا بلا رافع، وهل نفى الصانع الا مكابر، ولا يجحده الا النفوس الكافرة، قال العقريت فما الدليل على وجود الصانع، العقل ام النقل ام احدهما متبوع والاخر تابع، فقال العالم قد اتفقت العلماء، واجمعت الحكماء، ان العقل دليل على وجود الصانع، مستبدا بالدلالة والشرع له تابع، وكما هو الدليل القاطع على وجود الذات، هو الدليل المستقل على اثبات الصفات، وهى صفات الكمال، وما يليق بالذات من صفات الجمال ونعوت الجلال، قال العقريت فما الدليل على وجدانه، قال الواعد كل من العقل والشرع كاف فى دلالته، قال العقريت فما المراد من علم الكون والفساد، فقال العالم معرفه امور المبدا والمعاش والمعاد، فقال العقريت ايهما افضل العقل، ام النقل، فقال العالم كل منهما حجة الله، فقد استعبد بهما من عباده من براه، وذلك ان الله الذى ارشدنا الى الدين القويم، ونبهنا اقدامنا توحيدنا على الصراط المستقيم، نبهنا ان المقصود، من الدخول الى دايرة الوجود، معرفة موجدنا المعبود، كما قال من يقول للشى كن فيكون، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون، اى ليعرفون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون، ثم طلب مراضيه، بما تبرز به اوامره ونواهيه، وذلك هو الرشاد، يا ذا المكر والعناد، الى المعارف الالهية وما به نظام المعاش وجاه المعاد، وليس لنا دليل فى العلم والتعريف، سوى طريقين مرشدين الى التوفيق، على امور المبدا والمعاد وما بينهما فى دار التكليف، احدهما ما جُبلنا عليه وما اكتسبناه من العقل، وثانيهما ما بلغنا من الاخبار الصحيحة والنقل، لا مدخل له فى اثبات

المعارف الالهية، ولا فى وجود الصانع الا بطريق التبعية، فالعقل المكرم هو فى هذا الباب مقدم، وهو حجة الله القاطعة البالغة، واصل براهينه الساطعة الدامغة، وبواسطته استعبد عباده المكلفة، والى من خصه به ارسل رسله، ثم العقل قد جوز ارسال الرسل، ولا برد ما يقوى به لتوضيح السبل، والنقل لا يأتى بما يناقض العقل، وانما يرد بما يؤكد به قضاياه ويصقل مرايا احكامه احسن صقل، ونظير ما حصل للعقل بالشرع من الاستيناس، ما يحصل للكتاب من معاضدة السنة والاجماع والقياس، ولو ورد المنقول، بما يناقض المعقول، لاشبه فرعًا توجّه لهدم ما له من اصول، ثم اذا اقبلت مواكب الاوامر الالهية على لسان الرسول، خضعت جماجم العقول منقادة برمام الانقياد والقبول، سامعة لما يرد منها، مطيعة لما يصدر عنها، فتارة يظهر للعقل ما فى الاوامر الشرعية من الحكم كنار على علم، وتارة يعجز عن الاطلاع على ما تضمنته الاحكام النقلية من الحكم، فاذا ورد الشرع بحكم وكان للعقل فى حكمته ادراك، ايّده واكّده واستمسك به فى تصرفاته اقوى استمساك، وان لم يكن له فى ادراكه مدخل، نادى بلسان العجز والتسليم سبحان من لا يُسْئَل عما يفعل، والحاصل ان سلطان المعقول، فى ممالك خليفة الشرع وولايانه معزول، ومن جملة ما ورد من السمع، على لسان عدوك صاحب الشرع، الصادق فى المقال، مما ليس للعقل فيه مجال، احوال المعاد ومبدأها ما يطرأ على العباد، فى حد هذا الكون من الفساد، قال العفريت اخبرنى يا هذا، الانسان مخلوق مما ذا، وما الادمية، والنفس الانسانية، وهل هى واحدة، او متعددة، ومآلها الى ابن، بعد وقوع البين، فقال العالم الانسان مخلوق يا مصفعة، من هذه العناصر الاربعة، التى مرّ ذكرها، وتبيّن امرها، التراب والماء، والنار والهواء، فاذا تمازجت، واعتدلت اذ تراوجت، حصل لها من التركيب، امزجة ثمانية على الترتيب، والادمية عبارة عن القوة المميزة بين الحسن والقبيح، والفاسد والصحيح، والحق والباطل، والحالى والعاطل، والخير والشر، والنفع والضر، والمميزة لهذه الاشياء الفارقة، يقال لها النفس الناطقة، وهى ثلثة انواع، يا خارج الطباع، احدها الروح الطبيعية دبمة بالكبد، وهى من الاغذية تستمدّ، والثانية، الروح الحيوانية، ومقامها القلب، اى كلب، وللابدان منها الحراك، واستمدادها من حركات الافلاك، الثالثة الروح النفسانية، ومقامها فى الدماغ ومنها الحركات الذهنية، فالقوة النامية الغوية، تطلب غذاءها من الروح الطبيعية، والقوة المميزة تطلب ما يسعدها فى الدارين من الروح النفسانية، ويبعدها فى المقامين عن الاسباب الشقية، واستمدادها وقوتها من الاجرام العلوية، واعلى مقامات هذه النفس الحكمة، فالحكمة اوفى منحة واوفر نعمة، وقد قال تعالى يوتى الحكمة من يشاء ومن يوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرًا وما يذّكر الا اولوا الالباب، ومصير هذه الارواح الى عالم الغيب لاجل الثواب والعقاب، وقيل حقيقة نفس الانسان، ابها المارد الشيطان، لطيفة روحانية، ودقيقة ربانية، لها تعلق ربانى، بقلبه وقالبه الجسمانى، وهى المدركة العالمة، العارفة الداعمة، بها يتكلم اللسان، وتبصر العينان، وتسمع الاذنان، وتبطش اليدان، وتمشى الرجلان، وعى المخاطبة والمعاتبة، والمثابة والمعاقبة، والمطلوبة والمطالبة، ويطلق عليها لفظ القلب تارة ولفظ الروح اخرى، ويقال لها النفس مرة ولفظ العقل ايضا، وابن ادم هو المخصوص بهذه الكرامات، وبهذه النفس دون سائر الحيوانات، وان كان يطلق على الجميع اى

نفسًا بالاشتراك، لكن هذه النفس الناطقة والنطق هو الادراك، واختلف ايضا بل تحيرت الالباب، في صنع رب الارباب، وتاهت الافكار والعقول، في كيفية تعلقها بالبدن، ولا تجعل لاحد على هذا وقف، الا بدليل الولاية والكشف، وهذه النفس لما كثرت صفاتها، وتضادت نعوتها، تخالفت اوصافها، حتى قسموها فقالوا انواعها ثلثة نباتية وشهوانية، وغضبية ردية، فالنباتية مسكنها الدماغ، ولها فيه مساغ، والكبد مسكن الشهوانية، والقلب مسكن الغضبية، فاذا نفس غلبت اختيها، جذبت احوالهما وصفاتهما اليها، وهذا يا انعس زبدة، كالعناصر الاربعة، فانها اذا فسد مزاجها، وعدل عن الاعتدال ارواحها عسر علاجها، واستحال المغلوب الى الغالب، وعجز عن المعالجة الطالب، ففسد البنيان، وانهدم الاركان، وفعل حمارا روح ونفس، بغير لبس، وهما ضدان، بل ضدان، لا يجتمعان، ولا يرتفعان، فطبع النفس يا ثمود، طبعك طبع الشيطان الرجيم، كالنار في جوهرها، وخاصة عنصرها، ونسب اليها الصفات الذميمة، والخلال الغير المستقيمة، كالجهل والغضب، والحدة والصلف، والظلم والبغي، والكبر والحمية والشيطنة، والنزق والخفة، والحسد واللجاج، والحقد والاحتجاج، والخيلاء والبخل، والتواني والكسل، والخوف والجبانة، والعجز وعدم الامانة، والترفع والرياء والمذمة والمراء، وسائر الاخلاق الذميمة، والاوصاف المشومة المذمومة، والملكات الشيطانية، كالنار في احراقها وحدتها، وانشائها وشدتها، ودخانها ولهيبها، واهلاكها وتعذيبها، واقدامها، واعدامها، واكلها ما تجده، ربما وصلت اليه تفسده، وتلتهب العلو، والغليان والغلو، وطبع الروح، اي احس الخروج، كطبع الماء في النزول والنماء، بنسب اليه كل خلق كريم، وطبع سليم، صافي الجوهر، ما لامسه تطهره، شيمته الاحياء والعلم، والصدق والحلم، والتفويض والتوكل، والتسليم والتجمل، والاحتمال والتؤدة، والصبر والتودة، والاوراء والسخاء، والاعطاء والجود، والتذلل والخضوع، والتحمل والحياء، والتعدل والتواضع، والعفة وعدم الترفع، والسلامة والسهولة، وسرعة الاقبال، واللين والوداد، والرفق والصفا، والكرم وعدم الجفا، الى سائر الاخلاق المحمودة، والاوصاف المطلوبة المعهودة، فلما فوت تلك، وجذبت الاخرى اليها وسلبت، وصيرتها على طبعها، واستخدمتها في ردعها، فكم من شيطان، ترى في صورة الانسان، ومن انسان، غلبت عليه اخلاق الشيطان، ومن بشر، في سمة انسان، وتطير هذا الروح والبدن، بدركه ذوو العقول والفطن، فان الروح من عالم نوراني، لطيف سماوي، والبدن من عالم ظلماني، كثيف ارضي، فبهما غلب على صاحبه، جذبه الى مركزه وجانبه، قال الله تعالى وعز كمالا، وجل جلالا، يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وقال جل عليًا، ورفعناه مكانا عليا، وقال لو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فالانبياء عليهم السلام صارت اجسادهم ارواحا، والكفار مثل صارت اذ هم ظلمانية اشباحا، وقيل بها زوبعة، الانفس اربعة، امارة وهي نفس الكفار المنغمرة، ولوامة وهي انفس العصاة، وملهمة وهي انفس المخلطين، ومطمئنة وهي انفس الانبياء والمومنين، والحق يا جاحده، ان النفس واحدة، ولما تجلت في ملابس الصفات، وتلونت لها الاخلاق والسمات، نوعوها، وبمقتضى التنويع فرعوها، تنزيلا للتنويع في الصفات، منزلة التنويع في الذات، فيحك كانت نفس هذا شيطانية، فتاب فصارت رحمانية،

وكانت نفسه ابية، فصارت دنية، دل الله من يراها، ونفس وما سواها، فالهمها فجورها وتقواها، قد افلح من زكيها، وقد خاب من دسيها، دل العقريت اخبرني ايها الباصر، عن كوكبه تريد هذه العناصر، فقال بحسب الجمعة والطاعة، والثقل والكدرة، وكل عنصر كان اثقل، فهو احط من الاخف واسفل، فعنصر التراب اسفل، فكان اركد من الكل واثقل، ومن فوقه عنصر الماء، وفوق عنصر الماء عنصر الهواء، وفوق هذه الثلثة عناصر، عنصر النار وهو بها محيط دائر، وكذلك كل عنصر محيط بما تحته، وقد جمعت هذا وعلمته، دل العقريت اخبرني عن اقرب الاسماء اليك فقال العقل الاول، اقرب الاشياء الاجل، قال اخبرني بابعد اسمائه عنك فقال العالم الا تدر، ما لم يقسم ولا يقدر، دل اخبرني عن الشيء الممكن عوده فقال الدولة ان زالت، وتحربت واستحالت، تمكن ردها، ولا يستحيل عودها، دل اخبرني عما لا يمكن عوده، ولا يختص بعد الذبول عوده، فقال عصر الشباب، محال الاياب، قال اخبرني عما لا يمكن بالاكتساب، ولا ينال الا بقوفق الملك الوهاب، فقال العقل العزيزي، فانه وهب عزيزي، قال اخبرني عما لا يمكن ضبطه، ولا يضبط ربطه، قال الدهر اذا ولى، والسعد اذا تحلى، قال اخبرني يا ذا الجد، عن النهول الذي يراد به الحد، فقال ابرار حكم الامثال والاداب، خصوصا على لسان الحيوانات والجمادات، قال اخبرني عما لا يمكن الاحاطة به، ولا الوقوف على معرفة كنهه، فقال علمه صانع الكائنات، وخالق الموجودات، تعالى ان يحاط به علما، وتقدس ان تدرك عظمته معرفة ووهما، ولهذا قال سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وقد صدق قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره فلما طالت المحاولة، وانتهت الى اخذ المقام المجادلة، اقبل الملك، وقال للعقريت وجنده الويل، وتصدع المجلس، وقام العقريت وهو ايس، وتواعدوا على الصباح، عند قوله حي على الفلاح، ان يجمع الوجوه الصباح، لرد جواب الشياطين القباح، فعرفوا وقد احاط بالعقريت الوهم، وقعد في احشائه من سهام الذل اقطع سهم، وبات لا يقر له قرار، ولا يأخذه اصطبار، وساوره الافكار، وثاوره الهم والاعكار، والغم والبوار، والحسن والدمار،

الى ان اضاء الصبح كالحق مقبلا ... وولى ظلام الليل كالجهل مدبرا

فجمع من كان بالمجلس حاضرا، ومن سمع بحضورهم ولم يكن ناظرا، من جموع الانس، والجن من كل جنس، واخذ كل مقامه، وابتدا العقريت كلامه، وقال ما منع النعمات الجميلة، والشمائل السعيدة، المار ذكرها الفار امرها، وهي يا هذا، بنجابة ما ذا، فقال العالم الحقي، العامل المدقق، ذي همة العقل القويم، الهادي الى الصراط المستقيم، ويكفي العقل من التشريف، انه مناط التكليف، له الله يخاطب، وبه يعاتب، واياه يكرم ويعاقب، وبه ياخذ وبه يعطي، وتابعه يصيب ولا يخطي، فكلما كان العقل اتم، كانت محاسن الاخلاق اعم، وكلما كان راي العقل اصوب، كان في اقتناء مكارم الاخلاق ارغب، فقال العقريت فهل هو نوع واحد، ام طريقه متعدد، فقال الشيخ العقل نوعان، وحكمه واحد لا يختلف فيه انسان،

فاحدهما العقل الغريزى المنيف، وهو مناط التكليف، يحدثه الله الرحمن، ويتدرج الى حين بلوغ الانسان، فيكمل اما بالسن او بالاحتلام، فيجرى انذاك عليه قلم الاحكام، ويدخل فى حيز المخاطبين من ذوى الاحتلام، ويترتب عليه الحساب والعقاب من الحلال والحرام، والثانى يحصل بالاكتساب، والتجربة فى كل باب، ولهذا يقال ان الشيوخ اكمل عقلا من الشباب، وقيل من بياض الحوادث سواد لمته، واخلقت التجارب لباس جدته، وارضعه الدهر من وقايع الايام اخلاف درته، واراه الله تعالى لكثرة ممارسته، تصاريف اقداره واقضيته، كان جديرا برزانة العقل ورجاحته، فهو فى قومه بمنزلة النبى فى امته، قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تاديبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مراة العقل وقال

الم تر ان العقل زين لاهله ... ولن تمام العقل طول التجارب

قال العفريت ما فايدة العقل فقال العالم فايدته الارشاد، فى بيداء الجهالة الى جادة الرشاد، والاهانة فى الشدايد، والوقوع فى مصايد المكايد، وحصول الخلاص، من شرك الاقتناص، واجابة الاغاثة، عند الاستعانة والاستغاثة، ومديد المعونة، اذا انكسرت من الحبل السفينة، فى بحر الملامة، والخلاص الى بر السلامة، والاغناء من كنز القناعة والصبر، عند استيلاء نوايب الفقر، قال فمن العاقل فى العالم، ومن يطلق عليه هذا الاسم من جنس بنى ادم، فقال العاقل من يحتمل اذا ضيم، ومن هو فى الغضب حليم، فاذا اعطى شكر، واذا منع صبر، ويعفو اذا قدر، ويستهون امور الدنيا، ولا يغفل عن امور الاخرى، قال العفريت ما الفايدة فى حب الدنيا، والرغبة الى ما فيها من الاشيا، ولاى معنى غلب الحرص والهوى والرغبة فيها على اهلها فقال العالم، لاجل قيام العالم، وانتظامه على النهج الاقوم، وبقاية المطلوب، الى الاجل المضروب، الذى قدره موجده القديم، الذى انشاه اول مرة وهو بكل خلق عليم، ولا بد من ان تتم كلمته، وتنفذ مشيته، ولو لا الحرص والامل، لبطل العلم والعمل، فانهما بحجاب الغفلة يغشيان اعين البصاير، ويغطيان طرق استدلال الاسرار والضماير، فلذلك ذهلت العقول عن التامل فى العواقب، واشتغلت بالتهايها عما يجب عليها ان تراقب، ولو لا طول الامل، لما ارجى العمل، ولا انتظم امر المعاش، ولا اهتم لادخار قوت ورياش، ولا افتكر صاحب اليوم فى احوال الغد، ولا ارتفعت المعاملات فما دايين احدا احد، ولا زرع زارع ولا غرس غارس، ولا بنى بان ولا اختص بابس، ولا يفرط انذاك نظام العالم، وبانفراطه تنقرض امور بنى ادم، قال العفريت اخبرنى عن اصل الانسان، ومم جوهره وجوهر الملك والجان، فقال الشيخ اما جوهر الملك فن العقل المحض، براه رب السماوات والارض، ولذلك لا يصدر من الملايكة الا الشيم المباركة، من الطاعة لمولاهم، والانقياد لاوامر من انشاهم، ومن امتثال ما يرد من امر مرسوم، وما منهم الا له مقام معلوم، لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون واما جوهر الجان، واصلكن يا انحس شيطان، فمن الاخلاق الذميمة، والصفات المشومة، فلهذا لا يوجد منكم الا المكر والبيلسة، والشيطنة والوسوسة، وانحس بصفاتكم من صفة، ولم يكن بينكم وبين الخير معرفة، فانتم اى انحس بغيض، وانجس مبغيض، مع الملايكة فى طرفى نقيض، واما جوهر الانسان، فمهما اشتملت عليه صفتا الملك والشيطان، فمن غلب عقله شهوته، وانبس من مكارم الشيم خلعته، فانما تجلت ظلمات نفسه فى انوار الطاعة، وتحلت

صفات ذاته من سنن الابرار في جماعة، وخط رسم اسمها قلم الكرام الكاتبين، كلا ان كتاب الابرار لفي عليين، وما ادريك ما عليون، كتاب مرقوم يشهده المقربون، فهو وان كان بجملته مع الانس، له حضور وانس، لكنه بسره في عالم الملكوت انيس حظيرة القدس، فهو بصفاته المباركة، اشرف من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله، واستولت هلى قلبه حجب الغفلة، وانغمس في بحر الشهوات، واستحوذتم انتم عليه بذميم الصفات، واشقاه الاثر السابق، ولم يعقكم عن التصرف فيه عاثق، فهو بالنهار ساه، وبالليل لاه، واستحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون فهو اخس من ارذل الحيوانات، واردى من اذل الجماعات، فقد خاب مآبا، وتعس انقلابا، ويقول يوم القيمة يا ليتني كنت ترابا، قال الراوي فلما انتهى الكلام، الى هذا المقام، امسك العفريت عنانه، واخرس الله لسانه، وظهر فضل الراشد وعلمه، ووفور حكمه وحلمه، وانه اصاب، فيما اجاب، ولزم العفريت، ومن معه من الجن والعفاريت، وطوايف المردة والشياطين، والعتاة المتمردين، وذوى الابلاس، والوسواس الخناس، ما شرطوه على انفسهم من التخفي وعدم الظهور، والتفرق في الخرايب والكفور، فنفروا واختفوا، ومعلمين ومجدعين انتفوا، وسكنوا الخرايب والحمامات، والحانات والخانات، فلم يظهروا بعد ذلك للانس، وحصل بذلك منهم للانس الانس، واستراحوا من مشاغبة طلعتهم القبيحة، واستمرت الى يوم القيمة من تلك القبايح مستريحة،

الباب الخامس

فى نوادر ملك السباع وتدبيره امير الثعالب وكبير الضباع

قال الشيخ ابو الحاسن الجانى دمار الفضل على احسن ورد وآس، فلما انتهى الحكيم، هذا الباب العظيم، عن علم الانسان والشيطان الرجيم، تنبّه اخوه الملك على غزارة حكمه، وافرغ عليه خلع احسانه وكرمه، وغمسه فى بحر فضله ونعمه، ثم امره بان يقوى الضباع، ويذكر نوادر الوحوش والسباع، لتنبسط النفس وترتاض، وتدخلى بعقود عقيد هذا الاحماض، فعمل ارض العبودية بشفه الادب، وانتهض لاداء ما عليه من المراسم وجب، وقال دخلت فى بعض الغياض، اسد مرتاض، عظيم الصورة، كريم السيرة، واقر لاشبهه على الجملة، له الاسماء والالقاب، غرر الحكم والاحقاب، يبسر بمن الامراء والحجاب، والوزراء والنواب، داعى فى الناس مملكته، وجوانب ولايته، تحسد وبيئس، وتبغضه والدوابس، والحعب والشرغسام، والنمس، والذئاب، والكلب، والضبع، والعنصر الزمرمس، والغضبان وابا العباس، الى سائر الاسماء والالقاب والاجناس، وكثير الاسماء، تدل على شرف المسمى، وهو متباع فى ممالكه وولايته واقليمه، مترسف بثغور الاسد شفاه امانته بعرامته، وله من خواص الندماء، وكبراء الجلساء، نديمان كنديمى جذيمة، يلازمان حضرته ولا يبرحان حريمه، احدهما ثعلب يدعى ابا نوفل، والاخر ضبعان يسمى اخا نهشل، طبعهما لطيف، وكتابهما ظريف، ومحاضرتهما مرغوبة، وصحبتهما مطلوبة، وكان فى خدمته دب هو وبيره، ومعتمده ومشيره، كفائل امور مملكته، ومدبر مصالح رعيته، والملك مفوض امور الرعية اليه، ومعتمد لما يعلم من كفايته عليه، ومشغول ليلا ونهارا بمعاشرة نديميه، فاتسع خيال الوزير، واخذ فى محال التدبير، الى ان النديمين، لكونهما ثالثين فديمين، ربما يصدر عنهما عند الملك ما يحط منزلته، ويفسدان تحسد الذى لم يخل منه جسد صورته، واستحوذ عليه الخيال، واتسع فى ميدانه المجال، فكان خاطرا على وظيفته ومنصبه، مترقبا منهما ما يكون عزله بسببه، فنشا من ذلك فى خاطره جسر، اورثه عداوته، وجذبته الى عداوته، ووقر ذلك فى قلبه وتأكد، وظل عليه من الدهر الامد، فاخذ يعرف الملك عيوبه ما من النديمين فى بعض، وما عليهما قبل ان ينتبها به، ويتفادى بهما قبل ان يقع بهما وبعقل لا بد من تقلب الظروف، قبل ان تقلبوا المعوين، وقد احسن من قال واجاد،

ومن لم يذد عن ذرة النحل قبل ان يطنّ فلا يعتبّ اذا شاك رجلُهُ

واقل الاقسام، ان ينعدعما عن حضرة الملك النمام، فانهى ان فى بعض الاسحار، تجاذب الملك ونديماه اطراف الاسمار، واثر فيهم السهر، لطيب السمر، فى ضوء القمر، وحلاوة ما جنوا منه من ثمر، عاملين بما قيل شعر

منى ما اصادفْ من احبّ بحلوةٍ ... اصرّحْ بما ارجوه من متكتّمِ

يقول فاعفنى او ابتّ فانثنى ... ليسمع قولى كالمها المترنّمِ

اسامره لا ان امـلّ حـديثـه ... وآمـره كلّ الامور سوى نمرِ

فاخذت الملك عيناه، فاستند الى متكاه، فانحل من طرفه وكاه، فلم يمسك، ابو نوفل ان ضحك، لمّا غشت زمارة رماره الملك، فسبقه من ضحكه، وتعجب من جرانه وهكه، ثم اسمر متناوما، لنعطر ما يصدر منهما، فابتدره، اخو نهشل وزجره، وقال ويلك ما ذا رابك، وابى تعجب سمعت ووعيت، حتى تريبك، فى الضحك، اما علمت، وفرات وتهمت، ان الضحك بلا سبب، من قله الادب، وان الخشم، وسابر الخدم، ومن نادم الملوك وجالسهم، يحرم امورهم ويعلم مجالسهم، سوآء غابوا او حضروا، ناموا او سهروا، اكلوا او قعدوا، استيقظوا او رقدوا، وقد قيل رُفع قلم العتاب، والضبط والحساب، عن الصبى والمجنون، والعاشق المعنون، وكذلك السكران، والنائم لا سيما السهران، وعذر النائم يا مسكين، اوضح من عذر اليقظان، فان النوم اخو الموت، وفيه ما ليس فى غيره من القوت، وقد دل صاحب الشرع، الذى زكى منه الاصل والفرع، حفظه الله بجنود الصلاة والسلام وحرسه، بعذر عن النائم العين وكفاء السه، وقال ذو الصدق والتصديق، فى رفع قلم التكليف، وعن النائم حتى يفيق، وانما اعتبر الشرع احوال النيام، وساواهم بالمغمى عليهم لبعض الاحكام، نحو من خمس وعشرين مسئله، صبطها من الفقهآء الكمله، وقد طالعت فى كتاب الاخلاق، ان الله الكريم الخلاق، حيث جعل جنسا من الامم، فى طبايع وصفات متساوى العدم، فلا تعجب احد احدا ولا يزدريه، ولا ينعم عليه عيبًا هو فيه، على الخصوص اذا صدر من الملوك شى بعاب، فلا يحمل ذلك منهم الا على الفضل والصواب، وكل ما كان فى غير الملوك معتبه، واذا صدر من الملوك يعد مثبه، وجب على من جالس الملوك، وكان له فى خدمتهم سلوك، واختصوا بمحاضرتهم، واستسعدوا بمناظرتهم، ان لا يبصر منهم الا المحاسن، ولا يخبر عنهم الا الاحاسن، وقيل من جالس الملوك بغير ادب جلسه، دانه خاطر بروحه وعرض للبلاء نفسه، وقال الله الاعظم، فى كتابه المحكم، لنبيه صلى الله عليه وسلم، ناسمعهم كما امرت وبهذا دل عليه السلام شيبتنى هود واخواتها وما ساد احدٌ فى العجم والعرب، الا بسلوك طريق الادب، وقال عليه الصلاة والسلام ادبنى ربى فاحسن تاديبى فقال المغفل، ابو نوفل، اذا ظهر العلوب من الخيانة، وعاملت اليد بالامانة، وتنقى العرض من العيوب، وكان اللسان غير كذوب، وزكت النفس بالحلم، وعرت عن الجهل بلباس العلم، يصلح لنا ان تسخر بكل احد، وتفتخر على اكبر ما يكون ولو انه الاسد، وانا اذا ثار بهذه الصفات طبعى، فلا علىّ اذا ضحكت على غيرى، قال اخو نهشل لا تقل ذاك لا، واستعذ بالله من العجب والخيلا، واعلم يا ذا الكرامات، ان الجاهل يعرف بثلاث

علامات : احديهما يا محبوب، ان ترى نفسه عـارية عن العيوب، الثـانية يا رفيق الخيـر، ان يرى نفسه اعلم من الغير، الثالثة ان يرى انه انتهى، فى فنون العلم وانتهى، وبلغ اعلى المراتب، وهـذا من اكبر المعايب، وقل الحكماء اذا رايت نفسك عاريا عن العيوب، وتصديت لتتبع عثرات الناس بالعيوب وفتشت عن عيوبهم المجيوب، فانت حينئذ غارق فى بحر العيوب، وبالذى انت طالبه مطلوب، وانظر يا ذا النسكينة، ما قاله الامام مالك رض حين دخل المدينة، وقبل لم يدرك من الفضل اثارا، ولا من الفضلاء غبارا، من راى لنفسه مقدارا، وما دمت انت بهذه الصفة، لـم تشم رائحة المعـرفة، وقيل لبكر جل مطلوبك، حرصك على تفقد عيوبك، وقم فى ذلك على نفسك وذاتك، مقام حسادك ورقبايك وعداتك، وقل ذو الهُدا، وما دل سُدا، شعر

لكل فتى خرج من العيب ممتـل علـى كتفه منه ومن اجـل دهـره

فعين عيوب الناس تنسـب عيونـه وعين عيوب النفس من خلف ظهره

فقال ابو نوفل لقد صدقت، ونصحت اذ نصحت، فجزاك الله عنى خيرا، ووقاك ضرا وضيرا، ولكن يا اخى وقعت صفوه، على سبيل السيئة، وحسنات زلته، على غفلة، واللفظ اذا خرج من عبر نظر، كالسهم اذا رُمى عن الوتر، لا يمكن رده، ولا وعوفه وصده، كما قيل شعر

انقول كالنابل الحلوب ليـس لـه رد وكيف برد الحالب اللبنا

ولكن الذئب والاجنبى، اذا لم يشتبها، لا يتوجه العتاب، ولا يستحق مرتكبهما العقاب، اذا استغفر واناب، واما وان وقع منى الخطاء، ان يحمد الله من سوء الجزاء، ومن المواخذه بالجريمة، وان كانت عاقبتها وخيمة، لانها بينك وبينى، وانت بمنزلة روحى وعينى، ورقبتى وصاحبى، ومراح حقى وجانبى، فسرى عندك مصون، وامرى عن الاشاعة مخزون، وقد قالت الحكماء وذوو التجارب، لا تودع السر الا عند صاحب صديق صدوق، محب شفوق، وانت هو ذاك الموثـوق، فاطرحه فى سويداء قلبك فى سفل الصندوق، فان استمر سرى عندك ساكنا، صرت من وبال عاقبته امنا، ولا يبعد ذلك من شفقتك، وسابق صداقتك، ووثيق بالمروة، وقيامك بحقوق الاخوة، واسـال احسـانك ان لا تخيب لصاحبك مرجوه، فقال اخو نهشل، اعجب لابى نوفل، كيف يغفل، اما سمعت يا عاقل قول العايل، من علامات الجاهل، ان يفرض ماله بالاسـراف، ثم يتقاضاه بالفظاظة والعنف، وان يـودع سره، وخفايا امره، عند من يحتاج ان يتضرع اليه، ويقسم فى اخفايه واستكتامه عليه، ثم يحلفه ان لا يبديه، ولا يذكره لاحد ولا ينميه، وقد قالت الحكماء لا تستودع لاحد سرا، فان فعلت افتك السرا، فان كتمانه قيد هم وعنا، وابداءه كيد هلاك وبلا، وقيل شعر

كل علم ليس فى القرطاس ضاع كل سر جاوز الاثنين شـاع

لم يقصد بالاثنين، الا الشفعين، وقل الشاعر

اذا ضـاق صدر المرء سر نفسـه فصدر الذى يستودع السر اضيقُ

وكل سر تحرك به اللسان، انتشر فى الكون والمكان، ونـاعيك يا سـام، قصة الحرامى مع الحمام، قال ابو نوفل، كيف تلك يا اخا نهشل، قال بلغنى ان رجل من الحرامية، واللصوص القرارية،

كانت نفسه ذات الخيانة، تحرضه على الدخول من حواصل الملك الى الخزانة، فانها لروية الخزانة مشتاقة، ولمعانقة فاسق التحرم عشاقة، وكان جاعدا في ان يعلمها، من متمناها ما يرضيها، ولكن كانت نجوم الحراس بالرصد، ولرجوم ذلك الشيطان كل معد، وكتم هذا السر عن الاخوان، ومضى عليه برهة من الزمان، وهو بكابد اكتتامه، ويخاف من السوء اختتامه، والغدر كامن، والخايف خائن، الى ان طفح عليه ما قصد، وغلا خمر سره في قلبه وقذف بالزبد، فطلب صاحبا يتلفظ به البه، ويعتمد في اكتتام سره عليه، واختلى في حجرته، فقرصه برغوث في حجرته، فمد يده اليه، وافشى بسره معتمدا عليه، وقال في خاطره، عند افشآء سراره، لا لهذا لسان، يقدر على البيان، وعلى تقدير ان لو كان، فانه مثل ولدي، تربى من دم كبدي، ولحم جسدي، واطلع على عوراتي، فلا يقصد غدري، ولا يكشف سري، ولا يهتك ستري، ثم ادنى فاه، حتى وافاه، وقال يا ابا طامر، وكاتم السر في السراير، اني عزمت كالمنهمك، على الدخول الى خزاين الملك، لاستصفيها، وآخذ ما فيها، فاكتم هذا السر عني، وامحص ما شيت من الدم مني، ثم طرحه في سراويله، واستمر في نيته على اباطيله، ثم قصد في بعض الليالي، ما كان يحاوله على التوالي، ويرصده في المكامن، من دخول الخزاين، فلاحت له فرصة فانتهزها، واستعمل دقايق صنعته وابرزها، وانتقل من ذلك الى المبيت، ولطى تحت سرير الملك كالعفريت، والملك نايم على السرير، على الفراش الحرير، معانق الظبي الغرير، وخرزة التاج على راسه تقد، كانها سراج متقد، فقصد اللص اخذها، واقتطاعها وفاذها، فمهل الغوص، الى ان غرقوا في الغوص، وبينما هو متفكر فيما بد، خرج البرغوث من ثيابه، ودخل الى جسد السلطان، وقص بلسان الفرض عليه ما كان من شان، فنهض الملك من مرقده، فراى نفاطة على جسده، فطلب النور، لينظر الامور، وحضرت الجوار، فراين برغوثا طار، ونزل تحت السرير، فقصوا اثره في المسير، فوجدوا الحرامي الكسير، فربطوه كالاسير، ووقع في اليوم العسير، بالامر اليسير، وصار كما قيل شعر

مشى برجليه عمدا نحو مصرعه ليقضي الله امرا كان مفعولا

وانما اوردت هذا المثل، لتعلم يا ابا نوفل، ان سرًا في الفواد، لا يوون عليه الجماد، فضلًا عن متحرك من حيوان، ونعوذ بالله ان كان، من جنس الانسان، وقد قيل في المثل للحيطان اذان، ومن امثال العجم الاوباش، للدبوار اكواش، فلما انقضى هذا الكلام، وكان الاسد استوفاه ووعاه على التمام، وقد اثار في احشايه لهبا، فنهض من مرقده ممتلیا غضبا، واستحال وتحول، وامر بابي نوفل، فقبضوا عليه، ووضعوا الغل في رقبته والسلاسل في يديه ورجليه، وامر الى السجن برفعه، بعد التنكيل به وصفعه، فتشوش خاطر صديقه، وجليسه ورفيقه، ثم انفض المجلس النظيم، ودخل السلطان الى الحريم، فتوجه اخو نيشل، الى السجن المقفل، ولام صاحبه ابا نوفل، وزاد في التعنيف، وقال ايها الاخ الظريف، الم تعلم، ان الشخص اذا تكلم، يضبط كلامه عليه، ويعود محصول ما يلفظه اليه، وقد قال الرب المجيد، ما يلفظ من قول الا لديه رقيبٌ عتيد، وان كثرة الكلام، تضر بالنفس اكثر ما يضرّ بالبدن الطعام، وكل هذا المصاب، انما جاء من الاعجاب، وكثرة الكلام والغرور، وعدم التامل في عواقب الامور، وقال الشاعر

ما ان ندمت على سكوت مرةً ولقد ندمت على الكلام مرارا

وقل حكماء الهند، وبراهمة السند، ما دام الكلام في الفواد، لم يبد منه على اللسان باد، ولم ينصب منه سايل حرف، من صدفة الاذن في وعاء ولا ظرف، فهو كالبنت البكر، المشهوره الذكر، كل احد يخطبها، ويميل اليها ويطلبها، ويتمنى ان يراها، ويتشوق لقاها، فاذا القي الى المسامع، ووعاه كل ناظر وسامع، فهو كالعجوز الشوهاء، الملازمة صباحا ومساء، كل احد يعرّ منها، فاذا تكلمت اسكتت وان سلمت اعرض عنها، وقل بعض الحكماء اللسان اسد، وهو حارس الراس والجسد، فان حبسته حرسك، وان اطلقته افترسك، وقل ايضا الكلام ما لم يبد اسيرك فاذا تكلمت به فانت اسيره وقل ايضا بعض حكماء الملوك انا على ما لم اقل اقدر مني على ما قلت وقال عيسى عليه السلام العافية عشره اجزآء تسعة منها في الصمت الا بذكر الله تعالى وواحد في ترك مجالسة السفهآء وقل نبي المتقين، وامام الحرمين، الصمت حكمة وقل عليه السلام البلآء موكل بالمنطق وقل الحكماء ايضا السكوت بستر عيب الجهل ويعظم حرمة الملوك ولقد اذنت نفسك، وتسببت فيما يوجب حبسك، واطلقت ودودك، واشمتّ حسودك، ولقد كانت حسنتي من بانيك، وما دهاك من شدة عنايك، اعظم من كل حسّنه، وصمتي في ذلك اعجب فطنة، اذ انت رفيقي وزميلي، وفي حضرة الملك ومنادمته عديلي، نسانا على ذلك، وسلكنا في الموافقة والمرافقة اقوم المسالك، وانت كنت المرجو لمخافي، والبابي في مطافي، ومشتكى حزني، ومشتفى شجني، ومحرم اسراري، واعظم استاري، وراوية اخباري في اخباري، وزاوية اسفاري في اسفاري، ومن ابن انسى منلك صديقا، واجد رفيقا شفيقا، وانت صاحب السرا، ومصاحب النعرا، وانشد بعول شعر

ومن ابن انفي بعد سبعين حجة رفيقًا كمن راضعته فهوة الصبا

اديبا اريبا لم امل مقامه ولا ملّني يومًا حكيما مهذّبا

ويعزّ عليّ، ويعظم لديّ، ان اراك في هذه الحالة، ثم اجري سحايب دموعه الهطلة، وانشد

وما على الحرّ ان يرى خدّنًا في محنة ضاق عنها دونه الحيل

ولقد تحيرت في هذا الامر المهول، وما ادري فصاراه الى ما ذا تؤول، وليلة هذا الغمر الصراح، عما ذا يسفر فيها الصباح، فانكى لذلك ابو نوفل وبكى، وتضرع الى الله واشتكى، وقال يا اعز الاصحاب، واحب الاحباب، لقد اثر عندي ما قلت من الكلام، اكثر مما اصابني من الالام، كيف يغتفر احد الجانبين، ويتلو لاحد المعيدين، واني بعتذر بالقضاء والقدر في احد القضيتين، وهل شي في عالم الكون والفساد، خارج عما قدره الله تعالى واراد، وكلنا في هذا سوية، والعبد مقهور مع المشية، وان الجد اذا اقبل، ولاحظ بسعده وتفضّل، وكل حركة تصدر من العاجز، يعجز عن مقاومتها البطل المبارز، وكل قول تتفوه به الجاهل، يدع دليل معانيه ادلة العقلاء في في مجاهل ومذاهل، ودعامين ذوي الاراء المصيبة النواصل، تلقى من عقفل الحيرة في مجاهلها مناهل، ويصير كل وجه اليها ذليل، وكل لسان بها قليل، وقوام كل سعد وقبول اليها مايل، وانشد شعر

واذا السعادة لاحظتك عيونها ... نَم فالمخاوف كلهنّ امانُ

واصطدْ بها العنقاء فهي حبائلٌ ... واقنص بها الجوزاء فهي عنانُ

ونعوذ بالله من ليل السعد اذا ادبر، وصبح الخمول اذا اسفر، فان اللبيب، اذذاك يخطئ ما كان يصيب، ويفعل العاقل، ما لا يرتضيه بافل، وكان جهد النفس، زيادة في العكس، وانشد شعر

واذا تولّى المجد يختار الذكى ... في رايه قبل الزوال سراجا

وانقلاب الدهر وانعكاس الزمان شيمة معهودة، وخصلة معدودة، كما قيل شعر

ومن ذا الذى ما غرّه صرف دهره ... فاضحكه يوما ولم يبكه سنة

وانا كنت غافلا، وان لم اكن جاهلا، وقد يكون الشخص عما تحفه ذاهلا، وذلك لما كان عودني الزمان، والفهُ من سالف الدوران، من ارجاء العنان، ونيل الامانى والاوطان، واسبال ذيل النعم، والاحسان الدايم والدوام، فمشيتُ على ما كنت اعهده، وفي نفسي اجده، وايضا كانت لذة عشرتك، ونعيم محبتك، وحسن مراعاتك، وعز موافقتك، انساني كل بلية، وامنت بذلك كل رزية، فدعاني من التقعد، ودعمني على غفلة من التوزع والتبدد، مثل ما اصاب ذلك الهدهد، فقال اخو نبيل، اسرد ذلك المثل، قال ابو نوفل ذكروا ان الله مجرى للخير، علم بعض عبيده الصلحاء منطق الطير، فصاحب منها صنفا، وارداد ما بينهما تودادا، فمضى بعض الايام، مر بالهدهد ذلك الامام، وهو في مكان عال، متلفت الى ناحية الشمال، وهو مشغول بالتسبيح، بسبح الله بلسانه الفصيح، فناداه يا صاحب التاج، والعباءة الديباج، لا تقعد في هذا المكان، فانه طريق كل فتان، ومطروق كل صايد شيطان، ومقعد ارباب البنادق، ومرصد اصحاب المجانيق، قال الهدهد انا عرفت ذلك، وانه مسلك المهالك، قال فلاى شي عزمت على القعود فيه، مع علمك بما فيه من دواعيه، قال ارى صبيا، وانه غصنا، نصب لي شباكا، وروصد لي فيه زحافا، فقد وقعت على مكايده، ومناصب مصايده، وعرفت مكيدته ابن لي، والى ما ذا تنتهي، وانا اتفرج عليه، واتعلم بالتصحك عليه انيه، وانصحب من تصنع ايذائه، وتعطيل ساعاته، فمما لا يعود عليه منه نفع، ولا يفيده في قفاه سوى الصفع، واستخر من حركاته، وانبه من بمرّ على خرعبلاته، فتركه الرجل وذهب، وقضى حاجته وانقلب، فراى الهدهد في يد الصبي، يلعب به لعب الحلي بالشجي، ولسان حاله، يلهج بمقاله، شعر

كعصفورة في كف طفل يهينها ... تقاسي حياض الموت والطفل يلعب

فلا الطفل ذو عقل فيرثي لحالها ... ولا الطاير مطلوق الجناح فيذهب

فناداه وقال يا ابا عباد، كيف وقعت في شرك الصياد، وقلت لي انك وعيت، ورايت من مكره ما رايت، قال اما سمعت ان الهدهد اذا نظر في الارض يعرف مسافة ما بينه وبين الماء ولا يبصر شعيرة الفخ وذلك لينفذ ما كتبه الله تعالى وقدره من قضايه وقدره وذلك في قصة القضاء والقدر، قصة ادم ابي البشر، عليه السلام واحتجاجه مع موسى الكليم، عليهما الصلاة والتسليم، لما جرت

عليه احكام القضاء والقدر، غطى حجاب نسيانه على فهمه فلم ير جمال طلعة مصلحته عين البصيرة ولا البصر، فتمشت مشية الله السابقة فى علمه، وجرى ما لم تدركه فحول العقول فى ميدان ارادته من سوابق حِكَمه وحكمه، وانشد يقول شعر

يا سابلى عمّا جرى والعين مبصرة القَدَرْ
اوما سمعت بان اذا نزل القضاء عمى البصرْ

وانا لما اغتررت بحدة بصرى، ذهلت عما يجول فى فكرى، فتغلغلت حدقة استبصارى، فوقعت فى فخ اغترارى، ثم قل ابو نوفل، وقد اثر فيه ملام اخى نهشل، وانشد يقول شعر

دع عنك لومى فان اللوم اغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

واما اوردت هذه الحكاية، لتخفف عنى ما فى تقريعك وتوبيخك من نكاية، وتعلم ان الامور كلها، جلها وفلها، جارية على حسب ما قضاه الله تعالى وقدره، وزبره فى سابق علمه فى اللوح المحفوظ وسطّره، وان كانت الاحكام فى هذا الباب، تضاف الى العامل والاسباب، ولا شك فى هذا ولا ارتياب، فقد مر ان الذهول، اشغلنى عن التفضل بالقبول، وان كان هذا العذر غير مقبول، فان الجهل لا يكون حجة، ولا يخلص السالك الى سواء المحجّة، وقد قال الكلام، والخلف بيدك والسلام، واما الان فجلّ المقصود، اللطف المعهود، وبذل المجهود، وتذكر سابق العهود، وقديم الصداقة، واكيد المحبة والعلاقة، وتعاطى امور عطف الخواطر الملكية، ورجوعها الى ما كانت عليه من الصدقات السنية، والعواطف الملوكية، وافل الاقسام الخلاص من هذه البلية، وعلمك قد احاط، يا اوثق مناط، الى شخص وحيد، بين ملازمى الخدمة فريد، لم يكن لى اخ سواك، وانت مشتكاى وانا مشتكاك، وهذا اوان القنود، وزمان المرود، وعدم التخلى عن الاخوان، والانبعاث بالهمة الثابتة الاركان، والسعى فى خلاص الصاحب القديم، من مخالب هذا البلاء العظيم، واسالك بسالف الخدمة، والمودة ذات القدمة، ان لا تذكر ما سلف من التقصير الموجب للتلف، فانى معترف، انى للذنب مقترف، وانشد شعر

جاوزت فى اللوم حدا قد اضرّ به من حيث قدرتَ ان اللوم ينفعه

وانى اذا تفكرت، وتصورت ما وقع وتذكرت، وان كان قد مضى، يضيق بى الفضا، واغرق فى عرق الحيا، وتسودّ فى عينىّ الدنيا، فكيف به فى هذا القبيل، عنى قيل، شعر

كانّ فؤادى فى مخالب طائر اذا ذُكِرَتْ ليلى يشدّ به قفصا

وهذا القدر من الايلام يَكْفى، فانى استحلى عنده مرارة حَتْفى، ثم علا زفيره وشهيقه، وبدا من لهيب قلبه بريقه، ومن وادى جفنه عقيقه، حتى خيف عليه غرقه وحريقه، ورقّ له عدوّه وصديقه، وبكى لبكائه فريقه ورفيقه، وقل له اخو نهشل، اعلمْ ايها الاخ المفضّل، انى لم اقل ذلك الكلام، للعذل والملام، فضلا عن ايحاش قلب وايلام، لكن لمّا تالّم جنانى، أجْرى الله ذلك على لسانى، ولم يكن لذلك الحديث باعث، ولا قصد عابث او عابث، ولكن وفور المحبّة وفرط الصدق، اوجب الملعط بذلك النطق، وكيف لا ادرك دقايق هذه المعانى، وانا لها من نمار فضايلك

جانبي، واما بذل الاجتهاد، من اهل الوداد، فهل يخطر ببالك، غير ذلك، وابى الله والاخلاق الكريمة، وما علمته مني من همة وشيمة ونزعة وسمة، وفواضل فضايل من فوادح خصايلك اغتبستها، وشوامل شمايل من روايح امايلك احتبستها، ان اتخلف عن التفعلي باغدابها، او اغلق ابواب مقاصدها في وجوه طلابها، وانا ان لم ابذل مجهودي، واصرف موجودي، في مساعدة خلي وصديقي، وصاحبي ورفيقي، واراعي حق المروة، والصداقة القديمة والاخوة، والا فاي فايدة في وجودي، لوالدي ومولودي، وطارق وتلميذي، وصديقي وودودي، وقد قبل اربعة اشياء فرض عين، في شريعة المروة على النجبين، وكذلك على الاحباب، وسايز الاصحاب، الاولى المشاركة في النوايب، وتعاطي دفعها من كل جانب، الثانية اذا ضل احدهم عن طريق السداد، بردّونه الى سبيل الرشاد، ولا يتركونه على محير الصواب، بل يستعطفونه بالطف خطاب، الثالثة اذا صدر من احدهم نوع جفا، يتلافونه بالوفاء والصفا، ولا يتركونه على ذفاء، ولا ينسون الوفاء القديم بالجفاء الحادث، فربما يتفرع على ذلك ما يولده من العوابق والحوادث، الرابعة لا يواخذون المقصر في حالة الغضب، بل يرجون عقوبته الى ان يطفى اللهب، فربما يتعدى بواسطة الغضب الحد، فيقع بسبب ذلك بين الاخوان نكد، ثم ان ابا نوفل، قال لاخي نهشل، المبادرة اول الى التلافي، لبيلا يسابق حسودي الى تلافي، وهذا الصاب انما جاء بغتة، واخذ فاوبنا واسماعنا بهته، فاعمل فكرك القويم، وتوجه الى التدارك بعلمك سليم، فقال ها انا اذهب الى الفوز بهذا المطلب النافع، وافوى العزيمة واجتهد في دفع الموانع، واول ما ابتدي بقصد الملك، وانظر ما يصدر قولا وفعلا منه في هذا الامر المشتبك، فابني على ذلك ما يناسبه، واجاريه فيما يميل خاطره اليه ولا اجاذبه، ثم توجه الى الملك ودخل عليه، فوجد الدب جالسا بين يديه، وقد بلغه قضية النديم، وانه قد حل به في العذاب الاليم، فاغتنم الفرصة، وبادر ليتمم على ابي نوفل القصة، ويتعاطى في امره قصه وحصه، فاراد اخو نهشل ان يفتح الكلام، ثم افتكر في انه ربما يعاكسه الدب في المرام، وانه اذا قام في المناقضة، فلا يمكنه مقابلته بالمعارضة، وان سكت فالسكوت كالرضى، وان وافق فعلى غير مراده مضى، فامسك عن الكلام، ورای السكوت مقتضى المقام، ثم امعن النظر، واجال قداح الفكر، فراى انه ان فل المجلس، من غير ان يفصح بشي وينبس، ربما يفوت المقصود، او يسابق بالمعاكسة عدو او حسود، لا سيما مثل الوزير، الرفيع الخطير، صاحب الراي والتدبير، وهو عدوّ قديم، وفي شرق الحزي نظيره عديم، واذا بارز الملك بكلام، ربما يقع من قلبه بمقام، كما قيل شعر

انانى هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

فيتلقاه الملك بقبول، فيصول كما يختار في ميدان الفتك وجول، فتتعقد الامور وتتعصد، وتتعقف الاخلاق الاسدية وتتعرد، فراى الاولى المبادرة في الكلام، والوقوف في معامر الشفاعة انسب بالمقام، فان عارض احد عرف ان جوهر كلامه عرض، وان اعتلّ احد في ذلك علم ان سبب علته مرض، ويعلم ببديهة العقول، ان شفاعته في حق صاحبه اقرب الى القبول، لانها خالية عن الفضول، وانه ليس له غرض، ولا هي لاجل عرض، وكان الملك قد سمع كلامه، بعد معرفته مرامه، وانقاده على ابي نوفل عذله وملامه، فكلامه بلا شك مقبول، وما لاحد عنه عدول، وكان الدبّ منتظرا خروجه

من عند الملك، حتى يختلي بالملام معه وبنهمك، فادرك اخو نهشل هذا المرام، فوقف في مقام الدعاء وبادر بالسلام، ودل بعد اداء وظايف الدعاء، والقيام بما يجب من مراسيم التحاة، العلوم الشريفة، والآراء المنيفة، محمدة ان من عادات املوك العظام، واخلاق السلاطين الكرام، العفو عن الجرايم، والاغضاء عن العظايم، لا سيما اذا صدر ذلك عن احد من المخلصين، والعبيد المتخصصين، على سبيل السهو والخطاء، لا على سبيل العمد والاجتراء، وانشد شعر

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

وكان العبد الاقل، ابا نوفل، الواقع في الخطر الخطير، المعترف بالذنب والتقصير، متوقع من صدقات مولانا الملك عفوها ومراحمها، وما اعتاده من حلمها الشامل ومكارمها، وانعم على المملوك القيام بالشفاعة، دون سايو الخدم والشفعة، اذ كان رفيقا نديما، ومصادقا قديما، ولم يقصد المملوك بذلك الا سوق الحسنات المنسفة، في دفاتر حسنات الصدقات اللطيفة، وقصد الخير، وذهاب الاسى والضير، وانتشار صيتها في الافاق والاطراف، بالعلم والحلم والعفو والصفح والفضل والعدل والانصاف، فان الاسد من هذا الخطاب، وقد عرف ان قصد الشافع انما هو الثواب والصواب، فطرق مليا، ولم يجر من الاجوبة شيا، فتاثر الدب اللبيب، والعدو الحديم لهذا الحديث، وخاف ان يفوت المنا، وان يكون السكوت رضى، والاطراق علامة الحلم، والسكون في الحرب دليل السلم، ومن فوت الفرصة، وقع في غصة، ومتى يقع ابو نوفل الخجل، في مثل هذا الاعتقال، وما اشرف مقال من قال، شعر

وان رايت غراب البين في شرك فذبح وقل وذم الافراح في عنفي

وقد قيل شعر

اذا كانت الاعداء نملاً فانهم اذا لم تنالم اصبحوا مثل ذعبان
وذعبك يرغوب اذا صدته ولم تجد فرده ابشر بلبانه سبعان
وما ما تعاسى من اذاه وفرصه على بعده ان صار داخل اذان

فانبرى وانبره، وتصدى للمعدسة ذلك البره، ونشى دسايس نسوه بفنون المكره، وقال اعلم ايها الندم الندم، واوفى خديم، انه الواجب على جميع الخدام، ان يصونوا في الصدق متساوى الاقدام، ولا يخدموا على نصح الملك غرضا، ولا يقاسوا سوى رضاه على الصحيحة عوضا، ولا يصادقوا الخاين، ولا يصدقوا المباين، ولا يواظبوا للمشي، والمذهب المعاشي، ولو بالكلام الواشي، ولا يخفوا الخيانة والخديعة، ولا يرعوا في ذلك الا رعاية، فمساعد السارق سارق، ومعاضد المارق مارق، والقيام مع الجاني جناية، واخفاء الخيانة خيانة، وفي هذا الخطاب صعوبة، ومن اعتذر عن جناية جان، لا سيما اذا كانت في حق ملك او سلطان، فهو شريك فيها، بل اعظم جرمًا من مقارفيها، لان عظم الجناية، يا ذا الدراية، انما هو بحسب الجنى عليه، وان ذلك الوهن عايد اليه، لا على مقدار الجاني، وانت لا تجهل هذه المعاني، ولهذا قال، بعض افضل الافضال، ان معاصي العباد، يا ذا الرشاد، ليس فيها صغيرة، وانما كل ما يخالف الامر كبيرة، وذلك بالنظر الى جناب الامر العظيم القاهر، تعالى وتقدس فقال اخو نهشل، كلام مولانا الوزير هو المفصل، وما اشار به هو الصواب المعدل، ولكن يا مولانا الوزير، علمك الخطير خبير، اننا كلنا محل الخطاء

والتقصير، ولا يسع الصغير منا والكبير، الا الحلم الغزير، والعفو عن كبير، وقل لي من هو البري عن الهفوة، والذي لا يتوقع من الملك عفوة، وان لم نفع الشفاعة في الجاني وذوي الجناية، وخالف سنة الجماعة، فالحسن لا يحتاج الى شفاعة، ومن لم يجبر المكسور، وباغث بعد العثور، فما يجد عند انكساره جابرا، ولا اخذ بيده حين يعثر عاثرا، وقد قيل من ملك القتيل، وصاحب الادب الجزيل، شعر

اذا اصبحت فينا ذا اقتدار ... وامرك في رقاب الخلق جار
افلّ واقبل عثارا واعتذارا ... فمن يقبل بقتل عند العثار
فما زال الصغار تروم عفوا ... وغفران الكبائر من كبار

واحسن العفو با ذا الملوك، عفو السلاطين والملوك، لا سيما اذا عظم الجرم، وكبر الامر، فان العفو اذذاك صادر، عن ملك ذي سلطان باهر، مع قوة الباعث على المواخذة، وقدرة سائغة نافذة، وغير الملوك، من الحاجز والمملوك، عفوهم انما هو خوف وخشية، او لتمشية غرض مشية، والملوك انما يوثر عنهم الجلائل الجميلة، والخصال الشريفة السعيدة، فقد قسم الحكماء والعلماء، ما يقع من الذنب والاثام اربعة اقسام، فاسمح بالجبر، عفو بالصبر، وخيانة وغدرة، وحرروا ذلك وضبطوه، وذكروا لكل جزاء، وقرروه، فجزآء العفو العتاب، وبه نطقت الكتاب، وجزآء الصبر المسالمة، على ما اورث من ندامة، وجزاء الخيانة المعاقبة، فان في ارتكابها للعاقل معاتبا منونة، وما يرتكب المكروه، الا الغافل المغتره، وجزاؤه ايضا مكروه مثله، وهذا على مقتضى العقل وعدله، والذي صدر في سابق القدر من المخلص ابي نوفل، انما هي هفوة بها زل، وجزاؤه على هذا الحساب، انما هو العتاب، وقد استوفاه وزياده، وفي هذا لمولانا الملك الاراده، فان شاء عاقب على الذنب اليسير، وان شاء عفا عن الجرم الكبير، والهفوة لا يخلو يسلم منها الخواص، فضلا عمن هو في شرك العبودية والاقتناص، ولان يوثر الفضل عن الملك، وعلى طرق عفوه يسلك الدرب المنسلك، خير من ان يوثر عنه لنفسه الانتقام، ويخلد ذلك على صفحات الايام، ولا شك ان سيرة العفو والفضل، افضل من الفضائل والعدل، وذلك هو الاليق بالحشمة، والاوفق للحرمة، والاجدر لناموس السلطنة، والابقى على مر الدهور والازمنة، ولقد كان جماعة من عظماء الملوك والاكابر، يبتهجون بمن يتعاطى الذنوب والاجرام من الاصاغر، لا سيما لمن يتعرض لذات الملك ونفسه، ويستعين بتوالف على فساده من ابناء جنسه، فاذا قدروا عليهم عفوا، وتلذذوا بالصفح والاحسان واشتفوا، وحسبك يا ابا جهينة، ومن فضله اعذب مزينة، وافعة ابن سليمان، المخلدة على مر الزمان، وما تضمنت من مكارم الاخلاق، التي تعطرت بها الافاق، فتوجه الاسد اليه وسأل وقل اخبرنا يا ابا نهشل، كيف كان ذلك المنهل، قال لما انتهت ايام بني امية، وتطرزت خلع الايام باعلام الدولة العباسية، واشرق بصبح طلعة ابي العباس السفاح، في دياجير الدهر ابهى صباح باحسن فلاح، اخنفت نجوم افلاك بني اميّة، وكواكب من بقي من تلك الزواهر المضية، وكان منهم ابراهيم بن سليمان، بن عبد الملك بن مروان، وجعل السفاح بتتبعهم، ويرغب من يدري بهم ويرهبهم، الى ان ظفر سليمان، وكان من امره ما كان، فحكي انه كان بالحيرة، مختفيا وهو في حيرة، قال ففي بعض الايام، ترايت وانا على سطح سواد اعلام، فوقع في

نفسي، وغلب على حدسي، انها بسببي، وقد جات بطلبي، فتنكرت في الحال واختفيت، وخرجت من الحيرة والى الكوفة اتيت، فدخلتها خائفا اترقب، ولم يكن لي فيها مترصد ولا مترقب، ولا صديق اركن اليه، ولا صاحب اعوّل عليه، فصرت في تلك البلاد، كالشاعر الذي انشد في بغداد، شعر

بغداد دار لاهل المال منعمة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران امشي في ارقتها ... كاني مصحف في بيت زندبق

فادّاني المسير، الى باب دار كبير، منظره جليل، وداخله دهليز طويل، ليس فيه احد، من الحجاب والرصد، فدخلت اليه، وبه مكان فجلست عليه، واذا برجل وسيم، جميل الشكل جسيم، على فرس جواد، معه طائفة من الاجناد، فدخل الى الدهليز من الباب، وفي خدمته غلمانه والاصحاب، الى ان نزل عن دابته، وانفرد عن جماعته، فلما راءني في وجيف، قال من الرجل قلت مخيف، على دم وقد استجرت بدارك، ونزلت في جوارك، فقال اجارك الله، فلا تخف من سواه، ثم ادخلني حجرة لطيفة، تشتمل على اشياء ظريفة، قد جعلها مصيفة، فمكثت عنده حولا، اصول في نعمته صولا، واجول في مكارمه جولا، ولا يسئلني فعلا ولا قولا، بل كان يركب من الاسحار، وينزل اذا انتصف النهار، وذلك كل يوم، ولا ياخذه عن ذلك سنة ولا نوم، فسالته في بعض الايام، ونحن في اثنى معاد، عن ركوبه ونزوله، وموجب تنقله وحلوله، فقال ان ابراهيم بن سليمان، بن عبد الملك بن مروان، قتل ابي صبرا، واورثني لذلك نكدا وضرا، واوهج في فوادي لهبا وجمرا، وقد ثارت على بني امية الدوائر، وبلغني انه في الكوفة مختف حائر، فانا كل يوم اركب اليه، واطوف عليه، لعل الله تعالى يوفع يده، لاشفي قلبي بقتله من كبده، فاخذ بثاري، واكشف عني عاري، واطفي لهبي، واخذ ثاري، وقل ابن سليمى، فتعجبت من قضاء الرحمن، وكيف ساقنني ارجلي، الى شبكة اجلي، وامشاني القدر برجلي، الى من هو دابر على فنائي، فاستحييت منه ومن الله، وكتمت عنه ذلك الحباء، فسالت الرجل عن اسم ابيه، لاتحقق ما بحدسه وبنبيه، فاخبرني فعرفته، وتذكرت اني انا قاتله، فقلت يا عدا قد وجب علي حقك، وانا غريمك ومسترفدك، وقد قرّب الله خطاك، وانا هنا متمناك، فقال وما ذاك، فقلت انا ابرهيم، الذي على طلبه تهيم، وانا قاتل ابيك، فاعمل ما برتجيك، وخذ بثارك، واشف اوارك، فقال كانه طال بكا الخفاء، واضر بك الاختفاء، فاردت بالموت الخلاص، واعتلات بدعوى القصاص، فقلت لا والله، الذي علام السر واخفاه، بل قلت الحق، وفهت بالصدق، وخلاص الذمة في الاولى، اخفّ من قصاص الاخرة واولى، انا فعلت بابيك الاذى، في يوم كذا ومكان كذا بسبب كذا، قال فلما علم ذلك مني، وتحقق انه صدر عني، احمرت عيناه، وانفخت شفتاه، وقامت عروقه، ولمعت بروقه، وازبدت شدوقه، واطرق الى الارض، وكاد ياكل بعضه بعض، وجعل يرجف ويرعد، وينهض ويقعد، ويزأر كالاسد، ويتململ كربضة تغلبها الربض في قاع البلد، واستمر على ذلك زمانا، يتامل ما يفعله اساءة واحسانا، الى ان سكنت رعدته، وبردت همته، فامنت سطوته، وفهر جدي سورته، ثم اقبل عليّ، ورفع راسه اليّ، وقال اما انت فستلقى ابي غدا، فيعتص منك جبار السما، واما انا فلا اخفر ذمتي،

واضيع جواري وحرمتي، ولا يصل اليك مكروه مني، ولكن قم واخرج عني، فلست آمن نفسي عليك، فاني لا اقدر بعد اليوم ان انظر اليك، ثم دفع الى الف دينار، وقال استعن بها فيما تختار، فلم آخذها ولا نظرت اليها، وخرجت من داره ولم اعرج عليها، ولم ار اكرم، من ذلك الرجل ولا احلم، ولا اعظم مكارم منه ولا احشم، وانما اوردت هذه الحكاية، وقد الله مولانا الملك شر النكاية، ليعلم ان الذنب الكبير، يستدعي العفو الكثير، ممن قدره عظيم، وحسبه جسيم، ونسبه كريم، كما قيل في محكم الكتاب الحكيم، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم، فقال الوزير ناموس السلطنة وحرمتها، وابهة الملك وحشمتها، لها شروط، كل منها محور محوط، لا بد من اقامة اركانها، وتشييد بنيانها، يجب على الملوك ذلك، ويفترض القيام به على سلاطين الممالك، والاخلال برعايتها وهن في الولاية، فلا غنى عن العمل بها ومراعاتها احسن رعاية، فمن ذلك ان لا يسامح جماعة، ولا يغفل عنهم ولا عن كيدهم ساعة فساعة، ولا يركن اليهم في ادمة ولا سير، فانه ما يصدر عنهم للملك ولا للمملكة خير، منهم من يُعزل عن منصبه، من غير وقوف لعزله على سببه، ومنهم من يوالي اعداء الملك، فانه ذو اجتراء منهمك، ومنهم من يراعي مصلحة نفسه، ويقدمها على مصلحة مخدومه في حالتي رخاء وباسه، ومنهم من يعشي سره، ولا يراعي خيره وشره، ومنهم من يطلب على خدمته مكافاة، فان لم يكافى ترك الموافاة، ومنهم من يتعرض لسخطه، لموجب يستخطه، ومنهم من ينتقص حرمته، وينتهك عصمته، ومنهم من ذو الطبع اللئيم، المفسد في الحريم، ولا شك ان ابا نوفل، المهمل المغفل، قد ارتكب بعض هذه الصفات، وهو ملتبس ما في هذه الحركات، وهذا يدل على لوم اصله، وشوم محله، وسوء طويته، وفساد نيته، ومن اكرم اللئيم فهو الملوم، وهذا امر معلوم، كما قيل

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا

قال اخو نهشل الحقير، لا تقل ذا ايها الوزير، فان ابا نوفل عبد خديم، ومخلص قديم، وظريف نديم، ومحرّم صدوق، ومقدّم شفوق، امين ثقة، ذو وفاء ومقة، مجرب ناصح، وجليس صالح، لم يلعم مولانا الملك عليه الا الخير، ولم يزل يسير في طريق العبودية احسن سير، ولم يطلع عليه بشي يشوبه، ولا يشينه في داريه ولا يريبه، بل هو ملازم وظايف عبوديته، مباشر لما يجب عليه من شرايط خدمته، لم يصدر منه ابدا غش لمخدومه، ولا خروج عن امتثال اوامر مرسومه، فان صدر منه هفوة نادرة، او سهوة بادرة، او جفوة سادرة، فحلم مولانا الملك لا يقتضي، بل لا يرتضي، اطراح هذه الاوصاف المتعاضدة، لاجل هذه الزلة النادرة الواحدة، وقد قيل شعر

فان يكن الفعل الذي ساء واحدًا ففعاله السارون الوف

مع انه قد حصل له من كسر الخاطر، ومن احتراق القلب والجفن الماطر، ما لا يجبره الا اعطافه السلطانية، والمراحم الشريفة الملوكية، ونظرة من الحنو والعطف، ونبرة من الشفقة واللطف، تكفيه ومن الم الجفاء تشفيه، وبعد شدة الممات تحييه، والا فلا نعرف احدا، يجبر وهن ذلك المكسور ابدا، وللاراء السلطانية مزيد العلو، وتعالى مقامها درجات السمو والعطف والحنو، ثم

عطف قابلا على الدب، وقد حفر فى طريق مكيدته لايقاعه للجب، اما انا مع قلة البضاعة، واحتقار مقامى بين الجماعة، اقمت نفسى بما وجب علىّ فى مقام الشفاعة، ولا افتقر منها ولا ارجع عنها، واحرزت خصل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، واسأل صدقت مولانا ابى الملّماس، المساعدة فى انجاز هذا الالتماس، وان يكون شريكا فى احراز هذا الخصل، والوصول الى انواع الفضل من هذا الفصل، وان يرد عنا فئة، ومن يشفع شفاعة سيئة، وارجو من وزير الممالك، ان لا تقع مخالفة فى ذلك، فان من سكن الكرم فى ربعه، ولا يصدر منه الا ما يليق بكرم طبعه، والكريم يتكلّف، بل يتعسّر عليه ويتعسّف، اذا شرع فى مكارم الاخلاق، وتعاطى منها ما لم يقسمه له مقسم الارزاق، فترى وجوه محاسنها، فى مكامنها، تستتر منه بنقاب النشوز، وابكار خدورها الحسان فى قصورها تتراى لعينه الحولاء فى صورة اشوه عجوز، فلا يتناوعه لسانه فى طيب المقال، ولا يبعثه جنانه الى مباشرة حسن الفعال، كما قيل شعر

براد من القلب نسيانكم وتابى الطباع على الناقل

والناس على دين ملوكهم، سالكون طرايق سلوكهم، وحيث كان مولانا الملك مجبولا من الشفقة الشاملة، والمراحم الشاملة، فكلنا يجب على ذمتنا، ويلزم ذمة همتنا، ان نتخلق باخلاقه العلية، ونتشبث باهداب شمايلها المرضية، ونتعاون جميعا على التزين بملابسة ملابسها البهية، ونستضى بل نهتدى فى دياجير المعاش بدراري افلاك صفاتها الزكية، فان العبد فيما يتعاناه، مجبول من طينة مولاه، وان الله جل وعلا، لا يضيع اجر من احسن عملا، دل فالجم الدب الساقطة، بما فعله معه من المغالطة، ثم امسكوا عن الكلام، وانتظروا ما ذا يصدر من الضرغام، فلم يبد خطابا، ولا انهى جوابا، سوى ان قال، صلوا فى الرجال، ولا تبدوا ولا تعيدوا، ولا تنقصوا فى هذه القضية ولا تزيدوا، حتى امعن فيها النظر، واستشير فيها مصيب الراى والفكر، فمهما استقرّ عليه الراى، وارشد الى اتباعه هداى، اطلعتكم على سر حاله، وتقدمت اليكم بامتثاله، فلما انصرفوا توجه اخو نهشل الى الحبس، وذكر لاخيه ما جرى بينه وبين ذلك النحس، ثم قال له ابشر بالنجاح، والصلاح والفلاح، فقد رايت فى جبين الملك للفوز انوار الصباح، ولا شك ان الله الغفور، يجرى على يدى ولسانى من الامور، ما يجلب السرور، ويذهب الشرور، فكن اوثق صبورا، وان حصل فى الطريق، عقبة تعويق، فلا يكن فى صدرك حرج، فان وراءها باب الفرج، لان الظفر مقرون بالصبر، والعسر مشفوع باليسر، وقد اجاد، صاحب الانشاد، شعر

اصبر على ما جرى من سابق قدما فركب الصبر بالامهال يلحقه

فشكر له جميل سعيه، ثم عرض على مشير وعيه، فقال كنت ارى ان هذه القضية توخّر، ويرجى السعى فى امرها ولا يذكر، وسبب ذلك ان الطالع قد ادبر، والحظ عن المساعدة قد تاخّر، واذا تحرك الشخص والسعد ساكن، وتبسّم الدهر وهو باك، وطلب شكر مسالمته وهو شاك، فهو كقطع البحر بالمراكن، والبانى على ثبجة اماكن، لا يصلح له عمل، ولا ينجح له امل، فيشبه اذذاك الحمار، المعصوب العينين فى المدار، يقطع بالمسير زمانه، ولا يفارق مكانه، كذلك من تعاطى الاعمال، والسعد غير عمال، فلا يستفيد، الا التعويق والتبعيد، ففى تلك الحال، ينبغى

الامهال، لا الاشتغال، الى ان يتوجه السعد بالاقبال، فعند ذلك مد الشباك، وصد السمك، فان السعد اتاك، والدهر واتاك، وناصبك فعنة كسرى المدبر، مع وزيره بزرجمهر الحكيم، فسئل اخو نهشل، بيان ما فعل، اخوه ابو نوشل، فقال باغني ان كسرى اراد التنزه، فنمى الى حديقة عنان التوجه، وناب الحكيم بزرجمهر، وجلسا تحت دوحة زهر، على بركة ماء، اصفى من دموع العشاق وانقى من قلوب الحكماء، ثم طلب طائفة من البط، تلاعب قدامه في البركة وتنغط، وجعل يناديه وزيره، ويتلطف منه حكيه المشيره، وينفرج على الطير وهو يلعب، ويتامل في انواع حكم الصانع القديم ويطرب، وصار يعبث بالخاتم في اصبعه، ويسرح في رياض الصنع سوانح منظره ومسمعه، فسقط الخاتم من اصبعه وهو ساه، وشاهد بزرجمهر هذا الامر فما انداه ولا انهاه، فالتقمته بطة، وغطست في الماء غطة، وكان فيه فص ثمين، وكسرى به من المغرمين، فلما سود قلم الاقتدار، بياض النهار، واكمل مشقه على قرطاس الاقطار، اذن كسرى للوزير بالانصراف، وقد اسبغ عليه نعم الالطاف والاسعاف، ودخل كسرى الى الحرم، واصعد من اصبعه للاندم، فامر بتذكر ما جرى له، ولا وقف على كيفية الحالة، فارسل بطلب الوزير البارع، وسال منه عن خاتمه الضائع، وكان الوزير قد نظر في الطالع، فراى ان الكلام في امر الخاتم غير نافع، فلو تكلم بصورة الواقع، ذبح جميع البط وما وجد لان الطالع مانع، فكتم امره وكلمه بكلام لحيفة الحد جامع مانع، ثم انصرف وذهب، واستمر كسرى على التطلب، ولم يزل بزرجمهر يراقب الاوقات، وينظر في احوال الساعات، الى ان استقام الطالع، وزال من السعد المانع، وتبعن الحال، وحسن المال، وحان الوبال، فتوجه بزرجمهر الى خدمة مخدومه، واخبره بما كان محتوما من امر الخاتم في جنب مكتومه، وانه سقط من اصبعه، وهو على البركة في موضعه، فبادرت بطة الى الغطة، فاختطفته وابتلعته، بعد ما التقمته، فاحضروا البط جميعه، وذبحوا من عرصته واحدة بديعة، فوجدوا الخاتم في حشاها، ولم تحوج الى ذبح سواها، ثم سال كسرى الحكيم الاديب، ان لم يخبره بهذا الامر الغريب، في اول وقوعه وصدوره، وما موجب تاخيره، فقال كان انذاك الجد في انعكاس، والسعد في انتكاس، والطالع في سقوط، والنجم في هبوط، واما الآن فالطالع استقام، والسعد كالخادم ادم، ونجم السعود قد حال، عنه الهبوط والوبال، وفي استقامة السعد، واقباله من بعد، يفعل الشخص ما شا، فالدهر معه جار سواء جارا او ماشا، وانما اوردت هذا التنظير، لتعلم ان معاندة المقدر، امر خطير، وخطب عسير، فربما يفرغ الانسان جهده في المبالغة، ويكون الامر فيه ممانعة ومواوغة، فينعكس المرام، ولم يحصل سوى اضاعة ايام، ولم اذكر هذه المقاومة، الا على سبيل العرض لا المعارضة، لما اعلم منك من وفور الفضيلة، وان مقاصدك على كل حال جميلة، هل اخو نهشل الامر كما زعمت، واشرت به ورسمت، ولكن اختشيت ان لم ابادر، بسبقني عدو غادر، او حسود ماكر، او مبغض مكابر، فينهى الى المسامع، ما ليس بواقع، فلم نشتر ايها البطل، الا وقد ولج قلب الملك انواع من مكر ودخل، فيصير كما قيل شعر

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

لا سيما وقد تقرر في الامثال، عند غالب الرجال، ان الدعوى لمن سبق، لا لمن صدق، وقد قالوا قديما عويلة، اذا كانت مقاصد الشخص جميلة، فان الله تعالى ينجحها، ولا يفضحها، ويدركها، ولا

يدمرها، وان كان في الظاهر، وعند البادي والحاضر، يظهر في بعض القضايا نوع ثم وغم، لكن ذاك السر لم يقف عليه الا مدبر العالم، واذا فوض الشخص الامور، الى العزيز الغفور، الذي هو مدبر الطالع والغارب، وفي الحقيقة رب المشارق والمغارب، وعلم ان مقاليد الامور بيد تدبيره، وان ملوك الارض تحت تصريف تقديره وتسخيره، استراح في كل المطالع، واخلص التوكل فتجاه الله من كل الوقايع، واوصله الى ما رام من المطامع، وحسبك قضية الناصبي الاستاد، مع الحابن جاسوس بغداد، وهي طويلة ذيلة، في مجلدة كاملة، وايضا لم ابادر بمفاتحة السلطان، في امرك يا اعز الاخوان، الا ليلا انسب الى تياون وتوان، وما من شروط المروة، والصداقة والاخوة، ان يتخلف الفطن، في مثل هذا الموطن، عن مساعدة الاصحاب، ومعاونة الاحباب، لا سيما صديق مثلك، وحبيب متسم بفضلك، واني لا ادع من انواع الاجتهاد، وما يحسن ببالي في الاصدار والايراد، شيا الا فعلته، ولا امراً الا قدمته، ولا فكرا الا استعملته، ولو بذلت في ذلك روحي ومالي، وخيلي ورجالي، واني مباكر باب الملك، وملازمه كاحسن من سدك، فان رابته مكرما معاميا، مصغيا الى كلامي، خاطبته بما يليق، وسلكت في الشفاعة وحلو العبارة اوضح طريق، وان شاهدت في خلقه شكاسة، وفي طبعه شراسة، وصعوبة وشماسة، سلكت سبيل حسن السياسة، وفي الجملة استعمل علم الفراسة، وفي كل حكم نظيره وقياسه، واستعين بالاقرباء والاوداء، واغالط المعارض والمناقض من الاعداء، واقصد النجح واراقبه، وارافب السعد واخاطبه، واسلك مع كل احد ما يناسبه، فالعدو اقتله، والحسود اختله، والعذول افله، والمحب احتله، والمبغض ابتله، ومن تصلب في المدافعة امتله، الى ان ينقضي هذا الامر، وينطفي منه الجمر، ويقبل مبشر الامالي بالطبل والزمر، ثم انه بات مفكرا، وبادر الصباح مبكرا، وامر ابواب السلطان، فبل ساير الخدم والاعوان، فوجد الدب قد سبقه، وجلس من عين المكر في الحدقه، وقد فوق سهم الكيد، وصوبه الى شاكلة الصيد، ولم يبق الا اطلاقه، ليشد من المرمى وثاقه، فقبل النديم الارض واعلن سلامه، وقنع على ابي حميد كلامه، وعارض ملامه، ونقض مرامه، وقال ادام الله ايام السعادة، واعوام الحسنى وزيادة، المستمدة من بقاء مولانا السلطان، وعمر دهره المتكاد على تعاقب الزمان، واوطى قمم الامم مواطى قدمه، واناب بطيب حيوته معايش عبيده وخدمه، كانت المواعد الشريفة، والاراء المنيفة، سبقت بالتامل في امر عبدها القديم، وخديمها الفقير العديم، وجانب سرورها ابي نوفل النديم، مع ما كان لابيها، وعلى صفحات الرضى واضحا، من شمايل الاخلاق الملوكية، ومكارم الشيم السلطانية، ان مراحمها ستاخذ بيد العثر، وتقيل عثرته بحسن النامر، بحيث يشرح الخاسر، ويربح الخاسر، والمملوك يسال مراحمها، ويرجو مكارمها، ان لا تخيب ظنه، وان تجبر بتحقيق ظنه وهنه، وان تجري مماليكها وعبيدها، على ما عودها من الصدقات قديمها وجديدها، ثم انشد، والى الرضا ارشد، شعر

ارجو ابا العباس ان يسوى لنا ... عن ثغره الضحاك نور يقتبس

فاقرا تبسم ضاحكا من غيظها ... متمثلا نحوي ولا تقرا عبس

فتبسم ابو العباس ابتسامه، ظهرت معها للرضى علامه، فاستعل الدب من الغيظ، وكاد يتمزق من الغيظ، وعلم ان عقد امره انحله، وانجم سعده من فلك السعي سفل، وانه لم يكتسب من

مكايد القساوة، الا حاتك العداوة، وانكشف عند مالكه ما وطاه من مغلاي، وقرا كل احد حديث ذلك الموطا، وغلب عليه الوجد في الحال، فخرج عن دايرة الاعتدال، وسكر من خمرة العداوة فطفح وشطح وعربد فقال كل من ستر على اعداء الملك، فهو في الخيانة والجناية مشترك، وكل من شفع في الجاني، فهو في قيد العصيان عالق، بل هو اشد من المباشر، اذ هو معاشر للمتعاطي ومكاسر، والابقاء على المعصية شر منها، والرضى بكفر الكافر فتنة يفر عنها، وما اظنك ايها النديم، العارف القديم، لمعرفة هذا القدر عديم، فان ابيت الا الاصرار، ومساعدة الفجار، ومعاونة الاشرار، فانت حينئذ مستخف بهيبة ولي نعمتك، منتقص حرمة مالك رقبتك، طالب لابتذاله، مستهون بعظام جلاله، راض بتسليط الانذال، والاوغاد الارذال، على انتهاك حرمته، وابتذاك استتار حشمته، ونحن لا نرضى بهذا الذمامة، ولا كيد للمخالف ولا كرامة، فعند ذلك استشاط الغضنفر، وتذمر لكلام الوزير وتغير، وزار وهر، وزفر زفرة وزمجر، وكاد ان يثب على ابي جمهر، ثم انه تماسك، وتناسى الغدر وتناسك، وقال يا ابا سلمة، دبرت كلمة، غيبة الاصحاب، والنميمة بين الاحباب، وسعيت حركة، وبئست ملكة، تناسى الخوف، وتحاسى العقوق، واطراح جانب الصديق الصدوق، وترغيب الشفوق، واضاعة خدمة الخديم، لا سيما النديم القديم، ولم تزل الاصاغر، تستمطر مراحم الرؤساء والاكابر، ولم تبرح الملوك، تعطف على مسكينها الصعلوك، انسيت ما قلت لك، في حقيقة من ملك، وهو شعر

ليس الملك الذي تشقى رعيته ... وانما الملك مولى يحفظ الخدما

وايضا لم تزل الاصحاب تساعد اصحابها، وتستعطف عليها ملوكها وارابها، وترفع بحسن السفارة من سابر الدهشة حجابها، ويثبتون بذلك الاجر العظيم، والثواب الجسيم، والثناء العاجل، والجزاء الآجل، في صحايف مخاديمهم، ويعدون ذلك اعظم مغانمهم، ويبذلون في ذلك الجهد، ويبلغون فيه غاية الكد، وذلك مما يجب عليهم، ويتقدم بالمحافظة عليه اليهم، وقد قيل شعر

يستعطفون الاكابر، يستعبدون الاصاغر ... يحيون رسم الاوايل، يعلمون الاواخر

واي فايدة واستفادة، ايها الوزير ابا قتادة، في رعية ملك لا تتفق قلوبهم، ولا تستتر بينهم عيوبهم، ولا تطهر بانصفاء جيوبهم، ولا يتساوى في الوفاء حضورهم وغيوبهم، تراهم في الغيبة دعت بعضهم بعضا قتا، ويرعون لحومهم وتا، كبهايم لاقت في مرعاها قنا، وفي الحضور تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، ثم ان كان اخو نهشل، ساعد اخاه ابا نوفل، فذاك شي يجب عليه، ويندب اليه، فانه صاحبه القديم، وجليسه القويم، وان تخلى عنه، فما ذا يرجى منه، وجبر النوايب هو محك الاصحاب، وجمر المصايب يظهر من تبر الصداقة اللباب، وقد قام في هذه النوايب، بعدة اشياء كلها عليه واجب، اولها القيام بحق اخيه، والسعي في خلاصه من هذا الامر الكريه، ثانيها ساق الى صحايفي الحسنات، وقصد لي رفع الدرجات، ثالثها طلب رضا خاطري، وما يشرح صدري ويسر سرايري، رابعها مباعدتي عن الاثام، وخلاص ذمتي من الوقوع في الحرام، فربما جملني العنود، والخلق الشرود، على التعدي في الحدود، خامسها اشتهار اسمي بالفضل، وعدم المواخذة بالعدل، فيشيع في الافق، عني مكارم الاخلاق، سادسها انتشار صيتي بحسن الوفاء، والقيام بحقوق الاخوان وعدم الجفاء، سابعها انه غرس في قلوب الاماثل محبته، وزرع في ارواح الافاضل مودته، وان كان صدر

من ابى نوفل ما صدر، فانه اعترف بالذنب وعنه اعتذر، فاعمل معه بالمكارم، والله تعالى يتولى السرائر، كما قيل شعر

ادبل معاذير من يأتيك معتذرا ان برّ عندك فيما قال او فجرا

فقد اتاعك من ارضاك طاعته وقد اجلك من يعصيك مستترا

ولو بلغت هذه الخيانة، غاية الشر ونهاية النكاية، ما تدانى رافعة الملك الصانع، عن عدوه الموذى المسافع، فقبل الدنب الارض، وقام فى مقام العرض، وسأل الملك بيانها، ليعلم بحسن التعريف قرزانها، ويقيس علمها اوزانها، فقال ذكر ان بعض السلاطين، تصدى له عدو من الشياطين، يحرض عليه الاعادى، ويفسد عليه الحاضر والبادى، ويجتهد فى افاته ومسره، فى ازالة الملك عن سريره، ويغرى به العساكر، فيقابله ظاهرا بالمواكر، وباطنا بالمواكر، وما فسد منه ما فسد، الا بدواعى الحقد والحسد، فجعل الملك يسترضيه بالهبات فلا يرضى، ويستدنيه بالصلاة ولا يزدجر صلاته الا بعدا، كما قيل

الى كم يداري القلب حاسد نعمة اذا كان لا يرضيه الا زوالها

فاضطر الملك من امره، واشتغل لايقاعه بنذوره، وجعل ينصب له شرك الوقايع، ويجتهد فى ايقاعه بكل دان وشاسع، وذلك الباغى احذر من الغراب، واسبر من طالع الكلاب، والملك لا يقرّ له قرار، ولا يطيب له عيش بالليل ولا بالنهار، فكان من احسن الاتفاق، ان عاون ذلك الباغى ببعض الاوراق، فحمل الى حضرة الملك، وهو فى قيد البلاء مشتبك، فلما راءه فى قيد النكد، بادر الى الارض فسجد، وقال الحمد لله المغيث، لحبث امكن منك اى خبيث، انرى هذا فى المنام، فيه اضغاث احلام، ام سمح الزمان، باقبال العدوان، وانا بغفلة، ثم شرع فى السب والتجديع، والتوبيخ والتقريع، واقسم بفالق الاصباح، وخالق الارواح، وبارئ الاشباح، ليفعلن مع ذلك المباح، من النكال والجراح، ما فعله المصطفى صلى الله عليه وسلم مع سراق اللقاح، ولبذيقنه كاس الباس، ولبحرعنه من خمر المنية انقع حتاس، ثم امر لجلاد، ان ياتيه بما له من القطع والسيف والمتاد، فعلم ذلك الزنديق، انه وقع فى ايدى من لا ينجيه الين ولا صديق، ولا افتداء بشفيع، ولا حميم وشفيع، فتخلا عن ماله ونساله، او خيل ورجل، ناما غسل يده من العيش، استيقونه الخفة والتنيس، فشرع فى السباب، وتخلل من اشتم فى كل باب، ورفع بفاحش الكلام الصوت، وقال ما بعد الموت موت، فسال الملك احد الوزراء، ما ذا يقول من الافتراء، هذا الشتم المجترى، الباغى المفترى، فعل يدعو بدوام البقاء، ورفعة مولانا الملك والارتقاء، ويقول ما احسن العفو عند المقدرة، والذنب والجرم اذا اتى به مقرون، فان اعم ذلك فهو للمعذرة، ولو جعل العفو شكر القدرة كان اولى، واعلى مقاما فى مكرم النسيم واحلى، كما قيل شعر

ما احسن العفو من القادر لا سيما لغير ذى ناصر

ويترحم على اسلاف مولانا السلطان، الذى كان شيمتهم العفو عن ذوى العصيان، وكان ذلك منتهى نذتهم، وغاية امنيتهم، وما اجدر مولانا الملك ان يجيى مكارم سلفه،

ويجعل العفو كلمة باقية في خلفه، ولا زال يقول، من هذا المقول، حتى لان له قلبه القاسي، ورق قلب الملك الجاسي، فمر ما تلافاه، ومن عليه باعفائه، وكان احد الوزراء، وارکان الامراء، شخص يعاكس هذا الوزير، ويعاديه فيما يراه ويشير، وبينهما مرت اسباب عداوة، احلى في مذاق طبعهما من الشهد والشاوة، كل متربص للاخر زلة، مسوغ لابتاعه في شبكة البلاء غفلة، فحين راى شقة الحال، تسحبت على هذا المنوال، وجد فرصة للمقال، فتقدم وقال، ما احسن التصدق، وابين كلام الحق، خصوصا في حضرة المخدوم، وهذا امر معلوم، عدو مبين، وحسود مهين، لم يترك من انواع العداوة شيا الا تعاطاه، ولا من الشر والافساد صنفا الا وجاه، قد اهلك الحرث والنسل، وبدل جنتي الصلاح من النفاق بخمط واثل، الى ان امكن الله تعالى منه، وحان تفريغ الخوابي الشريفة عنه، ثم انه في مثل هذا المقام، بين الخواص والعوام، يثلب الاعراض، من الامراض، ويجهر بالسوء من القول، ويصرف في الخناء والسب ما له من قوة وحول، كيف يحل السكوت عن جرايمه، وتغطية مساويه وعشايمه، فضلا ان تتجلى سبانه في خلع الحسنات، وتحلي شوشاء سواخط ادعيته بملابس احسن الدعوات، ومع هذا يثلب له النوقع والخلاص، والاطلاق من شرك الاقتناص، وهو على ما هو عليه، من الاساءة المنسوبة اليه، ام والله يا مولانا الامام، والسلطان المهام، ما قال الا كذا وكذا من قبيح الكلام، وتناول العرض المصون بالسب والدعاء والملام، فتغير خاطر الملك وتشور، وتعكر صفاء خاطره وتكدر، ثم قال ايها الوزير ذا التصدق في التحرير، والله وحقك، ان كذب هذا الوزير عندي خير من صدقك، فانه بكذبه ارضاني، والى طريق الحق هداني، واصفى خاطري من الكدر، واطفا ما كان تلهب من غيظي من شرر، ونجاني من دم كنت اريقه، ولا يهتدي الى كيفية استحلاله طريقه، فاصلح بذلك ذات البين، وصار المتعاديين احسن محبين، وخلد ذكري بجميل الصفات، وسلك بي طريقة اجدادي الرفات، واما انت فكدرت عيشي، واثرت غضبي وطيشي، واسمعتني الكلام المر، ومسني منك الضر، واما انا فقد اعتقت هذا واطلقته، فلا ارجع في ايذايه وقد اعتقته، وقد ثبت لهذا الوزير عليّ حقوق، لا ينكرها الا ذو عقوق، ولا يسعها الاوراق والرقوق، فكذبه عندي خير من صدقك، وباطله احلى على قلبي من حقك، وبهذا قال ذو الافضال، ما كل ما يعلم يقال، وانما اوردت هذا الكلام يا كرام، لتعلموا ان السلطان بمنزلة الامام، واركانه تبع له في القعود والقيام، ولا يتم الايتمام، الا بالاتفاق، بين الرفاق، فاذا كان الجماعة مجتمعين، طايعين لامامهم مستمعين، استقام القيام، وانتهوا من جميل التحيات الى السلام، ولا يقع لهم انتظام، مع مخالفتهم لحال الامام، هذا قيم وهذا قاعد، وهذا راكع وهذا ساجد، وهذا نايم، وهذا هاجد، وايضا السلطان بمنزلة القلب والراس، وبمنزلة الاعضاء روساء الناس، وباقي الرعية خدم للراس والاعضاء، منتظرين لما تبرز به المراسيم من الزجر والامضاء، فاذا اتفقت الاعضاء واصطلحت، انتظمت امور كل من الراس والرعية واصلحت، واذا وقع اختلاف وتباين في الاعضاء، صار كل من الراس والقلب والرعية مرضى، ولقد صدق من قال صلى الله عليه وسلم وارضى، المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وخلاصة هذا الكلام، ان قصدي ان تكون احوال رعيتي على النظام، لا يقع بينهم شقاق، ولا تنافر ونفاق، واما ابو نوفل فيكفيه حياؤه وخجلته، فقد انتهت وتمت عقوبته،

واخذ حذّه حذّه، ولا يلمق بكرمي ان ارده، وهذا الذي ورثته عن اسلافي، وهو الخلق اللايق بمجلسي شيمي واوصافي، فلما سمع الوزير هذا الكلام، وجرح فؤاده نصل هذا الملام، ندم غاية الندم، وعلم انه قد زلت به القدم، وانه لا حاجته قضا، ولا على صديقه ابقا، ولم يستفد بما ابداه من فجم، سوى اظهار معاداة ابي النجم، وانه ان تخلص من حبسه وكربه، ورجع عند الملك الى منادمته وقربه، لا بد ان يتصدى لمعاداته وثلبه، ولا يفيده بعد ذلك افعاله، ولا يسمع في ابي نوفل اقواله، فانصرف من عند الملك النيشار، لا يدري اين يضع قدمه من الافتكار، حتى وصل الى منزله، واختلى في فكره بعمله، وفرغ نامخلص من هذه الورطة طرفا، وتفرقت رؤاد افكاره في منازل الخلاص فرقا، فادّى مصيب الرواد من الاراء، ومفيد القصاد من السرآء، الى السعي في مصالحة ابي نوفل، وازالة ما وقع من الغبار في وجوه الصداقة فتخلل، ثم ادى افتكاره، واورى من زند رايه شراره، الى ان الذي وقع منه قد اشتهر، وعلم به الحساب البدو والحضر، فاذا طلب من بعده الصلح، فذلك في غاية القبح، اذ كل من في حجره حجز، يتحقق ان ذلك خور وعجز، فصار يتردد بين هذه الافكار، ويتامّل ما فيها من تحقيق الاثار، وتدقيق الاسرار، فبينما هو في بحر الافتكار، بلطمه الموج وتصدمه التيار، دخل عليه صفي الوداد، وهو ظبي لغر يدعى مبارك الميلاد، ذكي الجنان، فصيح اللسان، دقيق النظر، عميق الفكر، ذو راي صواب، وشعفة كاملة على الاصحاب، فراه مطرقا الى الارض، في فكر ذي طول وعرض، فسلّم عليه، وتقدم بالسوال اليه، عن تشوّر باله وتوزّع حاله، فطلب الوقوف على ما نابه لينظر في عاقبة امّه، فاخبره بموجب ذلك، وانه قد سدت في وجهه المسالك، فقال مبارك الميلاد، يا صحيح الوداد، انت قد زعمت ان مولانا السلطان، ترك ابا نوفل الندمان، واطرحه اطراحا لا رجعة فيه، وانه بعدّ اليوم لا يذكره ولا بدنيه، او ان عثرته لا تقال، وغصته لا تزول وقصته لا تزال، هيهات، يا ابا النزعات، الملوك ان لم يعرفوا حقوق خدمهم، ولم يثبتوا في ديوان احسانهم قدم قدمهم، خصوصا هذا الملك العظيم، الذي انعكس شيمه تحيي العظم الرميم، ونحن قد زجينا عمرنا في خدمه، واذاقنا برد عفوه وحلاوة حلمه، وغدا لرواحنا انما هو غوادي حلمه، وروابح شيمه، مع ان ابا نوفل، لم يقع في محذور معضل، بوجب تناسي ذممه، وابتذال حرمته وحرمه، وانه استغفر وانساب، واعتذر وتاب، واعلم ايها الوزير الاكرم، ان ذوي النهى والحجر، اذا ارادوا الشروع في امر، يتاملوا في مبداه، غايته ومنتهاه، وهذا التقرير، كالجلوس المعهود من عمل السرير، فانما تنبعث لصنعته النفوس، اذ علمت بحصول الرفعة عليه من الجلوس، وقد قيل شعر

فهياك والامر الذي ان توسعت موارده ضاقت عليك مصادره

اما بلغك يا اخي وابن عمي، حكاية التاجر البلخي، قال الوزير، اخبرني بكيفية هذا التنظير، قال مبارك الميلاد، بلغني من احد العباد، ممن طاف البلاد، انه كان في مدينة بلخ تاجر، كثير الفلوس والمتاجر، عريض المال والجاه، غزير الضياع والمياه، تكاثر نقوده الرمال، وتباهي خزاينه معادن الجبال، وتعاظر جواهره درر البحار، وتسامى بضايعه تلال القفار، تراجع عنه الحظ، وعامله الزمان بعادة نيعه الحظ، وادبرت عنه من الدنيا اقوابل، ونزلت بساحة موجوده بلاعدام

الزوازل، وولّت وفود معايشه فكادت تقدّ السلاسل، فصار كلما عامل معاملة انعكست عليه، حتى نفد جميع ما بين يديه، فلم ير لنفسه الا التغرب عن وطنه، والاقامة في سكن غير سكنه، فاخذ بعضا من المال، وخرج من بلاد الشرق الى بلاد الشمال، وداوم في الارض على الضرب، حتى انتهى الى بلاد الغرب، فاقام بها دهرا، يتعاطى معاملة وتجرا، الى ان زاد ماله واثرى، ورجع اليه، بعد ما ذهب من يديه، ثم اشتاق الى بلده، وروية زوجته وولده، فتجهز اليها، وسار حتى نزل عليها، واراد الدخول الى داره، فاوقفه مشير افتكاره، الى اعمال النظر، في حادث القضاء والقدر، شعر

لكون دايرة من قبلنا صُنعت ... لا لي تضيق ولا من دهرك اتّسعتْ

والسر في جيب غيب الله منكتم ... فلست تدري بعد التقدير ما صَنَعتْ

فرأى ان يدخل مسيا، متنكرا مختفيا، ويتوصل الى داره، ويتجسس احوال كباره وصغاره، وما حدث عليهم من الحوادث، وتقلبات الزمان العابث، فتوجه نحو اظلم، الى داره وهو يترنم، شعر

يالله قل لي خبّرك ... قلي زمان لم ارك

الى ان وصل الى الباب، وما عليه حاجب ولا بواب، فراى الباب مقفلا، والقنديل عليه مسبلا، وكان يعرف للسطوح درّبا خفيا، فاستطرق منه وارتفع مكانا عليا، واشرف من الكوة، فرأى ربة البيت المرجوة، فوق سرير الامان، معانقة فتى من الفتيان، كانهما غرط العناق، كانا مبتعين من الم الاشتياق، فبعثتهما فيامة التلاق، فملازما والتفت الساق بالساق، ولسان حال كل منهما، يروي عنهما، شعر

عانقت محبوب قلبي حين واصلني ... كانني حرف لام عانقت الفا

فتبادر الى وهله، لغيبوبة عقله، ان ذلك الشاب الطريف، معاشر حريف، افسد زوجته، مغتنما غيبته، وانه في تلك الليلة، استعمل قوله، شعر

لا تلق الا بليل من تواصله ... فالشمس نمامة والليل فوّاد

فسل السكين، وقصد قتل ذلك المسكين، وصمم على النزول الى البيت، واثارة الفتن بكبت وكبت، ثم استناب وهله، واستراب عقله، واخذ يتفكر، ويتامل ويتدبر، واستحضر احوال قريته، وانها في العفة مجبولة من طينته، وانه لم يعلم عليها الا الخير، وعدم ميلها عن حلالها الى الغير، وطالب قبل الفضيحة، لزوجته بشريفة مندوحة، فان مدة غيبته طالت، وزوجته ان خانت حالتها حالت، فلا بد اولا من الوقوف عليها كيف استحالت، ثم كفّ عن الذبح، ونزل من السطح، وقصد جارة داره، ودارة جداره، وطرق بابها، واستنطق كلابها، فخرجت اليه عجوز، كنت الى داره تجوز، وسالت من هو وما مراده، ومن ابن اصداره وايراده، فقال اني رجل غريب، نمس لي بهذه البلدة قريب، وبلادي ارض مكة، كنت اتردد الى هذه السكة، واعامل التجارة، وكان في هذه الخلة لي مجير وجارة، من التجارة كنت اوى اليه، ونزل في قدومي عليه، اسعد فارس، وقد مرّ

على زمان، وعفى عنه نوايب الحدثان، والان قدمت الى هذا المكان، وقد قصدت داره، ولا ادرى اى الجراد عاره، فلم اعرف له خبرا، ولا رايت له عينا ولا اثرا، فهل تعرفين كيف حاله، والى ما ذا آل مآله، فقالت نعم، زالت عنه النعم، وبجائحة الحال، الى الترحال، فرحل منذ سنين، وكنا فى جواره من الآمنين، وانقطع عنا خبره، وعن زوجته عينه واثره، وطال عليها منتظره، فدعتها الضرورة والاعدام، الى عرض حالها على الحكام، فاذن لها قاضى بلخ، فى ابطال نكاحها بالفسخ، ففسخت نكاحها واعتدت، وطلبت نصيبها واسندت، ولقد اوحشنا فراقه، وآلمنا اشتياقه، غير ان زوجته قامت مقامه، وافاضت علينا احسانه وانعامه، وفى منشوقة الى رويته، متشوفة الى مطالعته، متلهفة على ايام وصاله، متاسفة على ترشف زلاله، فلما وقف على صوره الحال، سجد شكرا لله ذى الجلال، وحمد الله على الاثبات، فى مثل هذه النايبات، وانما اوردت هذا المثال، لتعلم فضيلة التامل فى المآل، والتفكر فى عواقب الاحوال، فل الدب دعنا من هذا الكلام، والاخذ فى الملام، واسعدنى فى التدارك، فانك نعم المشارك، قبل انفلات العنان، وانقلاب الزمان، وخروج رمه التلافى من انامل الامكان، وانتقال حل عقدته من اللسان، والبنان الى الاسنان، فقال مبارك الميلاد، الراى يا ابا فتاد، المبادرة الى التصلح والتملاح، ليحصل النجح والفلاح، والاخذ فى المصافاة، وسلوك طريق الموالاة، والعمل به باطنا وظاهرا، والاستمرار عليه اولا واخرا، ومحو اثار العداوة، وتناسى اسباب الجفاء والقساوة، واستيناف المودة الصافية، والمحبة الوافية، وصرف الروح نحو دروس فقه الحلة الكافية والشافية، حتى يقول من راى وسمع الحمد لله آلت العاقبة الى العافية، واعلم انه لا يصفو لك صاحب، وخاطرك للتكدر عليه مصاحب، ولا يخلص لك صديق، ولبن خلوص محبتك انّاه مذيق، والقلوب فى المحبة تتجازى، ان حقيقة فحقيقة وان مجازا فمجازا، وكل شى بمقدار وميزان، وكما تدين تدان، وقلما يوجد من تحبه ويبغضك، وتريده ويرفضك، وتتصفو له ويتكدر، ولا تتغير عليه ويتغير، ودونك يا ذا الكرامات، ما قاله صاحب المقامات

وكلت للخل كما كال لى على وفاء الكيل او بحسه

وقال، من احسن معل

والعين تعرف من عينى محدثها ان كان من حزبها او من اعاديها

وانا ما اقول هذا الكلام، الا من قول خير الانام، عليه افضل التحيات واكمل السلام، الارواح جنود مجندة، فما تعارف منها ايتلف، وما تناكر منها اختلف، وانما يقع التعارف من الجهتين، والتناكر من الطرفين، ولا تغالط نفسك، وتكابر حسك، ان يحبك من تكرهه، ويزينك من تشوهه، ويقربك من تقصيه، ويعيمك من ترميه، ويرفعك من تضعه، ويأخذ بيدك من تدفعه، كما قيل، فى الاقاويل، شعر

والناس اكيس من ان يمدحوا رجلا ما لم يروا عنده اثار احسان

واعلم ان غالب الاخوان، فى هذا الزمان، مسلوب الانسانية وان كان فى زى الانسان، من احسنت اليه اسا، ومن ترققت له قسا، ومن نفعته ضرك، ومن امنته غرك، ومن سكنت اوامه برلال فضلك حرك، وقد اجاد، صاحب الانشاد، شعر

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا ولا بيننه ودّ ولا تتعارف
فما سامنا خسفا ولا سفها اذى من الناس الا من نؤد ونائف

واذا كان هذا فيمن تحسن اليه، وتسبغ ملابس افضالك عليه، فكيف بكون حال، من تصم له النكال، وتمنى وقوعه فى شرك العقال، انّى تراه يصفو لك، ويتقاضى سولك ومامولك، وهو مترقب غيلة غولك، منوقع منك ان تصير مقتولك، فما ذا عسى تبلغ منه سوائك وسولك، وترى من محبته ومودته مومك ومحصولك، وانما اوردت هذه المقامات، وان كانت من فضلات علمك ورشحات قلمك اتتنا منقدمات، الا لمعالجتى اسباب الصنايع اولا فى نفسك، ثم تستعمل الوسايط فيه من ابناء جنسك، وتنسى فيبيح المقصود، ويصفو الورد والمورود، كما قيل

فان القلوب مرايا الصفا كما النسيم مرآة وجه الذوات

قل الدب اذا القى اليك الزمام، فى هذا المقام لنيل المرام، الى يد تدبيرك، واكتفى فى رعى رياضه بمزيد رايك وتقديرك، فان فكرك نجيب، وسهم رايك مصيب، فافعل ما تختار، واذقنا من ارى رايك المشار، فقال تقسم اولا باللطيف الخبير، انك اصفيت الضمير، من الغش والتكدير، وكرعت من موارد الصفاء الزلال النمير، ونفضت يد المودة والاخاء، من علاقات البغضاء والشحناء، حتى يجيب سعيى، ولا يخيب دعيى، وابدل مجهودى، فى نيل مقصودى، وابنى على اساس، واساك مع الناس مساك الناس، فبادر الى اليمين باليمين، واشهد عليه الكرام الكاتبين، انه صقل مرآة محبّته عن صدء المداهنة، وجلا طريق مودته عن غبار المباينة، وانه يكتفى من غدر الغدر بما جرى، ويتلوى حديث الشحناء فلا سمع الواشى بذاك ولا درى، فليبذل مبارك الميلاد، جيده فى الصنايع وسعيه المعتاد، وعهدا على ذلك العهد، وتوجه مبارك الميلاد من بعد، ففصد منزل ابى نهشل، فراه من نار تحومه فى مشعل، وقد غرق فى بحر الافكار، هايم لا يقر له قرار، فسلم عليه، وتقدم بالسوال عن حاله البيه، وانسه بالحادثة، وذكر له الزمان وحوادثه، وتذاكرا ما وقع من الدب، وكيف اثير نواقض لحبه، وبارز بالعداوة، وابرز بادى حركة موجبات النفاوة، ثم اخذ اخو نهشل فى العتاب، وفتح لمبارك الميلاد من جيد صاحبه وعتابه الباب، فاعترف عن صاحبه، بان الظلم فى جانبه، وانه كان حصل له من الوهم الكاذب، ما اورثه الوقيعة فى جانب الصاحب، وانه ندم على ذلك، واعترف بان فعله حينئذ، ولم يسعه الا الاعتذار، وجبر ما وقع لابى نوفل من الانكسار، بالسعى فى مساعدته، والقيام معه فى جماعته، والتوجه الى حضرة المخدوم، والتلافى بمرهم التصافى ما سبق من جراحات الكلام والكلوم، ثم اذا حصل من الخواطر الشريفة الاغضاء، واثمر فى رياض العفو لجانى الحلم فواكه ابتدء يستانف سوق لجة عقود المبايعة، ويروج تاجر الصداقة على مشترى الخشمة فى مطان رغباته بضايعه، الى ان يتزايد الوداد، ويتاكد بين الجمع عالم الاتحاد، وانيض با رئيس الاحباب، وانيس الاحباب، شعر

فالعمر اقصر مدة من ان يدنس بالعتاب

ثم نهضا جميعا، واتيا ابا نوفل سريعا، فوجداه فى احرج مكان، واوهج زمان، محفوفا بالاحزان، مكنوفا بالاشجان، وما حال من جفاه احباه، واقصاه مولاه، وصار وحوشان، غرضه السلطان، فسلما عليه،

وجلسا اليه، واعتذر مبارك البلاد، بعد اظهار تباشير الوداد، ان موجب تقصيره، في السوال عنه وتاخيره، ان قلبه الوامق، وطرفه الوادق، لم يطاوعا على رويته في تلك الحال، ولا سمحت قدمه بالتقدم اليه وهو مشغول البال، ثم تفاوضا في اسباب الصلح، وفصدا ابواب النجح، فتجاذبوا اشراف الطرايف، وتفكهوا على موايد التحف واللطايف، ولا زالوا ينسجون خلع الوفاق، ويمزقون شقق الشقاق، الى ان انعقدت اشراف المحبة والوداد، وانحلت عقود الحقود والكياد، وتحقق كل احد من كبير وصغير، ومامور واسير، وجليل وحقير، تحصول خالص المحبة بين المندبم والوزير، شعر

ولما ان تراءى الفجر يحكي جبين الحب او راى اللبيب

توجه الوزير ومبارك البلاد، واخو نهشل وروس الاجناد، مع سايز الامراء والوزراء، والاعيان والكبراء، حتى وصلوا الى السدة العلية، والحضرة السلطانية الملكية، فقبلوا ارض الطاعة، ووقفوا في مقام الشفاعة، وذكروا من الدعاء والثناء، ما يليق بجناب الملوك والعظماء، وذكروا النديم ايضا توفل، بما يستعطف به الخاطر المفضل، حتى عطفت عليه مراحمه، وانمحت من جريدة الاجرام جرايمه، وسمح باحضاره لديه، ليسبل ذيل العفو والكرم عليه، ثم يشمله ثوب الرضا، وخلع العفو عما مضى، فاسرع نحوه البشير، بما انفق من الجماعة مع الوزير، ثم وصل القاصد، وهو له مرامد، فتوجه منشرح البال، منبسط الامال، حتى دخل على الحضرة كالدولة والاقبال، وقبل الجدائد، ووقف في موقف الخجالة، لا يرفع طرفا، ولا ينطق حرفا، فرسم بالتشريف والخلع، ليرفع عنه التخويف والبلع، فتضاعفت الادعية الحسنة، والاثنية الفايحة، شعر

بغادية من ذكره قد تمسكت بطيب ثنا يحيى الزمان روايحه

واقيمت حرمته، واستمرت عليه وظيفته، ثم ان الملك انتقل عن المجلس الخاص، الى مجلس خاص، واجتمع بالخواص، وعمم الخطاب لكل ناص، ومحدب وقاص، فقال ليعلم الوزير والنايب، والامير والحاجب، والصديق والصاحب، والحندي والكاتب، والمباشر والمحاسب، والراجل والراكب، والالي والذاهب، وليبلغ الشاهد والغايب، ان مقتضى الرياسة، في الشرع والسياسة، على ما قدره حكماء الملوك، وسلكوا بعباد الله تعالى احسن المسالك، ان كل واحد من الغني والمملوك، لا سيما من له من الامر شيء، او نوع مباشرة على مبنى اوحى، له مقام معين لا يزايله، ومكان مبين لا يقاربه، دل الحي القيوم، ذو الملك الديوم، حكاية عن متصرفي ملك الديموم، وما منا الا له مقام معلوم، وعلى هذا جرت سنته، وورد كلامه وعلت كلامته، وبه امر الشرع، والانسان مدني بالطبع، فالواجب على كل من ادمه الله، في خدمة ملك وولاه، او سلطان علاه، ان يلازم مقامه، ويلاحظ في صف جماعته امامه، ويراقب ما يصدر عنه، فقد قيل اياك وما يعتذر منه، فاذا رام ان يتكلم بكلام بحضرة الامام، او بحضور احد من الخواص والعوام، يسبق كلامه اولا بمسيار التفكر والتدبير، ويعتبره بمعيار التامل والتبصير، ثم يسبكه في بوتقة الفصاحة، ويسكبه في قالب الملاحة، ويصوغه بالات حسن الانسجام، ويرصعه بجواهر مقتضى المقام، فاذا صبغ على هذه الصباغة، وقعدت على صورة سكته نقوش البلاغة، واخرج له غواص الفكر من بحر المعاني والبيان، فرايد أفكار ته

تظفر بها اصداف الاذان، وخرايد ابكار لم يفتر عنها فحول الاذهان، ازدانت بها من حور جنان الجنان، ومقصورات خيام الدهور والازمان، انسات لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان، فاختلب ببهائه القلوب والارواح، واستلب بروايه الاموال والاشباح، واستمال الخواطر، وسحب الايادى المواطر، وحمر الدهر من بعض رواته، واشناف ما يرويه عنه معلقة باذان نياته، وان وقع منه والعياذ بالله ما دورت الندم والحزن، واخرج سهم الكلام من قوس الكلة لا اكتال ولا اتزن، حصل فى سوق شغله وباطنه الغبن والغبن، واصابه ما اصاب نديم فغفور الختن، فنهضوا للجاعة وللارض قبلوا، وعن سبب هذه القضية سالوا، فقال الملك ذكر المخبرون، واخبر المذكرون، انه فى قديم الزمن، كان عند فغفور الختن، ندمان، كامل المعانى فى البيان، ذو نعمة جزيلة، وصورة جميلة، وفضيل فضله، مبرز فى العلم، كامل المودة والحلم، محبوب الصورة، مشكور السيرة، طاهر السريرة، نحيل الراس خفيف الروح قد جال وجاب، وبلا الاعداء والاصحاب، وترشح لمنادمة الملوك والامراء، ومجانسة السلاطين والوزراء، وهو خصيص بملك الختن والصين، مقبول عند الملوك والسلاطين، اتفق له فى بعض الليالى، انه كان عند جناب ملكه العالى، وعنده جماعة من العلماء، وطايفة من الاخصاء والندماء، وهم يتعاطون كوس اللطايف، ويتواطون على ما فى الدنيا من طرف وتحايف، ويتذاكرون عجايب الاقطار، ويشنفون المسامع بخصايص الامصار، فقال النديم، رايت فى بعض الاقاليم، من الاراضى الحامية، والبلاد الفاصية، حيوانا كبيرا سريع السير، متردد شكله بين شكلى الجمل والبعير، يضرب به فى الديدبة المثل، فيتعاطى المتعاطى الكسل، ان يقول له احمل، يقول انا طير وان قيل له طر يقول انا جمل، وذكر ان اسمه النعام، وسابر اوصافه على التمام، فتعجب الحاضرون من هذه الصفات، والاشكال البديعة والهيات، واعجب من هذه الصفات، انه ياكل الجمرات، ويلتقط الحصيات، ويختطف الحديدة الحماء من النار بزدرعا، ولا يتالم لذلك فمها ولا جسدعا، ويذيب كل ذلك معدته، ولا يتاثر له لسانه ولا ترقوته، فانكر بعض الحاضرين هذا المقال، لكونه ما شاهد هذه الاحوال، ولا راى ولا سمع خبر طير باكل النار، ويبتلع الاحجار، ونسبوه الى المجازفة فى الاخبار، فنصدى لاثبات ما يقول، بتسويغ المعقول والمنقول، ولم يسعف كلامه القبول، على ما الفته منهم العقول، لان الحيوانات، بل وسابر الجمادات، اذا اتصلت بها النار، محت منها الآثار، وهذا طير من الاطيار، من لحم ودم فكيف لا تحرقه النار، فاتفق الجمهور على تكذيب هذه الاخبار، وقالوا المثل المشهور، انما هو موضوع على لسان الطيور، فيمن يتردد بين الامور، فيقال هذا الفقير، كالنعامة لا تحمل ولا تطير، ومثل هذا المضرب يا شيخ المشرق والمغرب، قولكم صارت به عنقاء مغرب، فقال النديم، العاقل الحكيم، انا رايت هذا بالعين، فلم يزدهم الا تاكيد المين، وقالوا قد لزمت الغلط، فوقع من اعينهم بهذا الكلام اذ قالوا هذا كذب وسقط، فحصل لذلك النديم، من الخجالة والندم امر عظيم، واستمر فى حجر حتى منعه السلطان من الدخول الى القصر، وصار بين الاصحاب، يشار اليه بالكذاب، فلم يسع ذلك الاستاد، الا السفر من تلك البلاد، والتوجه الى العراق وبغداد، واخذ من طير النعام عدد، واستعمل عليها رجالا مستعدة، ونقلها الى الصين، فى عدة سنين، تارة فى البحر واخرى فى البر،

وتسمى انواعا من البوس والضر، وتكلف جملا من الاموال، وتحمل مع المشاق منن الرجال، فما انتهى به السفر، الا وقد مات غالب ذلك الطير، فوصل الى حضرة ملك الخطا، واشتهر فى المملكة ان القديم الفلانى اتى، فاجتمع الناس لينظروا، وامر الملك الخاص والعام فحضروا، واحضروا النعام، فى ذلك الحضر العام، وطرح لها الحديد المحمى، فخطفته، والجمر والحصى فلفظته، فتعجب الناس لذلك، وسجدوا الله مالك الممالك، وعلم الصغار والكبار، انه يخلق ما يشاء ويختار، وشمله الملك بمزيد الانعام، واعتذروا اليه عما مضى من ملام، وزادت رفعته، ونفذت كلمته، اذ قد ثبت مدعاه، وحقق بشاهد الحس معنى ما ادّعاه، ففى بعض الاوقات، تذاكروا ما فات، واتجر بهم الكلام، الى حديث النعام، فقال القديم، ايها الملك الكريم، انى تكلفت على هذه الانيار، كذا وكذا الف دينار، وقاسيت من المشقة فى الاسفار، وعانيت من شدايد الاخطار، ما لا تقاسيه عبدان النار، واستمررت فى هذا العذاب المهين، فى سجن المشاق بضع سنين، حتى بلغت تحقيق مرامى، وتصديق كلامى، ولو لا عناية مولانا السلطان، لما ساعدنى على مقصودى الزمان، ولما زال عنى اسم الكذاب، الى يوم الحساب، فتبسم السلطان وقال لقد انبت بمحاسن، وما قصرت ولكن، كلمة يحتاج فى اثبات تصديقها، والخروج عن عهدة تحقيقها، الى صرف المال الجزيل، وتجشم مشقة السفر العريض الطويل، وتحمل مُنَن الرجال، وركوب الاخطار والاهوال، وازعاج الروح والبدن، واضاعة جانب كبير من العمر والزمن، لاى معنى يتفوه بها العاقل، ولما ذا ينطق بها مستمع او ناقل، وانما اوردت هذا المقول، ليعلم ارباب المعقول، من جلساء الملوك العظماء، ورؤساء الامراء والزعماء، خصوص خواص الخدماء، وعوام الندماء، ان شيئا يحتاج فيه الى تعب النفس، وقيد وانكال وحبس، ثم استعمال منن جماعة، واصحاب يتقدمون الى الشفاعة، لا ينبغى للعاقل ان يحوم حوله، ولا يعقد ابدا عليه فعله وقوله، فمقدم مبارك الميلاد، ومبذل فى اداء وظايف الدعة والاجتهاد، وقال انما كان عاقبة هذا الامر، وانتفاء نايرة هذا الجمر، واداوه الى انتظام عقود السعد، واشتمالة على جميع الخواطر من بعد، بميامن الخواطر الشريفة، وشرف ملاحظتها المنيفة، وتوجه مساعدتها لخدمتها، وشمول عواطفها على عبيدها وحشمها، واقبال طالعها السعيد، ولو لا ذلك لما انتظم لنا شمل ايها العبيد، فالمنة لهذا كله للصدقات الشريفة، والجميلة لعواطف منتها المنيفة، وبمثل هذا الشان، ما جرى للمختار على الملك انوشروان، فسال الملك المطاع، عن هذا المضاع، فقال ذكر فى التواريخ، يا عالى الشماريخ، ان كسرى انوشروان، جاءه احد الملوك بالعصيان، واسند محاربته طايفة من الاعوان، فتوجه كسرى اليه، ووثب وثوب الاسد الضارى عليه، ورأى الموانى فى امره والتاخير، من جملة الاخلال والتقصير، وقبله قتلا، وقتله قتلا، للمصنف شعر

اذا استحقرت ادنى من تعادى ... بما لك من يد وندىً وطاقة

فما استحقرت ان اهملت الا ... امورك وهو ذا عين الحماقة

فلما توقعه واصطدما وتدافعا، انكسر ذو الطغيان، ونصر الله انوشروان، وغنم على العدو، وحصل الاسر والبدو، وقتل شاهُ، وتفرقت عساكره، وحمل وقد سيم خسفا وكسرا،

الى الملك العادل كسرى، فتقدم بالاحسان اليه، وجعل العفو سكر القدرة عليه، وبالغ معه فى اللطف والاحسان، وانزله عنده فى بستان، ترتع النزاهة فى ميادين رياضه، وتكرع الفكاهة من رياحين حياضه، وافاض عليه من خلع الانعام، وادرارات الافضال والاكرام، ما ازال دهشته، واحال وحشته، وابدا استغرابه، وابعد استبعاده، فلما حصل انسه، وهدات نفسه، اخذ فى تفجيره، وابلاغه الى ما منه وتجهيزه، فابى الا الاقامة، والتقلب بدار الكرامة، وسال الصدفات، وما لها من عميم الشفقات، محوره محلها، والاقامة تحت ظلها، واغتنام مشاهدتها، والتشرف بميامن طلعتها، مدة ايام، فنهاه حسوه من العمر العزيز باعوام، فاجابت مسئوله، واستنجزت مامولة، وكان، فى ذلك اليستان، نخلة كنخلة مريم، قد يبست من الهرم، ولما تعاورتها يد القدم، فلم تصلح الا للحرم، فارسل يسال الصدفات الجزلة، ان يهبه تلك النخلة، فاستنزل كسرى عقله، واجاب قصده وسوله، ووعده تلك النخلة، فكان كل يوم يتوجه اليها، ويسند ظهره ويعتمد عليها، وهو فى ارغد حال، وابهى مآل، فبعد عدة شهور، تطلب الى التوجه الدستور، فاستدعاه، واكرم مثواه، واجاب قصده ومناه، واسبغ عليه نعمه وفضله، وساله عن موجب سواله النخلة، وسبب طلبه الاقامة، ثم سواله التوجه بالسلامة، فقال اما سبب الاقامة بهذا البلد، فلجوار مولانا الملك الامجد، والاستسعاد بمشاهده وجهه الاسعد، فان طالعه قوى سعيد، ومجاورته للسعادة تفيد، وتحصل منها فجاوريه المزيد، فاردت ان يكون لى منها نصيب، ويلاحظنى منها سهم مصيب، شعر

فان تلثم بقفر عاد روضا وان تمرر بملح صار شهدا

وان يخطر ببالك حس نجم بعد فى الحال من ريّاك سعدا

فصرت مشمولا بميامن ظلها، مغمورا بفايض وابلها وطلها، واما طلبى النخلة اليابسة، فانى فقالت لها من حظى مساعدة ومناحسة، فكنت اتردد اليها، واعول فى ذلك عليها، فما دامت فى فحول، كان جدى وسعدى فى حول، انى ان رايتها قد احضرت، واطلعت واسبكرت، فاعمل سعدى وحبا، وعاد بعد ان مات حيا، وساقدات على نخلة سعدى من ثمرات السعادة رطبا جنيا، فعلمت ان طالعى الهابط حاد الى الاوج، ورسول حظى دخل فى دينه نفس الابتهاج فوجا بعد فوج، وارمل جدى ازدوج، بيكر الامال فكان لها احسن زوج، كل ذلك اى احسن مالك، بسعد فالك، وجوار دار جلالك، ومشاهدة انوار جمالك، واستماع كلامك وانتجاع كمالك، فمن بعد اسعاد السعد كل سهم امل فوقته، ونحو شاكلة قصد اطلقه، اصبت الغرض، وحزت جوهره بلا عرض، فاذا اسعف السعد النفس، لا يسعفها معه نحس، وانما ذكرت هذا الفول، يا ذا الكرم والطول، ليعلم الحضار، والسادة النظار، ان استقامتنا وسعدنا، وانتظام امورنا وجدنا، انما هو بالتفات الخواطر الشريفة، وشمول احوالنا بملاحظاتها المنيفة، واستدامة بركاتها، وميامن حركاتها، كما قيل، فى ذا القبيل شعر

تلقى الامان على حياض محمد نولاه مخرفة وذيب انلس

لا ذى تخاف ولا لهذا جرأة تهدى الرعية ما استقام الرئس

وكما ان الرعية لا يستقيم حالها الا بالملك الراعى، فانها كالرعية لا ينتظم لها امر الا بالراعى كما قيل شعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

كذلك الملك ذو الدرجات العلية، لا يعتبر ملكا الا بالرعية، ولو لم يكن العاشق مشوقا، لم يكن المعشوق معشوقا، ولو لم يوجد الراسق بالامل مسوقا، لم يصر الملك المامول مرموقا، وعنى عن هذا المعنى، من فى رياض المعانى اعنى، شعر

واحقر صبّ فيك بهدى سناؤه كاعظم اذ من هواك تعظّما

فلا تحتقره ان تملكت قلبه فلولا الهوى ما كنت ملكا مفخّما

ففى موقف العشاق منك وظيفة لكل فلا يبغى لها متقدّما

وكل له وجد يليق بحاله وكل له حالٌ بعشقك مغرما

انم ترَ ان الله اوجد حكمةً ذبابًا وعقبانا وبقا وضيغما

فكل له نفعٌ وضرٌّ مخصصٌ فسبحان من قد خصّ طورًا وعمما

وانا تعنى لكمال قدرته، واسبال ذيل رحمته، خلق الكبير الاعلى، محتاجًا لخدمة الصغير الادنى، وجعل الجمّ الادنى محتاجا لرحمة الكبير الاعلى، ولهذا اعظم الخلق من خلق الخلق، واحوج الخلق الى الخلق وهو غنى عن الخلق، وقيل ايها الملك السنى، الانسان بطبعه مدنى، وبمقدار كثرة الرعية، واشتراكهم فى الصفات المرضية، وانقيادهم لاوامر مالكهم السنية، تعمر درجة الملك عليه، كما كان فى زمن نبى الله سليمان صلوات الله عليه وسلامه، وتحيته وكرامه، وقد جرى فى عصره بين الطير، معاوضة بين النمل والعصفور، فسال ملك الاساد، ذاكر المعاوضة مبرد المهاد، فقال بلغنى يا سلطان الاسود، ان نبى الله سليمان بن داود، عليهما السلام كان فى سيرانه، مع خواص اركانه، ثمرّ بذلك الطالب، على شجرة دُلب، للعلق بها عش، فاذا فيه كاحسن حش، وقد استوكر فى عشه عصفور، واحتمى بجواره من موذيات ابى الشرور، فحانا بمصاحبان ويتقاولان، ويتواصلان ويتصاولان، فوقف النبى الكريم، واستوقف الحمل العظيم، ليسمع ما يقولان، وينظر كيف يجولان، فسمع العلق يقول، وهو يجول ويصول، وعلى العصفور بمجمع من الطيور، اشكر لى حسن الصنيع، حيث انزلتك فى حصنى المنيع، لا حية تريد فتكك، ولا جارح ينقض عليك، ولو لا ان لك عندى مناخا، ما ابقت لك الحية ذانا ولا فراخا، وانما سلمتم بجوارى، وبقربكم من دارى، فوثب ابو محرز، وتوسط الجمع وهو يجمز، ويدور بين الاصغر والاكبر، ويخبط ابا خديج اى جاره، وانا فى المدار، حول هذه الديار، آناء الليل واطراف النهار، لقط النمل الصغار والصغار، ولو لا انا حارس مناخك، ما ابقى لك النمل اثرا ولا لفراخك، حتى منا تحسبن انى جاره، منغبط بجواره، امن به فى سربه ومطاره، فارفع بيننا هذا النكد، ولا

بمنّ احدٌ منا على احد، فالحقوق ما تضيع بين الجيران، كما تراعى بين الاصحاب والاخوان، وكما تدين تدان، ومع هذا فكلنا نصلى على نبى الله سليمان، ملك الانس والجان، وسلطان الطيور والحيوان، فانه بحسن عدله اعتدل الزمان، وبيمن فضله صلح الكائن والمكان، فنحن ايضا كذلك، نشكر رب الممالك، اذ منّ علينا بهذا السلطان المالك، ملك الوحوش الاكابر، وكاسر السباع الكواسر، المشفق على الصغاء والاصاغر، فلم يخل من فضله سبع ولا طاير، ثم نهضوا فوقفوا، ودعوا للملك وانصرفوا، اخر هذا الباب، والله اعلم بالصواب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الباب السادس

في نوادر التيس المشرقي والكلب الافرنجي

قال الشيخ ابو المحاسن من لمدود ارض الفضل من فضائله رواس، وفي مشحون بحر الفضل من فواضله مراس، فابتهج الملك بهذا الكلام، وارتاح لما تضمنه من الحكم والأحكام، واستزاد اخاه من عقود هذا النظام، فقبل الارض في مقام الخدام، وقال بلغني يا ملك الانام، ان راعيا كان يرعى ثلة من الاغنام، وحيلة من المعز الجسام، وفي ماشيته تيس مطاع، كلها له اتباع، وهو قديمها، وقايدها وزعيمها، وابو نتاجها، وحمو نعاجها، واصله من الشرق، لم يكن بينه وبين ابليس في الشيطنة فرق، اسمه الذميم، التيس الزنيم، وكان بواسطة الفحولة والنكر، والتقدم في الحضر والسفر، يستطيل ويصول، ويقطع القلباس والفحول، فيهجرج ضعيفها، ويطرح نحيفها، ويضرب بخالصها لفيفها، الى ان اباد اعيانها، واعجز رعيانها، فطال منه العقوق، فذعب به الراعي الى السوق، ليبيعه ويستريح، ويخلص المسكنة من شره ويريح، فبينما هو يطوف، واذا برجل مهول مخوف، طويل القامة، كبير الهامة، كانه زبنى القيامة، شثن اليدين، ازرق العينين، اسود الخفين، بثوب وسخ، وطرطور سنخ، وسطه محزوم، بسير مبزوم، فصادف الراعي، وهو في السوق ساعي، فمد يده الى التيس، وقال بكم هذا يا ابا الكيس، فوقع بينهما الاتفاق، ووقع الزنيم في شبكة الرباق، فتامل شكل القصاب، وصورته الماضية بالتعجاب، فراى رجلا دانه من الشياطين، معلقا على وسطه عدة سكاكين، فداخله الرعب، ورجف من الرهب، وادرك بالفراسة، انه سيهلكه ويحذف راسه، وقال ظني والظن يخطئ ويصيب، انني وقعت مع هذا في يوم عصيب، وانه قاصد هلاكي، ومقيم علي البوائق، فالاولى الاحتراز، والتذهب قبل زمان الجراز، فان حصل خير، فما في الاحتراز ضير، وان وقع على الاعلاك العزم، فانلفي سيفه بما اعددته من ترس الحزم، فوزن الجزار الثمن، وشحط الزنيم بالرسن، وانى به مطابخ، فقطعها الى مسالخ، فشم رائحة الرهومة، واحس من الجزار نكده وشومه، فلما دخل المسلخ، ورای القصابين هذا يذبح هذا يسلخ، والتحم شعات، على الجدران معلقات، وانهر الدماء كدموع العشاق جارية، وجلود الغنم وروسها واكارعها كل كاشية، هذه الكاشية في ناحية، وهذه الكاشية في زاوية، فرجف قلبه، وزاد رعبه، والتجى الى الله تعالى، وتاب اليه عما وطا عليه من الذنوب وملا، فما عتم القصاب المصارع، ان شد من المشرفي الادارع، وجدله على الجدالة، واخرج لذاحه الالة، فلما راى هذه الحالة، تحقق ما كان ظنه فاستحضر باله، وايقن انه هالك لا محالة، فنظر الى القصاب، واذكر ما قيل في حق النساب، وهو شعر

نظروا اليك باعين محمرة نظر التيوس الى شفار الجازر

فوجد السكين كليلة، ليس للذبح بها حيلة، فطلب المسن ليحدها، ويريح ذبيحته ان حدها، فتركه وذهب للمسن، وقد تحقق الرنيم ما كان ظن، فتنفس له البلاء، وارتخى عنه عقد القضاء، فتمطى فى رباط الاكارع، مرفه بحمل ضلع، ثم ونب، وقصد الهرب، وخرج من الباب، وصاحوا عليه فراب، فلم يلتفت الى الصوت، وفر فرار من عاين الموت، وطلب الخلاء، وطريق الفضاء، فدعى به الذهاب، الى بستان جوار بيت القصاب، فدخل البستان، وامند فى الجريان، والقصاب وراءه بهيئته المهولة، والسكين فى يده مسلولة، وكان قبل هذا الزمان، بين زوجة القصاب وصاحب البستان، ما يكون بين الخرفاء والاخدان، فكانت كلما وجدت فرصة، جعلت للبستانى من نفسها حصة، وتنزل من بيتها الى بيته، وتعمر سراجها من فتيلة قنديله وزيته، واتفق ان فى تلك الحال، طلب كل من المحبين الوصال، وكان زمان اشتغال اللحام، بالمعاملة مع الخاص والعام، فلاشتغال وهله، لا يتردد فيه الى اهله، فاغتنمت الزوجة غفلة الرقيب، ونزلت من بيتها الى الحبيب، فكان المحبان امنين، وقد تعانقا تحت دوحة نايمين، فاتفق ان الهارب من الموت وداعيه، اخذ على مكان هما فيه، والقصاب يتبعه رافعا يده، والسكين فى يده مجرده، فلم يشعر الا وزوجها رافع الصوت، واقف على راسهما وبيده الة الموت، وما شعر بدواعيهما، حتى عثر عليهما وفيهما، ففقرا من مكانهما، مفتضحين فى مكامنهما، فاشتغل القصاب بنفسه، وانتهى بنجته عن تبسه، وكان الناس تابعيه، فوقفوا على ما وقع فيه، وقامت الغوغا، وقعدت للفار من البلا، نقوش النجاة من الردا، فلم يزل فى ميدان الجرى، ذاهلا عما جرى، حتى وصل الى ثغرة خرج منها الى الصحرا، فانقطع عن ذلك الجنى تابعه، ولم يوجد من شياطين الانس رابيه وسامعه، فانتهى به التسيار، فى تلك الصحارى والقفار، الى جبل ذوى فيه الى غار، كان ياوى اليه مع المواشى اوان الامطار، فامسى فيه تلك الليلة الى وقت الاسفار، شعر

فلما راى الليل العبوس صنيعه تبسم فاغتر تباشير فجره

فلما اصبح الصباح، خرج الى السراح، وهو فى نشاط ومراح، وجعل يرتاد انيسا، ليكون جليسا، او رفيقا صالحا، او صديقا ناصحا، يتالف به فى الغربة، ويمسح بانامل توانسه من ثقل الكربة، ما يحصل على جبين راحته من عرق القربة، وبينا هو ينشر البيد ويطوى، اذ سمع نباح كلب بعوى، فترجى الخير، وزوال الضير، ثم قصد نحوه، فراه مقبلا من فجوة، فناداه اهلا باحب الاحباب، واعز الاصحاب، المفضل على كثير ممن لبس الثياب، فلما دنى منه بادر الى عناقه، وتباكى لاليم فراقه، فتعانقا تعانق المحبين، وتباثا مبانة من مضه البين، ثم قال له اعلم يا لطيف الحركات، وكثيف البركات، ان كلامنا غريب وكل غريب للغريب نسيب، وانا قد تفرست فيك، وما تكاد فراستى تخطئك، انك رفيق صالح، وشفيق ناصح، واحسن مليح مماليح، وفى طريقة اخوان الصفا قيم راجح، وان كانت الجنسية بيننا مختلفة، لكن القلوب بحمد الله تعالى موتلفة، وكم لك من ايادٍ سابغة، وصدقات متناسقة، وكم حضنا فى المراعى، وبتنا فى الحظاير نايمين وانت لحفظنا ساعى،

حرسنا من الغداة الى الرواح، ومن المساء الى الصباح، فاخبرني ما شانك، واين مكانك، وما اسمك، وما صنعتك ورسمك، ومجيك من اين، وما حاجتك في البين، قال اما اسمي فيسار، واما مكاني فبلاد التتار، وصنعتي راعي، وسبب مجيئي ضياعي، ولي صاحب اسمه اقرق، من دشت قفجاق ابن شقرق، كنت في خدمته، راعي ماشيته، فاضللت رعيتي، وضيعت حق خدمتي، فانا اطلب ولي نعمتي، لامحو من وصمة الجفا شيمتي، فهذا شاني وجل بغيتي، قال الزنيم انا من حين شاهدت في وجهك الانوار، علمت انك يسار، وانك معدن الذكاء، والالباب تنزل من السماء، واما طلبك لصاحبك ورعيتك، فانه دال على كمال مروتك، ولا ينكر لك الوفاء، فان بينك وبين الوفاء مقام الصدق والصفاء، لم يقع بينكما قط بعد ولا جفاء، وشهرتك بحمد الله بجميل الصفات، التي قل ما تجتمع في زكي الذوات، ولا تصفو الا للاولياء، والبررة المبرزين الاتقياء، من المسكنة والقناعة، والجراءة والشجاعة، وحفظ العهود والوفاء، وكسر النفس والصفاء، وعدم الحقد والحسد، واطراح العجب والتمدد، والحراسة والسهر، وقيام الليل الى السحر، والتودد الى الناس، حتى قال فيك ابن عباس، كلب امين خير من صاحب خوون وعندك من التهذيب، وقبول المعلم والتاديب، ما يصير صيدك مُذَكّى، وسمك كالشعرة مزكا، وفي شانك يا ذا الوفاء والمنفعة، قال الحرث بن صعصعة، شعر

وما زال برعى ذمتي ويحوطني ... ويحفظ عرسي والخليل يخون

فيا عجبا للنخل يهتك حرمتي ... ويا عجبا للكلب كيف يصون

ومن هذا الضرب، ما رواه احمد بن حرب، عن ذي العتاب، منادم الكلاب، ان الكلب يكف عني اذاه، ويكفيني اذاء سواه، ويشكر قليلي، ويحفظ مبيتي ومقيلي، فهو من بين الحيوان خليلي، فقال احمد بن حرب تمنيت والله ان اكون مثل هذا الكلب لاحوز هذه الصفات، وارقى هذه الدرجات، وارجوا الله تعالى ان يعطفك عليّ، ويقلب بعليك ووجهك اليّ، بحيث ترغب في صحبتي، وتميل الى مصادقتي، فمرى اذذاك مني بحمد الله تعالى من الاخوة والصداقة، والمروة والرفاقة، ما تنسى به كل صديق، وتفضل الصاحب الجديد على العتيق، فتترك سائر اصحابك، وتلتهي بي عن اوليائك واحبابك، خصوصا بني ادم، الذي انت بهم اعلم، من اذعبت عمرك في خدمتهم، والقيام بحقوقهم وحفظ حرمتهم، وحراسة مواشيهم ودورهم، وكمال فضلك في حياطة بيوتهم وقصورهم، ورعاية رعيانهم، وصيانة اهليهم وجيرانهم، مع قناعتك منهم، بما يفضل عنهم، من كسرة خبز الشعير، او عظم يابس كسير، او فضلة مرقة فدير، واضاعتهم حقوق خدمتك، ونسيانهم موجبات شفقتك، حتى لو وصل فمك الى زادهم، والى شيء من عتيد عتادهم، رموك بالخطب، ورضوا راسك بالحجارة والخشب، ولو ولغت في انائهم، او شربت من مائهم، ما قنعوا في تنظيفه، وتطهيره في تشليفه، بمرة ولا مرتين، ولا اكتفوا في ازالة لعابك بالعين، بل دئوا الغسل بالحساب، وعفروا الوعاء بالتراب، وتعدون ذلك من التعبد، ولا يرعون ما لك من تحبب وتودد، وانا ارجو ان ترتفع منزلتك، وتعلو درجتك، ويساعدك رب العرش، حتى تصير سلطان السباع وملك الوحش، واجتهد في هذه القصيدة، الى ان ابلغ هذه الامنية، واكون السبب في ذلك الى

ان تملك الممالك، فان لك علىّ حقا قديما، وفضلا جسيما، نالما نمنا امنين فى ظل حراستك، ورعينا مسرورين مكنوفين بحياطتك، واجلنا منك فى الخاطر ما قال الشاعر،

بقاؤك فينا نعمة الله عندنا فنحن بأوفى شكرها نستديمها

قل يسار يا اخى جميع ما قررته صحيح مقبول، داخل فى الفضل خارج عن الفضول، ولكن انا من جنس السباع، مجبول على ما لهم من الطباع، ومع هذا فانا عدوهم، وبسببى نزول هدوهم، وانا لهم اعادهم الا فيكم، ولا لى وادى الا فى ناديكم، فان تربيتى بينكم، وعينى مراقبة عينكم، وانا اليكم اقرب منى اليهم، ومعولى عليكم دون معولى عليهم، وعلى هذا وجدت اباى واجدادى، ونشأت من حين ميلادى، والخروج عن طريقة الاباء دليل على العقوق والاباء، وهو امر مذموم، وهذا شى معلوم، وقد قال صاحب الشرع الحب يتوارث، والبغض يتوارث ولكن يا سليم الطباع، وخصيب الرباع، فولك تصير سلطان السباع، سخريتهم بى واستهزاء، ولا استحق منك هذا الجزاء، فان معنى هذا القيل، امر مستبعد بل مستحيل، انا يا طاعم نجس العين، فانا من اين وهذا الهوس من ابن، فان اردت اعانتى على ذلك، وتكلفت لى برياسة الممالك، فكلانا فى هذا الهوا سواء، وان تعممنا على ذلك فما لجنوننا دواء، وهذا الوسواس، من خيالات الافلاس، وفى مثل هذا الحال، قال من صدق فى المقال

لا خيل عندك تهديها ولا مال

وانا اعلم انما تتكلم بما يطيب خاطرى، ويسر سرايرى، ويقربك فى الحب من ضمايرى، قل المشرفى، لا تقل ذلك يا تقى، فانى شاهدت فى جبينك تحايل السعادة، ومن شمايلك تتعاثر السعادة، وقد قيل، يا فضيل،

المرء يطير بهمته كما يطير الطير بجناحه

وانا ارجو الله تعالى ان ييسر لى القيام، بجميع ما قلته لك يا امام، وان اجلسك على السرير، واقيم فى خدمتك الكبير والصغير، وارفع راية مراسيمك، وانفذ اوامرك فى ممالكك واقاليمك، واجعل جنود الوحوش تحت رايتك، واقاليم الفقار تحت ولايتك، ولكن بشرط ان تتبع ما اراه، ولا تخرج عن طوره ولا تتعداه، وتعمل بكل ما اشير اليه، ومهما ارشدتك اليه تعول عليه، فقال انا تحت يديك، وجميع اموري منك واليك، فقل فانى سامع، ولامرك طايع، فانهض وعانى، هذه الامنية عسى يصير هذا الباطل حقا، وينقلب هذا الكذب صدقا، وقل ما تقتضيه، لابعه وارتضيه، قال تترك ما انت عليه من الاخلاق السبعية، والاوصاف الكلبية، من الحرص والشره، والكلب والنره، والنفس المنمرة، والطبيعة المذمرة، وتصومه، عن الدماء واللحوم، وعن تمزيق الحيوانات، وتفريق الجماعات، وتحمل النفس على التلبس بالاخلاق الجميلة، والاوصاف الفضيلة، من العفة والحلم، والعفو عمن ظلم، والقناعة بالنبات، عن لحوم الحيوانات، ومعاملة الكبير والصغير، بالفضل الكثير، والبذل الغزير، ونلافى خاطر الحقير، ليسهل العسير، وينقاد لك المأمور منهم والامر، وهذا الامر عليك يسير، وهذا لانك طالما جرحت جوارحهم، وكسرت جوارحهم، واصليت سارحهم، وابدت بارحهم، فهم منك متخوفون، والى ابداء الضرر منسوقون، قد رأوا

ذما خلاف العادة، وعلموا ان ولايتك فيها للحسنى وزيادة، واصابوا الخير، من مواقع الضير، وراوا ما سره من مواضع الضر والشر، تشرب محبتك الكبير والصغير، وانهاك الى ذرال من الوحوش العير والنفير، فيتخذك الغريب حبيبا، ويصير البعيد قريبا، فتصيد بالمحبة ارواحهم، كما كنت اولا تصيد اشباحهم، واذا ضرب صيتك الارض، ونثر درره بالطول والعرض، وتسامعت بك الوفود، وتحققوا انك عدلت عن خلقك المعهود، اقبلت اليك منهم الجنود، وزان جيد جنودهم من جواهر محبتك عقود، وانعقدت بينكم بالمحبة، والولاء عقود العهود، فتوفرت اذذاك جنودك، وعلت على رؤس الاقران راياتك وبنودك، وجعلوا ذراك ماواهم، وحماك مصيفهم ومشتاهم، مع ان هيبتك في قلوبهم مركوزة، واسنة مخافتك في احشائهم من قديم الزمان مغروزة، واعلى من فيهم يخافك ويخشاك، ويتوقى مخافتك ويتحاشاك، فل بسارٍ، اعلم يا خير سارٍ، ان حبال الامال، ومطامع الخيال، ما لم تتعلق بمامول، ولم ترتبط باطراف سول، فالنفس ساكنة، والروح مطمئنة هادئة، والقلب فرح، والخاطر منشرح، اذ الطمع تعب وشين، واليأس احدى الراحتين، ومتى تعلقت بذيل المطامع مخاليب الامال، وتلفت الى حصول شيء طامع الخيال، ونمت النفس في خمايله، وخرقت الجوارح لنيل مامولة، وانبعثت الهمة الى ادراكه، وتعلق القلب بسبر فتراكه، توزعت الافكار وتفرقت، وتمزعت الخواطر وتمزقت، وركب لذلك كل صعب وذلول، وتعاذفت النفس في كل مخوف ومهول، وتقلدت بحمايل حول الخيل، شعر

اذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ثم اذا لم يحصل المامول، ولم يبلغ النفس والعياذ بالله السول، مع بذل هذا الجهد، والمبالغة في السعي بالكد، ومقاساة التعب، ومعاناة النصب، ترادف النكد، وتضاعف السهد، وصارت النفس لهذا البدد، كان في جيد حيوتها من قوات المقصود حبل من مسد، فلا تزال بين تفسيم خاطر، وتشويش ضمايز، وفكر غايب وهم حاضر، وهذا الامر الذي عزمت عليه، وهممت بالترقي الى الوصول اليه، الى عدم الحصول، اقرب منه الى الوصول، وانا اخاف، وذا غير خاف، ان يغرد الطمع في هذه الحركة، وينتزع من قراغة اوكارنا البركة، ولا تحصل الا على مثل ما حصل لذلك الحزين من السمكة، فقال التزيم، نبئني ايها العليم، بذلك المثل القويم، قال بلغني انه كان في مكان مكين، ماوى لمالك الحزين، وفي ذلك المكان، غياض وغدران، تضاهي رياض الجنان شعر

حتى بانها قد القضيب تمايلا فجن وفي هذا الجنون تغنّا
فدار عليه النهر وهو مسلسل فقيّده اذ قد جنى وتجنّا

وفي مبدئه من السماك، ما يقوم ساحات السماك، فكان ذلك النهير، في دعة وخير، يزجي اوقاته، بعذب ادواته، وكلما تحرك حركة، دان فيها بركة، حتى لو غاص في تلك البحار والغدران، لم يخرج الا وفي منقاره سمكة، فتقوى الله في بعض الاذاء، تعسر عليه اسباب العذاء، وارتفع لفوت قوت ابواب النعماء، فكان يتبع بعض عالم الملك والملكوت، يطلب ما دسد الرمق من القوت، فلا يسمح عليه بسمي من اعلا السمك الى اسفل الحوت، واستد هذا الحال، عدة ايام وليال، فخاض يوما

في الزقاق، يطلب شيا من الارزاق، فصادف سمكة صغيرة، قد عارضت مسيره، فاختطفها، وضمها بين رجليه التقفها، ثم بعد اقلاعها، فحدثني ابتلاعها، فمدارست زاعون نفسها، قبل استقرارها في رمسها، ونادت بعد ان كادت، ان تكون بادت، يا البرغوث ودمه، والعصفور ودسمه، اسمع يا جار الرضى، ومن عمرنا في صونه انقضى، لا تعجل في ابتلاعي، ولا تسارع في ضياعي، حتى بقدّتي فوايد، وعوايد عليك عوايد، وهو ان ابي قد ملك، هذا السمك، فاكل عبيده ورعيته، ووجب على الكل طاعته ومشيته، ثم انسى واحد ابوي، واريد منك الابقاء عليّ، فان ابي بدر النذور، حتى حصل له بوجودي السرور، فما في ابتلاعي كبير فايده، ولا اسدّ لك رمقا ولا اسغل معده، فصبر مع ابي الفضيل، كما قيل شعر

وافقرني فيمن احب وما استغنى

فلاولي ان افسر عينك، واعرف ما بين ابي وبينك، فاكون سببا لعقود المصادقة، وفاتحا لاغلاق المحبة والمرافقة، ويتحمل لك الجبلة، والمنة التامة والفضيلة، واما انا فاعاهدك ان اعتقني، ومننت علي واطلقني، ان انكفل لك في كل يوم بعشر سمكات، بياض كبار ودكات، تاتيك مرفوعة، غير مقطوعة ولا ممنوعة، برسلها اليك ابي، مكافاة لما فعلت بي، من غير نصب منك ولا وصب، ولا كد تتحمله ولا تعب، فلما سمع البلشون، هذا المجون، اغراه الطمع فيما ابتلع فسها ونيها، ثم قال لها، اعيدي هذه الرمزة، فبمجرد ما فتح فاه بالهمزة، انملصت السمكة منه بحمره، وغصت في الماء، وتخلصت من بين فكي البلاء، ولم يحصل من تلك المطاع، الا قطع الاطماع، واما اوردت يا ذا الدراية، هذه الحكاية، لتتامل عقبى هذا الامر قبل الشروع فيه، وتتدبر منتهى اواخره في بواديه، فقد قيل اول الفكر اخر العمل قال المشرقي، اعلم يا مرتقي، ان مبنى الامور في مجاريها، وقواعد ما اسس عليه مبانيها، تقدير خالقها وتدبير باريها، وما حكمه وقضاه، واحكمه وامضاه، لكنه كتمه واخفاه، فلا تدركه العيون والابصار، بل ولا البصائر والافكار، فانه علم الغيب، وجهلنا به ليس بعيب، لانه تنزه احدا صمدا، دل عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا، ونحمده قبل شعر

على المرء ان يسعى ويبذل جهده ... وليس عليه ان يساعده الدهر

فان نال بالسعي المنى تمّ امره ... وان غلب المقدور كان له عذر

وان الله العلي الاعظم، قد وضع اساس بنيان العالم، على الاسباب، وفتح لتعاطي الاسباب الابواب، فقال ذو الجلال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقل فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقل الفاضل شعر

اذا ما كنت في امر مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في شيء حقير ... كطعم الموت في شيء عظيم

وقال عليه الصلاة والسلام، عاو الهمة من الايمان، والمرء يسعى في تحصيل مرامه، ولا يترك

من اسباب قيامه، فان ساعده القدر بقدرة، وانقاد اليه مرامة بشعرة، فكان معادمه مساعده، ومقدومه معاضده، كما قيل شعر

واذا اراد الله نصرة عبده كانت له اعداوه انصارا

فيساعده اذذاك الكون والمكان، ويمضى سهم اوامره رامى القضاء من قوس الزمان، ويقبض له المساعد، ويتعبد له المقارب والمباعد، وحسبك يا ذا الصولة، ما اتفق من السعد لعماد الدولة، وسئله بسار، عن سرد هذه الاخبار، قال كان رجل صياد، له ثلثة اولاد، كانهم حمك، وقوتهم السمك، تقلبت بهم الاحوال، حتى صار بهم على جمال، وانتهوا فى الرياسة، وساسوا الخلق احسن سياسه، فانتشر امرهم، وطاب فى الدهر ذكرهم، وعما ملكوه العراقان والاهواز، وفارس وسرتها شيراز، اكبرهم ابو الحسن على بن بويه الملقب بعماد الدولة، وكان فى السلطنة ذا صولة وجولة، ولما انتهت ايام خموله، واتصل بالسعد اسباب وصوله، حل ركابه بشيراز، وصعد الى حقيقة الملك من المجاز، وفدت عليه الوفود، واحاطت به جموع الجنود، وطالبه اهل المراتب، بالرواتب، والرفاق، بالانفاق، والروامك، بالجوامك، والاجناد، بالارفاد، وارباب الولايات، بالخلع والجرايات، واصحاب الاقامات، بالنفقات والانعامات، ولم يكن فى خزائنه، من ظاهر المال وباطنه، ولا فى ذخايره، من ظاهر الرفد وضمايره، ما يسد رمقهم، ويرد شرقهم، فما دامت همومه، وتصادمت غمومه، وتوالت افكاره، وتجاذبه من بحر الحيرة دردوره وتيّاره، لان امره دان فى مباديه، وليل سعده فى هواديه، وقد قصرت عن طول الطول ايادية، واشرف امره على الاضمحلال، ورتع فى يوم لا بيع فيه ولا خلال، فدخل الى مكان خال، وهو مشغول البال، فاستلقى فيه على ظهره، وغرق فى بحار فكره، فبينا هو يلاحظ السقوف، وافكاره بين تردد ووقوف، واذا بحية عظيمة، جثمة جسيمة، خرجت من السقف ودرجت، وفى مكان ولجت، فوثب واقفا، ورتب خايفا، ليلا يسقط عليه، ويصل اذاها اليه، ودعا الفراشين، وجماعة فتاشين، وامرهم بنصب السلم، والفحص عن الارقم، وتتبع اثارها، واطفاء شرارها، فصعدوا الحيطان، وحفروا ذلك المكان، وخرقوا سقفه، فانفتحت لهم غرفة، كانت مخباة لمن تقدمه، وضع فيها دينارة ودرهمه، وفيها جملة صناديق، محكمات التوثيق والمغالبق، فاطلعوه على تلك الحية، والتهوا عن طلب الحية الجيّة، فامرهم فنقلوها اليه، ووضعوها بين يديه، فان فيها من الذهب النضار، خمسمائة الف دينار، فعرف ذلك عناية ربانية، وعواطف صمدية رحمانية، فصرف المال فى اصلاح حاله، وبذره فى مزارع قلوب خيله ورجاله، فثبتت اوتاده، واستقامت اجناده، وقويت سواعده واعضاده، فكان امره قد اشفى على الزوال، وعقد نظامه قد قرب الاضمحلال والاختلال، وكان من تمام هذه السعادة، وتعقيب هذه الحسنى بالزيادة، ان الملك المذكور، بعد هذه الامور، وحصول هذا السرور، وانتظام مصالح الجمهور، اراد تفصيل قميص، وخياطة خلع ورياش، فطلب خياطا ثقة، ليقلده هذه المنطقة، فارشد الى خياط ماهر، شكله زاهر، وفضله ظاهر، وحذقه فى صناعته باهر، الا انه اطروش، حقل سمعه بدا الوقر مدبوش، فما وصل ملك الكلام الى سرير صماخه الا بزمر وطبل وجاؤش، فدعاه واجلسه بين يديه، وطلب الثياب ليعرضها عليه، فتصور الخياط انه سُعى به اليه، بسبب وديعة كانت لصاحب البلد لديه، وانما طلبه ليطالبه، لا ما بودبها واما ان بعاقبه، فتقدم باليمين، مثل المصارعين، واقسم بالله

خالق المخلوق، ورازق المرزوق، انها اثنى عشر صندوقا، لم يشعر بها مخلوق، وانه لا يدري ما فيها، وانها محتومة بختم معطيها، فتعجب عماد الدولة من كلامه، وسجد لله شكر انعامه، ثم وجه معه من اتى بها، ودخل الى بيوت ما فيها من ابوابها، فكان فيها من الاموال، نفايس القماش الغال، جمل متكاثرة، واصناف متوافرة، فاستولى على ذلك كله، وثبت بواسطة المال في ركاب الملك واطى نعله، وانما اوردت هذا التنظير، يا ذا الراى والتدبير، ليعلم ان مسبب الاسباب، وميسر الامور الصعاب، اذا دبر مصالح عبده، وشمله باحسانه ورفده، هون عليه كل عسير، وصغر عنده كل كبير، واذا بكل هذا بصير، قال بسار صدقت، وصوابا نطقت، ولكني نظرت الى الدنيا، ورزت احوال اهلها السفلى والعليا، ورايت كلما زاد الشخص حرصا وطمعا، ازداد لنفسه عبودية وتبعا، وللدنيا رد، وللاخرة رشقا، فصارت قيوده اثقل، وحسابه اشد واطول، وهمومه انمّ، وغمومه اعمّ، وان الواني الى الدنيا، والراكن الى ما فيها من اشيا، كالجاعل له من السحاب حصنا، ومن الحباب كنا، واى وقاية تحصل من السحاب، وايواء يصدر من الحباب، ومن تامل الدنيا بعين التبصر، وتفكر في تقلباتها بمصيب العقل والتدبر، عدّ جمعها شتاتا، ووصلها انبتاتا، وجدها ذهابا، وغرابها سرابا، واقبالها ادبارا، ونسيمها اعصارا، وعطاءها اخذا، وعهدها نبذا، وصلتها فاذا، ووهبها نهبا، واجابها صلبا، وحربها سلما، ووجودها عدما، وكثرها قلا، وعزها ذلا، وضحكها نباحا، وتلاقيها راحا، فلم يكن عنده احسن من فراقها، ولا ارضى من تلاقيها، والقناعة منها بالكفاف، والرضى منها بالعفاف، كما سلك الفلاح، صاحب الماشية واستراح، فقال الزنيم، اخبرني كيف ذاك يا حكيم، فقال ان مخدومي الذي كنت عنده، احفظ ماشيته وعبده، كان ذا ثروة عظيمة، واموال كثيفة جسيمة، وكان ماشيته لا تزيد في القياس، على الف راس، فان حصل من النتاج المعهود، ما يزيد على هذا القدر المعدود، تصدق به اوباعه، او وهبه لبعض الجاعه، ولو اراد لجعلها الوفا مولفة، واضعافا مضعفة، وكان في الجيران، والاصحاب والاخوان، من هو افضل منه حالا، وانضر باعا واضيق مجالا، له الالوف من المواشي، وكذلك من الخدم والحواشي، وهم كل وقت في ازدياد، وتضاعف الاعداد، من الاصول والاولاد، ومخدومي لا يقصد الزياده، وان زاد على اياده، فقال له الراعي وكان عليها اشفق ساعي، يا مخدومي ما لك لا تريد، ان تزيد، مواشيك وحواشيك، وتكثر بالرفق والرفد فواشيك، وبالورود والاصدار غواشيك، فان المواشي تزداد فوايدها، وتتوفر عوايدها، باعتبار زيادة اصولها، وادرار منافعها ومحصولها، وجيراننا كانوا اقل عددا من هذا المقدار، فصاروا بالتوفير اكثر عددا في الاغنام والابقار، فزادوا على مواشينا، بعد ان كانت اوساطهم كحواشينا، ولا اعرف لهذا موجبا، ولا ادري له سببا، غير الاقبال، وقصد تضييع الاموال، فقال مخدومي، هذا حديث به معلومي، ولكن ايها الولد، اعلم ان انواع العدد، احاد وعشرات، والوف ومييات، فالالف غاية الاعداد، اذا اعتبر بالتعداد، والشي اذا جاوز غايته، وتعدى نهايته، اخذ في النقص، واذا بلغ مداه تراجع بالنكص، وقد قيل الشي اذا جاوز حده، شاكل ضده، ومن لم يقنع بالقليل، لم يرضَ بالجزيل، ولقد احسن المثال، وصدق من قال، شعر

وما الدهر الا سلّمٌ فبقدر ما يكون صعود المرء فيه هبوطه

وهيهات ما فيه نزول وانما شروط الذى برقى اليه سقوطه
فمن كان اعلى كان اوفى تهشما وفاء بما قامت عليه شروطه

وكثيرا ما رابت، سمعت ووعيت، عن اصحاب الالوف، القاصدين الاوديان المالوف، نزلت الوفاق الى الواحد من الاحاد، فاستولى عليهم لذلك الهموم والانكاد، فتكدرت خواطرهم، واشتغلت ضمايرهم، فما اذا فلم اعلم ان الفى نفس، ولا جارى حلبة مداه نكس، واذا عدى غايته، الزمنه نهايته، وكبحت جامح شرده، وقمعت طامح تمرده، نابا للراحة، ورغبة فى الاستراحة، شعر

فكم دقت ورقت واسترقت فتسول العيس اعناق الرجال

وانما اوردت هذا المثل، لتعلم ما اذا التقصيل، انى ما دمت خادما، وفى صف الخدمة دبما، ولم انعد ثغورى وهو مقام الخادمين، الى ما ليس لى وهو مقام المخدومين، فانا مستريحون، ولغيرى مريحون، ونفسى مطمئنة، وجوارحى عن طيش السعى مرتدعة، واصحابى احبابى، واحبتى اصحابى، والخواطر صافية، والمحبة وافية، والصداقة باقية، ومياه الود فى رياض الارواح ساقية، وفى عروق الاشباح واقفة جارية، فاذا رمت مع وجود هذه الحسنى الزيادة، وقصدت التعدى الى ما ليس لى به عهاده، فانا بين امرين، متغلب على جمرين، اما عدم الحصول، والانقطاع عن الوصول، فتتضاعف المكدات، وتتراكف المقسمات، وتحسبها تصل الهموم، وتحصل الغموم، كما مر سالفا، وذكر انفا، واما الظفر بالمراد، على حسب ما يراد، فيقدر ذلك بوقع الحساد، وبقوم المتحاسد والنزاع، واول ذلك معاداة الاصحاب، ومعاتبة الاحباب، ومعاسأة الاتراب، وحصول الضغائن، وبروز الكمائن، بواسطة الترفع عليهم، وتصدور المراسم، وتقدم امتثالها اليهم، فالاولى بحالى، التفكر فى مآلى، والالمام بشورى، ان لا اتعدى ثورى، ولا اتورط فى هذا البحر العميق، والبير الغميق، ولا اخرج عن سواء الطريق، فمثوى طير البوان فى مكان سحيق، شعر

وانى يسار خايف ان يردنى زمانى بما لاقى يسار الكواعب

قال المشرقى ابو زنمة، ما احسن هذه الكلمة، وايمن هذا النظر، وارصن هذه الفكر، وادق معانى، هذه المبانى، ولكن اذا رفعك الله من يضعك، واذا عطاك من يمنعك، وقد قال ذو الجلال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما اعطيت شعر

وكل الناس تطلب المعالى ونفس الحر تابى ان تضاما

فلما بلغ بهما الكلام، الى هذا المقام، قال يسار اعلم يا فحل الفحول، وامام المعقول والمنقول، انى ما بالغت فى الامتناع، الا لاقف على ما فيك من طباع، واسبر ثبوت قدمك، وثبانك ورآء كلمك، فلقد وجدتك فى هذا الامر الخطير، فوق ما فى التصوير، وفى مواقف الاختيار، اثبت جنانا من ابن اللبون الصغار، فانهض لقصدك وحركه، على خيرة الله وبركته، فانى وضعت عنان جموح هذا المرام فى يد تدبيرك، وجعلت واسطة هذا العقد جوهرة ضميرك، وسلك نظامه ونظام قلادته جيده تحويرك، فانك اهل لذلك، وبراك تعتدى المسالك، فابتهج ابو زنمة بهذا المقال، ووثب فايما فى مقال الخدمة وقال، حيث اشرح صدرك لكلامى، فسترى فى وجهك مجانس

فيامي، وانا اعلم ان معبودك، سيبلغك مرامك ومقصودك، ولكن بجب التيقظ، وقبل الشروع التحفظ، اما التيقظ فلامور يجعلها الملك معتدا، ولا يغفل عنها ابدا، منها الثبات للنوازل المحركات، والاقدام، حيث تنزل الاقدام، والمصابرة على المكابرة، والمحامد، في الشدايد، حتى تنوحه البك المسار، وتندفع المضار، وتاتيك الامور على حسب ما تختار، واما التحفظ فن موادّ شرور، متلبس بها الجمهور، منها الحقد والملال، والكذب في المقال، والحسد والاختيال، فان الحقود وقود، والحسود لا يسود، والكذوب يذوب، والملول لا يطول، والمختال مغتال، فيامي النصايح، الركبة الرواجح، تاتيك بالسعد، فيما بعد، وانا الان، اقدم للبيان، واذكر الاهم، وما نابدنه اهم، قبل الشروع امام المقصود، وهو توكيد موانيق العهود، فانه اذا حفتك الجنود، واحاط بك ارباب الرايات والبنود، وانت جالس على السرير، في خدمتك المامور والامير، والكبير والصغير، يعسر على استيفاء الخطاب، واستيعاب الجواب، ولا بليق بعظمتك، ومقام حرمتك، اطالة الكلام، ولو اقتضاه المقام، خصوصا بحضور الخاص والعام، ولو كان المتكلم اعز الخدام، واقرب الانام، فلا اقدر ان اتجرا عليك، وانهى، جميع ما اريده اليك، لان قصد الخادم اقامة حرمة مخدومه، والمبالغة في حفظ ناموسه وتعظيمه، وكثرة الكلام تمنعه، عن هذا القصد وتدفعه، واما في هذا الوقت، فان كثير كلامي لا يورث شيا من المقت، فلا حرج، على كلامي كيف ما خرج، قل يسار بارك الله فيك، وابقاك لذويك، فما ادق نظرك، واحسن في عواقب الامور فكرك، واصوب غوصك على جواهر الانعطاف، واغرب بوصك الى زواهر الاعتكاف، فعل ما بدا لك، مما يزين حالي وحالك، فان حرمتي حرمتك، وحشمتي حشمتك، فان عظمتني فقد عظمت نفسك، وان وقرت مالي فقد زدت كدسك، والخادم اذا لم يقصد رفعة مخدومه، وبعد ذلك من اكبر همومه، ويسعى فيه ساعة فساعة، وفي كل مكان وعند كل جماعة، والا فبدل ذلك على خساسة مقداره، وقصور نظره ولوم جاره، وركاكة همته، وابتذال حرمته، فقال ابو رقمه، اول سرطي يا ذا العظمة، ان لا تقرب المؤذين، ولا تلتفت الى الاشرار المغتابين، ولا تصغ الاذان، في الاصغاء الى الغتاب، ولا تسمع كلام واش، وبعد كلامه اقل من لاش، فانبها ان لا تتحمل في فصل المحكومات، بل تتعاطاها بالتغتيش والالتفات، الى ان تتجلى صورتها، وتتعين حقيقتها، فاذا وضحت لديك، وتجلت مخدرة حقيقتها عليك، اجهد فيها بالصدق، واعمل بما يقتضيه الحق، ثانيها ان لا تعوّد لسانك الفحش والهذاء، فان في ذلك على الملك اسواء اساءة، فان الكلام يؤثر في القلوب، وينفر من قبيحه الطالب والمطلوب، وقد قيل شعر

جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

وقيل ان عيسى عليه السلام، مرّ بجماعة في بعض الايام، فصادفوا كلبا اجرب، فقال له سلمك الله الذهب، فقال كلّ من اصحابه، مما كان معجبا في جوابه، من الاستنقاص، وطلب البعد عنه والمناص، وما سلموا الى عيسى حاله، بل سالوه عن كلامه له وما دعا له، فقال اني عودت لساني، بتبيان ما في جناني، وهو المقاصد الحسنة، وترك الالفاظ والعبارات الخشنة، وقد انه مرّ في بعض الاوقات، ومعه جمعات بكلب من الاموات، ملقى على مزبلة في جملة القاذورات، فوضع كل منهم

يده على خطمه، وتكلم فى راجحنه عند شمه، فقال عيسى عليه السلام ما احسن بياض اسنانه، فقيل له عما سمع من بيانه، فقال عودت لسانى بلفظ الخير، وان لا يتكلم بما فيه ضير، وكما يجب على الملك كف اللسان القصيح، عن الكلام البذى القبيح، وكذلك يجب عليه، ان لا يصغى اليه، ويتامل قول الشاعر

وسمعك صن عن سماع القبيحْ ... كصون اللسان عن النطق بهْ

فانك عند سماع القبيحْ ... شريك لقايله فانتبهْ

فهذا الامر يا مخدوم، لكل احد على العموم، واما اكابر السلاطين، والملوك الاساطين، فهم اعلا مقاما، ان تكون انفاسهم كلاما، وان يجرى فى مجالسهم، او يسمع من محادثهم ومجالسهم، وكل ملك اعتاد مجلسه فاحش الكلام، اختل نظامه ومقته الخواص والعوام، ونفرت عنه قلوب الرعية، وحسب رغبة الرعية تكون الممالك مصية، واذا نفرت قلوب الرعية كرهوه، وتوقعوا غيره ليقوموا معه ويصيروه، فاذا لم يوجد عقدوا الحقود، واستمروا اذلاء كاليهود، والبعصة كامنة، والحسايف باننة، فتقدم العداوة وتنقدم، وتتاكد وتتازم، واذا قدمت العداوة، ذهبت من الصداقة الحلاوة، فلا بد يوما من الايام، ان تبرز راسها من جيب الانتقام، واذا وجدوا فرصة، وثبوا عليه وقصدوه، كما جرى للقوبرة، مع الهريرة، قال يسار، بيّن لى هذه الاخبار، فقال ذكر شاخص معمر، من رواد الجبر، ان فى القديم، كان رجل عديم، وعنده قط رباه، واحسن ماواه، فكان عنده كاولاد الاعزة، واكرم من ابن الفرات عند ابن المعتز، وكان القط قد عرف منه الشفقة، والف منه المودة والرفقة، فكان لا يبرح من مبيته، ولا يسعى لطلب قوته، فحصل له الهزال، وتغيّر ما له من امر وحال، لا عند صاحبه ما يغذيه، ولا له قوة على الاصطياد تغنيه، الى ان عجز عن الصيد، فصار يستخربه من اراذل الفار كل همرو وزيد، وصار كما قيل شعر

خلت الرواغ من الوخاخ ... وفرزنت فيها البيادق

وكان فى تلك المدن، ماوى لربيس الجرذان، وفى جواره مخزن لسمان، فاجترا الجرذان، لضعف ابى غربان، وتمكن من نقل ما يحتاج اليه، وصار يمرّ على القط امنا منه ويضحك عليه، الى ان امتلا وكره من انواع المآكل والمطاعم، وحصل له الفراغ من المخاوف والمزاحم، واستطال على الجيران، واسمعهم بشوايب الغيران على الاعوان، فافتكر الجرذان يوما فى نفسه، فكرا اداه الى حلول رمسه، وهو ان عدا القط وان كان عدوا قديما، ومهلكا عظيما، لكنه قد وقع فى الانتحال، وضعف عن الاصطياد لقوة الهزال، وموتى انما هى لسبب ضعفه، وهذا الفتح انما هو حاصل بحتفه، ولكن الدهر الغدار، ليس له على حالة استمرار، فربما يعود الدهر عليه، ويرجع صحته وعافيته اليه، فان الزمان، الكثير الدوران، ينهب ويهب، ويعطى ما سلب، ويرجع فيما وهب، كل ذلك من غير موجب ولا سبب، واذا عاد القط الى ما كان عليه، يتذكر من غير شك ساعى اليه، فيثور غلقه، ويفور حنقه، ويأخذه لاذآبى والانتقام سهره وارقه، فلا يقر لى معه قراره، واحتاج بالاضطرار، الى التحول عن هذه الدار، والخروج عن الوطن المالوف، ومفارقة السكن المعروف،

امرٌ صعب، مشوم الكعب، فلا بد من الاهتمام، قبل حلول هذا الغرام، والاخذ في طريقة الخلاص، قبل الوقوع في شرك الافتتاص، ثم انه ضرب اخماسا لاسداس، في كيفية الخلاص من هذا البأس، فاداه الفكر الى اصلاح المعاش، بينه وبين ابي خراش، ليدوم له هذا التشاطل، ويستمر بواسطة الصلح بساط الانبساط، فراى انه لا يفيده، ما يريده، الا بزرع الجميل، من كثير وقليل، خصوصا في وقت العافة، فانه اجلب للصداقة، وابقى في الوثاقة، ثم بعد ذلك يترتب عليها العهود، ويتاكد ما يقع عليه الاتفاق من العقود، وهو ان يلتزم الجرذان، ان يقوم لابي غزوان، في كل غداة، من طيب الغداء ما يكفيه لغداه وعشاه، لان الشيخ في الدرس، قل خير المال ما وقت به النفس، الى ان يصح جسده، ويرد عليه من عيشه رغده، ويكون ذلك سببا لعقود الصداقة، وتبرك العداوة العديمة المساقة، وان تشترط دوام محبة، واردياد المودة والصحبة، وان لا يقصده ابو الهيثم ابا راشد، بشي من الاذى والشرور والمفاسد، ويعمل هذا البر، بما قال الشاعر

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا ... من كان الفهم في المنزل الخشن

ثم ان الجرذان، جمع من الخبز والاجبان، والتحم العقد، وانتظم العقد، ما قدر على حمله، ونهضت قوته بنقله، وقدم مقام البر، وسلم عليه سلام مكرم مبر، محب قديم، وصديق حميم، وقدم ما معه اليه، وترامى بكثرة الاشتياق والتودد عليه، وقال بعز علي، وبعظم لدي، ان اراك يا خير جار، في هذا الضرر والاضطرار، ولكن العافية الى خير، وسبفيل السعد باحسن ضمير، فتقدم اليها الجرذان، وتناول من هذا المائدة، فاذا سددت خلتك، كلمتك بشي استشير به خدمتك، فانه قد قيل شعر

ان الصداقة اولاها السلام وهن ... بعد السلام طعام ثم ترحيب
وبعد ذاك كلام في مسالمة ... وضحك ثغر واحسان وتعريب
واصل ذلك ان تبقى شمايلها ... بين الاحبة تسابيل وتاديب
لم تنس غيبا ولم تملك اذا حضروا ... قد زان ذلك تهذيب وترتيب
ان الكرام اذا ما صادقوا صدقوا ... ثم تنهم عنه ترغيب وترهيب

فتناول القط من تلك النسرة، ما سد رمقه، وشكر الجرذان تلك الصدقة، ولما اكل قمه استحيت الجرذة، ثم قال انشدني ما انت ناشد، يا ابا راشد، قال ان لي عليك من الحقوق، مثل ما للجار الصدوق، على الجار الشفوق، واردت ان تتاكد الجوار بالصداقة، وتترقى الى درجة المحبة باحسن علاقة، وان كانت بيننا عداوة قديمة، فنترك من الجانبين تلك الحملة الذميمة، ونساعد العهود، على خلاف الخلو المعهود، وتدبير الامور، على مصلحة الجمهور، وتبنى القاعدة في البين، على ما يعود نفعه على الجانبين، واذكر لك شيا يحملك على ترك خلتك القديم، ويرشدك في طريق الاخاء الى الحريم المستقيم، وهو ان اكفي منك ما يغذي منك بدنا، فضلا ان تظهر فيك صحة وسمنا، ولكن ان امتنني مكرك، واعملت نظرك وفكرك، ثم رغبت في صحبتي، واقتدي على سلوك طريق مودتي، واكدت اي ابا غزوان، ذلك بمغلظات الايمان، الى ان استانس باستصحابه، وابيت آمنا في مجيئه وذهابه، ولو كنت بين مخالبك وانيابك، فاني التزم لك في كل يوم،

اذا استيقظت من النوم، بما يسد خلتك، ويبقى مهجتك، صباحا ومساء، وغداء وعشاء، وان قلت ان ذلك شئ مجهول، فانا اقدره بتقدير هذا الماكول، فان هذا العداء، يكفيك عشاء وغداء، وما قصدت بذلك الا رعاية لحق الجوار، ولقد انستني بتسبيحك بالليل والنهار، واظن وظني لا يخيب، انك ان تبت الى الله ورجعت من قريب، وكففت عن اذى الجيران، وعففت عن اكل الفيران، ثم اعلم يا اسد الضياو ن، ان لي من هذه المونة عشر مخازن، قد اعددتها لمثلك، وانا اقدمها لنزلك، واذخرها لاجلك، والقصد ان اكون آمنًا من سطواتك، ساكنا في صدمات حركاتك، وذلك انما يعلم بتاكيد الاخاء، وتابيد المحبة والولاء، فلما راى الهر، هذا البر، اعجبه هذا النعم، واطربه هذا النغم، وقسم طابعا مختارا، ليس اكراهًا ولا اجبارا، وانه لا يسلك مع الجرذان، الا طريق الامان والاحسان، وانه لا ينوء، اليه بقصد سوء، بحيث تتاكد المحبة، وتزداد يوما فيوما الصداقة والصحبة، فرجع الجرذان، وهو بهذه الحركة جذلان، وصار كل يوم ياتي ابا غروان، بما التزم به من الغداء والعشاء، كل صباح وعشاء، الى ان صح الفط واستوى، وسلمت خلوات بدنه من الخوّ والخوا، وصارت المحبة تتعقد كل يوم عقدا مجددا، ويزداد كل منهما في الاخر محبة وتودادا، وكان لهذا الفط ديك صاحب ندم، وصديق ندبم، كل منهما يانس بصاحبه، ويحفظ خاطره بمراعاة جانبه، فحصل للديك تعويق، عن زيارة الصديق، فغاب عنه مدة، وكل منهما للعرفان في شدة، فلم يتفق لهما لقاء، الا وقد حصل للفط الشقاء، وزال الشعاء، فسال الديك صاحبه، بما ذا صارت عليه داهيه، وذاك النيزال، باي شئ زال، فاخبره باحوال الجرذ ابي جوّال، وانهى امره من الاول الى الآخر، وبالغ في السكر في الباطن والظاهر، وانه كان سبب حيوته ونجاته من مخاليب مهلكته، وانه لم يكن مناه في الاصحاب، وقد صار اعز الاصدقاء والاحباب، فغار الديك على الصاحب القديم، واخبره ان بعهد ما بينهما المعهد الذميم، فصحك مستغربا، وصفق بجناحيه متعجبا، وقال له ممن تضحك، فقال من سلامه باطنك، وانعباطك لمداهنك، وحسن صنايعك، مع المباطن مخادعك، ومكارم اخلاقك، مع ناقض ميثاقك، واصغابك لهذا الخبيث، بمسوّه الكلام وسموه الخديث، ومن بامن لهذا البوم، الواجب القتل في الحل والحرم، المفسد الفاسق، المودي المماكر، الذي خدعك حتى آمن على نفسه، واستطرق بذلك الى التمكن من اذاه ونحسه، فتسلط في الاذى كما يختار، وانهمك في الشر امنًا منك البوار، كل ذلك بسببك، ومكتوب في صحايف كتبك، مع انك لست بمشكور، ولا بالخير مذكور، وانما الذي شاع وذاع، وملا عنك الاسماع، انك ستحل عقده، وتنكث عهده، وتنقض الايمان، وتجازي بالسئة الاحسان، وانه لم ير منك ما يسرّه، وهو متوقع منك ما يضرّه، واعظم من هذا انه اذى وحشر فنادى، وبالشرق بادى، فقال انه احياك بعد الموت، ورزقك بعد الفوت، ولو لا فضله عليك، وبره الواصل اليك، لمت هزالا وجوعا، ولما عشت اسبوعا، ولكنه اشبع جوعك، وجلب هجوعك، واستنقذ من مخاليب المنية بعد ذهابك رجوعك، فشفاك وعافاك، وصفا لك وصافاك، وكفاك المونة وكافاك، وانه كافيته مكافاة التمساح، وجازيت حسناته بالسيات القباح، ولم تكن لاحسانه اليك، ولما من به عليك، سبب ولا علاقه، سوى طهارة نفس زكت اخلاقه، ولم يكن لاساتك اليه، سبب

تنقم به عليه، الا ما اسداه مكارم شيمته الواصلة اليك، وفوايد نعمه السابغة عليك، وقد اشاع هذا كله، في الشوارع والحارات خصوصا هذه الليلة، ثم اقسم بمن عنفه عليك، وسامى فضله اليك، وجعلك محتاجا الى نواله، واسبل عليك لباس صدقاته وافضاله، ليسمعون منك ما سمعته، وليحفظن عليك ما عليه تبعته، ولبوقعنك في شوى بلية، يعجز عن خلاصك منها كل البرية، فليرجعن منك جنس النفار، وليتخلدن ذكر هذه القصة في بطون الاسفار، وبالجملة فهل سمعت ان جرذا صادق قرة، او اتفق مرافقة بينهما في الدهر ولو مرة، ومناسبة الفل والفار، كمصادقة الماء والنار، شعر

فانت كواضع في الماء جمرا وانت كموقع الريح الترابا

فلما سمع الفظ هذا الكلام، تأمم خاطره بعد اسلام، وما صدق ولكن ظن، وانفعل خاطره لامر عن، وتلهب واشتعل، ومن يسمع يخل، وقال للديك جزاك الله عني خيرا، وما اعسر شفقتك ضيرا، ولكن من دل، لك انت على هذا المحل، دل انت على موده الجار مكسب، وقد قال سيد العرب والعجم، صلى الله عليه وسلم، حبك للشيء يعمي ويصم، وقال الشاعر

وعين الرضى عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا

ولقد غرك بالغيهاب من الغرام، والتحت المنغمس في الاثام، وجعلها بمنزلة حية الغور، فلا تشعر بها الا وانت في المساخ، قد وقعت ولا رفعوني ولا انم، هناك يعرف المحبوب هذا الكلام، ولكن انت الان راقد مثل النيام، والكلام ما يفيد، ولا بد ان الله تعالى يجري ما يريد، وما في اطاعة الكلام نائل، وكانك انت القائل، شعر

ظن العذول بان عذلي ينفع قل ما تشا فعليّ ان لا اسمع

وما قلت لك هذا الكلام، الا من فرط الشفقة والغرام، ورعاية لحق ما يجب عليّ من القيام، وحفظا للصداقة القديمة، والمودة التي سحبنا بها ديمة، وانا لو غششت كل احد ما خطر لي ان اغشك، وانا لا استشهد على صدق الا نفسك الساكن عشك، فترجع حائف صدق الديك كفاك الله شر من بوذيك، وقال القط في خاطره، بعد ما اجال فداح فكره، هذا الديك من حين انقلفت عنه البيضة، وسرحت انا وابوه من الصداقة في روضة، ما وقفت له على كذب، ولا سمعت عمه انه لزور مرتكب، مع انه مؤذن امين، بين ظهور المسلمين، وهو بالصدق قمين، وما حمله على هذا الا المحبة، وقديم المودة والصحبة، وهو ابعد من ان يكذب ويخدع، واى قصد له في ان يغش وينصنع، وتردد ابو قريره، في تيه الحيرة، بين الديك وانفويره، ثم قال للديك، وقاك الله شر اعاديك، فكيف اعرف صدق هذا الخبر، وهل للدلالة على سوء طويته علامة تنتظر، قال نعم ورب الحرم، علامة ذلك انه اذا دخل عليك، ونظر اليك، ان يكون منخفض الراس، مجتمع الانفاس، متوقعا حلول نايبة، او نزول مصيبة صايبة، او شمول بلية غابية، منلفتا يمينا وشمالا، متنخوفا نكالا ووبالا، خايفا يتنقب، خايفا يترقب، وذلك انه خاين، وللخاين خايف وهذا باين، وبينما هما في المحاورة، والمناظرة والمشاورة، تتجاذبان القيل والقال، دخل المفسد ابو جوال، وهو غافل عن هذه الاحوال، فراى ابا يقظان، يخاطب ابا غروان، فخنس وقهقر، وتوقف

وتشور، وهو غافل عما قضاه الله وقدر، فشمأز لرويته الديك واشمعلّ، وانتفض وابراهلّ، فارتعد الجرذ من شيخ الديكة، لما راى منه هذه الحركة، وانتفش وانزوى، وتقبض وذوى، واشبه بغداديا بلع الدوا، ونظر يمينا وشمالا، كالطالب للمفر مجالا، والقط يراقب احواله، ويتميز حركاته وافعاله، فتحقق ما قاله ابو سليمن، ونظر الى الجرذان، نظر الغضبان، وهمّ واكفهرّ، ورقصت شواربه وازبار، فاضطرب الجرذان، وطلب الامان، فنسى السنور العهود والايمان، ونبض عرق العداوة القديمة والعدوان، وثفر على الجرذان، وادخله في حيز خبر كان، واخلى منه الزمان والمكان، وانما اوردت هذا التنظير، ايها الصاحب البصير، لفايدتين، جليلتين عظيمتين، احديهما الاعلام بالتحقيق، ان العدو العنيف، لا يتاتى منه صديق، ثانيتهما الاعلام، ان الواجب على الحكام، الا يعاجلوا بالانعام، فربما دورهم الاستعجال، الندامة في المال، في حالة لا يفيد، العذل والتفنيد، وعند ذلك، لا يمكن التدارك، بل اذا نقل البهم، واورد عليهم، ما يثير غبار الغضب، وحمى من نار السخط اللهب، لا يفلتون زمام التثبت والتفكر، من انامل التانّي والتدبر، خصوصا السلاطين، والملوك الاساطين، فان قدرتهم واسعة، واطراف اوامرهم شاسعة، واوعاق اختبارهم طويلة، ومرامي المراد لمرامهم منبلة، واذن الكون لارامرهم سميعة، وعين المكان لمراسيمهم مراقبة مطيعة، فمهما ارادوا من المنع اوصلوا، ومهما اختاروا من الضر فعلوا، وذلك في كل حين، ممسين او مصبحين، ولذلك قالوا القاضي، لا يحكم حكما الا وهو راضي، ولا يحكم وهو غضبان، ولا مشغول الخاطر ولا غرثان، واذا وجدوا طريقا الى الخير بادروا اليه، واذا قصدوا ابقاع الشر توقفوا لديه، ولا يهملوه بل يسيروا غوره الى ان يقفوا عليه، فربما يكون من مداخلة عدو او حاسد، او بتعاطي من غرض تسد، ثم اعلم يا ذا البصيرة، والعقل والتدبره، انه من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذره شرا يرّه، فلما وعى يا سمار، هذا الحوار، قال ما ارضى هذه النصايح، واذكى هذه الروايح، وانا اقبل عليها واقيلها، ولا ابالي مرتشف سمعي معيلها، وعلى ذلك اعتمد، ومهما رايت غيره اعتقد، فانه للملك عين المصلحة، وللملك زين ومسلحة، وايضا فاشترط ما بدا لك، مما يزين حالك، ويصون مالك وملكك، قال واريد ان تكون حرمتي موفرة، وكلمتي معتبره، ومنزلتي على اقراني مرتفعة، ومكانتي في الممالك متسعة، بحيث تكون مرتبتي ظاهره، ورفعتي لاكفابي باهرة، وكلامي في محل الاصغاء والقبول، متصلا بالنجاح في السول والمسئول، فان حسن العهد، وحفظ الود، ورعاية الحقوق القديمة السابقة، والخدمة المستمرة اللاحقة، دليل على كمال المروة والوفا، ونهاية النقوة والصفا، لا سيما من الملوك والاكابر، في حق خدمهم الاصاغر، ففي الحقيقة رفعة الخادم وحرمته، من رفعة مخدومه وعزته، وكل من رفع قدر خدمه، وحافظ على حفظ حشمه، ومنع جانبهم، ورعى جانبهم وغابيهم، فانما حفظ اطراف حشمته، وراعى جانب عظمته وحرمته، وكل كبير امتهن خدامه، واذل جماعته وقوامه، ولم ينزلهم منازلهم ولا عرف فضايلهم، وساوى باواخرهم اوايلهم، فانما اضاع مكانة نفسه، ولم يفرق في الفكر بين يومه وغده وامسه، واذا لم يصغ الملك كلام وزيره، واستقل باوضاع نصحه ومشيره، فابتذله وانهره، واستقله واحتقره، خصوصا في المجامع والمحافل، بين العساكر والجحافل، فاي حرمة تبقى له عند البقية، من ساير الخدم

والرعية، واى مرسوم وكلام، يسمع له عند العوام، فينكدر خاطره، وتتعبّر سرائره، فيدعوه ذلك والعدل بالله الى شق العصا، اذ صار على باب محدومه معاما كالخصما، وصدره فى المكسانة وعوله فى البلاعة، صار كالرغيف فى الصاغة، والفسو فى الدباغة، وناهيك ايها الخبير ما فيه لامها السزاغة، دل بسار، اخبرنى بذلك اى جهينة الاخبار، دل ذكر ان زاغة، فى بلد مراغة، انشى لها فرخة، انتشر لها بين الطيور صرخة، بما افرغت فى قالب الجمال، وتربت بتيمة بالدلال، وجمعت من فنون الكمال، فلما بلغت مبلغ الرواج، خطبها من صنوف الطير الازواج، وترادفت عليها الخطاب، ودخلوا على امها فى ذلك من كل باب، فكانت تاتى علمهم، ولا تلتفت الى بذلهم ولا البهم، الى ان بلغ خبرها الى بومة، كريهة الوجه مشومة، بينها وبين ام الزاغة صداقه قديمة، فخطبتها لابيها، وان كان الطير عنها، فاستشارت ابنتها، واظهرت فى ابن البومة رغبتها، وقالت اى ربيبة الخدر، قد رغب فيك اصناف الطير، فكنت ادافعهم، واسوّف بهم وامانعهم، وقد اشتهر صيتك بين الكبراء، وخطبك منى الاعيان والروساء، وانا على المطاولة، والرد والمعاولة، وقد استحيت منهم، واختشيت غائله ما يصدر عنهم، ولم افعل ذلك، الا رعاية لحالك، وخوفًا من زوج ظالم، يهدرك غير عالم، يستضعف جانبك، ويكره اهلك واقاربك، ثم لا تقدر على معاومته، وتتعب فى مرافقته ومعارفته، لا سيما ان صار بينكما معاشعة، وبصير تكاحكما كنكاح الدماشعة، كل يصم السوء خاله المعانقة، وكل يا احسن الطائر، معنى بما قال الشاعر،

رابت الذى لا بدّ انت مدرّ عليه ولا عن بعضه انت صابر

ونعوذ بالله من اختلاف الوداد، وان يصير نكاح اهل السنة كنكاح اهل بغداد، فان صادفنا فى محاه، مثل ابى بكر الرابى ودلّه، او مثل الفرغانى وعلى، او جاره تشبه عيشة نكلى، حرجتما من ندى، وزدتما نكدى، وكنت لهذه الامور، اخشى تقلبات الدهور، وارد خطاب الجمهور، وقد خطبك با كريمة، ابن صاحبه قديمة، وهى البومة العلانية، وهى صاحبة هنية، واخلاق ابيها رضيه، وهو شخص فظيع، ضعيف الحال حسير، نعلمه فى اندينا كما نريد، ونتصرف فيه بتصرف الموالى مع العبيد، لا فى الطير جنس جنسه، بل كلهم يكرهه ويسبه، ولا له ناصر عليها، ولا جارٌ يدلى به الينا، فهو تحت طاعتك كما تحبين، وفى ربقة ارادتك كما تريدين، لا كالحمام يطوق بطوق الفخر، ولا كالهدهد يضع على راسه تاج الكبر، فما رايك فى هذا الامر، فعالت الزوجة، مقالة بليغة، وهى شعر

حططت شما وعادت عنك اشياء

ما اصنع بزوج ممنهن، وبعض الاجناس ممتحن، مكسور مهجور، متطير منه بين الطيور، هذا يخطفه، وهذا ينتفه، وهذا ينقره، وهذا يكسره، وهذا يأسره، وهذا يكسره، واذا لم تكن للزوج حرمة، ولا نفوذ كلمة، خصوصًا عند زوجته، واقل بنته وعشرته، فاى قدر تكون له عند غيرها، وانى يبشر بالسعد جناح طيرها، وقد قال رب السموات والارض، ومالك الطول والعرض، والبسط والقبض، والرفع والخفض، الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقال من جعلهم قوامين وقائما منعوتة، وللرجال عليهن درجة، ومقدار المراة بين جبرانها واهلها، لا

بعرف الا بمقدار حرمة بعلها، وانا كيف يبقى حالى وبالى، وما على وما لى، بين حيرانى وهواجس، واعلى واهربى، اذا كان زوجى ذليلا مهينا، محتقرا بين الناس حزينا، والله لا يكون لى بزوج، ولو باع راسه الى الاوج، ولا امدّ اليه باعى، ولا يرفع له فى مركب الزوجية شراعى، وانما اوردت هذا المثال، يا شبه الغزال، لابين انه اذا لم يكن لى فى دراك عزة، ولا برفع مكانتى ومكانى نشاط وشره، فلا يرجونى الصديق والموافق، ولا يخافنى العدو والمنافق، فيختل امرى، ويضيع فى غير حاصل عمرى، واذا ما اشمل مرسومى، تعدّى الوهن الى مخدومى، فقل بسرار ابشر ايها الوزير المنصف، والكبير المحسن، والحكيم الماهر المدقق، بالدرجة العلية، والمرتبة السنية، والكلمة المقبولة، والوظيفة الفاضلة لا المعضولة، ولكن انا ايضا لى عليك شروط، تزين عقودها المتعلقات فى الربوط، هن لدار السعادة ابواب، وللترقى الى درج المعالى اسباب، ومنلك لا يدل على صواب، وعسى ان تنفاد العمل، مبسوط الامل، بجمع ما فرقته، وتتعاطى ملازمة جميع ما حررته، من اقامة ناموس المملكة، ورعاية شرايط السلطنة، ومجانبة جانب مخدومك، والانهاء الى مسامعه جميع ما فى معلومك، وتقديم مصالحه على مصالحك، ومعاملة رعيته بالتجد فى نصايحك، وكفه عن الظلم، والعدول به عن طرق المأثم، والغيرة على دينه، واعتقاده ويقينه، اكثر من الغيرة على دنياه، وفى الجملة لا يكون عملك الا لله، بحيث لا تكون من قبيل لم تقولون، ما لا تفعلون، واياك وايانا والبرطيل، والدخول لغرض الدنيا فى الاباطيل، وتنوق ظلم الرعية لاغراض الدنية، او الاعراض الدنيوية، وانى دعوة المظلوم، وان يصل سهامها الى ذات المخدوم، واعلم انه ان بنينا اساس الامور، على قواعد الظلم والشرور، فنحن من الخاسرين، ومن الذين ظلموا والله لا يحب الظالمين، وسيقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين بل ابن الامور على اساس التقوى، فانك بالتقوى تقوى، وبروايتها تروى، فمن تحلى بالفضايا العاطلة، وتشبث باذيال الامور الباطلة، ولم يقصد وجه الله فى حركته وسكناته، وادخل شوايب الرياء والسمعة فى اعماله وطاعاته، لا يمشى له حال، ولا يصلح له مال ولا مآل، وبعبيده ما اصاب السابح، الذى ادعى اخلاص العمل الصالح، ثم شرع فى حركته، واخلص فطيرت انار بركته، فلما قصد الاغراض الدنية، فسد ظاهره، بفساد النية، فسال المشرقى، عن حال ذلك السعى، فقال كان فى اقصى بلاد الصين، طوايف غير ذوى عقل رصين، انبت لهم فى بعض الجبال، زراع القدرة ذو الجلال، فى رياض البراعة والكمال، شجرة ذات بهجة وجمال، اصلها فى ارض الملاحة ثابت، وفرعها من اصل السلاحة ثابت، وغصنها الى سماء العلاء واصل، وورقها كعقود الجمان بالبهاء متواصل، لا سموم الصيف يذبل زهرتها، ولا عواصف الحريف تذهب نضرتها، ولا صرصر الشتاء يعرى اغصانها، ولا لواقح الربيع تذوى افنانها، فاعجب حسنها اهل تلك الديار، واشربوها اشراب بنى اسراييل عجلا جسدا له خوار، ثم نعتوا فى حبها، وبالغوا على فريها، فعبدوها كما عبدوه، واعتقدوا فيها ما اعتقدوه، واستولى على عقولهم اشجانها، وصار يخشيهم من الشجرة واحد من الجان، فرادهم فيها اعتقادا، وعمهم بعبادتها كفرا وفسادا، فصدهم ذلك البلاد فغير من الساجدين، وثنى من عباد الله الصالحين، فلما راى ملك الجانة، افزعه ذلك وخلده واخذته غيرة الاسلام، وغضبة دعته الى القيام، فاخذ فاسا وقصدها،

لمصنع سافيا وعضدها، فلما قرب البيان وارد وضع الناس عليها، سمع منها صوت خوفه، وعلم مراده اوقعه، فقال ايها الرجل الصانع، والناقد النسابيح، فبمر ذا التهمة، وعلام هذه العزمة المهمة، وما قصدك بهذه الصدمة، فقال غرت لله، ايها المضل الله، شجرة تعبد من دون الرحمن، ولا يغار لهذا الشان انسان، فلاقطعنّك انتها الشجرة المضلة، ولاجعلنّك حطبا ومثلة، فانك قد اضللت كثيرا من الناس، وفعلت ما لا يفعله الوسواس الخناس، وانك لا تنفعين ولا تضرين، سوى انك انى النار تجرين، فقالت ايها الرجل الزاهد، الصانع العابد، انا ما اذببتك ولا ضررتك، وان رايت نفعتك وبررتك، وحاشاك ان تؤذى من لا اذاك، وانا اعلم انها الرجل الكبير، انك غريب وفقير، وما اقدمك على هذا الباس، الا الغربة والافلاس، فكف عن هذا الامر، وانتفى ثمرة هذا الجر، وارجع الى منزلك، واشتغل بطاعتك وعبادتك، وانا اوصلك كل نهار دينارا، ذهبا نضارا، كاملا وافيا معيارا، ذلك خير لك ميسّرا، كل صباح مبكرا، اذا استعطفت من رفدتك، تجده تحت وسادتك، وهذا هو الامين حقك، واقرع لحسابك وباله، واخسأ لك من ورطات المهالك، واذا اصلحت مع الله سريرتك، وطهرت من ادناس الدنيا سرائر بصيرتك، غفرت النفس ولو كانوا جبرتك، او اغلت وعسرتك، وعليك بحوطتك نفسك، فانا انفدنيا من الورطات فلسك، وقد دل منزل الغران لدخولكم، يا ايها الذين امنوا عاهدتم انفسكم، فلما سمع بالدينار، الهاه الطمع والاغترار، فعرف فوعده، وضعفت في الله قوته، وفرحها وروحه، وترك الندم وضجيعه، فلما اصبح الصباح، وحاز الغلاح، طار الى الغران، وطاب المعان، فوجد الدينار، كما ذكره الشيطان واشاره، فنفحه وابدجه، وخطف الله قلوب اللئام، واسمر على ذلك اسبوعا، والذهب عنده مجموعا، ثم بعد ذلك قصد الغران، بسرور واستبشار، فلم يجد شيا من الذهب، فتحرق قلبه والتهب، فحذه الجنون والعاق، فاخذ الفاس والمناس، فلما دب من الشجرة، ادنته بالقطع عكرة، فقالت مهلك، واذكر شاكلك، وقل لي فيما ذا جنيت، ما خنت ولا خنت، فقال جنيت لاقطعك، ومن الارض اقلعك، غيرة على الدين، وغضبا لحق رب العالمين، فقالت كذبت، انما غرت وسببت، وضمت وعدت، ونرفت ورعدت، لفقدك الذهب، الذي عمك ذهب، وانما كانت الغيرة الصحيحة، والقومة الملحة، الماخذة الزجرة، القوية الاولى، فانها كانت وتكون قد اجلى، فلو قامت الخاسرون لردك، واجتهدوا في منعك وصدك، لما ظفروا بك، ولا قدروا بحروبك، واما الان فهذه الغضبة، غضبة الفاجرة الفاجرة، التي حملت وساوسه عدم الدينار، فهي التي اثارت منك ما اثار، فلو دنوت مني خنوع، او تعلمت من معالمك رتوع، دفعت عنك، وشفعت زلتك، وعدت على التي لا اعرّ ولا انفع، ولا احلب ولا ادفع، فما المنفعة يا ضلمعة، ابن ظلمعة، فانك راتبة، في الدنانير التي تعتبها، ضعيف النفع، لا صفع، واما الضر، فقسيما على المنفعة يا ابا مرة، فان الذي له قدرة على الضر، ربما يقتدر على الابتداء والمثرة، وان شئت تقدم، وجرّب لتعلم، واخبر واسبر وانظر كيف انفر، منك الراس، بهذا الباس، وخوفي وتصدق، ان كتفك، حملت حتفك، فيهب الرجل وتحيّر، وخاف وخار وفتر، وانقطع حبل رجاه، وافلت بتاقت الى وراه، وانما ذكرت هذا لتعلم، ايها الوزير المكرم، ان كل امر لا يقصد به وجه الله، فان عقباه الندم وان حسُن

اولاد، وكل قصد ليس لغرض صالح، فان شجرة غراسه لا تثمر الا الفضائح، فترك الشروع فيه اولى، ومحو صورته عن لوح الضمير اجلى، ومن لم يترك ما لا يعنيه، وقع فيما يعنيه، وحل به من الفضيحة والاعلام، ما حل بذلك المفسد في مدينة السلام، فسأل الرئيس المشرقي البصير الاقرعي، لعله كانت تلك الفضيحة، لباخذ منها لنفسه النصيحة، ذل كان في مدينة بغداد صانع حرير، اسماه خبير، له جار، سني الجوار، وزوجة تخجل البدر عند الكمال، والشمس قبل الزوال، وذاك الجار الجاني، يدعى ابن الفرغاني، ففي بعض منازه، لمح زوجة جاره، فتعلق قلبه بها، فاخذ يلهو بها، واشتعل من هواها نار احشائه بهبوبها، الى ان افسدها، والى الضلال ارشدها، وكان الزوج معرضا بها، فوجد على حالها مبنيا، فصار تراثبها من كفه، ولا يغفل عنها لشده شغفه، ويجتهد في كفها عن الخيانة، وان تحفظ الغصب وتودي الامانة، ففي بعض الاوقات، راى في بعض الطرقات، صيادا ومعه طير، قد اوثق رجله بسير، فساله عن طيره، والى اين قصده في سيره، فقال هذا من الجوارح، السوانح لا البوارح، تحاكي الصوادح، وتباكي النوائح، وفيه سر عجيب، وامر غريب، وهو انه اذا كان في بيت، ورأى فيه على صاحبه كبت وكيت، اخبر زوجها خبره، وقص عجره وبجره، وقد رغب فيه رئيس بشمريه، فانا ذاهب به اليه، اقدمه لديه، وامنّ به عليه، فرغب فيه الخريري واشتراه، وانا به الى داره، وقال لزوجته اكرمي مثواه، واحسني ماواه، فانه يخبر بكل ما راه، وهو من احسن صفاته، واعجب اموره وحكاياته، ومهما فعلت زوجة الانسان، ذكره على وجهه كما كان، فقالت نحن بحمد الله في بركه، امنون مما ينقل عما من حركه، فان راى شيا يهوله، لا يكتمه عنا بل يقوله، فتركه الزوج وذهب، فدخل الحريف الملتهب، فراى المراة وحدها، والطير عندها، فاخذ في المهارشة، ومد يده للمناوشة، فقالت كف يدك واحفظ الرمام، فانه قد حصل علينا رقيب نمام، فكف يدك يا حبيب، لعلا نصاب ولا نصيب، وتفكر في قول الشاعر المصيب،

اذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقلْ خلوتُ ولكن قُلْ عليّ رقيبُ

فقال وابن الرقيب، يا ست الجار والحبيب، قالت هذا الطير، ليس غير، فان له خواص عجيبة، وفيه اشياء لطيفه نجيبة، منها انه نمام، ومهما راءه او سمع من الكلام، فانه يخبر عنه بعض عنه لجدته، ويذكره لصاحب البيت على التمام، ففهقه بصوت عال، وسخر منها وقال، صدق سيد المرسلين، الذي قال النساء ناقصات عقل ودين، ثم اقسم بحياتها، وحسن ذاتها وصفاتها، لموثقن القصيب في الكثيب، بمراى من ذلك الرقيب، حتى اذا فرغ من امره، بمسح في منقاره راس ابره، نعاعها، صحة ما اوهمها، ثم حاورها وغلبها، وساورها وقلبها، وحل الصدر الدكد، وتعلقت الحلقة بالمسكة، وامتزجت الالف العربة، بانكاف الكوفية، وانتظم زر الوردة القصبية، شفاه الوردة النسرينية، واسمر في اخذ وعطاء، بلا غطاء ولا وطاء، كانهما افواج الحجاج، او نباح الامواج، في سهل وحط، وقص وبسط، وهرج ومرج، ودخل وخرج، واسمر من نحو هذا التصريف في بحث الرفع والجر، ومن علم المطارحة والركوب في صنعه الكر والفر، ومن علم الرندحة والالحاد، في عالم الحلول والاتحاد، الى ان دفق الابريق العقيق، في قدح اللجين شراب الرحيق، وقد انشد الحريف، هذا النظم الظريف، وهو شعر

لو ننظر الرقبا وقد عانقته ... والشمع مشمعل وباب مقفل
طورا انساقده وارشف تارة ... واتمه من بعد ما انسامل
واذا تغشى ذيل ثوبي ثوبه ... من جنبه شيء عليه المفضل

فلما سال الجواب بما جرى، وقضى زيد منها وطرا، نهض لغير قسمه، حسبما مر وقسمه، وادنى من متناوله غرضه، وكان للشاعر مدة لم يتناول ماكول، فتصور قطعة لحمة، فدعا اليه طعمة، فسكب محاسنه فيه، فاستغاث بملاء فيه، وكان ان يغمى عليه، واستعان بحبيبه فاتاه اليه، فاقبلت المرأة كالحداة، فسار عليها، ان تكشف عن ساقيها، وترى الشاعر شرخا وحمرة، فربما يلتهي به وتترك آنيه، فتكشفت واتاه اليه، وعوّلت في خلاص صاحبها عليه، فوثب لشده فرمه، وتاثر الجوع والده، فباشر ذات الفلم، فاشتب لحالب رجاله الاخرى، في قائم تلك البطرا، فاشتبكا، وفي البلاء اشتركا، وبينما هما في تعاطل الكلب، واذا بالزوج قد دخل من الباب، فراعها على تلك الحال، من الاشتباك والاعتناق، ونقل الطير ما دل، بالفعل دون المقال، فتدبج قوله وفعله، وفعل معهما ما يجب فعله، واما اوردت هذا البيان، لاعلم اشرف جنس الحيوان، ان الشروع، فيما ليس فيه منفوع، يجب الابتعاد عنه، والفرار منه، وعدم الاصغاء اليه، والتوجه والاقبال عليه، ولهذا قال النبي النبيه، من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه، قال المشرقي، ما بقي يا تقي، الا ان ترتقي، فلقد طال البيان، وتتابع الزمان، شعر

فانهض فديتك اني ما رمتك عجلا ... فالدهر عات وللخاسر آفات

وكانت هذه المحاورة، تحت ظل شجرة، فيها وكر حمامة، وكان لها بالبلد اقامة، في برج رجل من اهل الزعامة، ثم اختارت العزلة، واختسبتها نعمة جزلة، فاخصاب هذا المقام، وتهنا فيه على اعوام، فسمعت جميع ما دلاه، من مبداه الى منتهاه، فلما وعت ما القينا عليه، وتداعينا اليه، اخذت تضرب اخماسا لاسداس، وتتامل فيما يتجلى من عرايس معانيه من المدة الى الراس، وتجول في صور مبانيه فتاح النظر، وتلاحظ سرة فحاويه بلواحظ الفكر، وتجوز مذاهبه، وتروز عواقبه، وتقيس مداركه بمعارجه، وتميس في مداخله ومخارجه، فادى ذلك فكرنا، ورايد نظرنا، الى انه ربما يكون لهما شان، وعلو مكانة وسكان، فان محاورتهما، وما مر من مناظرتهما، دب منظومة على ذداه وفطنة، وتجارب وحكمة، وعلو همة، صادرة عن فكر مهذب، ورای له في اسداد اوفر نصيب، ولم يبق لهما في النفدر، الا مساعدة القضاء والقدر، واذا كان الامر كذلك، فالجدير في قطع هذه المسالك، المبادرة الى التعرف بهما، والتقرب الى خواطرهما، ومساعدتهما على ما هما فيه، ومساعفتهما بما تصل اليه اليد وتجوده، لانهما في حالة الشدة، وزمان الانفراد والوحدة، محتاجان الى المساعدة، والمساعفة والمواددة، وفي مثل هذه الحالة تظهر الفضيلة، وتحمد ان الهمة والمبالة، وتقع مساعدتي احسن موقع، ويتميز لي عندهما ارفع موضع، فانه اذا عدم سليمها، وارتفع بدون معاونتي قدرهما ومعاضدتهما، واجتمع عليهما الجنود، واقبل اليهما السعود، وكثرت الجدة والاتباع، وتكاثفت العساكر والاشياع، فما يظهر لهن بعد ذلك مساعدتي لديهما، اذ ذاك كبير فائدة، ولا كثير عايدة، ثم انهما توكلت على الرحمن، وعلقت على الله الامر، وقلت

على الطائر المبمون والبشر والسعد سموت الى العلياء نهدا على نهد

ثم هبطت، والى بين اديهما سقطت، كما قال الرئيس شعر

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقبلت الارض، ووقعت فى مقام العرض، ولزمت شرائط الخشمة، وادت مواجب الخدمة، وهنأت نفسها والكون، بسلامتة يسار ذات اليمن، وقلت انى لكما لنعم العون، وموئلى فى هذه الشجرة، وانا لاوامركم موتمرة، وقد وعيت ما فاتحتماه، وما دار بينكما وذكرتماه، ورابه صادرا من مشكاة السعادة، مشرقا بانوار السيادة، سهامه نافذات فى قلب الغرض، وسيستعبد جواهر الرعايا بادنى غرض، فان حسامه مطبق لفصل القصد، وشانه سيبلغ اعلى اليمن والسعد، وها قد جبت مباديه، واردد منهل الطاعة وصادره، فامرا لامتثال، وانظرا لاحتفال، وتحكما لاطبع، وتحاكما لاسمع، فان اشرتما فالقصد قف، وان استشرتما فالراى كاف، وان خبرتما فالحزم واف، وان استنهضتما فالعزم شاف، وان استخدمتما فالعبد خادم صاف معاف، فلما راد من الحمامة، هذه الكرامة، تبسم الزنيم وتفأل، واشرق وجهه وتهلل، ونبمّن بطلعة الورقاء، وعلم ان امرها برقى، وقال ليسار، هذا من علامات اليسار، والخروج الى اليمين من اليسار، وعنوان السعود، وحصول النجح والمحمود، فان مسبب الاسباب، العزيز الوهاب، تبارك وتعالى، وجل جلالا، هو مسهل الصعاب، ومفتح الابواب، واذا اراد امرا هيا اسبابه، وفتح على الضعيف لطائفه وبابه، ووسّع رحابه، وسدّد الى مرامى المرام لمراميه نشابه، وحصول مثل هذا الصاحب الصادق، والرفيق الموافق، والمعين المصادق، ادل دليل، على ان الله الجابل، ييسر هذا المطلوب، ويظهر هذا النجح المحجوب، ثم اذيما استشارا الحمامة، فى كيفية نيل المرامة، والشروع فى هذا الامر، والوصل الى دعوة زيد وعمرو، وطريقة استهاره، وتعاطى اسباب انتشاره، فقالت انا من جنس الطير، ومشهورة بينهم بالخير، وانتم الىّ سكون، وعلى مناصحتى اعتماد وركون، فالصواب، فى فتح هذا الباب، دعوة الجمهور، من الطيور، وانا به زعيم، وفى الرسالة حكيم، فان اقتضى الراى الرفيع، توحيت ودعوت الجمع، بعد التخبير والتشهير، بين كل صغير منهم وكبير، ان انا الحراء السلطان وابا الجداء الوزير، وقد وقع الاتفاق، فى الاغلب على هذا الوفاق، فليبتهج سائر الطيور، بهذا الفرج والسرور، ولتمرا على رءوس الجمهور، هذا المثال والمنشور، ولتبادر الى الخدمة بالحضور، ولا يتخلف احد من آمر ومأمور، والحذر الحذر من المخالفة، وعدم الانقياد والموافقة، فقد طاب الوقت وراق، وزال المقت والشقاق، والمسارعة فى اقرب زمان، لياخذوا لانفسهم الامان، ولا يركبوا من الصعوبات، سبيل منن مسافة الطريق، فاعجب الملك والوزير، من الهدهد هذا الهدير، فكتب بذلك بندقه، وحملتها الحمامة باحكم وثيقة، ثم اخذت الى الجو، ووفيت من الجوارح السمو، ثم عبطت الى مجمع الطير، وهو نادى المدا والخير، فراث منها خلقا كثيرا، وجمعا غزيرا، فسلمت سلام المشتاق، وعانقت عناق العشاق، فترحبوا بمقدمها، وسألوا عن معرب احوالها ومعجمها، وقدموا بين الضيافة، واظهروا السرور والاطافة، فبثتهم كثرة الاسواق، وما عانته من الم الفراق، وقد حزنها شدة الشوق، وسافها اليهم اشد سوق، وبعثها ابتغاء باعث، وهو من احسن

الوضع وادمن الحوادث، وذلك ان شخصا من أعلاء بني سلان، الحاكم على بني بغار وبني براق، دوني سلطنة السباع، وملكية الذياب والضباع، مضافا الى ذلك الحكم على الطيور، والقيام بسياسة امور الجمهور، واقام له في ذلك وزيرا، كاتبا ناصحا مشيرا، يدعى ابا زنمة المشرقي، من نسل تكلاباي الارتقي، وهو من الفحول وكبراء الوعول، وقد ارسلوني الى الجماعة، يامرونهم بالدخول في رياض الطاعة، ليحصل لهم الرعي والرعاية، والرفاهية والحماية، ويامنوا صيد الكلاب، وكيد الصياد، ثم شرعت تبث الكبير والصغير، ما شاهدت من مخايل الملك والوزير، وحسن شمائلهما، وبعض خصاياهما، وما هما عليه، ونسبا اليه، من الشجاعة والدين، والعقل المتين، والفضل المبين، والقناعة والعفة، والمجد الذي لا يدرك وصفه، وان الملك المعلوم، قد عف عن تناول اللحوم، وقد قنع بما يسد الرمق، من حشيش النبات والورق، وقد تكفل برفع المظالم، وردع الظالم، واجراء مراسيم العدل، واحياء مواسم الفضل، فان اقبلوا واجابوا، رحبوا واصابوا، ونالوا ونالوا، وان ابوا وصبوا، واعتزوا للمخالفة وربوا، ثم عكسهم الدمار واركسهم، فلا يلومنوا الا انفسهم، فصدقوني من اول وهلة، والرائد لا يكذب اهله، لانهم كانوا بها واثقين، ولكلامها في الحوادث مصدقين، فما وسعهم الا الطاعة، والتوجه الى خدمة الملك في تلك الساعة، وبعد ما تبادروا بالتصديق، طاروا بالفرح ودخلوا الطريق، واستصحبوا من الخدم والمطاعم، ما يصلح للمخدوم من الخادم، فلما قربت الديار، ودنوا من ولاية الملك يسار، تقدمت الحمامة وسبقت، واخبرت الملك والوزير بما فتقت ورتقت، فاستبشروا بما تقدم، وبادر الوزير للاذن للقدم، فتلقاهم بالاحترام والتوقير، واكرم الكبير منهم والصغير، ومشى معهم بالاكرام والحرمة، واوقف كلا منهم في مقام الخدمة، وحين استقر بهم المقام، افتتح الوزير الكلام، فاثنى على الله تعالى، وتضاعف التحية على نبيه ووالي، ثم امتدح الملك الذكي، بثنآء يخجل المسك الذكي، وذكر بعد ذلك، ما يتعلق بسياسة الممالك، وان الله منّ بالملك عليه، وساق سلطنة الوحش والطيور اليه، وذكر مقام كل من الطيور، وما وظيفته بين اوليك الجمهور، فاطاع الكل وتابعوا، وعلى ما اقترحه عليهم بايعوا، وانشدوا شعرا

وكنا اذا نقتاد نتبعه ولم نكن عصاة فرُمْ غير الطيور عساكرا

ولما انقضى الوطر من قضايا الطير، اخذوا في استدعاء جموع الغبر، من وحوش الكواسر والبهائم الجواسر، والبهام الفواشر، والجوارح النواسر، وارسلوا من تلك الجماعة الحمامة، فلدوها فيه طوق الزعامة، فتوجهت نحو الوحش، والى كل فرح من الصيد وحش، وكانوا بذلك قد سمعوا، وللمشاورة فيه قد اجتمعوا، فبلغت الحمامة الرسالة، واظهرت ما فيها من بسالة، وكان اخر ما وقع عليه الاتفاق، الوفاق وعدم النفاق وقصد الارتفاق، والتوجه الى خدمة الملك بسار فحبة الرفاق، ودنوا لا شك ان الكلب الوفآء مشهور، وبحسن الرعاية والحراسة مذكور، وبقدر ان برعانا من الانسان، ويحمينا من السباع ومؤذي الحيوان، اوصافه مذكورة في الكتاب، وناهيك بفضل الكلاب، على كثير ممن لبس الثياب، فقدم خُزَر، من بين تلك البُزَر، يدعى رئيس الارانب، محبَّب الى الاقارب والاجانب، وهو مشهور بالفضل، موصوف بالذكاء والفطانة، والمعرفة التامة، والتجربة المفيدة العامة، بعيد الفكر في العواقب، سديد الراي حازم مراقب، وقال يا معشر الاحباب، واولي الابصار والالباب، كيف خفي عليكم، ولم

تتضح لديكم ، عاقبة هذه الامور ، وما فيها من عكوس وشرور ، وعلل تصلح للرياسة ، وادمة الساسة وانسياسة ، اهل الدالة والحساسة ، المتصف بالفطانة والنجاسة ، اوما علمتم ان من اخس السباب ، الشتم باخس من الكلاب ، اوما سمعتم فى كلام مالك ازمه الغلب ، فى حق من عامله بالسلح والسلب ، ومثله كمثل الكلب ، اوما قال صاحب الشرع ، فى حق ما ولغ فيه الكلب بالسبع ، ثم التعفير بالتراب ، وهو مذهب كثير من الاصحاب ، وان لا يطهر بالدباغة الاعاب ، لا اصل تعنى ، ولا وصف نقى ، ولا نسب طاهر ، ولا حسب ظاهر ، ولا وجه زاهر ، ولا شكل باهر ، فان كنتم تايهين انتبهوا ، واعرضوا عما صدر البه وانتهوا ، فاعن الله زمانا ، صار فيه التبس وزيرا والكلب سلطانا ، فتصدى الهذيل للجواب ، وقال لا شك ولا ارتياب ، ان المستحق للسلطنة الامام العادل ، والشخص الكامل الفاضل ، ولا يقدح فى هذا الفضل ، دناءة الاصل ، فقد قال العموم الحى ، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، وكل من اتصف بالهمة العلية ، والاوصاف السنية ، ومكارم الاخلاق والشيم ، وانتشر بها صيته بين الامم ، يستحق ان يراس بين العرب والعجم ، واما الانساب ففى نص الكتاب ، قال من يقوله يهتدى المهتدون ، فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، وقال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب ادبا ... يغنيك عن النسب

ان الفتى من يقول ها انا ذا ... ليس الفتى من يقول كان ابى

واما الاوصاف ، فلا شك ولا خلاف ، فى ان الكلاب ، فضلت على كثير من لبس الثياب ، وما ذاك الا لاوصاف اختصتها ، واذ انفعها وافتضتها ، وهى مشهورة ، وعن الكلاب مسطورة ، ومن جملة محاسنهم مأثورة ، واما الاوصاف الذميمة ، فيمكن صيرورتها مستقيمة ، وذلك بحسن التاديب ، والتربية والتهذيب ، والتمرين والتشذيب ، حتى يصير نابه مُدّية ، وهذا ما فيه مرية ، ويجتزى بالعاكهة والبطيخ ، عن اللحم السليخ ، وبالخبز الشعير ، عن اكل لحم الخبير ، وناهيك يا ابا وثاب ، ما قيل فى الكلاب ، ولانسى النباب ، شعر

وما ضر اهل الكهف انهان كلبهم ... وكلهم زادوا بقينا على هدى

وما ذا اناد العلم بالعار وهو من ... بنى ادم لما الى الارض اخلدا

وهذا السلطان قد عاهد الرحمن ، ان لا يمزق حيوان ، ولا يذوق لحمان ، وان يقنع بالكفاف ، ويسلك طريق العدل والعفاف ، وما ذاك لعجز صدر عنه ، ولا لوهن طرا عليه بل سمت همته عن ذلك ترفعا ، وسلك طريق الملوك فى احياء همتها ومعالبها تطبعا ،

وبعدها تنبيهن الاسباه

فان احببتم كان لكم الحظ الاوفر ، وان اسمعتم فقد اعذر من انذر ، وبلغ من حذر ، وما قصر ، من بصر ، والعاقل من ينبصر عيوبه ، ويسلك من الخلق الجميل دروبه ، وقد قيل لامير النحل ، ذاك الاسد الضحل ، كرم الله وجهه ، وجعل له الى الرضوان احسن وجهة ، يا امير المومنين ، وابن عم سيد المرسلين ، ممن تعلمت الادب ، قال من قابل الادب بعضى اذا رايت فى احد خلقا ذميما او وصفا ذميما ، ادرب الى افساد نفسى ، وتاملت فى حدسى وحسى ، هل انا محلى ، بذلك الوصف ام لا ،

فان لم يكن اجتهدت ان لا يكون، وان كان أبعد عنه عرضي واصون، وحسبك يا ذا الرتبة العلية، استنكاف النفس العاقل من قول ملك الزنابير، فقلت للحزّ للحمامة، اخبرني بذلك استنكف يا ذات الكرامة، قالت الحمامة ذكر رواة الاخبار، عن شاطر من النطاسار، قد باغ في النطاسة، والخصوصية غاية المهارة، يسرق النوم من الخاطر، والرائحة من الطيب العاطر، والنور من اجفان الوسنان، والملاحة من اسنان الجيعان، ويأتي على كوامن الغيوب، فتسلا عن خزائن الجيوب، ويلف الرخيص والغالي، والوضيع والعالي، وقد اعجز المقدم والوالي، ففي بعض الاوقات، قصد جهة من الجهات، وبينما هو في المناقضة والمناكرة، غشيه الوالي مع العسس والجلاوزة، ومعهم امراة بغي، قد خرجت عن الصراط السوي، وهم يضربونها، وعلى افظع حالة يستحبونها، وهي تستصرخ المسلمين، وتستغيث ايمة الدين، فلما احس بهم، نكب عن دربهم، وولاهم عطفة، وانزوى في عطفة، وانتظر حتى يمرّوا، فسمع الامراة وهم بها قد اضروا، وهي تصيح، بلسان فصيح، وتقول يا اهل الاسلام، وامة خير الانام، انجدوني وارحموني واسعدوني، لا سرقت ولا نقبت، ولا اختلست ولا سلبت، ولا طمعتُ في مال احد ولا نهبت، ولا وقفت لاحد في درب، وانما استنفق من حاصل دار الضرب، وذلك ملكي وحوزي، وثمرة لوزي وجوزي، باشارة سهام الخاطي الملوزة، من فسي حواجب بالجمال منوزة، وسفارة نظام العاطلي المعزوزة، المشبّه باب طربقها درزا في العقيق والرحيق مغرزة، فما لي على احد نقل، ولا طمعت في مال احد فيحصل له مني ملل، فلما سمع قاصد الحرام، هذا الكلام، افق، وصفا خاطره وراق، وتنبّه لقبح صنعته، وان الزواني تتأفف من حرفته، وتستنكف مما هو مفتخر فضيلته، فقال لعن الله فعلًا تنتقصه الحواطي، وتبا وسحقا لمتعاطيه من متعاطي، ثم عاهد الله التواب، ورجع اليه عن صنعة الحرام وتاب، وانما اوردت هذه المناقب، يا شبيخ الارانب، لتعلم ان العاقل من يتصفح جرايد اعماله، ويتامل صحايف حركاته وافعاله، وان هذا الملك صفى شراب صفاته من كدورات الهوى براووق المراقبة، ونقى رياض ذاته من شوك الاخلاق الذميمة بمنكاش المعاتبة، بقدر طاقته وامكانه، وهو مثابر على ذلك في غالب ازمانه، ولا يكلف الله نفسًا الا وسعها، وليس لك ان تتعرض بان النفس لا تغير طبعها، وليس الاكمه كالارمد، ولا السطيح كالمفعد، ولا سيحان كباقل، ولا العاقل كالمتعاقل، شعر

ليس المكحّل في العينين كالكحل

وتحتج يا مسكين، بواقعة السلطان محمود بن سبكتكين، مع وزيره حسن الميمندي، بسبب القضية الواقعة لابن الجندي، فسال ابو عكرشة، ابا عكرمة، عن هذه الواقعة، ليتبين من التمثيل مواقعه، فقال ان السلطان محمود، ذا الطالع المسعود، الذي فتح بلاد الهنود، جرى بينه وبين وزيره مباحثة، وقع فيها عن دقايق العلوم منابذة، في ان الطباع هل تقبل التغيير، ام لا تستحيل عما جبلها عليه الفاطر الخبير، فقال الوزير، نعم تقبل التغيير، بواسطة التاديب، وحسن التهذيب والتهذيب، وقد شاهدنا الطباع، من الوحوش والسباع، بواسطة التعليم، تركت الخلق الذميم، وانتسبت الوصف المستقيم، فجربان هذا الامكان، احرى ان يوجد في جنس الانسان، وقال ابن السلطان المظفر، لا تتحول الطباع ولا تتغيّر، ولا يمكن صرفها عما جُبلت عليه ولا يتصوّر،

وقل من ليس في كلامه استبعاد، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، وهذا الفايل شعر

وتابى الطباع على الناقل

واستتم هذا الكلام، بينهما عقد ايام، الى ان ركب السلطان، وقصد السبران، والوزير في ركابه، بين خدمه واصحابه، فرايا من بُعد، شابًا من اولاد احد الجند، وهو جالس، على فرع شجرة يابس، يريد قطعه، لما عدم نفعه، وقد جعل ظهره الى طرف الفرع، وهو عمال بالمنشار في اصله للقطع، فتامل السلطان والوزير، في هيئة ذلك الشابي العريو، ثم قال السلطان للوزير بين الاعيان، وطبع هذا ايضا داخل في الامكان، وهو نقيل المغبر والمتعلم، ويمكن استحالته بالتاديب والتفهيم، فلم يجر الوزير جوابا، لا خطا ولا صوابا، ثم اسار الى بعض خوله، ان يذهب بذلك الشاب الى منزله، فلما نزل من الركوب، احضر ذلك الشاب المرغوب، الغافل المحبوب، ثم طلب له مودبا، حاذقا مهذبا، وامره ان يجتهد في تعليمه، ويبالغ في تاديبه وتفويمه، ويوقفه من العلوم على دقايقها، ويسلك به الى خفايا طرقها وطرايقها، فاشتغل بتربيته ليلا ونهارا، وبذل مجهوده في ذلك سرا وجهارا، الى ان برع في انواع العلوم، وضبطها من طرفي المنطوق والمفهوم، ولما فرغ من العلوم اعلاها، وانهاها من مبتداها الى منتهاها، شرع به في علم ادريس وهو علم النجوم النفيس، واستطرد منه الى علم الرمل المنير، وتوسل به الى ان توصل الى اخراج الضمير، فدعن هذه العلوم، لا سيما اخراج الضمير الموهوم، فاما اتقن ذلك، وسلك في ادق المسالك، احسن الوزير اليه، واستصحبه الى الملك ودخل به عليه، فقبل الارض، وادّى من شرايط الخدمة الفاضلة والفرض، وقال للسلطان محمود، ان هذا هو ذاك الشاب المعهود، وقد برع في العلوم، وفرع الى استخراج الضمير المكتوم، وقد بذلت بلادته بالذكا، وصار فواده كابن ذكا، فان اقتضت الآرا السلطنية سبره، واعتبرت فهمه بعد ما اختبرته، فادخل السلطان يده في كمه، وانزع خاتمه من بصمه، وانبو بده عليه لمسير منتهى عامه، وانظر ما ذا الوزير في كيفية هذا التبديل والتغيير، ثم اخرج يده من كمه، وقل لمطير ندامتي عامه، واختبرنا بما في كفي، عن حواس العقول مخفي، فتقدم الشاب وقرع الاضطراب، ووضع اوتاد التعب، وخلط ذلك المقلي، الذلل الحيران والمقلي، وسائر الاوضاع، من الاقوين والاجتماع، ثم فكر وسبر، وعبس وبسر، وقدر وافكر، وقل قل المشكل والله اعلم، ان ما حواه الكف المحكم، شي من المعادن، محفوف بسعود او سواد، وهو في افتعل الاشكال لانه مستدير، وفي احسن الالوان لانه مستنير، وفي دايرته فطر ومرحبر، وفي وسطه ذهب لمعزز، وهو ما في الكمين او في التحميل، ثم تامل بعد الوقوف، ثم ان هذا الموصوف، ما ذا يكون، فقل دانه والله اعلم فراه، تضحك السلطان اكبر، وقبل لذلك الوزير، ثم قال السلطان الى الله السبحان، ان يعلم بالمل كسبحان، واما اوردت هذه المسايل، لئلا نتعرض ذليل، ويستدل بمثل هذا الدليل، على ان الطباع لا تقبل التغيير والتحويل، بل الطباع تتغير، ومن ذا الذي با اعز لا يتغير، فسبحان من لا يحول ولا يزول، الذي وضع عالم الكون على الانتقال والحلول، وكل لجلال عظمته فخبت، يمحق ما اراد وينبت، ويمحوا ما يشاء وينبت، ومذهب اهل النبات، في

الصحو والانبات، ان الظافر قبل الاسارة كان عند الملك العظام، وبعد ما اخرج في سلك المؤمنين، صار موسوما عند رب العالمين، وعلى هذا المنوال، ايها الفاضل الكبير والعالم المتحرر، فالملك يسار، نظر بعين الاعتبار، وتفضل من رذائل الاوصاف، وتخلق باخلاق الاشراف، من التلبس بالعدل والانصاف، ولولا نيته الصالحة، ما صارت صفقته في المبايعة رابحة، ولا كفة قضاه راجحة، ولا زالة النكد، ولا اشاعة احد، والاعمال بالنيات، وعلى مقدار النيات العطيات، وجنس هذا الملك، في الاوصاف المتباينة مشترك، فانه قد جمع بين خصايص الحيوان، حتى كانه سبع بهيمة انسان، كما قيل شعر

جمع الكلب في خلاه صفات فهو سبع ببهيمة انسان

وكما قيل ايضا

يكدد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم

وانا يا مولاي، اعرض عليكم هذا الراي، وهو شاهد عدل، وحكم فصل، وهو ان يقع الاتفاق، على واحد منكم من خواص الرفاق، من تحسن حسن آرابه، وصدقه في انبائه، وصحة دينه، ورصانة عقله وبقينه، فانتلوق في رقابه، الى حضرة الملك وجنابه، فيكتحل بانوار طلعته، ويشمله ميامن رويته، ويطالع جميل صفاته، ليسكن الى فضيل حركاته، وينتقل من علم اليقين، الى عين اليقين، فيزول باليقين الشك، ويطير خلامة الذعب بالنك، ثم باخذ لكم العهد والميثاق، بما يقع عليه الاتفاق، وما ترضونه وترونه من الصواب، ويرد عليكم بذلك الجواب، فان وافت قصدكم، توكدون عليه عهدكم، وتتوجهون بقلوب مطمئنة، وخواطر في حصول المرام مستكنة، والا فترون رايكم، فيما عليكم وما لكم، فاستصوبوا هذا الراي واستردوه، واستغربوا لنبف معناه واستحسنوه، وانتدبوا لهذا الامر الخطير، من يصلح ان يكون عند الملوك السفير، فوجدوا ضبيا ضب العناصر، قد عقدت على غرارة فضله الخناصر، من اعقل الجماعة واذكاهم، واحسنهم رايا وادعا، فعلدوه الزعامة، وارسلوه مع الحمامة، على ان يجتمع بالملك يسار، ويعاقده على ما يقع عليه الاختيار، ثم يسمع اقواله، ويشاهد افعاله، ويميز احواله، ثم يرد عليهم الجواب، فيميزوا ما فيه من خطاء وصواب، فيبنوا عليه، ويرجعوا اليه، فتوجه الضبي والحمامة، مستصحبين الامن والسلامة، فلما قربت الديار، سبقت الحمامة الى خدمة الملك يسار، واخبرت بصورة الاخبار، وان الضبي في العقب، مقبل بما يحبه الملك ويحب، فامر الملك الوزير، ان يتلقى الضبي الخطير، مع جميع الامير الكبير، فتقدم الوزير وقال، اسال مولانا الملك المتعال، ان صدر من هذا الفاضد خطاب، ان كان الى يرد الجواب، فان ذلك اعلا للحرمة، وادق للحشمة، واقوى لناموس الملك والرياسة، وارعى لطاووس الماسة والسياسة، فان كان ذلك الجواب، متحاليا بعقود الصواب، كانت سعادة الملك المايدة، وفي خدم الملك من تتعدى للامر وابرمه، فان خرج عن طوق المجادة، فلا ينسب الى الملك تلك المادة، بل يتلافاه الملك بكرمه، ويكون الخطاء منسوبا الى خدمه، فاجابه الى ما سال، وتقدم الوزير للملاقاة مع سابر الرجال، فتلقوا الضبي بالترحاب، وفتحوا في وجهه للكرامة اوسع باب، ومشوا معه حتى وصل الى الحضرة، وشاهد تلك الحشمة والعظمة، فقبل الارض ووقف، وعرف مقدار

الملك واعترف، وادّى الرسالة، وبيّن للملك ما فيها من رفة وحلاوة، فقابله الملك بما يليق بحشمته، واجلسه بالقرب من حضرته، وخاطبه بما اذهب دهشته، وانسه بملاطفات جلت وحشته، وساله عن خلف وراءه، واستقصى فى التفحص احواله وانباءه، فبلّغ عبوديتهم وطاعتهم، وان الاخلاص والطاعة شملت جماعتهم، وفتح فم الدعاء بلسان ذلق، وخطاب طلق، وكلام غير معقد ولا فلق، واطال فى الدعاء، واطنب فى الشكر والثناء، وسال شمول المراحم، وكفّ كفّ المتعدى والمراحم، فلما انبسطوا وانشرحوا، وابتهجوا باستبلاء هذا الملك وفرحوا، وشكروا لله هذه النعمة، وانّى يقومون بشكرها العبودية والخدمة، ثم سال اخذ الميثاق، وتاكيد العهد بالاميثاق، بالامان والاطمينان، لمن وراه من الوحوش والغزلان، فاعطاهم الامان، وشملهم بالاحسان، على ان لا يراق لهم دم، ولا يهتك لهم حرم، وانهم يرعون حيث شاوا، ويسرحون حيث ذعموا وحاوا، وان الملك يسار، حاكم ساوة وزُغار، وخليفة براق وكوباك والتتار، قد عاهد الملك الجبار، ان لا يتعرض لوحش القفار، ولا لاحد من اجناس الاطيار، حتى ولا لحيتان البحار، ولا يريق دما، ولا يقصد لهم انى ولا اما، ويرعى جانبهم، ويقضى ماربهم، ويحفظ شاهدهم وغايبهم، ويمنعهم من مناويهم، ولا يسلط عليهم من بوذبهم، ما داموا تحت طاعتى، وفى جوارى وذمتى، فقبّلت الغزالة، بشفاه العبودية خد الجدالة، وقالت هذا كان المامول، وجُلّ القصد من الصدقات والمسول، والذى جئى لاجله، فقد حصل من صدقات الملك وفضله، ولكن العلم العالى محيط، ان وحوش البسيط، اقوام اصناف، ليس بينهم ايتلاف، وهم طوايف كثيرون الاختلاف، اجناس متفرقة، وانواع متمزقة، ليسوا كقطاع الغنم مجتمعين، ولا كحشار الخيل ممتنعين، ولا بعضهم لبعض متبعين، لم تزل العداوة بينهم قايمة، وعيون الصلح والاتفاق عنهم نايمة، لا يضبطهم ديوان، ولا يحصرهم حسبان، ولا يمنعهم من التعدى سلطان، القوى يكسر الضعيف ويمزقه، والشاكى يستطيل على الاعزل ويفرقه، ولاجل هذا المعنى، لا يمكن اجتماعهم فى مغنى، بل البعض فى قلل الجبال متوطن، والبعض فى سرب التلال متحصن، وبعض متشبث بذيل الكهوف والمغارات، وبعض فى الاجام والاكام خوف الغارات، وكل يخاف حلول البلاء، قد اتخذ لذلك الفضاء والفناء، واستعد بفنون الكيد، خوفا من جوارح الصيد، واذا كان الامر كذلك فاجتماعنا متعسر، وحفظنا فى الملك غير متيسر، فلا بد من ترتيب قاعدة، تعم منها جميع الوحوش الفايدة، ويشمل امنها غايب الملك وشاهده، والا فالحاضر آمن، وقلب الغايب غير مطمئن ولا ساكن، فليفتكر للرعية فى ضابطة، تكون الحرمة فيها للقريب والنائى باسطة، فالتفت الملك للوزير، وقال اجب هذا السفير، فقال الزنيم، يا احسن ريم، هذه الاقدار، من قصور الانظار، وعدم التامل والاستبصار، والا فان السلطان، فى كل مكان، كلمته عليا، ووجوده كالشمس فى الدنيا، فكما ان الشمس اذا استوت، وعلى سرير كبد السماء احتوت، عم فيض شعاعها الجبال والاكام، والتلال والاجام، وانتشر على البحر والبر، واشتهر على الفاجر والبر، فربت الازهار والاثمار، وشبت مشاعل الكلا فى القفار، وطبخت الغلال وفواكه الاشجار، وصبغت فى كوامن المعادن جواهر الاحجار، كما قيل شعر

كالشمس فى كبد السماء محلها وشعاعها فى سائر الافاق

كذلك الملك العظيم، اذا انتشر صيت عظمته وعدله في سايير الاقاليم، شمل فضله الشريف والوضيع، وبلغ جوده وجوده الدنى والرفيع، وردع عدله الضايع والعاصى، ووسع نواله الدانى والقاصى، وانه كالغمام الصيّب الصبيب، على الربيع الخصيب، والديمة المضبعة، والمزنة المغدقة، اذا انتشرت في الافاق، وصارت لامر عهد عهادها للاستغراق، فروت الخضيض واليفاع، وعمّت الوهاد والتلال والبقاع، وخاطبها ظمان الرياض، وعطشان الغياض، شعر

امطرْ علىّ سحاب جودك مرّة وانظر الىّ برحمة لا اغرق

هذا ومتى ، مسّر في الاطراف، انكم التجاتم الى هذه الاكناف، وتطرز بشمول الصدقات السلطانية من ملابس طاعتكم الطراف والاطراف، منعت العواطف الملوكية، والخواطر الشريفة السلطانية، عوادى المعادى، وكفّت اكف المصادم والمصادى، فلا يجترى احدٌ على التعرض لكم، ولا يخطر ببال مخالف ان يقطع سبلكم، قال الرسول، الامر كما يقول، مولانا الامير، وما احسن هذا التقرير، ولكن مع المراحم السلطانية، وصدقات العواطف الملوكية، وحسن الملوبة، واحسان النية، فلا بد من السياسة، وضبط الرياسة، وقواعد الملك في الحراسة، من ضابط يبنى عليه الملك لامره اساسه، لا يتميز به كبير دون صغير، ولا يختص برعايته جليل غير حقير، فان من احسن اوصاف الملوك والاكابر، ان لا يغفلوا عن تفقد احوال الصعاليك والاصاغر، ولا يقصروا في ذلك على نوع دون جنس، كما يفعله لغلبة الهوى بعض حكام الانس، مع انهم مسئولون عن جليلها وحقيرها، ومحاسبون على كبيرها وصغيرها، وفي شانهم قد قال من في ضبط حركاتهم وملكاتهم استقصاها، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها، وقد تنبه لهذا الفعل الرجيح، ايها الوزير النصيح، والمنطيق الفصيح، انوشروان وهو من الكفار، واشتهرت عنه قصة الحمار، فسال الوزير، بيان هذا التقرير، فقال الربيع، بلغنا ايها الكريم، ان انوشروان، بالغ في نشر العدل والاحسان، ومعاملة الرعية، كبيرا وصغيرا بالسوية، وبذل في ذلك جهده، واستنهض لمساعدته وُكَده وندّه، واختشى ان يمنع المتظلم الفقير، بواب بسبب حاجب او كبير، لغرض او عَرَض، او ارتشاء من في قلبه مرض، فيمشى مدلس البراطيل، من خوف الاباطيل، ويضيع بحث صارخ الحق في اوقت المعاطيل، فاداه فايد اجتهاده، وانتهى به رايد مراده، الى ان يعقد في طاق مبيته، ومجتمع خاطره عن تشتيته، من محاذى السرير، حبل من الحرير، ويربط طرفه الادنى في حلقة الباب، حيث لا حاجب ولا بواب، وهو مكان مجتمع الجمهور، ولا يمنع احد فمه من الوقوف والمرور، وان شد فيه اجراس، من خالص الذهب لا النحاس، بحيث انه اذا حرك الحبل، صوتت الاجراس صوتا اخرس الطبل، ثم امر مناديا، ان يرفع صوتا عاليا، بان من كان شاكيا، فعليه بتحريك ذلك الحبل، ليقع النظر في الكبير، وينتصر المظلوم من بعد ومن قبل، فاشتهرت هذه العادة، ونال بها في الدنيا السعادة، وعظم صيته، وخمدت عفاريته، وانصفت ضعاريته، ففي بعض الظواهر، عند قايلة الهواجر، وانوشروان في مبيته قد طاب، اضطرب الحبل والاجراس اشد اضطراب، ففز انوشروان مذعورا، وتصور الحرك مظلوما مقهورا، فابتدر بطلبه، لينظر في ظلمه وسببه، فتبادروا الى احضاره، واستكشاف اخباره،

واذا هو حمار جرب، بنيان جسمه من الجرب خرب، ومتن ظهره من الحكة نقب، وقد قد عمارة عمره غادر الهرم، والهب حشيش حشاشته من الجوع حاشى الصرم، يحمله صاحبه ما لا يطيق، ويمنع عنه قوته وعليقه، يوذى به ولا يداويه، ويدور به ولا يداريه، فتلسب مالكه وعتبه، ثم رجره وضربه، ثم امر بالنداء فى الاسواق، وامتد ذلك حتى بلغ الافاق، وعم النواحى والوراد، ان يسلك بما ملكت اليمين الارفاق، ولا يعتمر عليها فى الانفاق، وكل من عنده دابة قد استعملها فى دباها، واستوفى فى خدمته مواها، يراعى حقوقها اذا كبرت، ولا يضيع ما قدمت بما اخرت، وحكى وجه ذلك الرجل قصد، وكتب عليه بعرض حماره صكا، وانما ذكرت هذا المثال، فى معرض ما يقال، من ان عدل السلطان، خير من خصب الزمان، وانما فان فصد الملك اذا كان صالحا، كان امره فى جميع الازمان فالحا، وسخر الله له من يرشده الى قصده، ويعينه الى امور معاشه ويحمى ذكره من بعده، وتدر على يده سحايب البركات، ويجرى منها على غير قصده انهر المبرات، وحفظ كل من اليه ينتسب، وورثه كل ذلك من حيث لا يحتسب، وحاصل هذه المقدمة، ان المسئول من الصدقات المعظمة، انه اذا رامى على ابواب عدلها سائلى، او تعلق باسباب معدلتها متظلم باكى، تصدى هو بنفسه لكشف ظلامته، ولا تترك الغير فى فصلها لاقامته، وان الصبر من جماعتنا، والضعيف من اهل شاعتنا، اذا مست الحاجة به الى بث شكوى، او رفع بلوى، بتقدم الى شكواه بلا واسطة، ليمان فى امره المغالطة، ويصادف مسمعه لا دسيسه، ويتساوى فى مشرب العدل والانصاف، ومراعى الفضل واللطاف، النباء والاسود، والذيب والعنود، والعقاب والعصفور، والحمام والصقور، ولا يتقدم فى الدعاوى، من حيث التساوى، التوجيه على الجاهل، ولا التنبيه على الحامل، ولا الكبير على الصغير، ولا الجليل على الحقير، فان اقتضت الاراء العالية، تولية عامل فى ناحية، فليكن ممن له شغف بامة، ورغبة فى رحمة الرعية عامة، ويعرف ذلك بمن جربته العلوم الحريصة، وتحققت ان نيته فى رعاية الرعية مستقيمة، قد صارت له الشفقة ملكة، وكل من العدل والانصاف قد ملكه، ولا تولى احد لغرض، او من فى قلبه من اذى المساكين مرض، وان الطبيعة اذا اعتادت عادة، والسجية اذا جعلت لها بعض الاوصاف قلادة، سواء كان ذلك مذموما او محمودا، مقبولا عند العقل والشرع او مطرودا، فانها تبرزه فى غالب الاوقات، ولا يتخلف عن ملابسته فى اكثر الحالات شعر

العين تعرف من عيني محدثها ان كان من حزبها او من اعاديها

وكل قضية لا يساعدها الغالب، فمبناها على العكس والغلب، ونظيرها يا رئيس المدارة، قصة من زوجته امه وهو صغير، فسأل الوزير من التسيير، تقرير هذا التقدير، فقال كان شاب، من الغرباء، قصدت امه تزوجه، فزوجته بامراة ارملة، ولم يكن له احتياج، ولا رغبة فى الزواج، ولكن فر من الحتوف، وكتب على نفسه بالوقوف، فلما عدت الوليمة، وحضرت العزيمة، وجمعت النساء والرجال، ارسلت امه الى جار لهم قوال، اشتهر فى صنعته، ماهر فى حرفته، فدعته الى الجمع، ليبتهج بحسن غنائه السمع، فيمحل الوقت، ويذهب المقت، ويجتمل الحضور، النساء والسرور، فتخلف والى، وعن الحضور نبا، فسئل عن تخلفه، وسبب تخلفه، فقال بلغنى ان الزوج الخاطب، غير طالب ولا

راغب، واذا كان كذلك فلا يغني الغنا، الا الغنا، ولا يؤثر في القلوب والاسماع، بل تنفر عند سماعه الطباع، فكل شي لا يصدر عن رغبة القلب، فان اجابه لا يفيد الا السلب، فيضحك علي القايم والقاعد، ويستخسر مني الصادر والوارد، وبروح تغرق في البارد، وانما ذكرت ذلك، لاعرض على اراء الملك، انه اذا ولج امر الرعية، الى احد من الخاصكية، ينظر الى شفقته، وبسبر وفور مرحمته، ثم يوليه عليهم، ويتقدم بالطاعة اليهم، فيستقيم اذناك فعلهم وفعله، ويظهر في حركاته وسكناته عدله، وليس العدل في كل القضايا تساويها، ولا اجراوها على نسق واحد يحويها، بل معرفة مقاديرها، وبيان تقريرها في المبادي وتحريرها، ثم اجرابها على مقتضى مدلولها، وردّ فروع كل مسئلة الى اصولها، ووضع الاشيآء في محلها، وايصال الحقوق الى اهلها، ومعرفة منازل اربابها، واوضاع اصحابها، ومراتب طلابها، فمن لم يحقق هذه الامور، اضاع مصالح الجمهور، فاعطى غير المحق، ما لا يستحق، ومنع الحق عن المستحق، وقد قيل يا ابا السعود، ان حقيقة الجود، اعطاء ما ينبغي، لمن يبتغي، والا فكان كالباذر في السباخ، واشبه في امره اجير الطباخ، الذي لم يعرف معنى العدل، فقصده فوقع في الجدل، فسال الغزال شيخ الاوعال، عن هذا المال، فقال كان عند بعض الاشياخ، من الطباخين اجير نباخ، له رغبة منهمة، على معرفة طبخ الاطعمة، وكيفية ترتيبها، وصنعة تركيبها، وكان مغرما بذلك، يسلك فيه كل المسالك، ويرد فيه الموارد، وينبع كل صادر ووارد، ففي بعض الاناء، وقف على طبيب من الاطباء، فسمعه يقول، ان اصلا من الاصول، العدل والنسوية، بين الاطعمة والاغذية، والعقاقير والادوية، فمن لم يستعمل الاستواء، في درجات الغذاء والدواء، ضلّ عمله وغوى، واصل هذا المزاج، ولا ينكره الا ذو لجاج، فان العناصر الاربعة، منها المضرة والمنفعة، وقد تولّد منها السوداء والبلغم، والصفرآء والدم، فمتى اعتدلت هذه المتولدات، صحت الابدان والذات، ومتى عن الاعتدال عدلت، امرضت وقتلت، وكذلك النير الاعظم، والكوكب المضي في العالم، اذا حل في مركز الاعتدال، استنار للعالم الحال، وطاب الزمان واعتدل، وذلك عند نزوله في برج الحمل، فتصور ذلك الولهان، ان المقصود النسوية في الاوزان، فانصرف وهو فرحان، وقصد طعام الزيرباج، وعمى من مفرداته ما يحتاج، ثم انه ساوى بين اورانها، وقصد العدل في مقاديرها، وخلط كعقله اخلاطها، ووضعها في قدر وساطها، فخاب عمله في عدله، وبان نقصه في فضله، فلما وعى الملك والوزير، ما سلكه السفير، في نظام هذا النقرير، شكرا له مساعيه، واخصبا في الاكرام والاعزاز مراعيه، وقالا جزاك الله خيرًا عن شفقتك، وحسن صنيعك لمرسلك ورفقتك، فذلك من يصلح للسفارة بين الملوك، ويتولى امور الرعية من الفقير والصعلوك، تاذك ناصح لمن قوقك، شفوق على من دونك، ثم قال الوزير، ان هذا الملك الكبير، مقاصده العظيمة، ان تكون الامور مستقيمة، وان يصلح العباد والبلاد، ويطمئن المستفيد والمستفاد، فاحفظ انها السفير، المبير الضمير، بما سمعت ورايت، وشاهدت ووعيت، واجعله من عنوان انبائك، ومقدمات افعالك وارائك، وابلغه من حفك من امامك ووراءك، ومهما وصلت اليه قدرتك، واحاطت به يدك وكلمتك، من ابلاغ الخبر، الى مسامع الوحش والطير، عن هذا الملك واوصافه، وتتطلعه الى مرافي البر والاحسان واستشرافه، وما تسكن به الخواطر، وتطمئن اليه الضمايير، وتقر به العيون بالسرور، وتستعير به

القلوب في الصدور، فلا تدّل فيه جَهْدا، واوسع فيه جدا، ولا تنه في انهايه حدا، فان المجال واسع، وميدان المقال شاسع، وقد اذن لك فيه، وان اخفيته في نفسك قالله مبديه، ثم كتب له بذلك مراسيم، عن ثغر الامالي مباسيم، وافيض عليه خلع الكرامة، واضيف اليه الحمامة، ورجع الى اهله، مغمورا بفضله، مسرورا بقوله، مشكورا بفعله، فايزًا بالمطلوب، ظافرًا بكل مرغوب، فارغ البال، طيب الحال، فاتصل باهله في دياره، وهم في انتظاره، فبادروه بالسلام، وقابلوه بالاستلام، وقالوا ما وراءك يا عصام، فبلّغ الجواب، بارشق عبارة واليق خطاب، وذكر لهم ما راى، وسمع ووعى، فانتشرت هذه الاخبار، حتى ملات الاقطار، وتسامع بها وحوس القفار، وفاح بطيب نشرها الازهار، فكان جميع البر عطار، ثم اجتمع روساء الوحوش والبهايم، وعرفاء الضواديح والبواغم، وكل ساكن في القفار من سايم وحايم، وارسل كل الى امته رسوله، يدعوها الى ما يحصل سولها وسوله، فلبت كل امة دعوة رسولها، وافبلت لاستماع المراسيم وقبولها، فاجتمعوا في رياض مرج اخضر، وحلّقوا لاستماع المراسيم حول المبر، واطرقوا وسكتوا، واستمعوا وانصتوا، وتناول المرسوم الصادح من الباغم، وصعد على الغصن الناعم، معلوق الحمايم، وابتدا باسم الكريم الغفور، وقرا على روس الاشهاد مضمون المنشور، ودعاهم الى الطاعة، والدخول في سنن السنة والجاعة، وانهم لا يتاخرون عن الحضور، بعد الاطلاع على مضمون المنشور، فانه فرمان امان، لكل من اجناس الحيوان، ولم يبق مقالا لمتخلف، ولا مجالا لمتاخر ومسوّف، كما قيل

فمن جاءنا طوعًا اقمنا بمجده فمن يابَ لا يعتب علينا فعالنا

الى اخر الرسالة، مع ما تحمله الرسول من مشافهة ومقالة، ومن ملاطفات تشرح الصدر، وتستنزل البدر، وتوضح ما للملك من جلالة وقدر، فتلقى الكل هذا الكلام، باذان القبول والاكرام، واتفقوا على التاهب والمسير، والاحتفال بالكبير والصغير، واخذوا في تعبية التقادم والخدم، وفرضوا ذلك على ما لكل من ظوايف وحشم، وتصدعوا عن هذا المرسوم، على ان يجتمعوا في يوم معلوم، ثم اعد كل عتاده، واكمل خدمته وزاده، واجتمعوا لذلك اليوم الموعود، وتوجهوا الى الخدمة في الطالع المسعود، ولما دخلوا الدرب، وضربوا في الارض ايمن ضرب، توجهت الحمامة المبشرة، بهذه البشارة والطلاقة، فانتشر هذا الخبر، وملا البدو والحضر، فلما وصل الطاير، دقّت البشاير، وسرّت الاهل والعشاير، ثم ان الملك دعا الوزير، وقال اعلم ايها الناصح الخبير، والبحر النحرير، ان الوحوش واصلة الى منزلك، وحفها وحافرها نازلة في ساحلك، وان راية سلطاننا بعون الله بالنصر نشرت، ووحوش الجنود والعساكر بحمد الله تعالى على بساط بسيط الطاعة حشرت، وفي هذه الجيوش، اصناف الوحوش، وظوايف السباع، وانواع الذياب والضباع، وفيهم الفراعل والثعالب، والعسابر والارانب، ولا شك ان هيبة الملك صادعة، وحرمة السلطنة باسنة قارعة، وحضرة السلطان ذات جلال، وان كانت جامعة لصفتي الجمال والكمال، وما عند كل احد مسكة لملاقاة، ولا ثبت جنان عند المشاهدة الملك اذا راه، فمن لم يكن بيننا وبينه اجتماع، فقد وقرت حبنا في قلبه على السماع، ومن تصديقنا له في ميادين الصيد، وافلت بعد معاناة الكد والكيد، بدرايته على العيان، ولا يحتاج في معرفة قوة سلطنتنا الى ترجمان، وعلى كل تقدير، فشاهدتنا على

غالبهم امرٌ عسير، لانه ربما يتذكر منهم متذكر، او يتفكر منهم متفكر، وافعةً سبقت، او سابقةً وقعت، اتجرح فيها من نصل انيابنا مفاصل عراقيبه، او تعلق بها من اشعاره واوباره مشاطة جلابيبه، ومن لم ينجه منا ضُبّاحه، ولم يكن سلاحه من كلاليب مخالبنا الا سُلاحه، فبمجرد ما يقع نظره علينا، او تمثّل بالوقوف لدينا، يرجف فواده، وينفض من عيبه كرشه وزاده، فينكمن من الخوف على عقبيه، ولا يعرف امره من حواليه، فيتبعونه ويحصل الفشل، ويقع الخباط والخلل، فيبهم ما اوضحناه، ويفسد اضعاف ما اصلحناه، وينهدم من اول الامر الى اخره ما بنيناه، وتتعوج من مستقيم السلطنة ما سوبناه، فلا يحصل من عزة المملكة، الا على مثل ما حصل لابى حصين من شبح الدبكة، فقال الوزير ينعم مولانا الاجل، بتقرير هذا المثل، قال الملك سمعت مخبرا انه كان فى بعض القرى للرييس ديك، حسن الخلق وديك، مرت به التجارب، وقرا تواريخ المشارق والمغارب، ومضى عليه من العمر سنون، واطلع من حوادث الزمان على فنون، وقاسى حلوه ومره، وعالى حره وقره، وقطع للثعالب شباك مصايد، وخلص لابن اوى من ورطات مكايد، ورای من الزمان وبنيه نوايب وشدايد، وحفظ وقايع لبنات آوى وثعالب، وطالع من كتب حيلها طلايع كنايب، واحكم من طرايفها عجايب وغرايب، فانفق له فى بعض الاحيان، انه وقف على بعض الجدران، فنظر فى عطفيه، وتامل فى نقش بردیه، فراى خيال تاجه العمفى، ونظر الى خده الشقيفى، ونعض براثنه المعقّص، وسراويله المنقش، والثوب الذى رقمه نقاش القدرة من المقطع المبرقش، فاعجبته نفسه، واذّن فاطربه حسّه، وتذكر ما قاله الاسعد المادح، فى المعنصر بن صمادح، وهو شعر

كأنّ انوشروان اعطاه تاجه ... وناطت عليه كف ماربة الغرلا

سبا حلة الطاووس حسن لباسه ... ولم يكفه حتى سبا المشيد البطّا

فصار يتيه ويتبختر، ويتعصف ويتخطر، فاستهواه التمشى سُوَيْعة، حتى ابعد عن الضيعة، فصعد الى جدار، وكان قد انتصف النهار، فرفع صوته بالاذان، فانسى صوته الكنانى والدقّان، فسمعه دعلب، فقال مطلب، وسارع من وكره، وحمل شبكة مكره، وتوجه اليه، فراه فسلم عليه، فلما احسّ به ابو اليقظان، طفر الى اعلى الجدران، ثم حيّاه تحيّة مشتاق، وترامى لديه ترامى العشاق، وقال انعش الله بدنك وروحك، وروى من كاسات الخيوه غبوقك وصبوحك، فلك احييت الارواح والابدان، بطيب النغم والصياح فى الاذان، فان فى زماننا لم اسمع بمثل هذا الصوت، وقاه الله نوايب الفوت ومصايب الموت، وقد جيت لاسلم عليك، واذكرك ما اسدى من النعم اليك، وابشرك ببشارة، وهى اربح تجارة، وانجح من الولاية والامارة، لم يتفق مثلها فى سالف الدهر، ولا يقع نظيرها الى اخر العصر، وهى ان السلطان، ايد الله بدولته اركان الايمان، امر منادينا فنادى بالامان والاطمئنان، واجراء مياه العدل والاحسان، من حدايق الصحبة والصداقة فى كل بستان، وان يشمل الصداقة كل حيوان، من الطير والوحش والحيتان، ولا يقتصر فيها على جنس الانسان، فيتشارك فيها الوحوش والسباع، والبهايم والصباع، والاروى والنعام، والصقر والحمام، والضب والنون، والذباب وابو قلمون، ويتعاملون بالعدل والانصاف، والاسعاف دون الاعساف، ولا

جرى بينهم الا المصادقة، وحسن المعاشرة والمرافقة، فتمحى من لوح صدورهم نقوش العداوة والمنافقة، فيطيب الفطا مع العقاب، ويبيت العصفور مع الغراب، ويرعى الذيب مع الارنب، ويتآخى الديك والثعلب، وفي الجملة لا يتعدى احد على احد، فتامن الفارة من انهره والخروف من الاسد، واذا كان الامر كذا، فقد ارتفع الشر والاذى، فلا بد ان يمتثل هذا المرسوم، ونترك ما بيننا من العداوة والخلق المذموم، ويجري بيننا بعد اليوم المصادقة، وتتفتح ابواب محبة والمرافقة، ولا ينفر احد منا من صاحبه، بل يراعي مودته ويبالغ في حفظ جانبه، وجعل الثعلب يعرر هذا المعل، والديك يتلفت الى اليمين والشمال، ويحتاط غاية الاحتياط، ولا يلتفت الى هذا التهذيان والخباط، فقال الثعلب يا اخي، ما لك عن سماع كلامي مزاخي، انا ابشرك ببشارة عظيمة، لم تتفق في الاعصر القديمة، وانما برزت بها مراسيم مولانا السلطان الجسيمة، وانك لا تلتفت الى هذا الكلام، ولا تتسرّ بهذا اللطف العام، ولا تلتفت الىّ، ولا تعوّل علىّ، وتستشرف على بعد لشيء، فهلا اخبرتني بما اضمرت ونويت، وتطلعني فيما تتطاول اليه على ما رايت، حتى اعرف في اي شيء انت، وهل ركنت الى اخباري وسكنت، فقال ارى عجاجا ثايرا، ونقعا الى العنان قايرا، وحيوانا جاريا، كانه البرق ساريا، ولا عرفت ما هو، ولكنه اجرى من آفو، فقال ابو الحصين، وقد نسي المكر والمين، بالله يا ابا نبهان، حقق لي هذا الحيوان، فقال حيوان رشيق، له اذان طوال وخصر دقيق، لا الخيل تلحقه، ولا الريح تسبقه، فرجفت قوايم الثعلب، وتلطب المهرب، فقال ابو المنذر، تابّث يا ابا الحصين واصبر، حتى احقق روبته، واتبين ماهيّته، فانه يا ابا الحصين، بسبيق طرف العين، ويكاد يا ابا النجم، يخالف النجم في الرجم، فقال اخذني فوادي، وما هذا وقت انمادي، ثم اخذ يسلح، ووفى وهو يصدح، بقوله شعر

لابس التاج العقيقي ... لا تقف لي في طريقي
ان يكن ذا الوصف حقّا ... فهو والله المسلوق

مثل الديك واذا كان، وقد قلت ان السلطان، رسم بالصلح بين ساير الحيوان، فلا باس منه عليك، وماّبث حتى جرى وصّهل بديار، وتعقد بيننا عقود المصادقة، ويصير رفيقنا ونصير رفقه، فقال ما لي بروبته حاجة، فدع عنك الخاجة واللجاجة، فقال اوما زعمت يا ابا وثاب، ان السلطان رسم للاعداء والاصحاب، ان يستحوا ثرابس الاصدقاء والاحباب، فلو خالف المرسوم هذا الكلب، لما دانه الملك الا بالذل والصلب، قال لعل هذا المشوم، لم يبلغه المرسوم، ثم ولّا هاربا، وقصد للخلاص جانبا، وانما اوردت يا نفيس، هذا المثال لتقيس، احوال من دان، لكن من هذا الحيوان، ولا تشبهها بمعنى واحده، واحسبْ حال كل واحد على حدّه، فربما يكون في هذه البهايم، من لا هو باحوال الصالح عالم، ولم تبلغه الدعوة، وانما انضاف بسبب رجوة، او آمن على سبيل النبعة والتقليد، ولم يطلع على موارد الوعد والوعيد، ولا وقف على ما وقع من الاتفاق، ولا سمعت لصادمة اللقاء وقت التلاق، فيصدر منكم حركة، تودي الى قلة بركة، وتستطرد الى نفره وجفول، فيدعمنا هدم ما اسسناه على غفول، ويقع من الفساد ما لا يمكن تلافيه، ويضيع نفوذ جواهر جهدنا وتدبرنا فيه، واذا كانت الدنيا محل العوارض، والغالب انه عند مشارفة

المقصود بحصل العارض، والعاقل لا يغفل عن هذا الخطر، فعند ذلك قال البيغاى بحذف المستدرك، وقد سمعك من ذاك شعر

اذا قربت يداك الى مرام ... وقلت تحوّلت نفسى مُناها
فلا تامن من الدهر اختلاسًا ... يحول فمكره فى ذا تناقى
كجان لم يصبه الشوك الا ... وقد وصلت يداه الى جناها

فالراى السديد، يا ابا سعيد، يقتضى، ان تمضى، الحمامة المطوقة، الى تلك الجموع المتفرقة، وتنادى، فى كل نادى، بين الحاضر والبادى، والرايح والغادى، بحقايق الامور، وتطبيب خاطر الجمهور، وما هم قادمون عليه، ومن هو الواصلون اليه، ليعلموا انهم فى صفقتهم رابحون، وانهم على هدى من ربهم وانهم مفلحون، فتوجهت الحمامة بهذه النقوش، وشهرت الندا فى نوابف الوحوش، بما هم عليه قادمون، وانهم للملك يسار خادمون، ثم تبعها الوزير، ومعه كل امير وكبير، من خواص المباشرين، والاعيان الملازمين، وكبراء الاطيار، ورؤساء الاخيار، واستقبلوا ملوك الوحوش وانهوام، ورؤساء السوايم والسوام، وقابلوا ملتقاهم بالاعزاز والاكرام، ووعدوهم بكل خير واحسان، ووصلوا بهم الى ميدان الامان، وحين حل عليهم نظر السلطان، قبلوا الارض، ووقفوا فى مقام العرض، وادّوا من واجب العبودية النفل والفرض، فانزل كلًا فى مقامه، بعد ان احله فى محل اكرامه، وافاض عليه خلع احسانه وانعامه، وعلت منزلة الوزير، وتقدم كما تقدم واشير، وصفا لهم الزمان، وعاش فى ظل عدلهم كل ضعيف من الحيوان، وتعلموا فى رياض الامانى على بساط الامان، وفايدة هذه الحكايات، تنبيه اشرف جنس المخلوقات، والطف طايفة المكوّنات، وهو نوع الانسان، الذى اختصه الله تعالى بانواع الاحسان، وايده بالعقل، وامدّه بالنقل، على انه اذا كان هذا الفعل الجليل، يصدر فى التخييل والتمثيل، من اخس الحيوانات، وما لا يعقل من الموجودات، فلأن يصدر من اولى التمييز، واولى الفضل والمكارم والعلا اولى واحرى، لا سيما من رفع الله فى الدنيا مقداره، واعلى على قمم الكواكب منارة، وحكّمه فى عبيده المستضعفين، واسترعاه على رعية سامعين مطيعين، وسلطه على دمايهم واموالهم، وبسط يده ولسانه فى رقابهم ونكالهم، والاصل فى هذا كله، قول من عم عبيده بفضله، وبعوله اهتدى العالمون، وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون، اخر الباب السادس والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين امين

الباب السابع

فى ذكر الفضل بين ابى الابطال الربيال وابى دغفل سلطان الافيال

قال الشيخ ابو المحاسن، من ليس له فى الفضل مساو ولا مواس، فلما انهى الحكيم حسب دعامه الاحلى من النسب، قبّل اخوه بين عينيه، وانقض خلع الانعام عليه، ثم استزاده، وفتح لجامع فضله باب الزياده، وكان قد وقع بين ملك الافيل، وبين ملك الاسود المسمى بالربيال، الملقب بابى الاشبال وابى الابطال، معمل ادى الى جدال، وانصل بحرب وقتال، فسال الملك اخاه، هل سمع من ذلك شيا ووعاه، فاجاب بالايجاب، وذكر فى الجواب الامر العجاب، فقال كان، يا ملك الزمان، فى بعض اطراف الهند، من عساكر الافيال جنود، فى جزيره، عظيمة كبيرة، لهم من جنسهم، وجلدتهم ونفسهم، ملك عظيم، ذو جسم جسيم، وشكل وسيم، منظره بديع، وهيكله رفيع، طويل الخرطوم، واسع الخلقوم، مبسوط الاذنين، حديد العينين، طويل الانياب، كانه طود فى جراب، كثيف فى المرآى، خفيف فى الموطا، عدد حبشه غزير، ومدد جنده كثير، وهو فيهم ملك كبير، ذو قدر خطير، منفرد بالسرير، ورثه دابرًا عن كابر، وكل جيشه روساء واكابر، لاوامره طايعون، ولما يراه تابعون، فبلغه فى بعض الايام، ان فى بعض الغياض والاجام، مكانا فى غاية النزاهة، معدن الفواكه والفكاهة، ذا مياه عذبة، ومروج رشيقة، اراضيها اريضة، ورياضها طويلة عريضة، اطيارها تسكر بالحانها، واشجارها تخجل قدود الملاح باغصانها، وازهارها زهره، وانوارها نضره، ونسيم الصبا والشمال تنشر الى الافق طيب انفاسها العطره، وانه يصلح ان يكون لملك الافيال مقاما، مع ان فيه من الجبال والحصون معاقلا وعصما، غير ان فيه اسدًا هصورا، جمع فيه جندا كثيرا، ولا زال الناقل يصف وينعت، ويعجم فى حسن شمايلها ويعرب، حتى ذل بعض الندماء، الحاضرين من الكبراء، لو قصد الملك ذلك المكان، وجعله لنفسه من بعض الاسكان، وتنقل اليه فى بعض الاوقات، وساعات التفرج والمتنزهات، لاراح نفسه الخطيره، من وخم هذه الجزيره، ووجد لذة انطعام، ونشوة الشراب على الدوام، والاسد الذى فيها، وان كان مالك نواحيها، ويبيد تعرفه زمام نواصيها، وجماجم قلاعها وصياصيها، لكنه ملك عادل، وسلطان فاضل، تمنعه شهامته، وكرم نفسه وكرامته، ورياسته وزعامته، ان يعتدى الملك فى ذلك، او يتعنى سلوكها على سالك، وان شرع فى الممانعة، واخذ فى اسباب المدافعة بالمصارعة والمنازعة، فالعساكر المنصورة، واعدادهم الموفورة، فيهم بحمد الله قوة وكفاية، وثم فى بداية الحروب صداية، وفظاظة ليس لشرحها غاية، ولا لفروع اصولها نهاية، يحيّون فى مباحيها النفوس، ويعيدون فى مدارس الحرب بتكرار الضرب فنى الشجاعة بعد الدروس، فيكفون الملك

امره، ويكفّون اذاه وشره، ولا زال يصل منه في الغارب والذروة، ويقفى بتمويهات دونى حرص وشهوة، حتى افتنصته اشراك المطامع، واوقعته في عبودية شهوة تلك المواقع، ودعته النفس الابية، وحميّة الجاهلية وباعث العصبية، الى الاستيلاء على تلك الاماكن المهيبة، والولايات السنية، والمساكن الرهيبة، واسامة سوارح الملحات في مراعي تلك الغاشات، ومروج اراضي هانيك الرياض، وازعج في ذلك المقتضى، واسلمه العدل والحلم الرضى، بغلب عليه سبى الطباع، واستولت عليه فوارغ الاطماع، وعشقها على السماع، وكان عنده اخوان، كما له عضدان، هما وزراه، وفي مهامّه مشيراه، مسعداه في الامور، ومنجداه في احوال السرور والشرور، احدهما واسطة خير، قليل الشر عديم الضير، قد جرب الزمان وعاناه، وقلب نوائب وضعه بالمعابسة ما قاساه، اسمه مقبل، وهو كاسمه مقبل، والاخر بالعكس، في جميع حركاته وكس، وهو كاسمه مُدبر، بكل شي مخبر، قصده غبار فتن يثيره، وعسكر بلاء بغيره، وطالب اذى وعناء يعبره، او سر يذيعه، او مكر يشيعه، او متسوّق شرّ يبيعه، وهما ملازمان للخدمة، واعوان في مقام الخشمة والخرمة، كالفضول والرذول، والباطل واللغو، والكذب والصدق، وفي الافساد والاصلاح، كالرشوة والاباحة، ومصالح الدارهم مفسد الراح، ومرشد العقل ومضل الاقداح، وفي الوفاق والشقاق، والتسلم والنزاع، وفي نعم والعصاء، كالداء والدواء، وفيما يقع من الحوادث، المفرحات والكوارث، كالخير والضرر، والشوك والورد، داخلي الملك باخوته، واستشارهما فيما عوّل عليه، فقال اخوه المقبل، يا مولانا انا نفعل، لو لم تقتض بهذا المقتضى احد، من ادنى الوحوش فضلا عن الاسد، لكان قصده ترفعًا وترفعًا، والتوجه الى الاستيلاء عليه موحّشا، فكيف وذلك في ولاية مالك وهو مالك صعب، كابي حقق الصعب، ملك كبير عادل، وسلطان خطير فاضل، مطاع في حاشيته، متبوع في حاشيته، عادل في رعيته، سيرته منشورة، ومحاسنه مأثورة، وهيبته وبسالته غير منكورة، وهو جار، حسن الجوار، لم يضبط عليه، ما يقتضي انتزاع ملكه من يده، ولم يتعرض الى متعلقاتنا، ولا آذى احدًا في ولايتنا، وان مولانا السلطان، لم يصدر منه الا العدل والاحسان، الى الاباعد والاجانب فضلا عن الجيران، لا سيما الملوك والاكابر، ومن ورث الملك كابرا عن كابر، ولقد تلقفت من افواه الحكماء، وتنسقت مسامعي من جواهر العقل العلماء، بملات نصايح، هن من احسن المنايح، احديها احذر ايها الموفق، ان تقع في دم بغير حق، فانها ايسان ذا النقمة، واموال الناس بغير طريق، فانها ايان يا ذا النعيم النكد، وهدم البيوت العتيدة، واعلم ان الله تعالى عم رزقه، وخص كل موجود بما يستحقه، وقد ادم الاسد في ملك الاماني، وان كان متحركا فهو فيها ساكن، ولو لم يستاصل، لما اختص بتلك المناصل، وما يضر هذا اذ جعل، او من هو عن الحق ذاهل، وحاشا ان تنسب يا رئيس الاخيار، الى حسد او سوء جوار، وعظمت تلف عن ذميم الاخلاق، وكيف وقد انتشر بالفضل صيتها في الافاق، واذا كان للشخص ما ينعيه، فينبغي ان يقتصر عما يبغيه، ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وقد احسن في المعنى، من قال، شعر

يا احمد اقنع بالذي أوتيته ... ان كنت لا ترضى لنفسك دنيا

واعلم بان الله جل جلاله ... لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

فالتفت الملك الى المدبر، واشار اليه كالمستخبر، ما ذا تشير، ايها الاخ والوزير، فقال جميع ما قرره مولانا الوزير حق، وجملة ما ذكره وحرره صدق، نصايح ترشد العقول، وتزين عقود المعقول والمنقول، ولكن لا يخفى عن كريم العلوم، ان الاسد حيوان ظلوم، غالب طالب، وخلاص الرعية من شره واجب، ويلزم كل احد، ان يخلص الرعايا من ظلم الاسد، ومولانا الوزير لم يبلغه ظلمه، ولم يحط باحوال الاسد علمه، وانه من اظلم البرية، لمن تحت يده من الرعية، وانه يجب على مولانا السلطان، خلاص الرعية منه على اى وجه كان، وايضا فان انعامات مولانا المبارة، على كل احد من الخلق دارة، والخرج والكلف، والكرم الذى بانامله ايتلف، كل يوم فى ازدياد، والعساكر المنصورة كل وقت تزداد، واذا لم تتسع الولايات، وتكثر الجهات والاقطاعات، كان الخرج اكثر من الدخل، والمصروف من الخزانة كالوابل والدخل كالنخل، واذا زاد المصروف على الواصل، عجز الواصل وفرع الحاصل، ودل ذلك على ركاكة الهمة، وقصور النهمة، والملك فيجب عليه، والمندوب فى شرع همته اليه، ان يكون كل وقت جديد، فى فتح سعيد، وترق مزيد، وتوسعة الممالك، وتنزيه بساط السلطنة عن المنازع والمشارك، والاستكثار من الجند والرعية، واستجلاب خواطرهم الابية، بالجوايز السنية، والانعامات السمية، ولا يجوز فى ملة الاسلام، ان يتعدد الخليفة الامام، وله در القايل، العلى الشمايل، شعر

اذا ما لم تكن ملكًا مطاعًا ... فكن عبدًا لمالكه مطيعا

فان لم تملك الدنيا جميعا ... كما تهواه فاتركها جميعا

وناهيك، يا مالك الممالك والمماليك، فى علو الهمة، وصدق العزمة، وغوص الافكار، فى استخلاص ممالك الاقطار، قصية فحل الرجال، تيمورلنك الاعرج الدجال، مع نايبه الله داد، احد القواد، ونواب البلاد، فسال ابو مزاحم، اخاه عديم المراحم، عن تلك القصية، وايضاحها عن حاليه، فقال ان تيمور راس الفسّاق، الاعرج الذى اقام الفتنة على ساق، لما حلّ بالممالك اسرومية، فى شهور سنة خمس وثمانمائة، واسر مالكها، واستخلص ممالكها، استمر فى ممالك العرب يصول، وفى فكره استخلاص ولايات الشرق يجول، وكان اقصى ما انتهت اليه فى الشرق مملكته، وامتدت سهام احكامه فيه اقصيته، بلدًا يسمى اشباره، قد اعدّه لشياطين النهب والغارة، وبنى به قاعده ونقل اليه من ذوى المنعة، جندًا منتخبا من كل بقعة، وهو فى بحر ممالك المغل والتتار، وبعد الفاصل بين مملكه وولايات عباد الشمس والنار، وامر على اوليك الاجناد، شخصا يدعى الله داد، وهو من خواص امرائه، ورؤساء جنده وزعمايه، فمن جملة ما امره به ذلك المشوم، وهو محمد ببلاد الروم، انه ابرز اليه مراسله، فيها امور مجملة ومفصلة، امره بامتثالها، وارسال الجواب ببيان كيفية حالها، منها انه يبين له اوضاع تلك الممالك، ويوضح كيفية الطرق بها والمسالك، ويذكر له مدنها وقراها، ووهدها وذراها، وقلاعها وصياصيها، وادانيها واقاصيها، ومفاوزها واوعارها، وبحارها وانهارها، واعلامها ومنارها، ومياهها وانهارها، وقبايلها وشعابها، ومضايق دروبها، ورحابها ومعالمها ومحالها، ومراحلها ومنازلها، وخالبها واثاثها، بحيث يسلك فى ذلك السبيل الاطناب الممل، ويتجنب ماجد الايجاز حضوضا المخل، ويذكر مسافة ما بين المنزلتين، وكيفية المسير بين

كل مرحلتين، من حيث ينتهي اليه ظاعنه، ويصل اليه علمه ودرايته، من جهة الشرق وذلك خط وتلك الثغور، والى حيث ينتهي اليه من جهة سمرقند علم تيمور، وليعلم ان مقام البلاغة في معاني هذا الجواب، هو ان يعرف فيه ما استطاع من حشو واطناب، وتطويل واسهاب، وليسلك في بيانه الطريق الاوضح من الدلالة، وليعدل عن الطريق الخفي في هذه الرسالة، الى ان يفوق في وصف الاطلال وتعريف الرسوم، وحدود الدمن مصنعة الشبيه المبصوم، فامتثل الله داد ذلك المثال، وصور له ذلك على احسن هيئة وآنق تمثال، وهو انه استدعى بعده اطباق، من نفي الاوراق، واحكمها بالالصاق، وجعلها مربعة الاشكال، ووضع عليها ذلك المثال، وصور جميع تلك الاماكن، وما فيها من متحرك وساكن، فاوضح فيها كل امور، حسبما رسم به تيمور، شرقا وغربا، بعدا وقربا، يمينا وشمالا، مهادا وجبالا، طولا وعرضا، سماء وارضا، مرداء وشجرا، غبراء وخضرا، منهلا منهلا، ومنزلا منزلا، وذكر اسم كل مكان ورسمه، وعين طريقه ووسمه، بحيث بين فصله وعيبه، وابرز الى عالم الشهادة غيبه، حتى كانه شاهده، وطلبه وراده، وجهز ذلك اليه، حسبما اقترحه عليه، كل ذلك وتيمور، في بلاد الروم يمور، وبينهما مسيرة سبعة شهور، وكذلك فعل، ذلك البطل، وهو بالبلاد الشامية، سنة ثلاث وثمانماية، مع العاصي ولي الدين، عمدة المورخين، ابي عذرة عبد الرحمن بن خلدون، اغرقه الله في فلك رحمه المشحون، وقد سأله عن احوال بلاد الغرب، وما جرى فيها من صلح وحرب، ووقع من خير وشر، ونفع وضر، ثم اقترح عليه، وتقدم بالامر اليه، بوضع اوضاعها، ورسم مدنها وقلاعها، وخطيطها ولاباتها، واسكانها وهيئاتها، فامتثل ذلك وابداه، وعلى حسب ما اختاره واقترحه انهاه، وبين ذلك منالها ذكر اعلاه، فشاهد اوضاعها، وخبر وهادها وبقاعها، كان الخايل رفع من البين، وعاين عين ذلك الاقليم بالعين، فانظر الى هذا الاغتمي، وهو سطيح نصف آدمي، وهمته اللاعبة كالبرق، تضرب تارة في الغرب واخرى في الشرق، وانما اوردت هذه القصة، ليقف سامعها على مقدار الهمة العلية، فلا يرضى الملك الهمام بالمنزلة الدنية، ولا يقنع بالدرجة الوطية، بل يجتهد في تكثير الجند والرعية، وفتح الاقليم العربية والعجمية، ولا يقتصر على الحالة السوية، وانما يلازم طلب الارتفاء بكرة وعشية، ويكون سعيه كالمشمر لطلب المزيد، وكما يستديم طلب الزيادة من مولاه يستديم زيادة العبيد، ولا فينسب الى صغور الهمة، وافلاس الذمة ونقصان الحرمة، وبطلان الحشمة، واعظم بها من وصمة، وبالعجز والمقصر، يصنع جعران الملك الخطير، وتجد الرعية للطعن مقالا، وفي ميدان الاعراض عن الملك مجالا، وهذا خلاف موضوع الامامة، وعكس ما تقتضيه الرياسة والزعامة، فان موضوع السلطنة، ان ينعاطى الملك منها امكنه، من اسباب الفتح والفتوح، وما يستميل به من الرعية القلب والروح، وذلك بالاحسان والاكرام، والبذل والانعام، فيه تقوى رغبتها، وتزداد محبتها، فاذا لم يكن ذلك، فلا المملوك عن المالك، واسمع قول الاديب، ذي الراي المصيب، وهو شعر

اذا اعملت امر العبد يوما ... وقصرت العليق عن الحمار

توقف في المسير ابو زياد ... وقام العبد يجري للفرار

وميل والدر بقطعه جفاء الحالب وقل اشرف جنس الانسان، على البهمة من الانسان، فراي

السديد عندي، والذي بلغ اليه جهدي، انفاذ هذه العزيمة، وسلوك طريقها القويمة، وابرامها من محسن القول، الى ظواهر العمل والاعتماد على ما قيل شعر

فلا تثن عزمك خوف القتال ... بسمر دقاق وبيض حداد
عسى ان تنال الغنا او تموت ... فعذرك في ذاك للناس ماد
فان لم تنل مطلبا رمته ... فليس عليك سوى الاجتهاد

فعلى الملك على المقبل، وكل توجه بطلبتك علي واقبل، شعر

ولا تبق مجهودا برايك انه ... سديد ومن يقف السديد سديد

فان القلب قد مال الى العزم، والاخذ في التوجه بالحزم، وترجح جانب الوثوب، الى جهة هذا المطلوب، فامعن النظر، واجل قداح الفكر، ولا تخف رايا يسنح، في اي جهة ترجح، فقال افعل، بشرط ان يقبل، اعلم زادك الله علما، وفضلك كرما وحلما، ان الذي راه العلماء، واشار به ذو الحنكة من الحكماء، ان من تلبب وشمر خبره، وتدثر درسه في مصره غيره، لا يمتع من تلك الفايدة، ولا تتم معه تلك العايدة، وهذا على تقدير حصولها، والاستيلاء على فروعها واصولها، وان لم تظفر بها، فلا تستفد النفس غير كربها، مع زيادة الحسرة، وسوء الصيت في الشهرة، ووفور الندم، وبلة الغدر، وكل من اراد تمشية هواه، ولم يلتفت الى ما سواه، ورأى نفسه احق من غيره، فلا يطمع ابدا في خيره، ولا يكاد يسلم من الانكاد، ولا يصفو له زمان، ولا تدوم له اخلاء واخوان، ولا تزال ديم الهموم، من غمام الغموم، تهمي على حدائق امانيه، وتسقي مزارع احواله، الى ان تنحظل حلات نيته، وتنبس حقول ثوبته، وتحصده حرات الفناء، وتدرسه درآس الرداء، وبذرى حبات وجوده الديان في الهواء، وينزل عن بيدر الثناء، الى ظاحون البلاء، فهناك يجدح سويق افعاله ما يزبغه، ثم يسوه وينجرعه ولا يكاد يسيغه، ويصير به ما في البطون، وتقل له ذوقوا ما كنتم تكسبون، هذا واذا كان الدخل لا يفي بالخرج، وخيف من ذلك وقوع عرج ومرج، فبحسن التدبير، يتصرف الملك لخبره، وبكفاية الوزير، ونفوذ المشير، يجل الخطير، ويحتقر الوزر اليسير، كما قيل شعر

قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

وبالحلم الحسن وحسن السياسة، تملك رقاب اولي الرياسة، فضلا عن العوام، وهذا بحسب المرام، ولا يتعذر ان تجرد المال، هو شبكة صيد الرجال، فان حفظ الممالك، هو وراء ذلك، وقد قال رسول مخلافكم، لم لم تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم، وشيء يحتاج في تحصيله، والاستماع الى وصوله، الى بذل الاموال وارواح، وكد نفوس واشباح، واتعاب خيل ورجال، وارتكاب شدائد واهوال، وبعد تحميد ذلك في تحافيفه، وحراسته وملاحظته، الى تحمل هموم وغمومه، وكوارثه وذاهبه، واخر الامر لا بد من البيد، ولا يبقى الا الكد والكد، فنزول في الدنيا الا ... من معاني الدهور، وتجرع الحتوف والغصص والغير، ونوبي في الاغتراب الهوان، لجدير بان لا تلتفت اليه، ولا تعرج عليه، ولا تصغ له بل، ويستغني عنه وان احتيج اليه بدر الامكان، ولا تعمل الذي يلبس ... فايدة ... ويتصور ذلك بعين الفاسد، ونشره

الكاسد، كمثل كسرى لما مات ولده، وتقلقت عليه كبده، وحصل له عليه الاضطراب، ورده عن عتابه البهلول الى الصواب، فسال ابو الحجاج، اخاه الخاجاج، عن بيان هذا الامر، وكيفية انشاء هذا الخبر، قال المقبل، ذكر محدّث معدّل، ان كسرى كان له ولد، سكن منه سويداء الخلد، يخجل البدر ليلة تمامه، ويستميل الغصن حلة قيامه، وكان بحبه حبًا جاوز النهاية، وتعدى الحدّ والغاية، وكان لشدة شغفه، استبعد حلول تلفه، بل احال وفاته، واذهله عن درك الحق وفاته، فادركه الاجل المحتوم، واستولى عداه المعاوم، فاضطرب كسرى لموته واضطرم، واصطدم بصخور فراقه واصطلم، ولم يقرّ له قرار، ولا طاوعه اصطبار، فوعظه العلماء فما افاد، ونبّهه الحكماء بضرب الامثال فاعياهم المراد، وكان فى بلده رجل بهلول يتردد اليه، ويدخل فى اكثر اوقاته عليه، فيلاطفه فى محاورته، ويبتهج بكلماته فى مخاطبته، فدخل عليه البهلول، وهو كئيب ملول، لا تسر حاله صديقا، ولا يهتدى الى السكون طريقا، فساله عن حاله، وما اوجب توزّع باله، وتغيّر اقواله، فقال يا بهلول عدمتُ ولدى، وقرة عينى وراحة روحى وجسدى، شعر

لا صبر يُجدى على فراقه ولا مُعين على احتراقه

وقلتُ اواه من فرقة الاحباب آوَاهُ لقد كوى من حشا دابى سويداهُ

قال البهلول، نعوذ بالله من ساعات الذهول، يا ملك الانام، ان عيسى عليه السلام، شكا اليه بعض جواريه، شيأ يشابه ما انت فيه، فقال عليه السلام، كن لريك كالف الحمام، يذحون فراخه، ولا يفارق مناخه، ولا يذعر عنهم، ولا يشكو منهم، ثم ان البهلول قال، وانا لى اليك سوال، فاجبنى بجواب شاف، فانك ذو الطاف، فلا يكن فيه جزاف، عند سل، فكلامك لا يُمَل، قال اكنت ترجو ان ولدك لا يموت ابدا، وانه يصير فى الدنيا مخلدا، فقال لا ولكن اردت ان يبقى مدة، ويتمتع بشبابه وينعيمها عنده، ويلبس بطيب المآكل والمشارب، ويقضى من اوطار الشباب المآرب، ويؤنّس انتلاده وصحبه، ثم يقضى بعد ذلك نحبه، قال فهب انه عاش مهما رمت، وقام وقعد فى الدنيا كما قعدت وقمت، وعاش العيش الطيب، وهنى عليه من سماء ملاذها الوابل الصيّب، وحفّل له من العيش الهنى، والعمر السنى، امثال الجبال، واعداد الرمال، فعند مفارقته العيش، وحلول الفة والطيش، هل يدفع عنه ذلك شيأ، او يدفع عنه بوسا وضرا، او يجلب له منفعة، او يذهب من ذلك شى معه، او يفيده ادنى فائده، او يعود عليه منه عايده، دل لا دل فلا تاس على معاش، يكون عقبى امره الى لاش، وعمرٌ ذاك مصيره، سواء طويله وقصيره، وكثير تنعمه ويسيره، شعر

واذا كان منتهى العمر موتًا فسواء طويله والقصير

فعش ما شيئت فى الدنيا وادرك بها ما شيئت من طيبات وصوت

فحبل العمر موصولٌ بقطع وخيط العيش معقودٌ بموت

فهب انه عاش، وذهب الملاك وجاس، وعلا فى ارض التنعم وغلا وجاس، هل ذلك فى المقدار، على حسب ما تختار، وانه جاءه القضا، وقد قضى وطره ومضى، ثم شجى نحبه وقضى، فجبر بهذا الكلام كسرا، وسرّى عنه همه واسرى، وقال الان سكنت، فنعم النصائح انت، وانما

اوردت هذا التنبيه، ايها الملك النبيه، لاعرض على الخواطر السعيدة، والآراء السديدة الرشيدة، ان الاقتصار عن هذا اولى، والاليق بالركون تحت ارادة المولى، دل المدبر، المقتن المغبّر، ثلاثة اشياء ينبغي لطالبها، ان لا يفتكر في عواقبها، الاول الاسفار في البحار، والغوص فيها الى القرار، فان طالب الجواهر النفيسة، ومن قصد ان يكون في صدر التجارة رئيسة، لا يخشى من الغرق، ولا عنده من ذلك فرق، فهذا تعبّى بصانع المال، وذاك يغطس الى قعر الاوحال، وكل منهما لا يفتكر في العاقبة والمآل، الثاني المقدم على الحرب، والرشق والطعن والضرب، ومصارعة الابطال، ومباشرة اسباب القتال، ولا يفرعج لصوت، ولا يعتكر في الهزيمة والجراح والموت، والثالث طالب الرياسة، والملك ذي السياسة، لا يفتكر في الاقتحام، ولا يتوانى في الاقدام، ولا يتامل في العواقب، ولا يتلفت الى المناقب، ويلقي نفسه في الاخطار، ويضرب الى اعماق الافكار، ويجعل حلّ همه بلوغ الاوطار، وقيل

بقدر الكدّ تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلي

وقيل

اذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ... ونكّب عن ذكر العواقب جانبا

قال المقبل الحكيم، وتحسبونه هيّنا وهو عند الله عظيم، اولوا الالباب المميزون بين الخطاء والصواب، الناظرون من مبتداء الامور في اعقابها، المستبصرون قبل وقوعها في مآتيها ومآبها، الآنون بيوت النوائب والنوازل من انوابها، قالوا اذا تحصّن ابو الحصين، واقفل عليه من ورآء جدار بابين، ثم حاصره اسد من خارج، ساوت قوة الخارج قوة الوالج، ولا شك ان حركة العساكر، وقطع الفيافي والدساكر، والتوجه الى قتال من هو ساكن في سربه، محتاط في اقليمه ودربه، متحصن في قلاعه، متدرق بحصيفة امتناعه، يحتاج في الاموال الى اخراج، وفي الرجال الى ازعاج، وتحمّل اخطار، وتجشّم اسفار، واخذ ضعفا تحت اقدام، وهدم دور وقطع ارحام، ومع هذا كله حصول المقصود موهوم، والظفر به غير معلوم، فان حصل فقد مَنّ ان لا نبات ولا تمتّع، وان احتجب فهو ورآء ستر التمنّع، فكم من دماء حينيذ تراق وقد كانت مصونة، واموال تهدر وقد كانت مضمونة، واعراض تهتك وقد كانت محرمة، وانفس تذل وقد كانت عزيزة مكرّمة، والحق في هذا متضح، ومن نجا برأسه فقد ربح، وقد قدمت هذا التقرير، وهندست هذا التقدير، لان العاقل الماهر في التجارة، كما يحسب حساب الربح يحسب الخسارة، وكل هذا في العاجلة، فضلا عن المحذورات الاجلة، من غضب الله وعقابه، وتوبيخه واليم عذابه، واذا خرج الامر عن البدء، ودخل على القلب الاشتغال بالنكد، وذهب المال والمنال، ونقصت الاهبة والرجال، وتناقص العدد والعُدَد، وتناكص المَدَد والمُدَد، ذي حرمة تبقى للملك عند الرعايا، وقد قلّت عنهم منه الارفاد والعطايا، وكيف يستقر ملكه، او يدور على فلك النبات فلكه، فلا تخافه الرعية ولا يرجونه، ولا يسمعون كلامه ولا يطيعونه، ويصير كالسحاب الخلّب، لو يوفق منه بوعده ولا يحصل منه مطلب، ان تكلم عابوا كلامه، وان حكم نقضوا احكامه، وان حلم قالوا عاجز، وان تقدم في الحرب قالوا مجنون مبارز، واما الغني ذو المال، فهو على عكس هذه الاحوال، فان راوا منه فضلا، كان لكل مكرمة اهلا، فرفعوه الى العيوق، وكان المعظم المرموق، ان اعطى قليلا استصغروا حاتمًا عنده، واطنبوا بلسان الثناء في

شكرهم رفده، وان بخل قالوا مدبر لا يسمع مادحه، وان كذب صدّقوا قوله وفعله، في الجملة حركات الغنى مستصوبة، وبلدته مترشفة مسعدته، وقد قيل

ان حديث الموسر في المجلس ... قصير لم يحمك اللهُ
او عطس المعسر في مجمع ... سبّوا وقالوا فيه ما ساء
فمحترط الموسر عرنينه ... ومعطس المعلس مفساه

ولقد تلفتُّ من ذي الحجارب، وتحفظت في الدهر ابي العجايب، ان العفر شبب الفتيان، وسقم مهج الابدان، ومبعّد الاقارب، ومباعلهم اجانب، ومدلع الارحام، ومانع السلام، ومبغض الاحباب، ومفرق الاتراب، ومنسق شمل الاصحاب، وفي الجملة فالذي يجب على ولي الامر، التامل في قعاري هذا الامر، والتفكر في عاقبة هذه الحرفة، وما يجدث فيها من شوم وبركة، وان يجيل قداح التدبر، والتبصّر والتعبّر، ويثبت في صدر هذا الورد المشيب، وما فيه من مجال او ضيق، ولا يعتمد فيه على القوة والحول، واسباب الطول والطّول، وكثرة الشوكة والعُدد، وامداد العدد والمدد، مع عدم الاكتراث بالاخطار، وقلة المبالاة بكل امر عرغام، فان الاسد سلطان السباع، وملك عظيم كثير الجند والاتباع، شجاعته مشهورة، وشهامته مذكورة، به يضرب المثل، ويُشبّه كل بَطَل، ونحن وان كان لنا عساكر كالجبال، تهدم الحصون وتدك الطلال، لكن ما جربنا مصارعة الاسود، ولا مارسنا مقارعة النمور والفهود، ولا نعرف شربوق بلادهم، ولا شريعة جدالهم وحلادهم، وان لهم في الحروب اساليب، وفي اقتراس الفرايس انيابا وحنانيب، فاخشى ان لا تتم هذه الامور، وتقصر حبالنا عن مصادمة ما لهم من قصور، فيرجع وبال هذه الامور علينا، اذ ابتداؤه اولا منسوب الينا، ولا تحصل الا على الندامة، والتوبيخ والملامة، وبخاطبنا الجد الوبيل، بما قيل، شعر

تبغي بانعاس دور الناس مجتهدا ... دارًا ستنقض يومًا بعد ادم

وقال المدبر ولا شك ان جوهر هذا المقام، وعمود هذا الكلام، صادر عن فكر بعيد، ورای سديد وامر رشيد، وتامّل في العواقب مفيد، اصله الحمد، وفرعه السعد، وزهره المعرفة وثمره العدلة، ولكن من حين استولى على الملك كسرَوَيْه، ومرث على سرير التحكم اجمع الولاية ابلغ مرث، وسن قواعد السياسة، واسس بنيان الرياسة، وذلك زمان الابتداء، واول ما ملك على الدنيا، والى هذا اليوم، لم يزل القوم، من الملوك في رومه، وشاب الزيادة والنقصان، ولا عتب في ذلك ولا لوم، وكل لي اي ملك مالك، تحكم في الممالك، وسلك فيها المسالك، ولم يعتمد فيها الولايات الشاسعة، ولا الاقاليم الواسعة، ولم يشاهد التزفع على الاقران، وعلو المكان بعدر الامكان، والملك عقيم، والعاجز سقيم، وكيف يتصور ايها الملك الاكبر، ان تكون همة الملك، ادنى من همة تاجر في البحر ينهمك، فان الناجر اذا افتكر في لذة الفايدة، وما يعود عليه من العايدة، وغرته كما يقال التسع اوابق الرايدة، يجمع جمع ماله، وما تحمل اليه يده من خدمه ورجاله، في الفلك المشحون، ولا يرهب ريب المنون، ويركب هو ابضا فيه، ولا يلتفت الى عجايب دواعيه، ولا يفتكر في الغرق، ولا في حبس السفينة ولو اخرق، ويسلم قياده الى متعرف الهوى، ونفسه وماله الى حاكم الماء، ودونك يا ذا الحشمة، والوافر الحرمة، ما ذكه العاشق، العالي الهمة شعر

ان تهوّ بدراً فليكن ابن الخليفة ذى السرير
او ابن سلطان الورى او ذى الوزارة او امير
وتجنّب الاوغاد والـ ـغوغا وذا القدر الحقير
ان الخطير هو الذى قد قام بالامر الخطير

واما قولكم عساكرنا اغمار، لا دربة لهم بتلك الديار، ولا معرفة لهم بمصادمة الاسود، ومقاومة تلك الجنود، فاعلم ايها الوزير، الفاضل الكبير، ان الاسد ملك كاسر، وعلى سفك الدماء جاسر، وان فى رعيته من اذاه، وانكاه فى ذويه وابناه، وكسره جبرا، واسترعاه قسرا، واستولى عليه قهرا، فهو منتظر بنفس الزمان، مترقب انقلاب الحدثان، متوقع ايبا الفضيل، معنى ما قيل شعر

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرىء نصيب ولا حظّ تمنّى زوالها

فاذا سمع باحد، خرج على الاسد، ولو كان، اقل الاعوان، فضلا عن ملك الاقيال، بل قيل الاقيال، الفاضل فى ذاته، الكامل فى صفاته، العادل فى رعيته، البارّ باهل ولايته، المحسن الى اهل مملكته، المشفق الحليم، الرؤوف الرحيم، فبالضرورة يبادر الى الملاقاه، ويسارع الى ما كان يتمناه، ويغتنم عبودية الملك ويعدها غاية مرتجاه، فيدل على عورات العدوّ وسلطان عشراته، ويرشد الى طرايق ذكاياته ونكباته، وينادى فى النادى، نلت مرادى، على رغم الاعادى، ويعلن بانشادى، للحاضر والبادى شعر

اذا كان للانسان فى دولة امرىء نصيبٌ واحسانٌ تمنى دوامها

وايضا فى ذلك الاقليم، من هو متشبث بامر جسيم، وهو ما له من مال واولاد، واقطاعات وعقار وبلاد، وسوادم ومواش، وانقال وحواش، فلا يمكنه التحول عن طريقنا، ولا التحمّل لرعودنا وبروقنا، ولا قوة المقاومة، ولا طاقه المصادمة، فبالضرورة يصانع عن تعلقاته بالطاعة، ويتشبث بذيل سنّتنا مع الجماعة، فنستمد باراه ورواياه، ونستفيد فيما نحن بصدده دراية لدرايه، فقال الملك للمقبل ما الجواب، عن هذا الخطاب، فقال هذا المقال، وان كان لا يخلو عن الاحتمال، ووقوعه غير محال، لكن الاقرب الى الاذعان ان هذا لا يقع، لانه امر مبتدع، ولان طبايعنا مختلفة لطبايعهم، واوضاعنا غير اوضاعهم، وذلك ان كلاب الحارة، فى النهب والغارة، يمزّق بعضهم بعضا، ويناحرون فيما بينهم حرصا وبغضا، حتى اذا دخل بينهم ذيب، او حيوان غريب، توجهوا اليه، وانقضوا عليه، فمزّقوا اديمه، وهتكوا حريمه، وجعلوا لحمه لجماعتهم ولمتهم، وعند الاسد من الوحوش انواع، ما بين سباع وضباع، ونمور وذياب، وببور ودباب، وفهود وكلاب، كلهم على طباعه، متفقون على اتباعه، وان اختلفت عليهم النيات، لكن الكل كلاب اولاد كلاب، وكل من هولاء، على ما هم عليه متفقوا الاهواء، لا على خصمه، فى مجادلته وخصمه، دربة فى المساورة، ووثبة فى المغاورة، وانواع فى الكر والفر، وروغات فى التدبير والشر، ومداخل ومخارج، ومدارك ومعارج، وليس فى عساكرنا سوى الصدمات، والحتم بقوة النهضات والعزمات، فان افاد هذا الاصطدام، ولا فما ثمّ الا الانهزام، فلما بلغ المقبل فى الكلام، الى هذا المقام، وكان رسخ، فى قلب الملك من كلام المدبر الوسخ،

فما اقر نصح المقبل، وما افاد، لان النفس بطبعها مايلة الى الفساد، فشرع الملك واعتمد، على التوجه الى بلاد الاسد، وامر روساء قبايل الهنود، بجمع العساكر والجنود، واشيع ذلك فى اطراف المالك، فاطلع على هذه الاحوال، غراب يكنى ابا المرقال، كان له وطن وولد، وسكن فى ممالك الاسد، لكنه قدم جزيرة الاغبال للتنزه، على سبيل التفرج والتفكه، فشرع يتامل فى هذه الامور، ويستنتج من قضاياها ما يتولد من سرور وشرور، فانتهى سامع اخباره، فى ميدان مضماره، الى ان هذه القضايا، تسفر عن بلايا ورزايا، وارافة دماء وخراب اماكن وهلاك رعايا، سواء نمت للافيال، او رجعت عاقبتهم بالوبال، فخاف على سكنه، ودمار اهله ووطنه، فادى فكره الاسدّ، ان يطّلع على ذلك الاسد، ليتداركه بحسن ارادة، ويعترف للغراب بحسن وداده، فيكّر بكوره، وقصد دوره، فوصل فى اغرب زمان، ونادى الريبال ابا الزعفران، وقال الله الله انا النذير الغربان، واطلع الاسد على هذا النقد، وقرر معه حقيقة الاحوال، وما عزم عليه ملك الافيال، فتشورت لذلك الخواطر، وتصدعت لخوفه الاكابر والاصاغر، ثم امر السباع، وطوايف الوحوش بالاجتماع، مع روساء مملكته، واساطين خاصته ورعيته، وذكر لهم هذا الامر المهول، وما عزم عليه ملك الفيول، واذن لكل واحد منهم فى ذلك ما يقول، فوقع الاتفاق، من اوليك الرفاق، ان يتفوض اعيان، كل جنس من الحيوان، على رييس من جنسهم، يقيمونه مقام نفسهم، يرضون باوواله، ويقتفون اثار افعاله، وليكن من اهل الكفاية، والاصالة والدراية، والشفقة العامة، والمعرفة التامة، يعقد معهم للموامرة، مجلس راى ومشاوره، فيما وقع عليه الاتفاق، واجمع عليه الرفاق، واستصوبه الاسد وارتضاه، اتبعوه وعملوا بمقتضاه، فتقدمت طايفة الاساد، الى تاج منها نقّاد، سبع يسود، على طوايف الاسود، طالما افترس الاقران، وانغمس فى دماء الشجعان، واضاف جوارح الصيد، فضلات ما افترسه من عمرو وزيد، كاسر جاسر، باسل باسر، حاسر قاسر، ظاهره ابى، وباطنه بالمكر غبى،

اسدٌ يسود على الاسود زئيره ... رعدٌ وعيناه بروق تخطف

فقدموه واختاروه، واشتاروا ارى راءه وامتاروه، واختارت النمور نمرًا بمور، سريع الوثبة، بديع الضربة، لطيف الحركات، خفيف النهضات، قوى الشماس، خفى الاختلاس، كثيرا ما كسر اسامه، وسامى اسود خفان فاسر ضرغامه، شعر

نمرٌ تخاف الاسد من وثباته ... وتحار فى حركاته ونباته

وقدمت الثعالب ذعابا لطيف الروغان، ظريف الزوغان، خفى الحيل، قوى المحل، طالما قرمس ذابل واحال، على الصيادين من اهوال، واحرق السلوقيات سُلاحه، ونفذ فى غلب الاسود بمكر سلاحه،

يضلّ بنى سلوق من دهاه ... فيخلص من مخالبها سليما

واعتمد الذئاب، فى هذا الباب، على ذيب، فعاله عجيب، وامره غريب، سديد الختل والخبر، شديد المر والكسر، ظالما افسد ثاله، ودخل فى قطيع ماشية فقطعه كله، يحتز الاسود، والنمور والفهود، شيمته الغدر والخدعة، ودابه المكر وسوء الطبيعة شعر

وقد جمع الضدين نومًا ويقظةً ... يخف الرزايا فهو يقظان نايم

فاختلى بهم ابو الاشبال، وشاورهم فيما دهمه من الاهوال، وتوجه بالخطاب الى الاسد، وقال ما رايك في هذا النكد، فهل لا تطاب النصر، في هذا الحصر، الا من مالك العصر، ومصرف احوال الدهر، بين الفرج والعصر، وهو الله سبحانه وتعالى، وعز شانه وجل جلاله، فانا مظلومون، وهم ظالمون، ونحن ما اعتدينا عليهم، ولا تقدمنا بالظلم اليهم، فسيرد الله كيدهم في نحرهم، وسيحيق بهم عاقبة مكرهم، وهذا امر مقرر، وانه هو القدر، واما ما يتعلق بنا وبهم، من الفرار والصلح او حربهم، فاذكره على التفصيل، واخبر في ذلك الراي الجميل، اما الفرار فلا سبيل اليه، ولا معول ابدا عليه، وانى ذلك وهو عيب ما وصمت به الاسود، ولا لهم به وصف معهود، وبنا يضرب المثل في الشجاعة والبسالة، ونشبه بنا الابطال في الاقدام لا محالة، وكيف نترك بلادنا، واهلنا واولادنا، من اول وهلة، ونعزم على الرحلة، ولا صادمناهم، ولا واقعناهم، ولو فعلنا ذلك فهربنا، وتركنا مالنا وذخيرنا، لفسدت امورنا، وخربت ممالكنا ودورنا، ولانقرط نظامنا، وتعوّج قوامنا، واستمرت هذه الملامة، الى يوم القيامة، ولدام علينا هذا العار، ولا يقر لنا بعد ذلك قرار، واعلم ايها الملك، نور الله وجه السرير بك، ان العمر الهنى، ما مرّ في العيش الهنى، وقد قيل شعر

ما العمر ما نال به الحبور العمر ما طاب به السرور

والعمر الذي يمرّ في نكد، لا يحتسبه من ذوي الكفاءة احد، وحسبك ما ذكره المترجم، من حكاية الملك المعزول مع المنجم، فسال ابو الاشبال، سرد هذا المثل، فقال الاسد ذكر الفايل، ان اهل بابل، كانت عادتهم في دينهم، وسلوك طريقهم مع سلاطينهم، انهم اذا اعتنوا بشخص ملكوه، واتبعوا طريق امره وسلكوه، وبذلوا في طاعته ما ملكوه، فاذا ارادوا عزله تركوه، ونشزوا عنه وفركوه، واهملوا احسانه وفذلكوه، وسكنوا غيره في سرير الملك وحركوه، فاتفق انهم ولوا واحدا وعزلوه، ونصروه ثم خذلوه، واقبلوا عليه اولا ثم قتلوه، وكانت مدة ما بين ذلك يسيرة، وعمر ايامه في ولايته قصيرة، فحصل له اولا السرور، ثم تراكمت عليه بالعزل الشرور، فاحتوشته الفكر، وبات يصارع القضاء والقدر، ثم قال لو راقبت في اول الجلوس، ما في الطالع من سعود ونحوس، ثم اخترت لساعة ارتقائي، وعنا يطول فيه بقائي، وذلك بكون نجمي في برج ثبت، لما انقلبت، كواذب سعدي عن الاستقامة ولا ثبت، ولكن حيث فات ذلك في الابتداء، فاندراكه في الانتهاء، فلعل ذلك يفيد، ويردني الى سرير السرور وبعيد، ثم طلب منجما حاذقا، ماهرا في صنعته فايقا، وقال انظر في طالع جدي، وتامل برج نحسي وسعدي، واختر لي ساعة يصلح فيها النزول عن السرير، ويكون العود الى السرير بواسطة الناظر اليها غير عسير، فان الناظر الى الطالع، هو الجالب والمانع، فامتثل المنجم ما رسم، وشرع في وضع الاشكال والقسم، ثم قال احسن ما نظر في الطالع المسعود، من حين الميلاد فانه اول الوجود، فاذا اخذ الطالع من ساعة الميلاد، ترتب عليه ما يصدر على ذلك المولود من السعد والاسعاد، ومن الخوف والرجا في عالم الكون والفساد، فهل اطلع الملك في اي ساعة وحد، وكم اتى عليه من حين ولد، قال نعم اعرف مدة عمري جزما، وهي اثنان وعشرون يوما، فتعجب المنجم من مقاله، ولم يقف على حقيقة حاله، فقال

ليوضح الملك ما اشار، لاقف على حقيقة هذه الاسرار، فقال مده استبطأني على السرير، هو هذا القدر اليسير، وانا لا احسب العمر، ولا اعتد بوصال بيض وسمره الا هذه الايام والليالي، ولا احسب سواها عدوا ولو بمع بالالي، وقد قلت شعر

وعمرٌ مضى بالهجر لست اعده ولكنني اقسمه في زمن الوصل

وانما عرضت يا بطل، على رايك السعيد هذا المثل، لتعلم ان ايام الخفض لا تعد عمرا، ولو قضى الانسان فيها زمانا طويلا ودهرا، واما الصلح يا ذا الرئاسة، فعلى اي وجه يكون، ومن اين يقع بيننا وبينهم اتفاق وسكون، وليسوا من جلدتنا، ولا على ملتنا، وفي اي عصر واوان، ذل الاسد واستكان، وخضع للفيل وداز، او اعطى الضيغم النبّاح، والضرغام الضعف النبّاح، لغيره الجرية والخراج، وهو في الحقيقة سلطان الوحوش وقطب التاج، فلم يبق الا الاستعداد للمصادمة، والتاهب للمقاتحمة والمقاومة، ولنا من ذلك في البين، احدى الحسنيين، اما الظفر بهم وهو المرام، واما الشهادة فنموت وتحن كرام، وقد قال السيد السديد، من قتل دون ماله فهو شهيد، وقيل يا حاتم طئي، حسن الثناء على الميت خير من سوء الثناء على الحي، والموت في مقام العزة، مع المناضلة والهزة، ارفع من الحياة بذلة ووخزة، وكسرة وخزة، وقد كنت انشدت، وقديما انشدت، شعر

هو الموت ان لم تلقه ضاحكًا تمت عبوسًا بوجه اغبر اللون اغبرا
ومن لم يمت في ملتقى الجيل مقبلًا عريانًا بمت تحت السنابك مدبرا

فاقبل الربيال، على ابي مرسال، وقال ايها النمر، وصاحب الخلق الزمر، ما ذا تشير في هذا المهم، والمشكل الذي دهم، فقال ان الافيال اكبر جسوما، واعظم حاوما، واقوى في الضرب، واعدى في الحرب، وقد استعدوا واقبلوا، وانفذوا امورهم واعملوا، وانا اخشى، ان يكونوا اقوى بطشا، وان نعجز عن المقاومة، في المصادمة، فان فينا العاجز والضعيف، والذميم الجمة والقبيح، ومن لا عرف الافيال، ولا راى تلك الاشكال، فينفر من مصادمة الجبال، فيقلقوننا تحت اخفافهم، وتتكسر شوكتنا في اول مصافهم، فلم يبق الا الفرار، ولا بقر لنا بعد ذلك قرار، فيستولون عنوة وقسرا على هذه الديار، وينفرط النظام، ونرضى عند ذلك بالسلامة والسلام، ونقع في البلاء العريض الطويل، وانظر يا مولاي الى ما قيل شعر

هل للحرائر من صون اذا وصلت ايدي الرعاء الى الخلخال والخدم

فعندي الراي ذو الاصالة، ان ينتخب الملك من يصلح للرسالة، ويحسن السفارة، ويحسّن العبارة، فيسكن من فورة شغبهم، وثورة لهبهم، وسورة غضبهم، وبعدهم وتمنّعهم، ويحسن التقريب وتعصّبهم، وفي ضمن هذه الاوقات، واثناء هذه الحالات، يراقب اوضاعهم، ويخبر جمعهم واجماعهم، ويتوصل الى اسرارهم، ويواصلنا باخبارهم، ويطالعنا بما خامر افكارهم، ويكتب ما قدموا وآثارهم، ونستمر على المراسلة، والمقاولة والمطاولة، فان تيسّر رجوعهم، وانكشف بالهوينا جموعهم، والا فنكون قد استعددنا عن الاستبصار، فنتعاطى امور قتالهم بعد التامل والاختبار، وان امكننا ان نادبهم بالليل، ونحل بهم الدواهي والويل، بعد ان يركنوا الى جانبنا، ويامنوا من نوادب مصايبنا، فربما نصل الى بعض القصد، او بواغي بعض

حركاتنا السعد، فالتفت الدوكس، الى العملس، وقال اى سيد، وذا الامر الرشيد، ما ذا ترى، فيما نرى، وكيف طريق العوم فيما جرى، قال السمسار، يا مولانا الضرغام، الذى سمعته من اولى التجارب، وتلقفته من الاصحاب والاجانب، انه من التوفيق، اذا ابتلى الشخص بعداوة من لا بد منه، ان يدافعه بالهدايا والتحف، ويحابيه بشى من الظرايف والتحف، فانه قيل فى الامثال، ان خير الاموال، ما ادخر لدفع البوس، ووقيت نفايسه النفوس، فاعب النهاب، بابى وذهاب، يا ابا الحسنين، ما رايك فى انبين، واى اراء الاصحاب، اقرب الى الصواب، فتقدم الثعابان، وتكلم فقال، وقل اسعد الله الاحد، مولانا الاسد، وجعل رايه الاسدّ، وقعه على اعدايه الاشدّ، اعلم ايها الذابهات، ان امورنا لا خلو عن احدى ثلاث اما المقابلة بالمقاتلة، واما المهادنة والمصالحة، وقد تقرر، فيما تقدم وتحرر، بيان كل منهما، وما يصدر فيهما وعنهما، واما الفرار، وتوثبة الادبار، وترك الاوطان والديار، ففى ذلك من عار، وسبة وشنار، فما بقى الا الخيانة الناعمة، وهى بعساكرهم عاينة، ولقلوبهم كامنة، وهى طريقة الاحتيال، والتوصل الى القتايل بطرايق المكر فى جب الوبال، فان صايب الافكار، يعمل مالا يعمله الصارم البتار، فيتنهاد الجياد، تتعاد كل قتيلة، وتتهون كل جايلة، وانا افتل ما اجملت، وابين ما فتلت، اما المقابلة، والاخذ فى اسباب المقاتلة، فلا طاقة لنا به، ولا باب لدخول بابه، لاننا عاجزون عن المصادمة، قاصرون عن المقاومة، محتاجون الى الطعام والشراب، وبعض عساكرنا لا يعيشون الا باللحم والكباب، وجيشهم الذى قد ملا، وسد الوهد والفلا، يمنعون بالحشيش والكلا، فلا يتكلفون لحمل زاد، ولا يحتاجون الى عدد وعتاد، وايضا احوال عساكرنا المفرقة المصومة، لاختلاف اجناسها وانواعها غير معلومة، فلا اعتماد عليهم، ولا يتحقق الركون اليهم، وانهم اجناس مختلفة، وطوايف غير موتلفة، وبينهم معاداة، وفى جبلتهم النفرة والمناقاة، وبعضهم غدّار بعض، وفى قلبه منه عداوة وبغض، لو ظفر به كسره واكله، وان استنصر به خذله، فهم كالقفل المجمّع، ولون اتفاقهم ملمّع، واما عساكر الافيال، فبينهم اتفاق على كل حال، لانهم جنس واحد، وما بينهم مخالف ولا مناكد، ولهم اعتماد على قوتهم، وعلى اتفاقهم وشوكتهم، والمعتمد على مثل عساكرنا، ان لم يحتط بطريقة كلية امر عشايرنا، يفرط امره، ويخمد فى ايقاده نار الحرب حمره، ويعلوه من بحر النوايب غمره، ويظفر به من اعدايه زبده وعمره، ويصيبه من الجيفة، ما اصاب الصياد من القنفذ، فسال ابو الحارث، عن بيان هذا الحادث، فال الثعلب ذكر ان رجلا ذا كيد، كان مغرما بالصيد، وكان عنده قط صياد، يجترى على النمس والقياد، فدن يوما بين يديه، فمر عصفور عليه، فظفر كالفهود، وحتفل من الهواة العصفور، فاعجب به صاحبه، فر قصد الصيد وهو مصاحبه، وحمله تحت ابطه، وباغ فى حفظه وضبطه، وركب جواده، وتوجه بزعم اصطياده، فمر فى سفح جبل، فخرج من وراء صخرة ثعلبة من الجبل، فتوجه اليه، والقى الغط عليه، فثار الظفر وخلف الغط، وقصد رجوعه الى تحت الابط، فظفر الى جهة الجواد، واشتغل بما هو بصدده من الصيد، فجعلت النوس من القنفذ، وخبطت بفارسها الارض شر خبطة، ازهقت فيها نفسه، وانتاب جسده، وانما اوردت هذا المثل، ليحترز ايها البطل، فى هذا الامر من وقوع الخلل، وفتور فى امر هؤلاء الجماعة، وتيب دولتهم فى دعوات اسمع والطاعة، فانهم لا يصلحون

القتال، خصوصا مصادمة عساكر الافيال، فالملك لا يعتمد على مثل هذا العسكر اللهم الا ان يتقرر، امرهم على صدق اللقاء ويتحرر، واما ما ذكره مولانا ابو سهيل، فى تبييت عساكر الافيال بالليل، فنور راى معتبر، ولكن فيه نظر، لان ذلك انما يكون، اذا كان العدو فى سكون، وعن توقع النكبات فى ركون، فبيناهم فى غفلتهم ذاهلون، جاءتهم باسنا بيانا او هم قايلون، واما اذا كانوا مستعدين، يقظين مجدين، وقد توجهوا للقتال، وانتصبوا للمناضلة على هذه الحال، فلا شك انهم اتقنوا امرهم، واخذوا اسلحتهم وحذرهم، فاعدوا لكل نايبة نابا، ولكل بابقة بابا، ولكل حرب حرابا، ولكل ضرب ضرابا، ولكل شدّة شدّة، ولكل عُدّة عُدّة، ولكل جزة جمزة، ولكل وثبة فزة، ولكل نفرة نُفرة، ولكل فرة كرة، ولكل ازمة حزمة، ولكل كسرة جزمة، فربما يكون افنكروا منا هذه المكيدة، واعدّوا فى مقابلتها داهية نصبوا لها مصيدة، فنتوجه اليها غافلين، فننشب فى شركها داخلين، فيصيبنا من النكال، ما اصاب الجمل من الجمال، فقال الربيال ضات، يا ابا النزهات، اخبرنا يا ابا نوفل، اخبار الجمل المغفل، قل كان جمّال، فقير ذو عيال، له جمل يتعيش عليه، ويتقوّت هو وعياله بما يصل منه اليه، وراى صلاحه، فى نقل ملح من الملاحة، فجدّ فى تنقيل الاثقال، وملازمته بانقال الانقال، الى ان آل حال الجمل الى الهزال، وزال نشاطه وحال، والجمال لا يرحم له بحال، ويجد فى كده بالاشتغال، ففى بعض الايام، ارساه مع السوايم واسامر، فتوجه الى امرعى، وهو ساقط القوة عن المسعى، وكان له ارنب صديق، فتوجه اليه فى ذلك المضيق، وسلم عليه، وبثّ عظيم اشتياقه اليه، فلما راى الخروف هزاله، تألم له وساله احواله، فاخبره بحاله، وما يقاسيه من عذابه ونكاله، وان الملح قد فدّحه، وجبّ سنامه وجرحه، وانه قد اعيته الحيلة، واضلّ السبيل الى الخلاص سبيله، فتالم الارنب وتامل، وتفكر فى كيفية عصر هذا الدمل، ثم قال يا ابا ايوب، لقد فزت بالمطلوب، وقد ظهر وجه الخلاص، من شرك هذا الاغتماص، والنجاة من الارتهاص والارتماص، تحت حمل كالرصاص، فهل بعترفك يا ذا الرباعة، فى طريق الملاحة مخاضة، فعل كثير، وكم من نهر وغدير، فقال اذا مررت فى خوض، ولو انه روض او حوض، فابرك فيه وتمرّغ، وتنصل من حملك وتفرغ، واستمر فيه يا ابا ايوب، فان الملح فى الماء يذوب، وكرر هذه الحركة، فانك ترى فيها البركة، فاما انهم يغيرون حملك بانهم خففوه، او تستريح بذوبه من الذى اتعبوه، فتحمل الجمل للارنب المنة، وشغف بدرّ هذه الفايدة اذنه، فلما حمّله صاحبه الحمل المعهود، ودخل به فى طريقه المورود، ووصل الى المخاضة برك، فضربوه فما قام ولا احترك، وتحمّل ضربه وعسفه، حتى اذاب من الحمل نصفه، ثم نهض انتهاضه، وخرج من المخاضة، ولازم هذه العادة، الى ان افقر صاحبه وابادة، فادرك الجمال هذه الحيلة، فافتكر له فى داهية وبيلة، وعمد الى عير منهوش، وغيّر فى مقامرته شكل النهوش، واوسق للجمل منه حملا، بالغ فيه تعبية ونقلا، وسلّط عليه انثما، ثم دخل به الى الماء، فلما توسط الماء برك، وتغافل عنه صاحبه وترك، فشرب الصوف من الماء ما يملا البرك، ثم اراد النهوض، فناء به الربوض، ففاسى من المشاق، ما لا يطاق، ورجع هذا الفكر الوبيل، على الجمل المسكين باضعاف التثقيل، فساء مصيره، وكان فى تدبيره تدميره، وما استفاد الا زيادة التعب، وامثال ما كان يجده من النعب والوصب، واذا اوردت هذا

المثل، عن الجمل، ليعلم الملك والحضار، ان العدو الغدار، والحسود المكار، يفتكر في انواع الدواهي، ويفرع انواع البلايا والرزايا كما ترى، ويبذل في ذلك جده وجهده، ولا يقصّر فيما تصل اليه من ذلك يده، فنارة تدرك مكايده، وتعرف مصايده، وتارة يغفل عن دواهيها، فلا يشعر للخصم الا قد تورط فيها، وعلى كل حال، لا بد للشخص له وعليه من الاحتيال، واما طلب الصنايع وارسال الهدايا، فمن اعظم المصايب واكبر الرزايا، فان ذلك يدل على عجزنا والخور، وينادي على هواننا في البدو والحضر، ويجري علينا الغريب، ويذهب حرمتنا عند القريب، ودونك يا ابا العباس، ما انشدتك في المعنى، شعر

وما انا من فرّ من نار خصمه لظل حسود او الى فيء شامت

ولكن الراي الانور، ايها الورد الغضنفر، ان ترسل اليهم رسولا، عاقلا فصيحا جميلا، بصيرا بعواقب الامور، قد عارك تقلبات الدهور، وعد رتى وتربّى، وعن الرذايل تابى، وبانواع الفضايل تحبى، واحرم انى كعبة محاسن الشيم ولبّى، ولو لا ان باب النبوة استدّ لنبيّ، برسالة فحلة، تسعر عن بسالة جرثة، تتضمن سوالهم، عما اوجب ارتحالهم، وسبب قصدهم بقعتنا، وتوجههم لدخول رقعتنا، وما موجب هذا الاعتداء، ولم يصدر منا لهم الا المحبة والولاء، وحسن الجوار، والاحسان الى الكبار والصغار، ومعاملة القريب والغريب، بالفضل المجيب، والكرم الذي لا يخيب، ويذكر لهم بسالتنا وشجاعتنا، وفي معاملات المضاربة بضاعتنا، ويكشف لهم في ملابسة الحرب والضرب صناعتنا، ويجفق عندهم ما عندنا من اسود الحرب، وفوارس الطعن والضرب، واجناس الوحوش الكواسر، والسباع الجواسر، واصناف الفراعل والعسابر، ويتكلم بكلام، يراه مقتضى المقام، ومناسبا للحال، ويوسع في ذلك المجال، ويميز اوضاعهم وعساكرهم، ويسبر بمسبار العقل امورهم واوامرهم، ويسمع الجواب، وما فيه من خطاء وصواب، ويورده الينا، ويعرضه علينا، فنعمل بمقتضاه، وبنظر الراي السديد فيه مرتضاه، ونبني على ذلك الاساس، ونفصّل على ذلك القياس، فاستصوبوا هذا الراي، وطلبوا له كفوا من الاكفاء، فوجدوا ذبيا هو من خواص الحضرة، ومن ذوي النباهة والشهرة، له في ميدان الفضايل كرّ وفرّ، وفي مضمار النفع والضر خير وشر، قد جرّب في المصايد، وتدرّب في المكايد، وهذب في المصادر والموارد، ورتب في المشارف والمطارد، ادنى فضايله حسن السفارة، واحدى خواصه ترتيب العبارة، حلال المشكلات، كشاف المعضلات، فوقع عليه اختيارهم، ورضي به كبارهم وصغارهم، فحمله الاسد كلاما، وجعل البسملة مبداه والحسبلة ختامه، ومن مضمونها بعد ابلاغ التحية، والاثنية السنية، الى الحضرة العلية، ملك الاقيال، الى مزاحم المعضال، الهمه الله هداه، وصرف عنه رداه، وعلمه مواقع الامر ومداه، ولا شتّت به اعداه، وحفظه بالعشي والغداة، وجعل عقباه، خيرا من مبتداه، تحيط علومه الكريمة، واراؤه العالية الجسيمة، ان قوتنا من قديم الزمان ظاهرة، وهيبتنا باهرة وصولتنا قاهرة، لم نزل نفترس الفوارس، ونكرم اصناف الاضياف من الوحش والطير بالفرايس، ونضرب بنا في الشجاعة والكرم الامثال، ويفر من يمين ايدينا اسود الابطال، ولا عار على من فر من يمين يدي الرييال، وقد افضل بنا ان ملك الاقيال توجه الينا بجنوده، وهيّا في ذلك اجناس

عساكره وبنوده، وما علمنا لذلك موجبا، ولا تقدمنا بعداوة تمشي حَرْبًا وحَرْبٌ، بل ولا تعرضنا لاحد في مُلكه ومَلكه، وعدلنا بحمد الله تعالى جارٍ في بحار الملك وفلكه، والرعايا شكره منا، ولم ينشر سببي الذكر الجميل عنا، فانعموا برد الجواب، ومبزوا الخطاء من الصواب، قبل ان يكشر الشر نابه، ويفتح جرابه، ويحرش للهرير كلابه، ويسابق ليله اهابه، ويكسر رائد الفتنة بابه، فتتفاقم الامور، وتتعاظم الشرور، وتتلاطم بحارها وتمور، عند انتهاب شواظ الغيظ من الاسود والنمور، مع ان اعتمادنا على الله العظيم، وتوكلنا على العزيز الرحيم، فلما بلغ الذيب الرسالة، وادى ما فيها من شجاعة وبسالة، وبيّن للملك الافيال، ما تضمّنته من عظمة وجلال، استشاط ملك الافيال، وتغيّرت لاضطرابه الاحوال، ونظر من تلك الفيول، الى فيل ظلوم جهول، وبدر اليه من غير تدبر، ولا تامل في الامور وتفكر، وقال اذهب الى هذا المعتمد على كلامه، الواقد في غفلة منامه، وقل له متى مارست معركة الشجعان، او صارعت رجال الميدان، وانّى لك طاقة بمصادمة الجبال، ومن اين تعرف مقاومة الافيال، فاستيقظ لنفسك، فعن قريب تحل برمسك، واستعد لجنود لا قبل لك بها، فستشاهد ما لم تسمعه من ضربها في حربها، فلقد اتاك عسكر القضاء وبنوده، وليحطمنكم سليمان الافيال وجنوده، فليريقن الدماء، وليستاسرن الحرائر كالاماء، وليدوسن الاطفال، ولتزين منه الانكاد والانكال، وليظهرن انار الدمار والبوار، بما لك من ممالك ومساكن وديار، وليفعلن بولاياتك ما فعله بممالك الاسلام التتار، وانت بين امرين، وتخير النظرين، اما ان تطيع لامرنا وتنقاد، وتسلم الينا ما بيدك من بلاد، واما ان تختار طرق الفراق والفرار، وتنجو منا منجا الذباب، وتتنحى عن طريقنا بما معك من كلاب وذياب، وقد بالغنا في النصيحة، بعباراتنا الصحيحة، وافوالنا الفصيحة، فوصل الفيل الرسول، وادّى هذا المقول، فتشور الاسد، وداخله الغيظ والنكد، فاراد الايقاع بالرسول، الظلوم الجهول، ثم تمالك، وعن ذلك تماسك، وقال لو لا ان عادة الملوك، وادّب السياسة المسلوك، ان لا تهاج الرسل، ولا يضيّق عليهم السُبل، لقابلتك على كلامك القبيح، بما يجب من العقاب والتوبيخ، ثم التفت الى الثعلب وقال يا ابا الحصين، ما عندك في جواب هذين النحسين، قال الثعلب انت الاغلب، هذا القيل، اقوى دليل، واوضح سبيل، على عدم عقل الفيل، وان فكره وبيل، وبصيرته قد عميت، وطرق هدايته قد خفيت، وانه غوى، واضل قومه وما هدى، وكل من اعتمد على قواه وحوله، واستحلى غرور فعاله وقوله، فقد زل وزل، وفي عقد البلاء حال وحلّ، وهذا الجاهل السخيف، الكذيب الكشف، الفيل الجثة الخفيف، قد استحقرنا في عينه، فسيرى منا حلول حينه، وكل من استحقر عدوه، فسيعدم حلاوة جدوه، وسيلاحظ بعين الندامة مرحوّه، وقد قالت الحكماء الاخيار، والعقلاء ذوو الاعتبار، واولوا التجارب والاستبصار، لا تستحقر السقم والكوم والدبن والعدو والنار، فالملك اعز الله نصره، واعلى مناره وقدره، وسائط على الاعداء قهره، لا يلتفت الى هذا الكلام، ولا يتزعزع لهذه الاوهام، ولا يخف من جيشه الافيال، فكل ما تم فيه باطل ومحال، بل يعتمد على الله العزيز الجبار، ويصفّي نيته بالعدل والبر مع الكبار والصغار، ويقوّي جنانه على الملاقاة، وقد وافاه النصر ووافاه، ولاغناه السعد ولداه، فان هؤلاء اعتدوا علينا وانتهكوا، فسينزل الله تعالى عليهم جنودًا لم يروها، فكم من مستعد حقير، صدر منه بالحيلة امر خطير، وحسن التدبير، ومساعدة التقدير، نصر

له امر كبير، وناهيك قصة الغارة، مع رئيس الحفارة، وما فعلته، الى ختلته التي
ان قتلته، فسأل حيدرة، عن تلك المأثرة، فقال بلغني ايها النفيس، انه كان رئيس،
ضيق العطن خسيس، له زوجة ذات صيانة، ودين وامانة، لم تزل تتجنب الخيانة، وتتعاطى العفة
والرزانة، وله دجاجة تبعث على الدوام، فيسرق بيضتها ابو راشد وهم نيام، فاذا افتقد الرئيس
بيضته، طالب بها زوجته، فتحلف انها ما رأتها، ولا تعرف يدا اخذتها، فيولها سبّا، ويوجعها
ضربا، ولا يصدّق قولها، ولا يرحم عولها، ففي بعض الاحيان، رأت المرأة الجرذان، وهو ينقر
البيضة الى جحره، وقد دلج بها باب وكره، فدعت بعلها، لتريه الغارة وفعلها، فعلم براءة ساحتها، وعمل
على راحتها، واعذر اليها، وطلب الغارة وحتوفها، واعمل المكيدة، ونصب للغارة دون البيضة
مصيدة، فلما رأت الغارة الشرك، علمت ان وراءه الدرك، فشعرت بما وقع عليه، فلم يتقدم اليه،
الى ان زار الجرذان، احد اقربه من الغيران، فلم يجد شيا يصيفه، فاعتذر الى الضيف بما هو فحيفه،
واراه من البيضة سعده، وان دونها خرط القتاد، وكان الضيف الغر، لا يعرف مرا من بر، فحمله
السفه، والحرص والشره، على ان قال، انا اخوض هذه الاهوال، وارد من الموت حوضه، واصل الى
هذه البيضة، ثم قصد المصيدة، ففبضت وربطه، وجعت به وليده ووليده، فتنكدت الغارة
وتكدرت، وانتشت احشاؤها وتسعرت، وتالمت لموت ضيفها، وبلغ جيرانها حديث حيفها، فتجلت
منهم، واختفت عنهم، وشاعت قتيتها، وذاعت بليتها، فلم تجد لبرد النار، سوى اخذ الثار،
فاخذت تفتكر في وجه الخلاص، فرأت انها لا تخلص من عتب الجيران الا بالقصاص، فشرعت في
تعاطي احد الثارة، من صاحب الدار، وكان لها صاحبة قديمة، عقرب خبيثة لئيمة، معدن
السموم في زوان ابرتها، وطعم المنايا مودع في شوكتها، فتوجهت اليها، وترامت عليها، وقالت انما
تذخر الاصحاب للشدايد، وتدفع الضر والمكايد، وانزال الدآء، بساحة الاعداء، ولاخذ الثار
والانتقام، من المعتدين اللئام، وقصت عليها القصة، وطلبت منها ازاحة هذه الغصة، وان تناخذ
لها بضرباتها القصاص، ليحتمل لها بين جيرانها من العتب الخلاص، فاجابتها الى ما سألت وافبلت،
الى وكر الغارة بما احبلت، واخذا في اعمال الحيلة، فانّت افكارها الوبيلة، الى ان تخدعا صاحب
البيت بالدهب، وتقتلاه بالنهب، ثم امهلا الى ان دخل الليل، وشرعا في ايصال الويل،
فاخرجت العقرب دينارا والقته في صحن الدار، ووضعت اخر عند جحر الغار، واظهرت نصف دينار
من ذلك الذهب، وسترت النصف الاخر عند العقرب، واستترت العقرب بجناح السكون، تحت ذيل
الظلمة، وقد غيبت في زبانها ربيب المنون، فلما اصبح الصباح، ونودي بالفلاح، وجد صاحب
الدار، في وسطها الدينار، فمثل بسعد نهاره، ولم يعلم انه علامة دماره، ففتح عينيه، ونظر
حواليه، فراى عند جحر الغار اخا الدينار، ففرح وطار، ونشط واستطار، وزاد في الطلب على بقية
الدهب، فراى نصف دينار، داخل جحر الغار، قد بدا اليه، واعمى القضاء عينيه، عما قدره الله
عليه، فنهزته العقرب ضربة، قضى منها نحبه، فبرد مكانه، ولاقى هوانه، واخذت الغارة ثارها، وقضت
من عدوها اوطارها، واما اوردت هذه الاخبار، ليعلم الملك ان حيلة صايب الافكار، تفعل ما
لا تفعله العسكر الجرار، بالسيف البتار، والرمح الخطار، وبقليل الحيلة، تتم الامور الجليلة، فلا يتوهم

الملك بجنث الاقبال، وشرع فيه نحو بتمدده من دقيق الاحتيال، وانا ارجو من الله تعالى النصر بعدوه، وحصولنا على غاية مامولنا ونهاية مرجوّنا، فاول ما نعاملهم بالبؤس وانهار الصولة، والتخويف والارعاب بقوة الدولة، فان القوة فعل، والعامل المدبر يحتال، وطابعة القبول، عديمة العقول، وبالبؤس يبلغ الشخص مراده، كما بلغ الحمار من الاسد ما اراده، فسأل ملك الاسد، ببيان حكاية ابي زيد، فقال ابو الحسين، اخبرني ابو الحسن، ذو المفاخر ناصر، انه كان في بعض الاعصار والمعاصر، حمار في مدار، يستعملونه بالليل والنهار، الى ان حصل له الكبر، ورمى بالعبر، وابتلى بلننا بالجوع وناهزا بالدبر، وعجز عن العمل، وانقطع منه الامل، فتركه اصحابه واعتقوه، وفي بعض المراعي اطلقوه، فصار يمرح، وفي تلك المروج يسرح، الى ان خرج الى الصحرا، وانفرد في رياض الفلا، فوصل الى بعض الاجام، وحصل له المشاطل المرام، الى ان صحّ بدنه وسمن، وبرا دبره وامن، واخذه البطر، واستولى عليه الاشر، واستخفه الطيش، وطيب العيش، وصار في ملك المراعي، يتردد ذئبا وبابا كالسباعي، فيسدّي ويلحم في شتاها، ويفصّل مهما اختار من مرعى خرفيها، وينهق على عادة الحمير، فيملا تلك الاماكن من النهيق والزفير، وكان في تلك الاجام اسد مخيس، يسمى الشبل ابن المتانس، كان ابوه ملك تلك الاماكن، قد نشا بها ونمو فيها ساكن، شاب غرير، لم يكن يعرف الحمير، ولا طرق سمعه شهيق ولا زفير، بل ولا خروج من تلك الاجام، ولا عرف تصرفات الايام، وكان ابوه قتل في الاصطياد، وتفرقت عنه العساكر والاجناد، فنشا وحيدا بتيها، واستمر فيها مقيما، فلما سمع صوت الحمار، اخذته الرعدة والانشعار، واستولى عليه الهلع، فقعد عن الاصطياد وانقطع، وصار كلما نهق، هرب واختفى من القرق، وغلب عليه الدهش، الى ان كاد يموت من الجوع والعطش، وصار الحمار يتردد الى عين ما، كان الاسد يسكن منها سورة الظما، فما اجترا بعد ذلك على الورود، واضرّ به الخوف والانقطاع والقعود، فلما كاد العطش ان يقتله، توجه الى العين محفوفا بالحيرة والذله، فوجد الحمار واقفا عندها، وادرك الحمار خوفه منه بالدنا، فتقدم اليه، وطوّب نحوه اذنيه، وحملق عينيه، فبدر من الاسد صرخة، اتبعها من بوله جحّة، وقال للحمار اسكن انت، ولاي شي قمنا سكنت، وجعل يرجف، وفي قيد الخوف يرسف، فعلم الحمار، ان الاسد حاره فقال بجنان جري، وبيان قوي، انا في هذا المكان، افرّق رزق الحيوان، وقد اقمت احوش، ارزاق الوحوش، ثم اقسمها بينهم، واملا جوفهم وعينهم، فقال الاسد انى جيعان، ولي مدة عطشان، فاعطني من الاكل رزقي، وافرز لي من الماء حقي، فقال بوجه مقلب، ادنُ الى الماء واشرب، قدنا وشرب، وهو خايف مضطرب، ثم قال انا جايع فاطعمني، وعجل ولا تحرمني، فلي مدة في الجوع، لا قرار لي ولا هجوع، فقال الحمار تعال معي، الى موضعي، لتعرف مكاني، وتقرّ جرايتك في ديواني، فذهبا في طريق، حتى وصلا الى نهر ماء عميق، فاراد العبور، فقال الاسد انيصور، هذا الماء عميق، وكم فيه من غريق، فاحملني في الذهاب، وانا احملك في الاياب، فاجابه الحمار وحمله، وخاض به ونقله، فنشب الاسد الاظفار، في كاهل الحمار، ونفل عليه، فلم يتاثر له ولم يلتفت اليه، فزاد وهمه من الحمار، وقال هذا راس

الذعّار، ثم سار ساعة اخرى، فرايا فى طريقهما نهرا، فطلب الحمار الوثوب، وقال هذا نوبتى فى
الركوب، ثم نفر على الاسد، ونفل عليه الجسد، وتمكن عليه، وارخى يديه ورجليه، فتضور من
ثقله، وابتلى بشر عمله، ثم تورّك عليه، وانشب فى كاهله مسامير نعليه، فماج الاسد وماز،
وقد اثرت فيه حوافر الحمار، فقال له اثبت والك، فما حوّنك تحتى واحالك، فقال يا اخى،
جرتْ فى امرى، لقد اوجعتنى وقصمت ظهرى، وكان يكفينى جوعى، وقلتى وقنوعى، وما ادرى
هذا الصر والبلا، من اين اقبلا، فقل لى ما هذا الذى انشبته فى كاهلى، ونزلت به من حافرك
فى ساحلى، فقال هذه مَسامكى، تنتاب الجرايات والجوامك، وعى اربعون مسمارا، لا بد ان تثبت
كلها فى فعاك، حتى يترضع لك اسمر فى الدنوان، ولا الرزق لا يحصل بالهوينا والهوان، فقال يا
اخاه، انركنى لوجه الله، وارفق بى رفقا، وما اريد منك رزقا، ودعنى بالامانة، ووفر الجراية
على الخزانة، ولا رايتك ولا رايتنى، ولا عرفتك ولا عرفتنى، فانى انفوت من حشيش الارض
وحشاشها، واستعد لمعاد نفسى بالرفق فى معاشها، فنزل عنه الحمار، وتركه وسار، فهرب منه بعد
ما ودعه، وولى يلتفت ويمينا وشمالا تبلا بتبعه، وانما صورتُ هذا النقش، لتتعلم يا ملك الوحش،
ان الوهم يتصدر كالسميع، وهو عند براهمة الهند، وحكماء السند، احد طرق
العلم، رزقك الله التى سالم السالم، والوهم غالب على الاغبال، بل سهم الوهم يقتل كثيرا من
الرجال، فنرجو من الله ان يبلغنا مقصودنا، وينزل من طالع الجد والحظ مسعودنا، وان يرجع
اعدانا بالخيبة، وقراع العصبة، وهذا المثل الذى ضربته، والتقريب الذى قربته، انما هو مثل
العاجز الضعيف، مع القوى العسوف لا العسيف، واما نحن بقوة الله وحوله، ومساعدة نصره
وطوله، قوتنا وقوة ذيمة، وصدمتنا بعون الله دعايمها داعمة، لم يحصل منا خوف ولا
خور، ولا سمالك اكلة خبزنا الخلفة ضاق لجبن ولا انكسر، ففينا بحمد الله قوة لمصادمتهم،
وقدرة لمقاومتهم، فامض لامرك، فكانى بك وقد رجعت فايرا بنصرك، مجبورا بكسر عدوك مجبورا
ببسرك، ثم انه اقتضى راى ابى الضراغم، اعادة الذيب الى ابى مزاحم، برسالة مضمونها
بتركك الله بعيوب نفسك، واراك عاقبة غدك فى صبح امسك، وجعلك من اتبع الهدى، وامتنع
من موارد الردى، اعلم ان علماء الهند، وحكماء البراهمة والسند، امتازوا عن حكماء الادانم،
ووضعوا رقعة الشطرنج للتعليم، وان واضع ذلك، صور الرقعة بصورة الممالك، وقسمها بالسوية،
وجعل لكل قسم جنسا من الرعيّة، ووضع له نوعا من السير لا يتعداه، وبين للفيل منهم
مقتدرا لا يتخطاه، وانا اخاف ان تتعدى مكانا هو مقامك، وتقصد بيت انشاه وبقوت
مراكبك، ويناديك فريق العقل، وانت راحل فى النقل، يا ذا النهوس، ما ذا بيت النفوس، فنفع
وانت تتعرض فى لعبك بالنفوس مع الترخ، فلا يفيدك الندم، وقد زلت بك القدم، وخرجت فى
لعبة من رقعة الوجود الى العدم، وتنى تلافى الموافاة فات، ويقول خصمك وقد راى كلاحة
وجهك شاه مات، فلا تعتمد على حمامة جسدك، وكف عن حقدك وحسدك، ولا تقصد
حرم كعبة غيرك بالفكر الوبيل، فتصيبك مثلما اصاب اصحاب الفيل، حين ارسل الله عليهم
طيرا ابابيل، وترميهم بحجارة من سجيل، وتصير بعد وقوع الملاحم، وصدوع المقاحم،

ابو حرمن بعد ان كانت انا مراحهم، فلما رأوا الفيل هذه المطالعة، غشي حمية الجاهلية منه البصيرة والسامعة، فاراد ان يمر بالبناء الهول، تحت اخفاف الفيول، لكن راجع عقله، واحتمر وقاله، ورد الذنب بجواب مخيب، وسهم غير مصيب، وذل استعدوا للقتال، ومصادمة الابطال، ومقارعة الافيال، ثم امر بالعسكر فتجهزت، وبامور الحرب فتحجزت، ونار بغضب احمى من جمر الغضا، وسار بالعساكر الجرارة فملأ الفضا، فباغ الملك المظفر، ابا الحرث الغضنفر، ما فعله الاكلب، فاستشار الثعلب، فقال اعلم ايها الملك، ودك الله شر المنهمك، ان الافيال لا يعرفون الا المصادمة، والاندفاع مرة واحدة في المخاطمة، وليس لهم في الحرب حراب، الا الخراطيم والانياب، لا يعرفون الكر والفر، ولا يعرفون بين النصب والجر، ولكن بعض العساكر، له في ذلك معارف ومناكر، منها المواجبة، والمشافهة، والمصارعة، والمقارعة، والمدافعة، والممانعة والمخاتلة والمخادعة، والمناوشة، والمباوشة، والمعانشة، والمهارشة، والمدفخة، والملاطخة، والمطارحة والمراحة، والمراقسة والمراوسة، والمماسة والمعانسة، والوثوب والمساورة، والبوغان والمصادرة، والاحتيال والكيد، والاغتيال للصيد، والربوص في الحين، والنهوض من ذات الشمال وذات اليمين، وكل ارباب هذه الملاعب، واصحاب هذه المخارم والمذانب، في عسكرنا موجودون مجدّون، وفي ابطالنا معدودون معدّون، فلا بد من ترتيب لك في مكانه، والفاظه بين اقرانه وفرانده، وتعبيتهم، ثم تخييبتهم، وكان بالقرب من ميدان النطاح، وموضع جولان الكفاح، وهو برية فعراء، وارض غبراء، انهر مياه جارية، وعليها جسور وقناطر عالية، فاقتضى راى الاسد، والفكر الاسد، ان يخلفوا نغور المياه على البرية، ويتركوا فيها لعساكرهم ثغرا ودروبا مخفية، ثم انهم عبروا تلك المياه، وصفوا العساكر للملافة، فقدموا امامهم الثعالب والكلاب، وكل سريع المجى خفيف الذهاب، وصفوا وراءهم الذياب والنمور، والفهود والببور، ووقف الاسد بين الاسود، في قلب الجنود، بعد ان عبّى الاطلاب، وعرف مقام كل من الفرانبس والاجلاب، ثم ان الثعالب ونثراءها، دخلت من الافيال وراءها، وصارت تروغ بينها، وتلاعب على عينها حينها، وتتعلق باذنابها، وتتشبث بعراقيبها وكعابها، فراد حنقها، وثار قلقها، وتقدموا واصطدموا، وحطموا واضطرموا، وبنار الحرب اضطلموا، فناوشهم الببور النواسر، وهاوشهم النمور الجواسر، وصارشهم الاسود الكواسر، ثم ولوا امامهم مدبرين، وقصدوا الطرق المخفية عابرين، فتصور الافيال ان جيش الاسد فر، وجنده انحطم وانكسر، وان عسكرهم غلب وانتصر، فحطموا يدًا واحدة، بهمة متعاضدة، ونهمة متعاقدة، وصدمة متآكدة، ففي الحال ارتدموا، وفي الاوحال ارتطموا، وفتح دابر القوم الذين ظلموا، ثم كرّت عليهم الاسود، والنمور والفهود، وساير السباع، والذياب والضباع، فوقعوا في تلك القرابس، وقوع الجياع على الهرابس، وعانقوهم معانقة الاحباب للعرايس، وادلوا وادّخروا، وحمدوا الله تعالى وشكروا، ومن بعد ما ظلموا انتصروا، واظهر العدل للحق منارة، وسر قوله عليه الصلاة والسلام من آذى جارة، ورّثه الله داره، والله لا يهدي القوم الظالمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه اجمعين

الباب الثامن

في حكم الاسد الزاهد وامثال الجمل الشارد

قال الشيخ ابو المحاسن، من هو لحرعة الفضل احسن حاس، فلما وعى الملك الجليل، والفيل الفضيل، ما جرى بين الاسد والفيل، من النقل والقيل، واجرار ذلك الى الضرب الوبيل، وعلم ان عاقبة الظلم وخيمة، وخاتمة التعدي والطمع مشومة، امر روساء المملكة، وزعماء السلطنة بالكف عن الطمع، وتجنب الحيف والنهاع، ومعاملة الاهل والجار، بحسن الخلق والجوار، وانتشار ذلك بالاشهار، في الولايات والاقطار، فان العاقل من اعتبر بغيره، وكف كفه عن اذاه وضيره، ونشر مهما استطاع من موايد احسانه وخيره، وعدى عن التعدي والعدوان، لا سيما اذا كان ذا قدرة وامكان، وتحكم في الفقرآء والضعفآء وساطان، فنهض الحكيم حسيب، وقبل ارض العبودية بشفاه التاديب، وقال وبلغني ايها الملك المفضال، مما يطابق هذه الاحوال، انه كان في بعض الازمان، وانزه الاسكان، سلطان الحيوان، اسد عظيم الخلقة، جسيم الشفقة، جليل المكارم، سليل الاكارم، قد بلغ في الزهد الغاية، وفي الورع والعفة النهاية، مع حسن الاوصاف والشمايل، وكرم الاعطاف والفضايل، قد جمع بين الهيبة والشفقة، والصدق والصدقة، وسورة الملك وسيرة العدل، وسيمة الفضل وشيمة الفضل، هيبته مزوجة بالرافة، وعاطفته مدموجة في الصولة، قد عاهد الرحمن، بالكف عن اذى الحيوان، وان لا يريق دما، ولا يتناول دسما، ولا يرتكب محرما، يتقوت بنبات القفار، ويقوم الليل ويصوم النهار، يرعى في دوننه الذيب مع الغنم، وينام في كنف ضمانه وكفالة مانه الثعلب والارنب، بعد حر الحرب والحرب، في ظل الصال والسلم، كما قيل

ولي البرية عدله فتمازجت امنا دها من كثرة الايناس

يحنو على ابن الماء ام الصقر بل يحمي اخو القصباء اخت كناس

وفي جواره دوحة كثيرة الثمار، غزيرة الانهار، نضيرة الازهار، رايقة المآء والكلا، فايقة النشو والنما، شايقة النشر والنوا، رياحينها طرية، وعروجها بهية، ومقاصفها شهية، فكان الاسد ذو النزهادة، اذا طال احتهاده، واراد ان يريح نفسه من مشاق العبادة، يتوجه الى ذلك الروض الاريض، والمرج البهي الغريض، والمرعى الطويل العريض، فينتزه في نواحيه، يسرح سوايم طرفه فيه، ويشغل صادح لسانه بتسبيح خالقه ومنشيه، فبينما هو في بعض الاوقات، يتمشى في تلك الخضراوات، صادف دبّ عظيم الجسم، ملمع الوسم، ضخيل الارض بين يديه، وذكر انه امهل لينتمي اليه، وانه

قد سمع بوصاف عدله ومكارم شيمه وتحلى فقصده ليتشبث باذياله وينتظم في سلكه جعله ورحله وتزجى في خدمته باقي عمره ممتثلا بارز مرسومه ونافذ امره فتلقاه بالقبول والاقبال وسعاده بالفضل والافضال وقال له طب نفسا وقر عينا لقيت زينا ووقيت شينا فانتظم في سلك خدمه وانغمر في بحر كرمه واشترط عليه ان يحتمي عن لحوم الحيوان ولا يتعرض لابذاء طاير ولا انسان فامتثل ذلك بالسمع والطاعة وسار على سنن السنة والجماعة ثم بعد مدة يسيرة قصد الاسد مسيره وخرج يتسير على باكره وحوله طايفة من العساكر فلقي جملا ضل الطريق وتاه عن الصاحب والصديق ونسيه الجمال وتركه الرفيق فبادر اليه جماعة الاسد وهموا بتجميعه وانتهابه والبيد فانهم كانوا لشدة الغرم النهيت احشاوهم بالضرم فنداهم الاسد وبلكم كفوا وعن التعرض الى ايذايه عفوا لئلا يصيبه من الكيد ما اصاب صاحب كسرى ذي الايد من كسرى لما خرج صباحا الى الصيد فقبل الجماعة الرغام وسالوا الامام عن بيان ذلك الكلام فقال ذكر ان كسرى اراد يوما الاصطياد فركب في جماعته واهل طاعته وسار على المصباح وهو في نشاط ومراح وانبساط وانشراح فصادف رجلا كريه المنظر مشوه الخلقة اعور فدسم بطلعته وتعوذ من روبته وتطير من صباحه وتكدر صفو انشراحه ثم امر به فضرب ولو لا اداركته الشفاعة لاصاب ثم تركه وسار نحو صيد القفار فحاش الصيد وافتنصه من عسكره عمرو وزيد ورجع مسرورا فرحا مجبورا وادركه المساء فصادف ذلك الرجل ملفا بكساء وكان ذا لب اديب وعقل رجيح ولسان فصيح فابدى كسرى وادى كسرى واستوقفه بعد ما استاخره وقال ايها الملك العادل والملك الفاضل اسالك بالله الذي ملكك رقب الامم وحكمك في رقاب العرب والعجم انعم علي برد الجواب وبين لي الخطا من الصواب فانك عادل حكيم فاضل كريم فرقف بعسكره واستنفست لخبره وقال ما بدا لك فقال يا ملك ذا ابد كيف كانت احوالك اليوم في الصيد فقال على اتم ما تريد لقد حصلت السعادات والصيد فقال فهل حصل في امور السلطنة وهن او خلل او في الخزاين المعمورة نقص وفلل قال لا بل احوال السلطنة مستقيمة وديم الخزاين دارة مقيمة قال فهل ورد اليوم من الاشراف خبر يوذن بتشويش واختلاف قال لا بل الجوانب مضمونة والثغور من الاعداء والمخالف مستدمنة قال فهل اصاب احد من الخدم والاصحاب والحول والحشم مصاب قال بل كلهم خير آمن من الضرر والضير قال فلم ضربتني واهنتني وعلام كسرتني وطردتني قال لان التصبح بك مشوم وهذا امر معلوم قال سالتك بالله الذي تتقلب في مواهبه اينما كان انسام على صاحبه انا تصبحت بك وانت تصبحت بي فانت اصبت الذي ذكرت وقد علمت ما حل بي ومع هذا فانما عبت وعتبت على الصانع وذهلت عما اودعه في من اسرار وبدايع فانه لا اختيار لي فيما قطرني عليه ولا مدافعه ولا حيلة فيما قدره علي ولا ممانعه واسمع ما قلت بعد ما صلت في اعانني وجلت

لقد كان قصدي ان اسود على الورى ... بفضل وشرف كامل الخلق بارع
ووجه بفوق البدر والشمس بهجة ... تعاكسني تقديرربي وصانع

قد خطر بالبال هذا المقال فقلت

وددت لو انى احسن الخلق صورة واكمل من بدر السما وهو طالع
فيا ليتنى نفس المصور هكذا ولا صنع لى فيما بى انا صانع

فتنبه كسبى ندامه، وامر باعزازه واكرامه، وتدارك ما فرّط منه باحسانه وانعامه، وانا اورد هذا المثل، لئلا يكون هذا الجهل، مثل ذلك الرجل، لانه قد تصبّح بى، فلا يرى ابدًا ذكروها بسببى، بل يرى الخير، ويكفى اذا الغير، وكذلك من هو عندى، ومنسوب الىّ من خولى وجندى، فمن دفع ذلك البعير، وساله عن جليل امره والحقير، فاخبره انه ناء عن اصحابه، وانه من بعد ينعلون بعرز رفاقه، ويلازم خدمة بابه كاصحابه، فاكرم مثواه واحسن مبوّاه وماواه، الى ان صار من اكبر الخدم، وذا خول وحشم، وراس الندماء، ورئيس الجلساء، وامن النكد والبوس، وسمن حتى صار كالعروس، فحسده الذئب، نعدم اللئب، وعزم بمكره على اقتناله فى الجب، واشتد بذلك البرم، الى ان لحم الجل الفرم، فاخذ يضرب فى ذلك اخماسا لاسداس، واحتوحشته فى فنيته لسوء طويته اتعاوى والوسواس، فلم ير اوفق من افساد صورته، واظهار سوء سريرته، فيهلكه ويكيده، ويفتنه ويبيده، فيصل منه الى ما يريده، وينمو بمكره الحسد، وتصلح من شرهه ما فسد، ويروج منه ما كسد، ودنى فكره الى ان يغرى به الاسد، فاختاله بالجمل، وابتدى بالعمل، وقال له لى معك كلام، على كتمه منك الامر، ولكنك لست موتمنا للسر، لانك لا تعرف هرا من برّ، وانت ساذج ساكن، سليم الفكر والناظر، وقد قيل، الحماقة فى الطويل، ولو لا وفور شفقتى، وحنوّى عليك ومودتى، ما فهت لك بكلمة، وتركتك من النبه فى ظلمة، وقالت الحكماء ذوو المعارف، لا تفش سرك الى ظوائف، منها معلم العشرة، ومنها مدمن الخمرة، ومنها الكثير الكلام، ومنها المراء والغلام، فانهم ليسوا محل الاسرار، وانما يعشونها بلا اختيار، وقد قيل كم انسان، اقلقه اللسان، وكم حرف، ادّى الى حتف، قل للجمل، وقد امر فيه مكره ودخل، يا اخى انا اخفف شفقتك، وصدقك وصدقتك، واعرف محبتك، وتصحك ومودتك، وانت لا تحتاج فى تجربتى الى دليل، فلى فى صحبتك زمان كعدى طويل، وانا اعتقد قولى بالايمان، واعقد على ما تلقيه الى الجنان، ولا اتفوه به لجماد ولا حيوان، وانسان اذا لم يعرف منه ما يراد، فلا فرق بينه وبين الجماد، واذكر ما قلت لك، فى درب امن ذلك شعر

ومن كان ذا عين ولا يبصر الذى امام فهذا والضرير سواء
وذو الجهل خبرٌ من عقول علومه سراجٌ ولكن ليس فيه ضياء

ثم انشا ايمانًا غلاظا، انه ببالغ فيما يسمع منه احتفاظا، ولا يبدى منه لامًا ولا فاء ولا ياء، فلما وقف الذئب على جوابه، وربطه برمام تدبيره اختلى به، وقال تعلم ايها الصديق المبين، ان ملاذنا فى غابة العفة والدين، واعلى درجات العباد والزاهدين، قد فطم نفسه عن الطعوم، حصوصا عن اللحوم واللحوم، ولكنه فى ذلك كله غير معصوم، فانه قد تربى بلحم الحيوان، وتغذى بافتراس الاقران، وتعود رضع الدماء، وقطعت سرته على هذا الغذاء، وترهده انما هو تكلف، وتعسف وتقشف، وتعففه مكابرة، وتورعه مصابرة، ولا بد للنفس ان تعمل خاصيتها، وتجذب

بجوانبها اليها ناصيتها، وتضم الى مآزرها، وتجمع الى مركزها، وقال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، واذا كان ذلك كذلك، فاحتفظ لنفسك، واحفظ نصيحتي وامسك، وتفكر احوال غدك في امسك، فانك في صحبة الاسد على خطر عظيم، وخطب جسيم، فلا تغفل عما قلت لك، ولا تتمنّ انه لن يقتلك، فداخل الجمل من هذا الكلام الخور، ولم يبق له طاقة ولا مصطبر، ثم نبذه التوفيق، وخل في هذا الامر الجليل فكره الدقيق، واستحضر رايه في امره، واجال قداح فكره، وقال للدب المشهور، يا اخي فاي ضرورة دعت الاسد الغشوم، حتى تعفف عن اكل اللحوم، قال انا لا اشك في دينه، ولا ارتاب في حسن يقينه، ولكن ربما تعود المياه الى مجاريها، وتعطى القوس باريها، وتتحرك النفس الابية، والشهوة التي طالما انف صاحبها في دينه، لان الانسان، بل سايرالحيوان، على ما يقتضيه الكون والمكان، دايرمع اختلاف اخلاق الزمان، وان الزمان كالوعاء، والشخص فيه كالماء، فيعطيه من اخلاقه ما يقتضيه، من كدره وصفايه، ولهذا قيل لون الماء لون انيه، وقد قيل الناس بزمانهم اشبه منهم بابايهم وناهيك يا ذا المراءات، ما قيل في المعاملات، شعر

ونما تعامى الدهر وهو ابو الورى ... عن الرشد في اكحالة ومقاصده

تعاميت حتى قيل اني احو عمى ... ولا غروان يحذو الفتى حذو والده

والاسد في هذا الاوان، ماش على ما يقتضيه الزمان، وان الزمان يتحول، وسيرجع الاسد الى طباعه الاول، اما بلغك يا ذا الفطنة الخيبة، قضية الحايك مع الخيبة، قال لا ورب البرية، فاخبرني عن كيفية تلك القضية، قال الدب الاراك، ذكر ان حايكا من الحياك، كانت له زوجة تخجل شمس الضحى، صورتها مليحة، وسيرتها فيحة، فشم زوجها روايح، عاث عليه من القبايح، وخاف ان تودي الى الفضيحة، فطلب تحقيق ذلك، ليوصليها الى المهالك، فقال لها اريد ضيعة، لاجل بيعة، فاغلب اياما معدودة، لفايدة كثيرة، فاوصى بابك، واسدل حجابك، واحفظي من الشر جنابك، فقالت دمت انت رئيسة، ومثلي فعيدنه وعروسه، اني بحوم حوله فساد، فادرك سوقك قبل الكساد، وجهزته اسرع جهاز، كالمتوجه الى الحجاز، فسافر من غير مريد، ثم رجع الى البيت في خفية، واختبى حت السرير، لينظر ما يجري من الامور، فبادرت الى النار ونفخت، واسرعت الى الطعام واطبخت، وخرجت تدعو مرامها، وقد هدأت بطعامها، فخرج زوجها من المخبا، واتى على الطعام المهيا، ورجع الى مكانه ونام، بعد اكله الطعام، فجات المراة بحريفها، وقصدت الطعام لصيفها، فتعاقدت يدها والحصير، فعرفت ان البلاء تحت السرير، فاخذت تطلب المتخلص، من ذلك المتقص، وتعلم ان الملك راى منها ما ساله، ولكن نسي هيئته وحاله، فقصد من يخبره برويه ويعبرها له، فنادى في الورى، يطلب لمنامه مخبرا ومعبّرا، وبينما تلك الفاجرة، على حيلة الخلاص دايرة، وفي شر الافكار حايرة، سمعت المنادي ينادي، في كل نادي، من يدل الملك الهمام، على معبر المنام، فله مزيد الاكرام، والانعام العام، فسارعت المراة الى باب الامير، وقالت قد سقطت في يدي بعير، ان لي زوجًا حليما، بتعبير المنامات عليما، لكنه يتعزز، وعن تعبيرها يتحرز، فلا يجيبها

بالتعبير، الا بعد ضرب كثير، وانه ليس له فى ذلك نظير، فارسل وراءه، واكرم لقاءه، ثم قال له بعد احترام اوصاله، ووعده بانعام وصله، رايت منامًا اراعنى، وفى الخير والشر اتاعنى، فدع عنك الاحتشام، واخبرنى عن ذلك المنام، ثم عبّره لى، فقد اخبرت بذلك حبيب الله ونبى، فقال يا مولانا الملك، انا فى الجهل منهمك، حابك غير، ليس لى من العلم بد، وقد كذب علىّ، من نسب العلم الىّ، والعين تعرف العين، انا من ابن وتعبير الرويا من ابن، يا صدقه، ولا فى كلام استونقه، وصدق قول المرأة فيه، وامر بايصاله ما ينكيه، ثم ضلب الضرع، وشدوا منه الاذارع، وضربوه ضربا اعسفه، الى ان كاد ان يتلفه، فنادى الامان، امهلنى ثلاثة ايام من الزمان، فتركوه وامهلوه، وقيدوه واخلفوه، فصار يدور فى الحرايب، ويتضرع تضرع الطريد الناءب، ففى ثالث الايام، وقد ايقن بحلول الحمام، دخل الى مكان خراب، واخذ فى البكاء والانتحاب، فنادته حية من الشقوق، ما لك تنتحب يا ذا العقوق، فاخبرها بحاله، وما جرى عليه من نكاله، فقالت ما ذا تجعل لى من الانعام، اذا اخبرتك بما راه الملك فى المنام، ثم قصت عن تعبيره مسك الختام، قال اكون لك عبدا وصيفا، واعطيك مما اعطى نصيفا، قالت ان الملك راى فى منامه، ان الجو يمطر من غمامه، اسود وثمور، وفهود وببور، وان السمآء من ذلك تمور، وتعبير هذا المنام، والله اعلم، انه يظهر فى هذا العام، للملك اعدآء كواسر، وحسّاد جواسر، يقصدون هلكه، ويريدون ملكه، وسيطفى نار كيدهم بمياه سيوفه، وبسقيهم من رحيق فتوحه كاسات حتوفه، فحشفت غمّه، ثم اصلح لباسه وعمّته، وقصد باب الملك، ونادى غير مرتبك، وذكر المنام وعبّره، ووعد السلطان بالنصر وبشره، فتذكر المنام وحققه، واعتمد عليه وصدّقه، وامر له بالف دينار، وصدر له عند الملك بذلك اعتبار، فاخذ الذهب مجبورا، وانقلب الى اهله مسرورا، ثم افتكر ما اشترطه مع الحية، فابت عن الوفاء نفسه الشقية، وخاف ان تطالبه بحصتها، او تفضحه بقصتها، فلم ير اوفق من قتلها، وسدّ ذريعة سبلها، فاخذ عصا، ورام بذلك خلصا، ووقف فناداها، فخرجت مسرعة اليه، واجابت بالوداد عليه، فرات العصا بيمينه، فعلمت انه ناكث يمينه، فولت هاربة، فضربها ضربة خايبة، لكن جرحها، وعمد الى نفسه ففضحها، وتركها وذهب، فايزًا بالذهب، فانفق ان فى العام الثانى، راى السلطان، مناما اقلقه، وعن نومه ارّقه، ومن شدة اهواله، محاه الوهم عن لوح خياله، فدعا المعبّر المعهود اليه، وقص حاله عليه، وطلب منه صورة المنام، وما يترتب عليه من كلام، فاستمهله الايام المعدودات، وقصد رئيسة الحيات، وناداها عجلا، ووقف فى مقام الاعتذار خجلا، قالت اى غدر، كيف استحليت ما مضى من فعلك ومر، باى وجه تقابلنى وتخاطب، وقد قصدت عطبى بعد ما خلصتك من المعاطب، وقابلت احسانى بالسوء، ولكن غدرك بك يبوء، فقال عفى الله عما سلف، والصداقة بيننا من اليوم تؤتنف، ثم انشا ايمانا، انه يبدّل الاساءة احسانا، وانه لا يمين فى اليمين، بل يعود الى العهود، ومهما وقع عليه الاتفاق، لا يمازجه خلف ولا نفاق، فقالت اريد جميع الجايزة، لاكون بها فايزة، ولها حايزة، فاجاب الى ما سالت، وعاهدها على ذلك فقبلت، وذلت راى الامام فى المنام، ان السماء تمطر قرودا وفيرانا، وثعالب وجرذانا، وتعبير هذه الرويا، وكلمة الله عى العليا، انه فى هذا العام، والشهور والايام، يكثر اللصوص والعيارون،

والمشتر والسارين، ومطير في العساكر، بجلال حمود ملكي، بسلطان داعر، ولكن صونة الملك
تحجبه وتراعي سوءه لحفظ ما تسمع الى الاذان واخبره، بما راه في منامه وعبره، ففال نلحق
امرء ما هذا الذي كانت راءه نمر انو له تعبره سنيه، وخلعة بهيه، فصار في عيشة مرضيه،
وحميه هنيه وسلك طريقته الدنية، فلم يلتفت الى عهوده الوفيه، ونبذ عهد الحية الحبية، وقال
بكشرن مني لكي عنها، فلا تنالب مني ولا اتلب منها، ثم ان السلطان راى في المنام، في ثالث
الاعوام منامًا اخر ونسيه، فرسل الى المعبر فغشيه من يم الهم ما غشيه، وساله عما راه، وتلب
منه تعبير روياه، فتلب المهلة كما كان، واحاط به موج الهم من كل مكان، ولم يرَ بدًّا من
معاودة الحية، فناداها وبه من الحيا كية، وناداها بصوت خاشع، ووقف في مكان الذليل الخاضع،
تحرمت مراده، فرجرته وزبرته، وقلت يا خاين يا كذاب، يا ناقض العهد يا مرتاب، يا قليل الحيا،
د كثير البذا، يا صفيق الوجه، يا حصيف النسجه، ترى باى لسان تخاطبني، وباى وجه تقابلني،
وقد خنلت وقتلت، وفعلت فعلتك التي فعلت، فقال لم يبق للاعتذار مجال، ولا للاستقالة مقال،
وما ثم طريق الا معاملتك بالافضال، فان افضلت انممت الاحسان، وان رددت فعذرك واضح
البيان، وهذه المرة الثالثه، لا دونها حسنه، ولا عهودها ناكثة، واشهد الله وكفى به شهيدًا،
انى بعد لا انقض لك عهودًا، ولا احل ما بيننا عقودًا، فقالت لا اخبرك بشى، الا ان تعهد الى،
ان تعطيني جميع ما تعطى، وتكف عما وقع منك من الخطا، فسمع مقالها، واجاب سوالها، فقالت
راى الملك في منامه، كان الجو امطر من غمامه، ما ملا العضا من خرافه واغنامه، وتعبير هذا
المنام، انه يكون في هذا العام، من الخيرات والانعام، ما يشمل الناس والعام، فتطيب الاوداء،
وتصالح الاعداء، وتطيع العصاة، وتذعن البغاة، ويوافق المخالف، ويكثر الحب والموالف، واحفظ
ما قلت لك، فقد حللت مشكلك، فتوجه بصدر منشرح، وخاطر مطمئن فرح، وقص المنام وعبّر
ما فيه من الاحلام، فنار الملك بالفرح، وتم سروره وانشرح، وامر بالجوايز فصبت عليه، وبالاموال
فانهالت اليه، فلمّ تلك العنية، والخلع السنية، وقصد وكر الحية، ثم وقف وناداها،
وقدّم اليها كل ذلك واعطاها، وشكر لها احسانها، وتحمّل جميلتها وامتنانها، ففالت له
الحية اعلم، يا ابلم، انه لا عتب عليك ولا ملام، فيما جنيته اولا من الاثام، ولا ما ارتكبته من
العداوة والمين، في العامين الاولين، ولا فضل لك في هذه السنة، على ما فعلته من الحسنة، فان
بينك العامين، كانا مشتملين على قران النحسين، فكان مقتضى حالهما فساد الزمان، والعداوة
بين الاصدقاء والاخوان، ووقوع البغضا والشرور، والحنث والحلف وقول الزور، فجريت على مقتضاها،
حسب مرتضاها، والناس في طوعهم وابائهم، اشبه برمانهم منهم بابايهم، وهذا الاوان، قد انصلح
الزمان، واستقام الطالع، وزال الحسد والتقاطع، وانقضى الزمان الصلح والصلاح، والموافقة والفلاح،
فمشيت على موجبه، وتشبثت بذيل مذهبه، فخذ مالك، وتصرف باركك الله لك فيه، فلا حاجة لي
به، ولا يدٌ لي لتقلبه، وانما اوردت هذا المثل، ايها الجل، لتعلم ان الزمان، لتقلبه في الدوران،
يوقع بين الاحباب والاخوان، وبباين بين الاصدقاء والخلان، والاسد المجتهد، وان كان قد زهد،
وترك من اخلاقه ما عهد، فيمكن عوده الى حالته الاولى، فالاحتراز منه في كل حال اولى، وها انا

قد اخبرتك، ومن سوء العاقبة حذرتك، وعلى ما وصل اليه فكرى اطلعتك، وفرط محبتى وشفقتى عليك، اقتضى افشاء هذا السر اليك، ومن انذر، فقد اعذر، ومن بصّر، فما قصّر، قال الجمل يا اخى فنترك هذا المقام ونروح، ونخدم من فى خدمته نستريح، قال الدب الجاحد، اذا كان هذا العابد الزاهد، الراكع الساجد، الذى قد تعفّف عن اكل اللحوم، وليس له ناب الا اغسانة المشاوم، قد عف عن الدماء، وقنع باكل الحشيش وشرب الماء، لا تومن غايلته، ولا تعتمد خاتلته، فنى اين نتحوّل، وعلى من يكون المعوّل، وانّى نذعب، وفيمن نرغب، قال الجمل، فكيف يكون العمل، فقد ضاقت بى الحيل، وتمنّعت بى السبل، لا طريق للمفر، ولا قرار للمستقر، فقال الدب ضوبلا، ثم راى رايا وبلا، وقال ارى الراى السديد، والفكر المفيد، ان نبادر الاسد، قبل وقوع النكد، فنقصده بما يقصده، ولا نوصله الى ما يعتمده، فالعاقل يفتكر فى عواقب الامور، ويقيس بفكره السرور والشرور، ويستعمل الحزم، واذا قصد امرا يصمم العزم، وناعيك قصة الثعبان، مع ذلك الانسان، قال الجمل اخبرنى عن تلك القصة، ومن ذلك الانسان وما تلك الحية، قال ابو حميد الحبيث، بلغنى من رواة الحديث، ان شخصا من الصيادين، كان مغرما بصيد الثعابين، بتسبب بصيدها، ولا يبالى بكيدها، فبينا هو يسعى، اذ صادف افعى، شرها ناجز، كما قال الراجز،

ارغش ثمّان متى عدن لقط امرّ من صبر ومقر وحنظل

وقد ادر قبه الحر بالحرق، وهو نايم فى مكان نبق، فاستبشر الحوّا بروبته، وفرحه من عصمته، فلم يشعر الثعبان من رقدته، الا وهو من الحاوى فى قبضته، فتماوت وامتدّ، وارخى فاسبل بعد ما كان اشتد، فظن الصياد انه مات، وان مراده منه فات، فتحرق لذلك وندم، وحرق عليه الارم، ورماه من يده، ثم دار فى خلده، ان فى بطنه خيرة بهية، مشرقة مضيئة، فاخرج اسفرة وقصده، ومد لتبضيعه يده، فلما تحقق الارقم، ما عزم عليه وصمّم، خدعه وخاله، وعزم فتله، وانما ذكرت يا ايا ايوب، هذا المثل المضروب، لتتحقق ان المبادرة الى اتلاف العدو، اقرّ للعين واجلب للهدو، ومن فوّت الفرصة، وقع فى غصّة واى غصة، وهذا الاسد ان غفلنا عن انفسنا ابادها، وقصد دمارها وفسادها، ولا بقيدنا انذاك الندم، بعد ما زلت معه القدم، وتحكم فى وجودنا من تخييبه العدم، قال الجمل اعلم ايها الرفيق، الصدوق الشفيق، ان هذا الملك اوانا، وانتجر مثوانا، ولم نشاهد منه سوءا، ولا من ظلمة باطنه انسنا ضوءا، ولو قصد اذانا ما وجد دافعا، ولا ممانعا، وقد علمنا انه ترك الاذى، وكف عن الشر والبذا، تعفّفا لا خوّفا، وتكرما لا تحلما، واختيارا لا اضطرارا، وجبرا لكسرنا لا اجبارا، واما انا على الخصوص فلم ار منه الا الجميل، والفضل الجزيل، والاحسان العزيز النبيل، فلاى شى اشرع فى اذى نفسى، واكدّر صافى حدسى، ولم يشر لى منه امارة، لا بمقتض ولا بدلالة ولا باشارة، فضلا عن سباق او سياق بعبارة، وانا لم مت كمدا، ما قصدته باذى ولا ردينه برداء ردا، والصوفى ابن الوقت، لا ينفيد بنكد ولا مقت، دون قصدى بعد ذلك بشرّ، او تعرّض لى ببلاء وضرّ، لا بسعنى معه الا التقويض والتسليم، والخضوع على العوارض العارم، مع انى لا اقدر على مقاومته، ولا قوة لى فى دفع مصادمته، ولا طاقة لكسر انيابه وحد نيابه، ولا حيلة من انراك اسنيابه، غير انى وان كنت منسوبا الى التغفّل، لا ادع

من يدعي فضل التوكل، فيلتمس من تحصيل النجح، وتعويل بظنه بالنجاح، كما جرى لذلك الفلاح، مع الذئب والضبع، حين انتهى الى الله يعسى والاصطناع، فسأل ابو سلمة، ايضاح هذه المسئلة، فقال ابو صابر، بلغني من احد الاذكياء ان شخصا فلاحا، توجه الى ضيعة صباحا، من غير رفيق ولا حاملا سلاحا، فبينما هو في البيداء سايرا، صادفه ذئب ضاريا، خاتل خاذرا، فقصده ليكسره، ففر وصعد الى شجرة، فرصد نزوله، وانتظره تحتها ليغوله، فانعصر، وعن ضرورته احتصر، وبينما هو في تلك البلية، وقعت عينه على حية رديئة، ذات قرون صاعدة، وهي على بعض الفروع راقدة، فاردات قصده، واحاط به لوثة غمه، فاستمر بين بليتين، واحتصر في ديوانين داعيتين دعيتين، فلم ير اوفق من التوكل على الله، والاعراض عما سواه، فاعتمد متوكلا عليه، وفوض اموره اليه، وبينما هو في تلك الشدة، وقد بلغ ضرّه حدّه، واذا برجل مقبل من العلا، وعلى عاتقه عصا، فقصده الذيب، من قريب، فلما راى سلاحه، قر وله كلاحة، فنزل الفلاح من الشجرة، وازال الله تعالى عنه وضرره، وانما اوردت هذا المثل، لتعلم ان الله نعم المتكل، فاخرج هذا الوسواس، من القلب والراس، ولا تبك سلفا، ولا تعجل تلفا، ولا تخلع الحذاء ما ذا الرأس قبل ان تصل الى المخاضة، ولا تهتمّ لامر ما وقع، فان ذلك من شر البدع، فان قصدنا بسوء فالله يكفينا بحوله وقوته فيه، فان الذيب ذو الضرر، هذا راى الفاضل في السفر، العاجز في الذكر، فاما ذو الفكر الثاقب، فلا يغفل عن العواقب، فكل من قصر عن العواقب نشر، ولم يسدد في الامور فكره، فهو كمن تعلقت النار باعدابه، وانتهبت لاحراق نهابه، وهو مشغول عن اطفائها، متساهل في كشف انبابها، فلم يفق الا وقد نشبت، واعضاوه بالنار التهبت، فما ذا يفيد الافاقة، وقد صار حراقة، فقل لي يا اخي افق من محالك، وعالج فساد تصورك وخيالك، وانظر قوة جلدك، وكيفية حالك، انا لحمي من صدقت الاسد نبت، وحبه في دمي وعظمي نبت، كيف اتخذ نعمه، او اريق دمه، وانا غرس صدقه، وبنيان نفقاته، ورفيق حضرته، وعيون منته، مع اني لو نبذت عهده، وقطعت ما قطعت، وعزمت على مناوشته ما استطعت، اما وعبت، في معاني ما رويت،

هي العنقاء تكبر ان تصادا فعاند من تطيق له عنادا

تريد صيد العقاب، بعرج الغراب، ام تقتنص الذباب، بجرو الكلاب، وتبغي بالقرود، كسر الفهود، ام بالسنانير تصيد الاسود، ولا والله لا اقصده باذا، ولا يطاوعني قلبي على ذلك ابدا، ولو فعلت ذلك لسعيت في دماري، وخراب ديارى، وجدعت انفي بكفي، وحثثت عن حتفي بظلفي، وحززت بيدي راسي، وقطعت قدمي بفاسي، وقلعت باصبعي معلني، واستحقيت ملكه الموت مهجتي، ولصرت من اكبر المعتدين، وافسدت ديني ودنياي والله لا يحب المفسدين، فاطو عني هذا الكلام، وارجع عن مفاوضتي بسلام، ولا تشككه به جنانك، ولا تحرك به لسانك، وكان بالعرب منهما وكر فاره، وقد سمعت ما جرى بينهما من عباره، ووعت كلامهما، وما دار بينهما، من كل منهما، فلما راى الذب الموبد، ان كلامه للجمل لا يفيد، امسك واحتشم، واخذه في ذلك الندم، ولكن حال من الجمل الخجل، وانر فيه هذا المقال، واستولى عليه من الاوجال، ما ادّاه الى الهزال، وصيره من الانتحال كالخيال، وذهب ما كان عليه من انتشاط، وداخله الهم والاحتياط، وصار

ر يوم في احتشاط، ولم يزل بين نصو ورازح، ورارم ونازح، فتعجب الاسد من حاله، ولم يقف على سبب هزاله، وكان عند الاسد، غراب مقدم على الاصحاب، هو وزيره ومعتمده، وصاحب اخباره وعضده، فعرض عليه حال الجمل، وما شاهده منه من وجل، وقال انا عففت عن اكل اللحوم، ورضيت من العيش بادنى المطعوم، وهذا امرٌ قد عُرف واستقر، فما بال هذا الجمل لا ياخذه مقر، فاريد ان اعرف حاله، وتخبرني صدقه ومحاله، فتوجه الغراب الى منزل الجمل، وقد اخلص في القول والعمل، وسأله عن حاله، وموجب هزاله وانتحاله، وما سبب هذا الوزوم المودي الى النزوح، فما احار جوابا، ولا ذكر خطاء ولا صوابا، فصار الغراب يرتقبه، وحيث ما توجه يعقبه، ففي بعض الايام، راى الغراب على بعض الاكمام، راى الجمل قد اقبل الى الماء، ليطلق بشربه سورة الظما، فتاخر الغراب وانتحى ناحية، الى ان قربه وكمن خلف صخرة، فسمعه يقول بعد ما شرب، وقد راى السمكات في اللعب، لك الحمد يا رب ما ارحمك، وطوبى لكنّ يا سمك، لا من رئيسكنّ تخفن، ولا من صيدته ترجفن، لا ملك يهولكنّ، ولا سلطان يغولكنّ، ولقد البكا على الجمل، الذي قد به الجمل، قد وقع في دَرْدُور البلا، ولا يهتدي الى طريق النجا، بل ولا يدري عاقبة امره المهول، الى ما ذا تؤول، الى الغرق والندامة، ام الى النجاة والسلامة، ثم اخذ في الانتحاب، الى ان ابكى الغراب، فلما راى ابو القعقاع، هذه الاوضاع، قضى من الامر العجاب، ما يشيب الغراب، ثم توجه الى اسد الشرى، وعرض عليه ما جرى، بالتدبير المشهري، فنشوش فكره ونشوز امره، وضاق بانيهم صدره، وقال انا كففت عن الشر والشره، وعففت عن ذاك كان لم يرني ولم اره، وتركت الغرم والاذى، وعلمت نفسي عن لذيذ الغذا، ليامنني احبابي، وانس بي اصحابي، فاذا لم يستقم خاطرهم، ولم تطمئن على محبتي سرايرهم، فاي فايدة لي في الحيوة، وكيف اخلص في حرم المودة من كدر العيش الى صفاه، وكل ملك لا تصفو له رعيته، ولا ترسخ في قلوب جنده محبته، كيف يمتد سلطانه، او يساعده عند الشدايد اعوانه، انا بذلت جهدي وطاقتي، وتشبثت باذيال التملق على قدر استطاعتي، ولم يبق الا التضرع، والاستكانة والتخشع، الى مقلب القلوب، وعلام الغيوب، ليكشف هذه الغمة، ويصلح لي هذه الامة، ويجلو عن جبين الحق بهيم هذه الظلمة، ثم تضرع الى عالم الاسرار، ليطلعه على حقيقة هذه الاخبار، ثم امر باجتماع جماعته، المقيمين على محبته وطاعته، وعرض عليهم هذه الاحوال، وطلب منهم استكشاف ما فيها من الاهوال، وقال اعلموا اني اهتممتكم من مخافتي، وبذلت لكم بذل عفتي لطافتي، وقد حفظتم مرامي، وعرفتم كلامي، وعرفتم اخلاقي، وتبدى اعلاقي، كل ذلك لتطيب خواطركم، وتصفو لي سرايركم، ولم افعل ذلك عجزا ولا خورا، ولا تهاونا ولا ضجرا، وانا الان امركم بواحدة، هي اجلّ فايدة، ان لا تكتموا عني، شيا تكرهونه مني، بل اوقفوني عليه، وارشدوني اليه، ثم اجهدوا اني، امنعه عني، فان ذلكم اجلّ محبوبي، من اعدى الىّ عيوبي، وقد قال سيد الانام، عليه افضل الصلاة والسلام، اللهم ابلغه افضل التحيات عنا، من غشنا فليس منا، وانما اوردت هذا الكلام، في هذا المقام، بحضور الخواص والعوام، على سبيل التحذير، والاعلام والتنذير، واقسم بالله العلي الكبير، الذي هو الخبير، الذي منه المبدا واليه المصير، لم يكن في خاطري من احد، حقد

ولا حسد، ولا هجس بخاطري له ايذاء ولا نكد، وها انا قد اخبرتكم، وبالحق امرتكم، فلم يبق لي ذنب يستغفر منه، ولا لكم في الاخفاء ما يعتذر عنه، وان الله تعالى لا يعذب بضلال الاسافل، بل يهب للاعالي الارائل، فاذا فسد الراس، تغيرت الناس فحل الباس، وقد دل خالق البرية وباريها، واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها، فعام الخاضرون في مقام العبودية والولاء، وبسطوا السنتهم بانواع الثناء والدعاء، ونادوا بكلمة واحدة، منعة منا تعدد، حاشا لله ما علمنا عليك من سوء، ولم تزل تتطيب علل تقصيرنا وناسو، وتستر بذيل عفوك كل عار منا وتكسو، وكان هذا الكلام للاكابر، وقد اجتمع البادي والحاضر، وابو حميد المتقن فيما يتيمم حاضر، فادرك بهذا العمل، ان الاسد شعر بشي من جهة الحمل، فاستدرك فارطه، وسلك سبيل المغالطه، ثم اختلى بالاسد، ولم يكن معهما احد، وقال كان مولانا الملك، وفقه الله غدر المنهمك، احسّ بشي اوجب تغير كلامه، لطايفة جنده وخدامه، وانا عندي كلام، لم يطلع عليه احد من الانام، ولم ابده للملك بحضرة الجماعة، لانه ربما لا يقصد الملك به الاذاعة، ولا يمكنني اخفاوه، وقد آن ابدآوه، اعلم ايها الملك الهمام، كفاك الله شر اللئام، انه كما يستحقر العالم الجاهل، كذلك يزدري الجاهل العاقل، وذلك لقصور فهمه، وعدم علمه، ومهما احاط الخادم بمرتبة مخدومه، وزاد على قدره في معلومه، ازداد في قلبه وجوارحه مقدار تعظيمه، واستقرت هيبته في قلبه وروحه، وصارت كؤوس خشيته تناديه في غيوبه وصبوحه، وقد قال رب الارض والسمآء، انما يخشى الله من عباده العلمآء، وقول النبي عليه الصلاة والسلام، انا اعرفكم بالله واخشاكم لله اشاره الى هذا المقام، وكلما ضعفت معرفة الخادم بالمخدوم، قلّت قيمته عنده وهذا امر معلوم، ثم اعلم، يا ملكا اعظم، ان الجهل الطويل الامل، قد اغتر بالملك، حين في ذرى امنه سدك، واحسن اليه غاية الاحسان، وصار في عدم الوفاء كالانسان، وحصل له من سورة غضبه الامان، فجهل قدره، وتعدى طوره، وقد قيل شعر

اذا انت اكرمت الكريم ملكته ... وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا

فوضع الندى في موضع السيف بالعلى ... مضر كوضع السيف في موضع الندا

وقال الله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وكل نفس لا تحتمل الجميل، وحوصلة العصفور لا تسع لعمة الفيل، وناهيك ما قد قيل، في الاقاويل، عن حماقة كل طويل، فلا جرم فسد دماغه، حين حمل فراغه، وتطاولت نفسه في مسراغه، الى اشياء لا يمكن اعتناقها، ولا يتغوه بها مسلم ولا برضاها، لان ذكرها قبيح، والكفاية ابلغ من التصريح، فلما سمع الاسد هذا المقال، علم ببديهة العقل انه زور واحتال، ثم ارسل الى الغراب، وذكر له عذا الخطاب، ليعمر خطاوه من الصواب، ويبين العشر من اللباب، فلما اتى الغراب الى حضرته، وجلا صدى هذا القول على مرآة فكره، قال له ضعيرك المبارك، في حل هذا المشكل لا يشارك، فانه حلال المشكلات، موضح المعضلات، واما انا فلا اسمع هذا الكلام، ولا اقبل في الجمل الملام، فاني اعرف مواضعه ومسكنته وصبره وشجاعته، واخلاصه وقناعته، وانه صادق في محبته، مخلص في عبوديته، واعرف ان خوفه من الملك غالب على رجايه، وانه مع ذلك مقيم على سنن وفايه، وعقود عهوده وصفايه، ولو اراد

الذهاب لذهب بسلام، ولا فى وظيفته قيد ولا فى وتمرته خذلام، ثم قال الغراب والغالب على ظن ذوى اللب، ان هذه العتن اصلها واصلاحها الدب، لانه قد تعرر وتحقق، وانفق كل حكيم موثوق، انه اذا نقل ناقل محمق، عن عاقل ابتدى بالاحسان اساءه فلا يصدق، فالملك لا يبادر فى هذه القضية، حتى يتبصر الامر عن جلية، وحاشاه ان يفرط فى خدمه المخلصين، من غير ان يتدبر امورهم بيقين، ويختلى بعيده الجمل، ويتحرى منه اصل هذا العمل، بعد استجلاب خاطره، وتطييب سرايره وضمايره، واستصوب الاسد هذا الفصل، واختلى بالجمل ليقف منه على الاصل، وسكن جاشه، وازال بلطف الكلام اسيحاشه، وشكر فى خدمته مساعيه، وطلب بملاطفته مراميه، فر طلب من الجمل، تفصيل ما بلغه من جَمَل، واكد قوله بالايمان، انه لو صدر منه تقصير ونقصان، ولو كان مهما كان، فانه قد عفى، عما هفا، ولا تكدر من عيشه ما صفا، ولا يمزق رقيق حاشية وفايه بالجفا، ولا يعيد بهفوانه، ولا يطالبه ابدًا برآنه، فليطلعه على جليّة الحال، وليذكر ما وقع منه من اقوال وافعال، فانتكر الجمل فى معاهدته مع الدب، وانه لا يعشى سر ذلك العدم اللب، وكيف ينقذه من غصا جمرة شب، وقضا غمرة صُبّ، فقال ان قلت اصغت صاحبى، وان سكتّ قصرت فى جانبى، ثم اختار كتم الاسرار، وسلوك طريق الاحرار، والوفاء بالعقود، وعدم نكث العهود، وقال اسعد الله مولانا، الذى بوجوده احيانا، انى انفكر فى عواقب الامور، وانظر فى تقلبات الدهور، واخشى سطوات السلطان، واخاف من حوادث الزمان، فلا ازال من هذا الخيال، فى انتحال وهزال، انى ان صرت الى هذه الحال، فان كان هذا ذنبًا يوجب العقوبة، فان ازالته عن خاطرى فيه صعوبة، وهذه اوهام لا يمكن دفعها، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها، قال الاسد فهل اطلعت على ما يوجب ذلك، او يدل على الالقاء فى المهالك، وتضييق المسالك، من حركات افعالى، او من فلتات اقوالى، او تقلبات احوالى، او نقل اليك ناقل، من جاهل او عاقل، فاخبر الجمل عن الجواب، واطرق فلم ينطق خطاء او صواب، فقال الغراب لا ينجيك الا الصدق، وكشف استار الريب عن جبين الحق، وكان حاضر هذه الفحوى، خلد اعمى، وهم عنه غافلون، وعن اسماعه ذاهلون، ففى الحال، توجه الى الدب وقال، صورة ما جرى، بتخبير المشترى، فعلم الدب انه انفضح، وامره انصبح، فنهض وما قعد، ودخل على الاسد، فراى الجمل مطرقا، لا يلوك ممضغا، قد صولحان اللسان، وخطف كرّة البيان، وسابق بالكلام، خوفا من الملام، وقال بلسان طلق، كلام فاخر محقق، اعلم، ايها الطويل الابلم، انك لو امسكت عن كلامك القبيح، فى وفك الفسيح، لكان اصوب، واحسن واعجب، لكن لما فهت بالعبر، واتيت باحدى الكبر، وصادمت القضاء والقدر، وخنت ولىّ نعمتك، وقصدت اهلاك الملك بقبح شيمتك، ازال الله سترك، وابدى امرك، وفضحك، وهتكك، وبلجام الخزى كبكبك، لا جَرَم جرمك حبسك، وانمك العظيم اخرسك، فابهت الصرغام، من هذا الكلام، وشاب الغراب، من هذا الامر المشاب، ووقعوا فى الاضطراب، والشك والارتياب، واستنبه الحنّاء بالصواب، وقالوا ان هذا لشى عجاب، فقال الجمل للدب، يا فقيد اللب، يا قليل المعرفة، وعديم المعرفة، واخس اباك، واخس سفاك، واخس بتاك، اتظننى خايفا من كلامك وخذلك، عاجزا عن ملامك وجوابك، اما كفى انى قصدت ستر عوارك، واطفاء نارك،

وفكر في تلافي قضيتك، واخماد لهيب فتنتك، واصماد شرار مصيبتك، وعلى تقدير النسليم، وانى فهت بالكبر والامر العظيم، اكنت معك منفردا، ام رايت بيننا احدا، فان كان بيدنا احد فاحضره الى حضرة الاسد، فانى ارضى به وبما يبين، ولا دافع لى فيما يشيد به ولا مانع، وان كنت انت وحدك، فما منعك عن تصديع الملك وصدّك، فانت اذا اما خائن واما مابن، وهذا امر محقق بابن، ولو لا ايمانى، التى ربطت بها لسانى، لكنت اشهرت البرى والخالى، ولكن تحلبنى الى التكتم والسكوت الجالى، وسيظهر الله الحق ويفصل، والباطل دمونة ذمر يضمحل، ووالله ما لكما مثل، مع المسكينين الجمل، الا امراه النجار، لما اغلقت باب الدار، قال ابو الحارث الغضوب، اخبرنا يا ابا ايوب، كيف كان هذا الحديث، لنتطلع على هذا الفعل الخبيث، قال ذكر رواة الاخبار، انه كان رجل نجار، له زوجة تخجل الازهار، وتكسف شمس النهار، كانها الدنيا تخدع بملامح صورتها، وتخدع برواعج سيرتها، فكانت كلما رقد زوجها وهو تعبان، انسابت الى الاخدان، انسياب الثعبان، فتمضى الليل بانشراح، فى عناق وشرب راح، الى ان ينبلج الصباح، ثم تتثنى عابدة، فلا يستيقظ الزوج الا وهى عنده راقدة، فعلن فى بعض الاوقات لفعلها، وراقب ليلة خيال خللها، فراقد فى الفراش، وتحببت لتطلب المعاش، فنهض وراءها النجار، واوصد لما خرجت باب الدار، واستمرت هى وصاحبها، وزوجها مستيقظ براقبها، فلما عادت راجعة، وجدت الابواب مانعة، فطرقت الباب، من غير استتار واكتئاب، فناداها يا خائنة، اذهبى حيث كنت كائنة، فقالت استر هذه الذنوب، فانى من بعد انوب، فقال لا والله الرحمن، حتى تفتضحى بين الجيران، فقالت الموت اهون من الفضيحة، فاغفر لى هذه الفعيحة، وانا احلف با ودود، بالله الرب المعبود، انى انوب ولا اعود، ثم الحت عليه، وتضرعت لديه، فلم يفتح لها بابا، ولا ردّ عليها جوابا، فقالت والله اللطيف الخبير، لئن لم تفتح الباب لالقين نفسى فى هذا البير، ولارمينك بقتيل، بين الخبر والجاعل، ثم عمدت الى حجر كبير، وطرحته فى تلك البير، ثم لطمت عند الباب، لطمة ما بيرزه العذراء من الحجاب، فلما سمع زوجها خبطة الحجر، تصوّر انها تلك البغى فابصر، وفتح الباب والى نحو البير طفر، ولم يشك ان تلك البغى، القت نفسها فى الثوى، فما وصل الى البير، ذلك الرجل الغرير، الا وقد دخلت، وفى وسط الدار حصلت، ثم اوصدت الباب، واستغاثت بالجيران والاصحاب، واحضرت الزناج، واوقدت السراج، وملأت الدنيا بالعياط، واخذت فى الهياط والمماط، فاجتمع الجيران، لينظروا ما هذا الشان، فقالت هذا الرجل الظالم، يتوقعنى كل ليله حتى انام، ثم يدعونه الى الزوانى، ويدعنى حتى اكاسى الغلو واعانى، وانقلب فى ارقى واستجانى، فاخذ الرجل حالف بالله ذى الجلال، ويذكر للحاضرين خديعة الخل، فتارة يصدّق واخرى يكذب، وهو بين مصدق منهم ومكذب، فلم يزالا فى عويل وصياح، الى ان ظهر تباشير الصباح، فحضرا الى الشيخ واعتصما، وشهد بعفة الرجل الحاضرون وعلماء، واقبل على المراة الخبيث والنفوس، ولو لا ذلك لذهب البرى غلطا، وانقلب ثواب الخوف الصادق خطا، وانما اوردت هذا المثل، لتعلم ايها الملك البطل، خيانة الذئب ومراة الجمل، والرجل اذا عجز عن فعل الشر بفعل، تشبث بحيل الشيطان، وبستعمل مكر النسوان، ونشر هذا الخبيث، ما وقع بين [illegible]

بغداد، وهي قضايا جليلة الابواب، طويلة الذيول والاذناب، قد دوّنت في مجلدة لا يسعها هذا الكتاب، فتكرر البحث في هذه الاحوال، ثم امر بهما الى الاعتقال، وكان للملك سنجان زكي، كنيته ابو الحسن واسمه دمي، فتسلمهما، واحتفظ بهما، فلما استقرا في حبسة الحبس، واستمر امرهما تحت ادنى اللبس، توجهت العبارة التي كانت سمعت سر مناجاتهما، واطلعت من اول الامر على حكايتهما، الى السجان، وهما في اعتبو مكان، وسألته عمّا ذا آل اليه امرهما من شان، فاخبرها بحالهما، وجهل عاقبة مآلهما، وانه ليس بعالم، من المظلوم منهما والظالم، فقالت العبارة، اسألك يا ذا الفطنة والذكاء والمهارة، اذا ترجح لاحدهما الجانب، وتبيّن الصادق والكاذب، وتعيّن المريض عنه والمعصوب عليه، تطلعني على ذلك لانظر انا، ذل السجان للعبارة، لقد فهمت عنك يا عبارة، وادركت من فحوى العبارة، ان لك اطلاعا على هذا الامر، وفرقا جليا بين الجمرة والتمر، فان كنت شممت من ذلك روائح، فبادري باداء تلك النصائح، فان فوزك معقود، ولكن الفصل لا الفصول، ولا تقصدي بهذا الارشاد، الا مصلحة العباد، وكشف الغمة، وانراء الذمة، ورفع الضلال، وخلاص ذمة الخاكسار، فانت العبارة انا لا اقصد الا اصلاح ذات البين، وسموها بعاطفة الملك حيث يعبران كالمحبين، ويرتفع النكد، وتحصل رضى الاسد، وتحسم الضرر والضير، وتختم عاقبتهما بخير، وابدا سمعت من العلماء، وضبطت من نصائح الحكماء، ومقالات ذوي الاراء، انهم قالوا اياك والتكلم في امور الملك ببيضاء او سوداء، وابن بنت الجرد، من ملك النوحوش الاسد، قال السجان لا تقولي ذاك، ولا تستحفري جدواك، وما ترين في فتواك، ودونك النقول الصادر، من نظم الشاعر الماهر، وهو شعر

لا تحصرنّ الراي وهو موافق ... حكم الصواب اذا اتى من ناقص

فالدرّ وهو اجل شي يُقتنى ... ما حطّ قيمته هوان الغايص

وان النصيحة كالعسل، والحق يصدع كالاسل، فالعسل يعطي حلاوة ذوقه، سواء كان في قحاف الذهب او في زفت، والصدق الصواب والنصيحة، ومن اغراضه لدفع الفساد صحيحة، بخاطر بعمره ومنه، ويراقب ما فيه حسن مآله، وافضل المعروف، اغاثة الملهوف، سمعتُ في المثل السابر، افضل الجاه خدمة صوب عند سلطان جابر، وهذا الشور، عند ملوك الجور، فكيف وملكنا اعدل حكام، وناصر دين الاسلام، متصف بمكارم الاخلاق والشيم، ومعاملة الكبير والصغير بالمراحم والكرم، فان كنت تدرين جهة الانتفاع، او لك على قضايا الدب والجمل اطلاع، فقومي وانصحي، وقولي نطلحي، كما فعل الوزير المنتخب، مع كسرى في حالة الغضب، فسألت العبارة، عن هذا المثل واخباره، قال ابو الحسن السجان، ذكر انه كان لانوشروان، زوجة فاتت النسوان، بالجمال قدّ الاغصان، وخدها البدر حيث لا نقصان، كان ابوها من السلاطين، وكان انوشروان فعل ابيها واخاها، واتخذها لنفسه واصطفاها، وكان مشغوفا بحبها، منتخوفا من ضربها، لبدا بمذكر فعلها، فيسنوني ذلب النار عليها، فلم يزل متحرزا من افعالها، مراعيا تقلب احوالها، فاتفق انه كان جالسا معها على السرير، وحولهما من الجواري الحسان كل بدر منير وهي غرير، فدفع نفسه اليها، فمد يده ووضعها عليها، فنظرت الى الجواري فرات اعينهن اليها ناظرة، فصارت

بين طرفى الانقياد والامتناع حاذره، وكانت قد سمعت من ابيها، ما راته من اقاربها وذويها، معنى ما قيل سعر

وانى لاستحيى من النرجس الذى يراقبنا انّى اقبّل من اهوى

فخطر ببالها انه اذا استحيى من عيون النرجس وهى جامدة، فكيف لا استحى من عيون انسان فى مراقبتنا غير راقده، فغلبت عليها الحيرة، وان جذع الخلال انسف العبرة، فانكمشت من كسرى، ورادها الحيا والهيبة انقباضا وكسرا، فجبذها بعونه الله، فانفلتت منه لما استعصت عليه، فوقع عن سريره العالى، وغلا حلقه النمرى الغالى، وتبسم بعض تلك الجوار، من غير اختيار، فاضطرب لما اصطرم فيه النار، وتذكر ما كان توهمه من اخذ الثار، وفار دم قلبه لما غار، فدعا وزيره الكبير، ودفع اليه ريه السرير، وامره بارهاق نفسها، واسكادها فى رمسها، من غير مراجعة، ولا شفاعة ولا مدافعة، فحملها الى منزله، ووضع فى صعب الامر ومشكله، ولم ير بدّا من امضاء مرسومه، وامتثال اوامر مخدومه، ثم تدبر فى المآل، وناداه ربه الجمال، مهلا ايها الوزير، الناصح المشير، ذو الراى والتدبير، هبنى انا احتطب، ومن مرضات الملك ابتغاء، ما ذنب الذى فى بطنى، المودع من الملك ولمر سجنى، فلا باس انك تستشيره، فانك ناصحه ومشيره، وان كان لا بد من قتلى، واستقر الراى على تبلى وبتلى، فاستمهله الى ان اضع، ثم تهتك الامر وتبقى البضع، فانه كان يعطى النذور والاموال، ويطلب الولد فى ظلمات الليال، ويدعو بذلك ربه ذو الجلال، فعرض الوزير على الملك ذلك فابى، واستعمل فى ضروب ضربه احدّ عبارة وترقّى فيما، فعرف ان اخلافه نابرة، وانه لا بد ان تطغى تلك النابرة، فاذا برد قلبه، وهمد كربه، يطالبه بالفرع ان لم يطلب الاصل، وبعد انقطع لا يمكن الوصل، كما قيل شعر

طوى الموت ما بينى وبين احبتى وليس لما تطوى المنية ناشرُ

فراى الوزير، الراى فى الناخبر، فاودعها عند الحريم، وسلكه فى الحزم الراى القويم، وجعل نفسه لها وقاية، الى ان اخذت مدتها النهاية، فوضعت ولدا ذكرا، غصن بان مثمرا ثمرا، فقام الوزير بتربيته، واصلاح رضاعه واغذيته، الى ان بلغ سبع سنين، وهو كبدر الاهى المبين، مربّى بالدلال، معنّا بالكمال، فكانه فيه قيل شعر

جبين تحار الشمس من لمعاته وقدٌّ يغار الغصن من حركاته
وخدٌّ تعالى الله لست مشبّها ولا مشركا اضداده فى صفاته
رمى مهجة المصنى باسهم لحظه فنام عليلا وهو فى سكراته

فركب كسرى فى بعض الاوقات، وخرج يصطاد فى بعض الجهات، فتبدد العسكر، وصار كالحجيج اذا نفر، ووقع كسرى فى ناحية عن العسكر منفردا، فصادف غزالين يسوقان ولدا، ويذكران فى ذلك القاع، ما قاله عدى بن الرقاع،

ترجى اغنّ كان ابره روضه فلم اصاب من الدواء مدادها

فهجم عليهما، ودنا اليهما، فلما قصدهما، تركا ولدهما، ففوق السهم الخفيف، نحو الخشف الصعيف، فلما رات امه السهم، داخلها الوله والوهم، فقصدت للسهم دون ولدها، واستقبلت نصل

كبد القوس بكبدها، فاراد انثلاث السهم من الكبد، ليصيب به نحر الولد، فاعترضه الفحل بصدره، وتلقاه دون نحرها بنحره، وجعل نفسه وقاية لام ولده، وفداها بروحه وجسده، فتذكر يسرى ولده وامه، وتضاعف حزنه عليهما ثم وغمه، وتذكر ما سلف منه في حق زوجته، وما عاملها به حين وقع من الغضب في سورته، وتامل ما فاته في حق قرة مهجته، وما اجتاب في ذلك، الى ان وردت الى الميالكة، وقال اذا كان هذا الحيوان الباغم المايور، حما حميمه بروحه كحماه الحقايق، فلم لم يفعل ذلك الحيوان الناطق، ثم فاضت دموع عينيه، فرمى القوس والسهم من يديه، ورجع متفكرا، وعلى ما فرط منه متحسرا، ودعا الوزير، الناصح المجير والمستجير، وذكر له ذلك النكد، وما راه من الغرابين والولد، وحزن على فقد حظيته، وتارق لمصاب فلذة كبدته، فدعا له الوزير، وقال الصبر نعم النصير، كان قد سبق مني اشاره، ولكن المفرط اولى بالخساره، الصديق الصادق، والرفيق الموافق، يقول ما اسمع، نصائحه فلم يسمع، والمحب الناصح، والحسود الفاضح، يقول اردت ان اقول، ولكن تركت الفضول، ولا حيلة للملك والوزير، فيما جرى به قلم التقدير، ثم دعا له وانصرف، وعبّى حملا من الهدايا والتحف، والبس ابن الملك افخر ملبوس، وجهز امه كما تجهز العروس، واضاف الى ذلك من المراكب الملوكية، والخدمات السلطانية، واقبل بهما اليه، وعرض كل ذلك عليه، وقال يا ملك الزمان، انا راعيت هذا اليوم في ذلك الاوان، وعلمت ان الندم سبعم، من الراس الى القدم، وحيا قد قدمت اليك من الاصداف، الدر مع الصدف، والورد والزهر، والغصن والثمر، والفرع والشجر، والشمس والقمر، متعك الله بهما ومتعهما بك، وحرس من الاسواء منبع حرمك وجنابك، فاجبر بذلك كسري، وذل بشري وبسري، وطاب سبرا ومسري، وسرّ صدره وانشرح، واغمى عليه من شده الفرح، وانشد

دفع السرور عليّ حتى انه ... من عظم ما قد سرني ابكاني
يا عين قد صار البكا لك عادة ... تبكين من فرح ومن احزاني

ثم امر ببساط السرور، وجلس في النشاط والحبور، وانشد شعر

اهلا وسهلا بالتي ... جادت عليّ بهجتي
اهلا بها وبوصلها ... من بعد طول الهجره
انر المدام وغنني ... اهلا وسهلا بالتي

ثم افاض خلع الانعام، والرضى والاكرام، على الوزير، وشكر له حسن التدبير، وارتفعت عنده منزلته وتضاعفت في الارتقاء مرتبته، وانما اوردت هذه الامثل، لتحذى على هذا المثل، فان كل عندك ما يزيل الشك والاغلبط، وحسن الخلق ومميز الاخلاط، فان في ابدائها منّة عظمى، ونعمة على الملك جسيمة، سيلقاهن بذلك العيش الهني، وترقين به الى المقام السمي السني، وان اخرب المحصنة، فقد سارعت للحسن في الاشياء السبعة، وطلب النجاة ما ادى ما فشرت، واحوى ما اشرت، لا تردد للعمل، في اتخاذ هذا المثل، والحصن من اتا في اسرعه، ومن عمل للعاره حتى تطلب الرتبه، ولا اتا في الخمره ولا في الميسره ولقي من مبداه سوى، وطول عمري، في رضا الحمول، احترز من فضلات الفضول، لا لتعاطي المأثور ولا في طريقة السلوك سيره نبيله، لا امينه ولا دفنه،

واصدق اسمائي انفوسفه، فكيف اصبر مصدقة، وقد اباح سيد العرب والعجم، معدن اللطف والكرم، والمبعوث بمكارم الاخلاق والشيم، صلى الله عليه وسلم فعلى في الحل والحرم، فلو طلبت مصاحبة من فوق، لخرجت عن دائرة طوقي، وصرت نفسي ضحكة للناظرين، وهزاة للساخرين، خصوصا ملك الاسود، وسلطان الوحوش من النمور والفهود، ورحم الله امرءا عرف قدره، ولم يتعد طوره، ومن اعجب العجب، ان حبي من السوك العنب، ولو فعلت ذلك، لكنت كفرد حالك، ذميم هائك، ادعى رياسة الممالك، ومن احسن الامثل، ما يقال ان السلطان للانام، بمنزلة الحمام، البعيد عنه يطلب قربه، والداخل فيه يشكو كربه، فالليف يحالي، ان لا اشغل بالي بالحالي، بما لا يليق بي ولا بامثالي، وحسبك اشرب علي بادآء النصيحه، ودمان الخائه الفاشده من الصحيحه، طلبا لمرضاة الملك، وصونا لخاطره عن الامر المشبه المشبك، والفكر المريب المريبك، فانا امتثل مرسومك، واودع ذلك معلومك، بشرط ان لا تذكرني بشفة، ولا تشير الى اسمي بنكرة ولا معرفة، فعاهدها على ما اشترطت، فدب لسان القول ويسطت، ثم ذكرت ما جرى بين الدب والجمل من فصول، وفررت برآه ساحة الجمل بالمعقول والمنقول، فلما انصح لاني الحصن السجان، فراغة عرض الجمل، وان الدب هو الذي اغراه على قصد الاسد وحمل، وتحقق ذلك بالبرهان القاطع، والدليل الساطع، توجه الى حضرة الاسد، واخبره بما صلح من الامر وما فسد، وانه انما تاخر عن خدمة مخدومه، ليصل الى ما في جيب الغيب من مكنومه، فلما تحقق الليث، ما في هذا الامر من صلاح وعبث، ومن هو الصالح، من الدب والجمل والطالح، ارسل الى العراب، وعرض عليه هذا الامر الكحاب، وطلب منه الارشاد، الى هدم ما بناه الدب من الاتقاع وشاد، فقال الراي عندي ان تجمع العساكر، وتنادي للبادي والحاضر، وتحضر الدب والجمل، وتعرض على الجميع هذا العمل، فاذا ظهر الحق، وانكشف سجاف الباطل عن جبين الصدق، وتبين الظالم من المظلوم، وتعين الصحيح من المنلوم، نرى رايك السعيد ما تقتضيه، وتسلك ما يامر به وترتضيه، ويجري على كل منهما ما تحكم بتعبذه وتمضيه، بحيث لا ينتطح في ذلك عنزان، ولا يختلف عليك فيه اثنان، فلما كان ثاني يوم، امر الاسد بجمع العوم، واحضار الجمل البري، والدب المقتري، فحضر الكبير والصغير، واجتمع الامير والوزير، ثم علا الملك على السرير، واثنى على الله العلي الكبير، وصلى على البشير النذير، الشاهد السراج المنير، ثم ذكر ما امه من هذه القضية المغمه، وذكر فضل هذه الامة، وما لها من رفد وجلالة، وانها لا تجتمع على الضلالة، ثم قال ما تقولون في رفيقين، شفيقين صديقين، لم يكن بينهما سبب مكالحة، ولا موجب منازعة ولا مجالحة، سوى الحبة المليحة والمالحة، والمودة الصافية الصالحة، يبيتان في فراش، ويستعينان على حسن المعاش، حسد احدهما رفيقه، وخان من غير سبب صديقه، وسعى في ازالة دمه، وعدم وجوده بوجود عدمه، فما ذا يجب على هذا الحاسد، المائق في عمله الفاسد، الطالب ترويج باطله الكاسد، وقصده ذلك البري، الصالح الغافل السري، والسعي به الى الحكام، والقائهم بسببه في الاثام، وارتكاب هذه الجرايم، وتحمل مثل هذه العظائم، فاجاب الجمهور، ان من اكبر الكبائر قول الزور، وقد قال رب الكاينات، ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات، لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم، وان مرتكبه الاثيم،

استوجب العذاب الاليم، ومن هو هذا الجرى، الكذاب المفترى، الذى يرتكب مثل هذه الامور الهايلة، والكبابر الوخيمة العاقبة، والعظايم الموذية الغايلة، خصوصا فى مثل هذه الدولة العادلة، ولاى شى يوخّر جزاوه، ولا حسم داوه، ولا يضرب ولا يشهر، ولا يومر بالمعروف فى هذا المنكر، قل الاسد فاكتبوا بما قلتم محاضر، وليعلم الغايب الحاضر، حتى اذا وقع الاتفاق، بين الاصحاب والرفاق، وارتفع فى ذلك النزاع والشقاق، واجمع على ذلك العقل والسمع، فعلنا فيه ما يقتضى السياسة والشرع، فتبعوا شروطكم، وكتبوا بذلك خطوطكم، فعند ذلك طلب الاسد ام راشد، واعلمها فى ذلك المحفل الحاشد، واستنطقها بما تعلم، واستشهدها على الدب بما اجرم، فشهدت فى وجهه بما سمعت، ورقمت بذلك خطها ووضعت، وزكاها الحاضرون، وشهد بعفتها وزهدها الناظرون، وانتفت التهمة من الكلمة على صدقها، وحقيقة نطقها، فمال بوجه الجد، بهذا القول والعمل، وطفرت على صفحات الدب العديم الدين والناب، علامة الانكسار، والفضيحة والخسار، ولم يسعه الا انه اذعن، واعترف ان لا دافع له فى الشاهد ولا مطعن، وانه قد اجترم، وطلب العفو والكرم، فعند ذلك غضب الزبال، ولم يبق للعفو مجال، فزار زفر، وعدم الغضنفر، وهمر وزمجر، وتطاير من انداده الزبد ومن عينيه الشرر، ومن شمايل حركاته ممضيات القضاء والقدر، ونعوذ بالله من غضب الملوك، خصوصا على الفقير المملوك، ومن احاطت به اوزاره، وقلت اعوانه وقلّت انصاره، ثم امر الاسد بالدب، ان يُلقى من البلاء فى جُبّ، وان السباع تحتوشه، والضباع تنتوشه، ففى الحال، من غير اهمال، ولا توان ولا امهال، نهشته الذياب، وفرشته الكلاب، وخاطفته النمور، وتنافقته البيور، وانتقمته السباع، والتهمته الضباع، فقطعوه وبضعوه، ووزعوه ومزعوه، وخرفوه وحرقوه، وخرقوه، ومزقوه، ولم يكتفوا بعظمه واهابه، حتى لحسوا من دمه بابس ترابه، وكان قد استند بهم القرم، فاطفوا بلحمه ودمه بعض الضرم، وزال عن ابى ايوب الضر، وارتفعت منزلة ذلك الحر، وضاعف الله تعالى على براة ساحته انواع الحمد والشكر، وفايدة هذا المثل، الجارى بين الدب والجمل، معرفة فضيلة الامانه، ووخامة المكر والخيانة، فان الله تعالى غير مضيع اجره، ولا يحيق المكر السيى الا باهله، كما قيل

لابناء هذا الدهر فى الغدر اسهمٌ ... وضرب خبانات وطعن مكيدة

وما للفتى منها طريق سلامة ... سوى ترس تقويض لرب البرية

وكل امرى رهن بنيته وفى ... كفاية ما ينوى وما فى العقيدة

وهذا اخر باب الاسد الصانع، والجمل الامين الناصح، والعافية للمتنبين، والله الموفق والمعين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خير الخلايق اجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا قوة الا بالله العلى العظيم

الباب التاسع

فى ذكر ملك الطير العقاب والجلنبن الناجيتين من العقاب

قال الشيخ ابو المحاسن، من هو لثوب الفضل كاس، ولكاس الظرف حاس، وفى حدايق الادب ازكى آس، ولاحداق الادباء اذكى اس، وفى عيون الاعداء اذكى اس، فلما انهى الحكيم حسيب، كلامه الذى استعبد درّ النسيب، وذكر من النصايح والحكم، عن ملوك العرب والترك والعجم، ومن مباحث الجن والانس، ما حصل للسامعين به انتشاط والانس، ثم استطرد الى فوايد البهايم والوحوش، ورقم فى دار ضرب البلاغة من حسن الصياغة والرفوش، ما قعد له من زواجر كلامه على سكة دينار الفصاحة احسن النقوش، وعقد بجواهر نظامه مفرق العدل فى دار الملك اكليل العروش، افتخر اخوه الفيل بوجوده، وقدمه على جميع خواصه وجنوده، واثنى على حدايق آماله زلال احسانه وجوده، وقال له يا نديم الدير، وعديم الصبر، وعديم الميز، ومديم الخبز، قد افدت حكم سابر الحيوان فكرر علينا من حكم منطق الطير، فابتهج الحكيم فى الساعة، وانتهض ملبيا بالسمع والطاعة، ثم انه قال، ادام الله ذو الجلال، ايام مولانا الامام، وشمل بذيل رافته الخاص والعام، بلغنى انه كان، فى ممالك اذربيجان، جبل يسامى السماك فى السمو، ويعالى الافلاك فى العلو، غزير المياه والاشجار، كثير النبات والثمار، وفى ذراه شجرة قديمة، منابتها كريمة، اغصانها ميدنة، وثمارها مسبّلة، شعر

وفى اصلها وكر لزوج من الجَلْ كانّ ربا رضوان ابسنه الخلْ

هو وطنهما المالوف، ومقرهما المعروف، ورثه من اسلافهما، وهو فى الشتآء والصيف مرجع ايلافهما، يدعى الذكر منهما الناجدى، والانثى غرغرة بنت السعدى، ولذلك الجبل جبلٌ مقارن، من جهة الشرق يسمى القارن، لو قصد البدر دوره، او رفع راسه لينظر سوره، او جلّ فيه شعاعه ونوره، لوقع عن قمّة راسه تدحرجه، فى دامنه سرير عقاب، منمع الجناب، هو ملك الطيور والجوارح، وسلطان السوانح والبوارح، وحماة تلك القلال، وكواسر هاتيك الجبال، كلها تحت امره العال، متوج فرق اقرانه باكليل ما ببرزه من مثال، فكانت الجلنبان، كلما فرختا وقاربت افراخهما الطيران، عزم ابو الهيثم الكاسر، بما معه من عقابين كواسر، وجوارح الطيور، ومن تحت امره من الجمهور، على التنمر والاصطياد، فحيط عساكره بملك النواحى والبلاد، فكانوا كلما وطئوا ربوة مهودها، وسلكوا ما بين اكنافها وبطونها ونهودها، وتصل تراسة العساكر الى الجبل، الذى فيه وكر الجل، فتذعب افراخهما تحت السنابك، وتتضاحل تحت اقدام اولئك، فتفع الجلنبان، فى النكد والاحزان، وبالجهد والمشقة البالغة، حتى حملتا عما من تلك الدائبة المتابعة، والنايبة الدامغة،

فلم يزالا في تكدد على فقد الولد، فتتكرر في بعض الايام، وقد اثر فيهما هذا الالم، فدما عم فيه من التكدد لفقد الولد، المتجدد على طول الامد، فقال المجدي، لبنت السعدي، قد كبرنا، وضعف العمر يحرمنا، وقرب شمس عمرنا الافول، والمدام يقدمنا ان نزل وتزول، شعر

ولعل لنا من الله بعدنا اذا ما انتشينا في مخالبه فقدنا

ولا من جمعي قشم ادرك، اذا ذوى الموت بساتين اعمارنا، وقد قضينا العمر في الانكاد، بفراق الاولاد، ثم بعد الخيبة نتحسى اسفنا، ونتدرس بالكلية رسمنا، فلا تحيوننا هبة، ولا اخرى بعده، واي همّا مع فراق فرة العين، مخصوصا على وجه المذلة بالشيب، وما لنا نتلم، في هذا السدر المنير، الا من جمع الذل من حاله وغير حاله، وتركه بعد التمد البليغ والحرص الى غير الله، فصير كما قيل شعر

تؤدبه مذموما الى غير حامد فياخذه عفوا وانت دميم

ولا طاقة لنا في دفع جيش العقاب، ولا حيلة الى الخلاص من عقاب هذا العقاب، فذهب اكثر العمر في هذا الويل، واسبغنا المايم على طريق السبيل، وان غفلنا عن انفسنا رمت استباحونا، وطوحونا الى مهلكة تدمر علينا من العدم مناحونا، فالراي عندي ان نترك هذا الوطن، ونرحل الى مكان لا نرى فيه هذه المحن، فانه لم يبق لنا طاقة على فراق الولد، ولا قلب يحتمل هذا الحزن والتكدد، شعر

ذاب قلبي بين دمع وضرم فارحموني انا من لحم ودم

وذاك لان المرء يحيى بلا بد، ورجل ولا تلفاه يحيى بلا كبد، قالت لقد اعربت عما في فكري، وشرحت ما كان يجول في صدري، وهذه محنة قد اعيانا في دايها الدواء، وبلاء عمنا فكلنا فيه سواء، شعر

المرء يحيى بلا ساق ولا عضد ولا يعيش بلا قلب ولا كبد

بي مثل ما بك يا حمامة غنديني وقد قلت شعر

ولم تعرف حرارة ما اعانى سوى قلب كواه ما كواني

وانا لم اخل قلبي في وقت، من هذا الفكر الذي اوجبه الهم والمقت، واعلم ان سهام اراء العقلاء، ونبال افكار ذوي النظر من الحكماء، انما تصدر من قوس واحدة، وتتوجه الى غرض طريقة غير متعددة، وقال العظماء، واولوا الاعتبار من الحكماء، بل اطبق ارباب العقول، وابمة الدين من اصحاب الاصول، ان قضايا العقل صادقة، والسنتها فيما تحكمه بالصواب والاصابة ناطقة، غير ان كثيرا ما تشتبه القضايا العقلية، لسوء التصور بالقضايا الوهمية، فيقع الخطاء بواسطة الوهم في الفهم، وينسب الى العقل ذلك السهم، والا فالعقلاء جميعا، ان القضايا العقلية لا يقع فيها الخطاء قطعا، وان قضايا الحس، لوقوع الاشتباه واللبس، بحضور انها حق، ويقضى لها وعليها بالصدق، وانما وقع الخطاء لحصول الاشتباه، وعدم التامل والانتباه، في القضايا الحسية، والقضايا التي هي بحاسة البصر مرئية، كما وقع ذلك في حادثة الطريقة البغدادية، فوقوع الخطاء بالوهم اولى في القضايا العقلية، لان شرطها اخفى، واحكامها معنوية، فسال الذكر، عن تلك البغدادية وما هذا الخبر،

وذلك كان في مدينة السلام بغداد، امراة من المتخذات اخدان، اسم زوجها زيد، وهي ام عمرو وذات كيد، لها عدة اخدان، تدعو الكل بالاخوان، ولم ترشد في السر والاعلان، قوله

دعتني اخاها ام عمرو ولم اكن اخاها ولم ارتع لها بلبان

فاتفق ان زوجها زيد، دعاه امير البلد الى الصيد، فرحب معه وسار، وخلت منه الدار، فسامع بذلك بعض اخدانها، فتوجه منهم طائفة الى مكانها، فاول من سبق، تاجر ذو شيب، فدخل بثياب بيض، وشاش رحيض، وهيئة نظيفة، وصورة ظريفة، فاسرع في الدخول، ومعه ما يلبق من المأكول، فتلقته بالترحاب، واخذا في لذيذ الخطاب، فما اسفر به الفرار، حتى قرع باب الدار، فظنته زوجها، وحقنه بوجها، فنهض خائفا، وخبر راجفا، وطاب مختبا يخفيه، وكنا باوى فيه، فلم يكن في دارها مخبأة لزوارها سوى دفيسى نفيسة، يصعد اليها من سفيفة، فارشدته اليها، فرقى عليها، وبادرت الى الانجاف، فاذا هو حريف صراف، ففحت الاغلاق، وتعرفا تعانق المشتاق، فدخل بهيئة زهرا، بلباس اخضر وعمامة خضرا، ومعه من الحلوى مجمع، ومن الزجاج اربع، فجلسا يتذاكران الحوادث، اذ قرع الباب ثالث، فظنت نبأ اوجى، وجاء زوجي، فوثب في رجفة، كانه ورقة سعفة، فسال عن مخباه، وستر يغشاه، فارشدته ربة الكرسي، الى ثوب الفيسي، فصعد اللاحق، وعلى السابق، وبادرت الزجاج، ربة الثلج، ولم الازواج، فاذا هو احد الظرفاء، وكانت للحرفاء، رجل زيات، ومعه مجمع سكر نبات، فتلقته بالتكريم، واجابته بالتسليم، فدخل بثوب اصفر، وشاش معصفر، فشرعا في الملاعبة، والملاطفة والمداعبة، فدق الباب، رابع الاصحاب، فبادر الزيات الفرار، وطلب مختفا للفرار، فدلته في الفرن الى المعهود الفرن، فصعد اليه، ولحق بصاحبيه، وتوجهت الى الباب، فاذا هو احد الاحباب، وهو رجل قصاب، وعليه ثياب سود، وخفه المعهود، وعلى راسه ميزر ثمين، وبيده خروف سمين، فقالت اهلا وسهلا، وارفع محلا، بالحبيب النجيب، والبعيد القريب، فدخلا واشتغلا بالخطاب، وانتبها عن رتاج الباب، وكان في تلك الحلة، شخص احدب ابله، يدخل البيوت ويتمسخر، فلا يمنع من ذلك ولا يزجر، ويلاطفه الاكابر والاعيان، ولا يحتجب منه النسوان، فمر على باب زيد، فراه لا اغلاق ولا قيد، فدخل على غفلة، ولم يستاذن اهله، فلم يشعرا به، الا بعد حلول ركابه، فوجم لرؤيته القصاب، وخاف من حلول مصاب، وتشوّر وانحرف، فقالت له المراة لا تخف، انما هو اباه، مستخرة في اهله، فاخذوا يتلاطفون، ويتمازحون ويتطارفون، الى ان قرب الليل، وفات النيل، فطرق الباب، ووصل الزوج بلا ارتياب، فلم يشعروا الا والبلاء قد اقبل، ومصابهم الاعظم في اضعافهم قد نزل، فاضطربوا وانتبطوا، واختلت قوائم وارتبطوا، وطلب القصاب مخبا، فارته للفيسي دربا، وطاب الاحدب، من ثم زيد المهرب، فكان في ارحى البيت تنور، فنزل فيه وهو مصرور، وغطته بعطفه، وسترته بمعطفه، وطاب، وراب زيد افتضح في ابطائه، ثم توجهت الى الباب، وهي في اضطراب، فدخل زيد وهو سكران، ومن تاخير فتح الباب غضبان، وكان قد تناول مع مخدومه، وتعمد بشيء عقله دست كرومه، فلما نزل عن السرج، راى الزوجة في هرج ومرج، فانكر حالها، وسالها ما لها، فقالت كرعت فقدك، وخانني عندك، فلا ذقت بعدك، ولا عشت بعدك، فقال للفيسي، اي دور،

بل تستخرين بى اى فجار، انما انت فى حركة، فلا طوح الله فيك بركة، فقالت انت مجنون، واى حركة عندى تكون، فشرع فى حربها، واستطرد من سبها الى ضربها، وعزم على تفتيش البيت، والاطلاع على ما فيه من كيت وكيت، فاختشت ان يخرج امرها عن دايره الستر الى لو كان وليت، فبادرت المعركة قبل وقوعه وبادرت الى تلافى الملاف بالهيت، فتشكت من الاذا، وقد تناولها بالضرب والسبا، ورفعت يدها الى الدعاء بالندا، وقالت الهى وسيدى، وسندى ومعتمدى، ان كنت تعلم انى مظلومة، وبراه ساحتى عندك معلومة، فانزل الى امنك ملكا من ملايكة رحمتك يخلصها من هذا الظلوم، وينكشف ستر هذا السر الموهوم، فبادر الساحر بالانتهاض، ونزل بثيابه البياض، ودخل عليه، وقبض على اذنيه، وصفع على خديه، وقال اتركها يا ظالم، فانك معتد اثم، وهى بريئة، وشمايلها زكية، وضربه ضربتين، وشجه شجتين، ثم امر الباب، وترك الاصحاب، وسرع فى الذهاب، فلما راى هذا زيد، عرف انه خديعة وكيد، وقال يا اخس الفواحش، وانهش الفقارش، تريدين خدعى وسحرى، وخذلى وخسرى، وتبغين بما تبغين ختلى ومكرى، اولست بعريف، انه لك حريف، ثم زاد فى سبها، وعاد الى ضربها، فقالت يا الهى، وسيدى وجاهى، ان كنت تعلم، ان هذا الاثم، انكر المنكر، وراه وما صدق، فانزل عليه ملكا اخر، ذا جناح اخضر، ياخذ بحقى منه، ويكشف ستر عنه، فقالوا للخرقاء، وكانوا طرقاء، للصرف، ثم غير مختفى، وشدد عليه، واوصل الالم اليه، فنهض ذلك المعلم، وبادر الى المسلم، ونزل اليه، ودخل عليه، وقال اكشف يا ذا العار، عن عفيفة الاسنار، فانها بريئة، وعما تتهم عريئة، ومد يده لكمه، وبالغ فى سبه وشتمه، ثم خرج من الدار، وبالغ فى الفرار، فقال يا للدربة، من ذى الصحبة، الناس بواحد وانت باثنين، وقد جعلت زوجك ذا القرنين، ثم اخذ العصا، وضربها ضرب من عصى، فقالت يا اله العالمين، تعلم ان هذا من الظالمين، امدنى بالملك الاصفر، صاحب الدرج والمغفر، والثوب المعصفر، يبرى ساحتى، ويهدى راحتى، فانى مظلومة، وقصتى معلومة، فقال الجبار للربات قم ارنا الكرامات، وقدم صنعتك وهات، فهتفت الربات، ونزل الى تلك المقتات، وقال ايها اللئيم، كف عن الحريم، وارجع عن لوم البرى، واقصر ايها الجبرى القترى، ثم تناوله بعصاه، الى ان الم فقاه، ثم تركه فى الحركة، وخرج فارا، وقصد جدثا، فقال زيد اوسع القصاب، واسرع ذوات السباب، تعذبن حرفاك واحدا واحدا، وتعوضينهم على صادرا ووارداً، ثم نهض بالعصا، وتناولها مغليا ومرخصا، فمادت وآدت، وبادت وبادت، انهى هذا لم يعبر بملايكتك الكرام، ولم يزجر بهذا الضرب والايلام، فامدنى بملك النيران، الزبنى الاسود الغضبان، يخبره بصدقى، وياخذ منه حقى، ويفعل معه ما يجب، فان راجيك لم يخب، فما عتم العقاب، ان زجر كرعد السحاب، واخذ فى الاصطراب والاضطراب، واسرع فى السلم الانسياب، فلما سمع زيد العياط والصياط، وزماجر الهياط والمياط، بهت واخذه الصواط، فدخل عليه فى بغرة وغشمره، وترنا بصورة بشيعة منكرة، وخطف من يده العصا، وضربه بها حتى سقط، وقال اى اخس ذميم، واتعس زنيم، اما زجرك ونهاك، وكفك وكفاك، عن ظلم من الاملاك، ام والله لئن لم تتركها، وفى مالك ومنالك تشركها، لندمرن ديارك، ونمحون اثرك، ثم نرده ونغلب، واودعه جمر اللهب، فلما راى الحال، تسجت على هذا المنوال،

اسكان، وطلب الامن، ومعاه عنيه، وتمم بديه ورجليه، وجعل يتململ من الم العذاب، وقال كان الدعاء في هذه الساعة مستجاب، ثم دل من شده كربه، وحرقه قلبه، الهي ومولاي، كما استجبت دعاءها استجب دعائي، وكما انزل من السماء لتفريجها اخرج لها من الارض عقربا ينيكها، وليكن ذلك بمرآى من عيني وامامي، حتى تسكن قلبي وتبرد اوامي، فما صدق صاحب التنور، حين سمع الدعاء المذكور، والنداء المقبول المشكور، حتى ظهر من مجثمه كالشواظ المسجور، وقام امام لهوه المصاب، واستعمل من قواعد النحو الرفع والجر والانتصاب، ورفع العمودين واولجه للحراب، ولا زال ذلك الامام، يتردد في البيت الحرام، وقد نال في الحرم امنا، حتى رمى الجمرات وامنى، ثم قبل فاها، وخرج مسرعا من قراها، وخلى الدار دمعي من بناها، فقتح زيد عينيه، وحملق حواليه، ثم قال يا افذر العجاب، فكذا يكون الدعاء المستجاب، وانما اوردت هذا الكلام، والتمثيل لكي يا امام، ليتبين كل عالم همام، ويتبصر اولوا العقل والافهام، الفرق ما بين فضايا الحس والعقل والاوهام، وقد شبه العقل بجبل عال، عزيز المنال، وكل من قصد الصعود اليه، والارتقاء عليه، لا يصعده الا من طريق واحدة، منها يوصل منه الى الفايدة، وسلوك طريق المعاشرة مع العقلاء، وذوي الآراء والالبباء، في العداوة والصداقة، بالحضور والرياسة، واللطافة والخدمة، والخوف والرجاء، والابتداء والانتهاء، انما هو من باب واحد، لا من طريق متعدد، ولاجل هذا يا متيحر، سلوك مثل هذه الطريق معهم ميسر، لا متعوج ولا منعسر، وراس خيط هذا الشمبوط، بالاستقامة والصلاح مضبوط، بخلاف الجهال والحمقاء، والسفهاء والسفهاء، فان امورهم منفرطة، وافكارهم واراءهم غير منضبطة، فتكدر خواطر العقلاء في تعاملهم، وتعيي طبيب الفكر في تهذيب احمقهم وتاديب سفيههم، وقيل شعر

انـي لآمن من عـدوّ عاقل ... واخاف خلًّا يعتريه جنونُ

والعقل فنٌّ واحـد وطريقه ... ادرى وارصد والجنون فنون

ولهذا قيل معاداة العاقل، خير من مصادقة الجاهل، ثم قال غرغرة، في اثناء هذه الفقرة، واما ما ذكرت من البيان، من مفارقة الاوطان، وترك هذا المكان، اما سمعت حديث اشرف جنس الانسان، ان حب الوطن من الايمان، وقد الفنا وطننا وحبّبه، وقاع اصول محبته من قلوبنا صعبة، وهو في معزل عن طرق الجوارح، ومكمن عن السوانح والبوارح، وانما تعرض لاولادنا تلك الافة، من تراكم العساكر المصافة، وما يحصل من اقدامها من كثافة، وانا اخاف ان انتقلنا من هذا الوطن، تخرج من ايدينا هذا السكن، ولا نحصل على ماوى بليق، اولا توافقنا الغربة او يمنع مانع في الطريق، فنفصد الربح فيذهب راس المال، فنتحسر ما في ايدينا في الحال، ولا يحصل المامول في الاستقبال، وكيف وهو مسقط راسنا، ومحل انسنا واناسنا، فالاولى بنا الرضى، والانقياد لاوامر القضا، وملازمة الوطن القديم، والسكون تحت تقدير العزيز العليم، وقد قيل انما يشفى العليل اذا ترك مشتهيات نفسه، وقيد متمنياته في قيد حبسه، ولا بد للمريد من ترك المراد، وللقانع من قطع النظر عن الازدياد، والحرية في رفض الشهوات، وكل ما هو ات ات، واما وقايع الاولاد، وحصول الانكاد، وما يقع منها بسببهم في كل اوان، فنحسبها احدى ما يحدث لنا من نوايب الزمان، ونحن بـل كل

المخلوق، عرضة للنوائب والآفات، وطعمة لسنابك المقدور، ونهبة لحوادث الدهور، ولو انسلخنا عن وطننا، وتحولنا عن سكننا، وبعدنا عن الحبايب، ونزحنا عن الاهل والاقارب، وجاورنا الاباعد والاجانب، لا يطيب لنا مقام، وتكدر اوقاتنا على مرّ الايام، فلا نزال بين تذكر الوطن المألوف، وحنين الى الصاحب المعروف، فيسهل عند هذه الانكال، مفارقة الاطفال، ثم اعلم، ايها الصاحب الاعظم، انه لو تيسر لنا الانتقال، انتظام الامور والاستقامة الاحوال، وحصلت الاولاد، وزالت الانكاد، وصفا الوقت، وزال المقت، فان الخاطر يشتغل، ونار القلب بسببهم تستعل، فانه من حسن وجود الولد، يتقيد بتعهده القلب والجسد، وتتصرف النهمة الى القيام بمصالح معاشه، الى حسن مرعاه وارتياشه، ويرداد القلب تعلقا بمحبته، ويتقيد للخاطر بالالتفات الى عمل مصلحته، ويتضاعف ذلك يوما فيوما، وشهرا فشهرا وعاما فعاما، فان نابه والعياذ بالله نوع الم، او اصابه ضرّ او سقم، انصبت عليه الجوارح، وانقلبت الهموم على القلب والجوانح، فان آل ذلك الى موت، واستحال وجوده الى عدم وفوت، فهو المصيبة العظمى، والطامة الكبرى، وان سلم من هذه العاشات، وبلغ سن الادراك سالمًا من الآفات، وجرى الى بر الشباب من بحر المخافات، ازدادت كلفته، وتضاعفت مونته، وركب والداه في ذلك كل صعب وذلول، وذنبا من مسالك الكدّ والكدح في كل عرض وطول، وتحملا انواع المشاق والاثام، وارتكبا فيما اكتسبا اصنافا من الحلال والحرام، وهذا اذا كان مطيعا، ولاوامرهما منفادا سميعا، واما اذا ركب جموح العقوق، ونسي ما لهما عليه من حقوق، فهي مصيبة اخرى، وداهية نكرى، وبحسبر كما قيل شعر

ومن نكد الدنيا على الحرّ ان يرى عدوًا له ما من صداقته بُدّ

وعلى كل تقدير، وانت بهذا خبير، وبدقايقه عليم، ان الاولاد بين الابوين وبين الاخرة سدّ عظيم، لا يخلص مع الالتفات اليهم لله طاعة، ولا على الانقطاع منهم الى طريق الاخرة استطاعة، وناهيك يا ذا الذكاء والفطنة، اخبار من انقذك من هذه المحنة، انما اموالكم واولادكم فتنة، فاسمع هذا الكلام باذن الخفيق، واسلك في سبر معانيه اوضح طريق، وحقق يا ذا الارشاد، ان وجود الاولاد، عند ذوي البصيرة من النقاد، نقد مزيّف، ومتاع مزخرف، وسم تحت حلوى، وسرور فوق بلوى، وغربة مردودة، بعد اوقات معدودة، وايام محدودة، بل لعبة من خشب، مموّهة بالذهب، وظلا من نضار، على كوب من فخار، وقد نبه على هذا رب العباد بقوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر من الاموال والاولاد وكما ان الاطفال الصغار، الغافلين عن دقايق الاسرار، اذا نظروا الى اللعبة المزينة، والخشبيات المصبغة المستحسنة، انهوا بها عن اكتساب الاداب، وملازمة العلماء والمشايخ والكتاب، فيبلغون وهم جاهلون، وعن طرق اكتساب الكمال ذاهلون، ويشيبون وهم احداث، ويتصورون انهم ناظرون وهم اخباث، كذلك كل من التفت الى غير الله خاطره، والتهى بامور الدنيا من المال والولد سرايره وضمايره، وحرم عن الانتماء على دقايق الملك والملكوت، وفاته لذات الوقوف على دقايق الرغبوت والرهبوت، فهو عن الله تعالى محجوب وفي عساكر الاموات وان كان حيا محسوب، كما قيل شعر

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله واجسادهم قبل القبور قبور

وان تمرد ثم تحي ساعة فليس له حتى النشور نشورُ

قال الله تعالى وكلمته العليا، العلم والجنون زينة الحيوة الدنيا، وهذا صريح بالشهادة على ما تقدم، وحاشاك صدا قلبك بغروره وصقله، فلا تكونن كالذاهل، ولا تعلقن قلبك بغير الله، فولا واعتقادا بعد ما في ساعات النصائح خير عند ربك ثوابا وخير املا، واجهد يا حبيب في اصلاح قلبك الكليم، وتبغ لما فيه الحكم العلم، محذورا من حكمة العذاب الاليم، عاملا بما يرضي السميع العليم، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم، واذا علمت هذا وحفظته، وحررته وصدقته، فاعلم ان الاولى بحالنا، والاحسن للعثر في مثلنا، ان نعد ما نحن فيه من جملة النعم، وان هذا الذي عسم لنا من القسم في العدم، ولا ننقل عن دائرة الرضى والتسليم قدما عن قدم، وننظر ما يتولد من حوادث الزمن، ولا نرخي في ميدان التلمع العنان، ونعرض على جامع الخاطر، ما دل المشعر، شعر

كم دار عافية تبدّت بغمر قرى على بقاع وكم قصور بلا قمر
هوّن عليك امورًا انت تنكرها فالدهر يات بانواع من الغير

قال المتحدي جميع هذا المعقول، صادر من موارد المنقول، موافق لما ورد به المنقول، لقد غصت في بحر التفكر، على جواهر الحكمة، فما تركت في ميدان المسائل، مجالا لقائل ولا مجالا لجادل، ولكن لا ينبغي للعاقل، ان يغفل عن حوادث الدهر، ولا يستند ظهره لكوارث العصر، فان طوارق الآفات، وخوارق العادات، وصحن الزمن، وغمن الدوران، محتجبة وراء استار، ومنظورة في انواع انوار، والفلك الدوار له في علم الادوار، نعيبات ابتكار، يبرزها للنظار فتلعب بالافكار، ويذهب في سنا برق محارفها ابصار الابصار، ويخطى في حركاتها الراي المصيب، ويدهش في دجى حندسها القطن الاريب، وقد بادت القدماء، وعجزت القوى والقدر، وحارت عقول البشر، دون ادراك ما يبرز كل وقت من الصور، من وراء ستر الغيب مستعيد الفناء والقدر، ولم يعهد من الدهر الخوون، والزمن الماجنون، اذا استقام او عدل، او جد او هزل، او امر بنازل فنزل، او ولّى او عزل، او اقبل او اعتزل، او نقص او غزل، ان يرسل قبل ذلك منذرا، او مبشرا او محذرا، ليستيقظ النائم، او منهض الجاثم، او يحرك الغافل، وانما يحتم بغتة، ويهجم في سكتة، و ياخذ على غرة، فلا يقلت منه فلتة، ولا تمهل الى لحظة ولا لفتة، وقد قيل شعر

يا راقد الليل مسرورا بأوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تركنن للميل طاب اوله فرب احر لميل اوجب النارا

وعلى هذا لو وقع منا غفلة او ذهول، عند قدوم هذا المجلس المهول، فاحترم والعياذ بالله واحدا منا، ونحن احسن ما نكون سكوتا وامنا، فكيف ترين يبقى حال الاخر، وهل يصبر الا كما قال الشاعر، شعر

ما حال من كان له واحدٌ يوخذ منه ذلك الواحدُ

واذا بقي احدنا منفردا، وانعزل متوحدا، ما ذا يقيده الوطن، والخيرات والسكن، وهل يبقى لذة وصال النفس سنة، بالم فراق تلك الساعة الخشنة، كما قيل شعر

ان كان فراقنا على التحقيق هذه كبدى احس بالتمزيق
لو دام لنا الوصال الفى سنة ما كان بفى بساعة التفريق

وايضا

لا كان فى الدهر يوما لا اراك به ولا بدت فيه لا شمس ولا قمر

وكل من لم يفتكر فى العواقب قبل حلولها، ويتامل فى تداركها بقدر الطاقة قبل نزولها، ويطمئن الى سكون الزمان، ويسند ظهره الى مسند الخذلان، ويحمل الكسولين على القضاء والقدر، ويرفع يد التدبير عن تعاطى اسباب الحذر، كان كمن ترك احدى زاملتيه فارغة، وحشا الاخرى من الاحجار الثقيلة الدامغة، فانى يستقيم محمله، او يبلغ منزله، فلا يزال حمله مايلا، وخطبه هايلا، فالعاقل يسعى فيما يظنه نفعه، ويبذل فى ذلك غاية جهده ووسعه، ولا يترك الطلب، ولا يغفل عن السبب، ويعمل بموجب ما قيل شعر

فلا وابيك لا ادع احتياطى وما لى فى قضاء الله حيلة

وعلى كل حال، يا ربة الجمال، تعاطى الاسباب لا يقدح فى الاتكال، وناقبك با مابحة العمل، حكاية الحمار مع الجمل، فسالت غرغرة، ان يبين ذلك ويذكره، قال بلغنى انه تزاقن فى المسير، عبر مع بعير، فكان الحمار، كثير العثار، مع ان عينيه، تراقب مواطئ رجليه، وكان الجمل على عظم هامته، وعلو قامته، وبعد عينيه، عن مواطئ يديه ورجليه، لا تزل له قدم، ولا تضل له امم، فقال الحمار للبعير، ايها الرفيق الكبير، ما بالى فى المسير، كثير التعثير، دايم الوقوع والزلل، والعثار والخلل، لا اخلو من حجر، يدمى منى الحافر، او عثرة ترميني فى حفرة حافر، مع ان عينى، تراقب يدى، ولا تنظر سواهما الى شى، وانت لا تبصر مواطئ اخفافك، ولا تعرف على ما ذا تقع رؤس اظلافك، لا حجر يصيب خفك، ولا شوكة تخرق كفك، ولا جمرة تقع فيها، ولا تختل عن طريق تمشيها، ولا ادرى هذا، مما ذا، قال ابو صابر، يا اخى نظرك قصر، وفكرك غير باصر، لا تراقب ما بين يديك، ولا تنظر ما امامك الك ام عليك، فاذا دهمك ما دهاك، عجز عنه نهاك، فلا تشعر الا وقد وقعت، واخرق ما رقعت، فلا يمكنك التدارك والتلافى، الا وانت رهين الملاف، واما انا فاراقب، ما يصير من العواقب، وانظر امامى الطريق على بعد، فامير السلوك من قبل ومن بعد، فلا اصل الى صعب الا وقد اذللته، ولا الى وعر الا وقد سهلته، ولا الى وهدة الا وقد رابت طريقها، ولا الى عقبة الا وقد كشفت واسعها وضيقها، فاستعد للامر قبل ورده، واهب للتخطب قبل حلوله، واحتال للقضية قبل وصوله، واحكمه قبل ان يعقد، واقيمه دون ان يعوج، وخذه عدة للفقهاء، واصل كبير للحكماء من العلماء، انهم قالوا ان الدفع، اهون من الرفع، ومن كلام الاطباء، واصول حذاق الاطباء، قولهم شعر

اطلب حفظ الصحة بدؤ مرض من سبب فى بدن اذا عرض

وانما اوردت هذا المثل، عن الحمار والجمل، لتعلمى يا ست الجمل، انه لا بد لنا من اخذ الاهبة، قبل النهبة، فما كل مرة تسلم الجرة، وقد قرب وقت وضع البيض، وبعده يدهمنا من سيل العسكر الفيض، فلا بد من اعمال الفكر المصيب، فى وجه الخلاص من هذا الامر العصيب، كما قيل

مهّدْ لنفسك قبل النوم مضطجعا

قالت غرغرة، الحكيمة المدبرة، جميع هذه الاخبار، لا تخلو عن دقيق الانظار، وتحتوي مصيب الافكار، وغامض معاني الاسرار، وكل عاقل يقبله ويقبل يديه، ويمسله ويقبل عليه، ولو فكر مصيب يجثو للافتباس بين يديه، ولكن غلب الاغراض الدنيوية، والمسارعون الى نيل المرادات والامنية، على فوق شتى، واذا اقصاها حتما حتى، منهم من يبلغ الامل، بقوة الجد وبذل الاموال، ومنهم من يساعده الدهر، ويعاضده معاون العصر، وينهض به سعد التدبير، فيقوم معه كل كبير وصغير، كما قيل شعر

واذا اراد الله نصرة عبده كانت له اعداؤه انصارا

فيعتبض له المساعد، ويعضده المقارب والمباعد، فلا يحتاج الى كبير سعي، ولا الى استماع النصيحة ونفعها الى وعي، بل يصل الى قصده بدون كده، وبغير جهده وجده، فمهما فعل انجح، ومهما قصد افلح، وحيث ما توجه اربح، وابنما مال ارجح، ومنهم من يحتاج الى جهد جهيد، وسعي مديد، وكدّ طويل عريض، وجد عريض غير غريض، مع مساعد ناصح، ومعاون صالح، وتعاطي اسباب، وفرع ابواب، وفكر دقيق، وسعد رقيق، حتى يبلغ مراده، ويصل الى ما اراده، ومنهم من يغلب عليه الكلة والطمع، وشره الحرص والهلع، فيسارع الى نيل ما يرومه، فيلقيه في هوّة الحرمان حرصه وشومه، فيقع من التعب والنصب في هوة، ويحرم لكونه اعتمد على ما له من حول وقوة، فيصير كما قيل شعر

بالحرص فوّتني دهري فوايده فكلما زدت حرصا زاد تفويتا

ومنهم من يتمنى ثم يتكاسل، ويرجو ويترقب ويتساهل، فيحرم مقصده، ويرد عاجزه عن مراده يده، وقد قيل في المثل تزوج النوالي بالكسل فاولد الرجال الفقر والحرمان، فانظر يا ذا الركون، والوقار والسكون، نحن من اي هذه الفرق نكون، وانت تعلم انا لا نقدر على مقاومة العقاب، ولا ان ندفع عن انفسنا ما ينزل بنا من عقاب، فانه اذا ثار العقاب، يبلغ الثريا والسحاب، ونحن اذا تحركنا في الهوا، فلا نقدر ان نرتفع عن وجه الثرى، وقد قيل في المثل كما ترى، اين الثريا من الثرى، وقيل من تعلق بحصير هو اقوى منه فقد سعى في هلاك نفسه برجله ووضع تراب الدمار على راسه بيده وكنت يا بدري، انشدتك من شعري،

ومن يتشبث في العداوه كفه باكبر منه فهو لا شك هالكه

وكان مثله مثل النملة الحقيقة، التي ينبت لها اجنحة نعيقة، فتحركها دواعي الطيران، فتتصور انها صارت كالنسور والعقبان، فبمجرد ما ترتفع عن الثرى، الى الهوا، انقضها عصفور، وخطفها اصغر الطيور، ولهذا قيل شعر

اذا ما اراد الله اهلاك نملة انال جناحيها فسيقت الى العطب

ونحن ما لنا اطلاع على مكامن الغيب، فنزه نفسك عن هواجس الريب، وليس لنا مساعد من الاقارب والاباعد، ولا لنا مال، ولا خيل ولا رجال، ونحن اقل من ان يساعدنا زمان، او يعيننا على العقاب

اعيان، فامر بمنع الا التركمان، والاقدام على حركات السكون، فما ندري غدا ما ذا يكون، واعلم ان حركاتنا مع العرب، والجامع لنا معه من الاسباب، متحدة في الجنسية، وطريقتنا معه من جنس ما له من طريقة، وهي الطبيعة، ولنا فيها سوية، وهو منها كاعتبار القران من الفصاحة في الطرف الاعلى، وفي منها كالحواب الحيوان في الطرف الادنى، فالاولى تحاما الاصطبار، الى ان يعمل لكسرنا من عالم الغيب الجبار، كما قيل شعر

مبلا ابا العنقر فلسم شاسر ... خير صريعها بعد خليق
زوجت نعمى لم تكن كفوها ... آذنتها انه بيناسيون

وعمل

الامر تحدث بعده الامر ... والعسر مقرون به اليسر
وحلاوة الحيوان من عسل ... بالبي وان حلاوتي العبر
والصبر يعقب بعده شكر ... من نعمة فانبك او اجر

قال الذكر، هذه الفكر، من الحواب قريب، وسهمها عند اولي البصائر والنجارب مصيب، ولكن من يتكفل ببقاء العمر الغدار، والانتقال الى الاوطار، ونقوم بالامن من حوادث الليل والنهار، وانسبت انشادي في الوادي، يا زين النادي، وجمال الحاضر والبادي وهو

لئن بادرت في تسليم روحي ... اليك فعاذلي عن ذا يعوق
وان اسرعت نحو الوصل عذرا ... فعمري من ورا نهري يسوق

ثم قال النجدي، والراي السديد عندي، والذي اعيده فيه وابدي، ان نتوجه الى حضرة العقاب، ونكشف عن وجه مرادنا لديه النقاب، ونطلب منه الامان، من عوادي الدهر ونكبات الزمان، ونستظل بجناح عطفه، وننتظم في سلك جماعته وخدمته، فانه ملك الطيور، وبيده ازمة الجمهور، وهو وان كان سلطان الجوارح والكواسر، وشيمته سفك الدماء والتمزيق بمخاليبه النواسر، لكنه ملك عالي الهمة، ومن شيم الماوك الشفقة والرحمة، ولا تقتضي همته العالية، الا الشفقة الغالبة، خصوصا على من يرتمي لديه، وينتمي اليه، ولا تدعه شيمته الابية، وهمته العلية والحمية، ومسالمة الشهمة الماوكية، ان يتعرض الينا بضرر، او ان يطير الينا منه شرر، بعد الاستغراب في الكوكرة، العجب كل العجب، من رايك المنتخب، وفكرك المنتجب، انك تحلئ منه الغث بالسمين، وتسوق فيه الهجان مع الهجين، فمارة تصيب حدقة الغرض، واخرى تصرف السهم عرض، فتصبر كما قيل شعر

تلونت حتى لست ادري من الهوى ... اريح جنوب انت ام ريح شمال

هذه المصائب التي نشكوها، والنوائب التي نفراء سورها ونتلوها، هل هي غير ما نقاسيه من العذاب، ونعانيه من اليمر العقاب، في لحظة من ملاقاة عسكر العقاب، ثم انك انت تحرصت في ارائك وسعيت، وشرقت في افكارك وغربت، وتباعدت وتقربت، وارتفعت وحلقت، وامتنعت وسقطت، وجئت بحمت، وفعدت وثبت، ثم اسفر رايك السديد، وفكرك الرشيد، وامرك السعيد، عن ان تحرز بسلاسل الحديد، الى العذاب الشديد، وتخلدنا فيه الدهر المديد، ولا والله بل نريد، ان تمشي بارجلنا الى الشبكة، ونلقي بايدينا انفسنا الى التهلكة،

شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقد انتهيت في هذه الحركة، ملك الجزر والسمكة، فقال النجدي لابنة السعدي، ارجعي على اغصة، بقص هذه القصة، فلت كان في بعض البروج، من قرى سَرُوج، نهر كثير الحيتان، شديد الجزر، وفي مكان منه مصون، ماوى لملك الجزر البلشون، فكان يتصرف في تلك السمك، تصرف الملك فيما ملك، فمضى في ذلك عمره، وزجّى اودنه في طيب عيش ومسرّة، الى ان ادركه المشيب، ورحل عنه العمر القشيب، وكساه يد الدهر دلوق، ومن نعمّره ننكسه في الخلق، ورأى من الكبر، اصناف العبر، الى ان ضعف عن الاصطياد، وجرى عليه من الالام والانكاد، ومن نوائب الدهر ما الزمان به معتاد، فصار يمرّ عليه برهة من الاوقات، وهو عاجز عن تحصيل الاقوات، فمرّ جوعه في بعض الاحيان، وقد علته كآبة الاحزان، ووقف على النهر، متفكرا في تصرفات الدهر، فمرّت به سمكة، لطيفة الحركة، فراقته في ذل الانكسار، سابحا في بحر الافتكار، لا قدرة له ولا حركة، ولا نهضة لاختطاف السمكة، فلم يلتفت اليها، ولا عوّل عليها، وقد اوطأته الحوادث، اقدام الهموم الكوارث، وبدّل ربيع شبابه بخريف الهرم، وحرارة حربه ببرودة السلم، فوقفت لديه، وسلمت عليه، وسالته عن موجب تفكره، وسبب تحيره وتحيره، فقال تفكرت ما مضى من الزمان الناضر، وما تقضى فيه من طيب العيش وانشراح الخاطر، وقد تبدل وجوده بالعدم، ولم يحصل من ذلك سوى الذنوب والندم، وقد وهنت العظام، واستولى على الجسد السقام، وتزلزلت اركان الاعضاء، وتراكمت فنون الادواء، واشتعل الشيب واتقد، وحر الالام وقد، شعر

عزمت على اخلاء جسمي روحه ... من خرق شيب كل عنه الرافعُ

فلمت اسكنيه يا عمادة عمره ... قالت فكيف وبيت جسمك واقعُ

ثم قال ولم افق من هذه السكرة، ولا وقعت في هذه الفكرة، الا وسفينة العمر بالساحل قد ارست، واصبل شمس العيش على فلة الفناء امست، فما امكنني الا التلافي بالتوبة والندم، قبل حلول النوائب برلة العدم، والتطهر من جنابة المظالم بمياه الاستغفار، والالتجاء الى جانب الحق بالانكباب في الاستغفار، وغسل اوساخ الذنوب والمظالم بدموع الاقابة والاعتذار، شعر

وما اقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للراس شامل

فاعلمي ان جامح هواي قلع، ضرس الامالي والطمع، وجارح متمنّاي نزع، خوافي الشره والبلع، وقد قدمت الى هذا المكان، لانخلل من السمك والحيتان، فاني طالما اغرتُ على عشايرهم واولادهم، وخضت في دماء قلوبهم واكبادهم، وشتّت شملهم، وخوّفت جلّهم وقلّهم، وارهبتهم وارهبتهم، واقلقتهم وفرقتهم، وارقتهم وافرقتهم، وغرّبتهم وبالدماء شرقتهم، فرابت براه الذمة في الاولى اولى، والمبادرة بالتوبة قبل المصير الى الاخرى احرى، فلعل احمال الذنوب تخف، وسحايب الغفران تكف، فلما سمعت السمكة هذه الحديقة، ووعت ما فيها من حركة بديعة، شربتها انطاعها، ودعاها انخداعها، الى ان قلت فما ترى ايها العبد الصالح، ان اتعاطاه من المصالح، فقال ابلغي السمك هذا الكلام، بعد ابلاغ التحية والسلام، وان يكون العبور، من بعد اليوم، آمنين من سطوتي، سالمين من حملاتي،

ساكتفين الى حركاتي، بحيث تنجلي الظلماء ويعود بيننا الحرب سلما، وتنام السمكة في الماء، فلست لا بد من اخذ العهود على النواء بهذه العقود، واقابها المعاهدة على المصالحة، ثم تاكيد الامان بحالوف الانس والجان، ولكن كيف اصالحك وانا طعمتك، وانى التماس من فمك اذا وضعت فيه لقمتك، فل لها ارمي هذا العلف، واربطي به حتى لنامني الخلف، فاخذت قبضة من الحشيش وقالت، والى ربط فكه اميلت، فعند ما مدّ منقاره الى الماء، وقربت منه السمكة الحيا، لم يقدر ان افلتها، ثم ابتلعها، وانما اوردت هذه اللطيفة، يا ذا الحركات الغريبة، لتعلم ان قربنا من العقاب، انقاونا انفسنا بايدينا الى انيم العقاب، ولين غرب عنك نهاك، حتى تسعى بنا الى عين الهلاك، ونحن قوت العقاب وغذاؤه، ولداء جوعه شفاؤه ودواؤه، وهل يركن الى العقاب، ويسوم منه ضرب الرقاب، وقد قيل

انفاسه كذبٌ وحشو ضميره دغلٌ وقربته سقام الروح

وقد قيل شعر

انهاك انيساك لا انسوك معذرة عن ذمة بمن ذاب اللين والنفر

قل النجدي اسلمي، يا قرينة الحبيب واعلمي، ان الربيع وقت الربيع تكسو اكناف الاشجار، من انواع الازهار، ووجه الصحاري والقفار، من انوار الانوار، ما يدهش البصائر ويروق الابصار، وينعش الاجسام، ويشفي الاسقام، ويبرّد الغليل، ويبلّ العليل، لا سيما وقت السحر، نسيم الصبا في ضوء القمر، يرفي القلب والروح، ويحمي الصب المجروح، وكذلك المعرفات النشر واللوافح، والمعطرات بطيب الروايح، ودونك الحق في كلمته، ومن ايانه ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته، وفي الصيف الحرور العسيف، والسموم العصف، المذيب المذيف، وفي الشتاء وايام الخريف، الصرصر المخيف، بصفر اللون، وبغير الكون، ويعري الاشجار، ويسقط الثمار، ويثير الغبار، وربما كانت اعصارا فيه نار، وتسقم الصحيح، وتطير الهشيم في الريح، ومنها الاعاجيز الموحشات، والايام النحسات، ذات الزوابع والعواصف، والقواصب والخراجف، والصرصر والنكبا، والزعزع والرخا، وقد دل فيها العزيز العليم، ما سالنا عليهم الريح العقيم، ما تذر من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم، ثم اعلمي يا ربة الجمال، معشر الرجال، ان النار تحترق من بقربها، وتذهب ما يصحبها، وتنشف المياه، وتشوه الملاحة، وتسقم ما جدّه، وتاتهمه وبردده، وتسود بدخانها، وتؤلم الاجساد بقربانها، وتمحو الاثار، وتهدم الديار، مع انها تنضج الاطعمة، وتصلح الاغذية، وتهدي النور، وتدفئ القرور، وترشد الضلال، في الفلوات وروس الجبال، فل من بقول الشي كن فيكون، افرايتم النار التي تورون، انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشيون، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين، وكذلك الماء، يا ذات الثغر الالمعي، يذهب الظمأ، ويجلب النعماء، ويبرد الصدور، ويطفي الحرور، وينبت الزروع، ويدرّ الضروع، ويحمل المراكب، وما فيها من مركوب وراكب، فل القادر على كل شي، ومن الماء كل شي حي، واذا نفخ الملاك والعبد بالله، اخرجت الموات، وخلقت الراجل والراكب، وافتلعت الاشجار، وانقلعت الاحجار، وافاقت الروح والنمار، وان تراكمت الامطار، قطعت سبل الاقطار، وهدمت الديار، وردمت البحار، وسل عن ذلك ملابس الاسفار، ومجالس التوكاف من اهل الامصار، واذا

تكاثف الرش، غرقت مصر واذى اغاثها العطش، ونعوذ بالله من هجوم السيل، فى ظلام الليل، وكذلك التراب، يا زين الاحباب، نبت الخضرة والعنب، والتمر والرطب، والشوك والرطب، وتشرع سنان الشوك تحدد، وغصون النسرين المسدد، وبرى الورد والازهار، والرياحين والانوار، والافنان والثمار، والرياض النضرة، والغياض الخضرة، ثم اذا نارة وهاج العبار، مخرج من تحت الغوائر، فاعمى النواظر، فعبه الحلو والمر، والزوان والبر، والنافع والخشن، والقبيح والحسن، والارض مهاد وفراش، وفيها اسباب المعاش، وهذه المصنة والمنفعة، مركبة فى هذه العناصر الاربعة، التى هى اصل الكاينات، وسنخ ما نشاهده من المخلوقات، واذا كان ذلك كذلك، وذلك الله شر المهالك، واوضح لكم المسالك، فاعلمى بالتحقيق، يا صاحبة النفر العميق، ان هذا الملك الاعظم، بل كل اولاد بنى ادم، مركبون من الرضا والغضب، والحلم والتحنب، والرفع والحط، والقبض والبسط، والقهر واللطف، والظرافة والعنف، والجنونة والدلس، والحركة والتسكين، والبخل والسخاء، والشدة والرخاء، والوفاء والجفاء، والكدورة والصفاء، واعلمى يا نعم العون، وقرينة الصون، ان هذا الكون، سروره فى شروره منضم، وورده فى صدوره منتظم، وصفاؤه مع كدره مردوم، بجسمه بوظيفه ممتزج، فيمكن ان العقاب، تكونه ملذا ملك الرقاب، مع وجود ضعفه الدنيوى، مسلطونه الباشرة، وخلقة الشرس، الصعب النكس، اذا راى ضعفنا وذلنا، وانكسارنا وعلنا، تراحمنا لديه، وتعولنا عليه، يضمنا الى جناح عاطفته، ويسبل علينا خوافى مرحمته، ويعاملنا بالانصاف، ويسمح لنا بالاسعاف، دون الاعساف شعر

لكل كريم عادة يستعيدها

والقادر على الكسر والجبر، لا سيما اذا كان من ذوى النباهة والفخر، لا يعامل ذوى الكسر بالكسر، لانا فى مقام الابناء وهو فى مقام الابوة، والقوى على الضعيف ضعف فى القوة، وقالوا المصغر لا يصغر، وسجدة السهو لا تكبر، فلست غرضه ذات الصعوبة، هذا وان كان، داخلا فى حيز الامكان، لكن اخاف، يا ذا الانصاف، اذا تجرد الوقوف، بين يديه فى الصفوف، لا نمهل لاداء الصلاة، ولا للصلات فى المقامة، بل نعامل بالتعريف والتخريق، ونحن بعد فى الطريق، وتهوى بنا خوافق الطير فى مدان سحيق، فجوبنا هذا المطلب، اذ قبل الطبع اغلب، وهذا ان وصلنا اليه، وتمكنا بين يديه، واما اذا اعترضنا دونه عارض، وجرحنا من جوارح الطير معارض، ولا حول جميعنا، ولا قوة تنجينا، فينتف ريشنا كل بارع، ويتجاذب لحمنا كل طارع، فنصير مثلنا مثل النمس والزاغ، فسال اليعقوب، ذلك الرقيب، كيف هذا المثل، اخبرنى يا ست الاجل، قالت كان فى بعض البساتين العامرة، والرياض الناضرة، ماوى زاغ ظريف، حسن الشكل لطيف، فى راس شجرة عالية، اغصانها سامية، وقطوفها دانية، فانفق لنمس من النموس، فى وكره ضرر وبوس، فانزعج عن وطنه، واحتاج الى مفارقة سكنه، فعاده الزمان، الى هذا المكان، فراقه منظره، وشاقه نوره وزهره، واعجبه ظله ونهره، واطربه حريره نهره، فعزم على السكنى فيه، وتوطن الى ان يتوطن فى نواحيه، اذ راه احسن منزل، واذا اعشبت فانزل، ووقع اختبار ذلك الطاع، على وكر فى اصل شجرة الزاغ، فسوى له وكرا وحفره، فى اصل تلك الشجرة، والفى عصا النسيار، واستقرت

به هناك الدار، فلما راى الزاغ هذه الحال، داخله الهم والاوجال، واختفى ان يتدرج من ادناها، ويتدحرج الى اعلاها، وينشد الاصحاب، فى هذا الباب، شعر

ولما مضّنى الشوق الى نحو ابى طوق
تدحرجت ونزلى من تحت الى فوق

فيصل الى وطنه القديم، و يذيقه العذاب الاليم، فليس له خلاص، من هذا الاقتناص، الا مفارقة الوطن، والاذعان بالتحوّل عن السكن، وكيف يفارق ذلك النعيم، ويسمح بالبعد عن الوطن القديم، وهو كما قيل شعر

بلادٌ بها نيطت علىّ تمائمى واوّل ارض مسّ جلدى ترابها

فغلبت محبة وطنه على قلبه، ولم يطاوعه على فراقه لشدة حبه، ثم اعتراه فى ذلك الوسواس، واخذ يضرب اخماسا لاسداس، فى وجه الخلاص من هذا البأس، فراى المدافعة اولى، والممانعة عن جوارحه احرى، ثم افكر فى كيفية المدافعة، وسلوك طريق الممانعة، فلم ير اوفق من المخادعة، وتعاطى اسباب المخادعة، ليعرف بذلك اولا على حقيقة امره، ويعرف معيار خبره وشره، ويحمل الى مقدار قوته وضعفه، ورصانة عقله وفهمه وسخفه، ويسبر حالتى غضبه ورضاه، ويدرك غور احواله ومنتهاه، ثم يبنى على ذلك اساس دفعه، ويهدم ما بنيه من قلعته لقلعه، فهبط الى النمس من الهوى، وحفظ شيا وغابت عنه اشيا، وسلّم عليه سلام المحب على الحبيب، وجلس منه بمكان قريب، وخاطبه خطاب ناصح لا مريب، وابتهج بجواره، واستانس بقرب داره، وذكر له انه كان وحيدا، وعن الجليس الصالح والانيس الناصح فريدا، وقد حصل له الانس، بمجاورة النمس، وانه صدق من قال، فى هذا المقال، شعر

انفراد المرء خير من جليس السوء عنده وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

فاستمع النمس حديث الزاغ، وما طغى بحر بصيرته عن مكايده وما زاغ، ثم افتكر فى نفسه، ونظر فى مرآة حدسه، فراى ان هذا الطير بتخبث السيرة مشهور، وبسوء السريرة مذكور، لا اصله زكى، ولا فرعه على، ولا غايته مامونة، ولا فاتحته ميمونة، ولا خير عنده ولا ميز، بل تخشى منه الضرر والضير، وكانه فيه قيل شعر

وهو غراب البين فى شومه لكن اذا حينا الى الحى زاغ

ولم يكن بيننا وبينه قط علاقة، ولا واسطة محبة ولا صداقة، واما العداوة فانها مستحكمة، وكل منا لاخر مائلة ومطعمة، ولا اشك انه انما قصدنى، بطريقة سوء ومكيدة نكد، فان اضعت فيه الفرصة، اثارت الغدة، ووقعت من الندامة فى غمّة وغصّة، ولا يفيدنى اذذاك الندم، انى وقد فات المتاوب وزلت القدم، ع

واحرم الحرم سوء الظن بالناس

فالذى دعاه الحرم، والراى السديد والعزم، القبض عليه، الى ان يظهر ما لديه، ثم يرتب من مربعه، ويشب فى الزاغ مخاليب مقبضه، ويبضه قبضة اعمى، لا كالقابض على الماء فلما راى الزاغ هذا النكد، وانه قد صار كالفريسة فى مخاليب الاسد، ناداه يا كريم الخيم، ويا ايها الجار

الخاسر، انا رغبت فى مصادقتك، وجيتك محبا فى موافقتك ومرافقتك، وارد ازالة وحشتك ومؤانستك بابعاد دهشتك، وحشاك ان تخيب ظنى فيك، وتعامل بالجفاء من يرامبك، وانشده شعر

وحاشاك ان تمسى بوجهك معرضا وما يحسن الاعراض عن وجهك الحسن

والكرام لا يعاملون الجلساء الا بالمؤانسة وحسن الوفاء، والابتداء على خير، وابعد من الضير، وانا قد صرت جليسك، وجارك وانيسك، وقد قيل شعر

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا بشقى لعقاع جليس

مع انه لم يسبق منى سبب عداوة، ولا ما يوجب هذه المقاطعة والمعاداة، وهذه اول نظرة، فما موجب هذه البدرة، وسبب هذه النعرة، دل النمس ايها الزاغ، الكبير الرواغ، وبا الخس باغ، والجس ضاغ، اسمك ناطق، انك منافق، وهو خبر صادق، اذ هو فى الخارج الواقع مطابق، ورويتك شاهدة، انك تنقض المعاهدة، وعين منظرك، دل على محبك، شعر

والعين تعرف من عينى محدثها ان كان من حزبها او من اعاديها

من اين بيننا صداقة، ومتى كان للنمس مع الزاغ علاقة، وحتف تنعقد بينما محبة، وانى يتصل لنا مودة او قرابة، يبين لى كيفية هذا السبب، ومن اين هذا الانتماء والنسب، اما ادت فى ذمة، واما انا فلحمى نسدا غدائك لحمه، يسوئنى ما يسرك، وينفعنى ما يضرك، شعر

الله يعلم انا لا نحبكم ولا نلومكم ان لا تحبونا

انا واقف على ما فى ضميرك، وعالم بسوء فكرك وتدبيرك، قد اطلعت منك على الهواجس، كما اطلع ذلك الماشى على ما فى خاطر ذلك الفارس، دل الزاغ يمن لى بلا جدل، كيف هو هذا المثل، قال النمس ذكر رواه الاخيار، ونقلة الاثار، انه تراقوم فى بعض السباسب، راجل وراكب، وكان مع الراجل من البضايع رزمة، وقد جعلها كرة وحرمها اودع حزمة، وقد اعياه حملها، حتى اعجزه نقلها، فقال للراكب، ايها الرفيق الصاحب، لو ساعدتنى ساعة، بحمل هذه البضاعة، لكنت ارحتنى، ونفست عنى وشرحتنى، شعر

كذى الجد بحمل انقاله قوى العشام حمول الخلف

قال الفارس لا اكل فرسى، ولا اتعب نفسى ونفسى، فان مركوبى لم يقطع البارحة عليقه، وانا حذيف ان لا يقطع لى طريقه، واذا خفت خلفى فى سيرى، فى اضعف حمل اتعل عيرى، فبينما هما فى هذا الكلام، اذ لاح ارنب فى بعض الاكام، فطاوع العنان ورآء الارنب، وذهب وراءها كراى الزوادة كل مذهب، فوجد فرسه فوتة الفهضة، سريعة الركضة، فراى انه اضاع حرمه، فى عدم اخذه الرزمة، وما ضره لو اخذها وساق، فذهب الى بعض الاقاق، واقام بها اوده، وانتفع بها وولده، وترك الماشى، بلا شى، ثم رجع بهذه النية الضاره، ليحمل عن الماشى الكارة، وقال له اعنى هذا الحمل المتعب، لاريحك من حمله فى هذا المذهب، وابلغ ربعك، واقطع طريقك، فقال له قد علمت نيتك النية، وما اضمرت من بلية، فاتركنى

بحالي، فلي حاجة عالية، ثم ان النمس كسر الزاغ، وحمل له باكله الغراغ، وانما اوردت هذا المثال، لتعلم يا فحل الرجال، ان العقاب لا دُوَين، ولا يطمع فيه بالظن الحسن، ولا يرتمي الى خطته بوارقه، بمخالب ضوائعه وضواعنه، ولا الى غوايله وغوائله، وخذا ان سلمت شدة حيوتنا من تشعيف غواشيه، وخلص يده وجولنا من تمرسه حواشيه، وان بينك وبين هذا المراد، خرط القتاد، والموانع التي هي دون سعادة، ما الوصول الى ملك الطير، وريب المناول في السير، ولا سهل الماخذ، ولا سريع المنفذ، وابن اتجل من العقاب، ذاك في نعايم النعيم وهذا في عقاب العقاب، فتدبر عاقبة هذا الامر، وتامل في الفرق بين النمر والنمر، والشاعر عندي، وما أدى اليه فكري وجهدي، ان عاقبة هذه الامور، ليس الا المنوع والمحصور، دون الوصول الى الملك في المقصور، قل الذكر لعد كررتُ عليك مرارا، واسندتُ الى سمعك انشاء واخبارا، ان علو همة هذا الملك، وفضله الخالي عن شرك، وكرم نجاره، ولين خلائقه وجاره، وفيض احسانه، وبسط كرمه وامتنانه، وانتشار صيت حشمته، واشتهار رافته ورحمته، لا يعصمي حرمان من قصده، ولم جنابه واعتمده، ولجا الى جناح عاطفته، وتشبث بذيل ملاطفته، وحاشاه ان يصم مقصورين همته بابتذال دنائه، وبشوّه جمال وفائه لمن توقف له بنكبة جفاء غيب رجائه، خصوصا اذا راى مني خضوع العبودية، والقيام بمراسيم الخدمات الادبية، والمثابرة بمراقبة مراصيه، والوقوف عند كل ما يحبه ويرضيه، فاني بحمد الله تعالى اعرف مداخل الامور وخارجها، وعندي الاستعداد الكامل لصعودي معارجها، واعلم طريق المجاز الى حقايقها، وسلوك دروبها وطرايقها، فالاولى ان نقتصر على المحاورة، ونكتفي بهذه المساورة في المشاورة، ونتوكل على مقلب القلوب، ونتوجه نحو هذا المطلوب، بعزم شديد، وحزم سديد، فان يتيسّر لي ملاقاة حضرته، والتمثل في مراكز خدمته، وحصلت لي مشاهدته، واتفقت مخالطته ومعاهدته، انشات خطبة تدفع الخطوب، وتجمع القلوب، وتولف بين المحب والمحبوب، وارجو ان تكون نافعة، لمصالح الدين والدنيا جامعة، فان كلامي، في مقامي، كما قيل شعر

فاوجز لدنه لا يخل واسهب لدنه لا يمل

واخر الامر سلمت غيرة زمام انقيادها اليه، وعولت في عمل المصالح عليه، ثم قلت له عش واسلم، وتبوّا واعلم، انك اذا قصدت خدمة الملوك، واردت في سلوك مصاحبتهم السلوك، فانك محتاج في ذلك المسالك، الى نور وسراج، يهديك الى صفات جميلة، وتلبس بخصايل نبيلة، تتحلى بجمالها، وتتعلى بكمالها، وتتجلى في شمايل جلالها، الاولى ان تتقدم في جميع مصادرك وموارده، مراد الملك على جميع مقاصده، الثانية ان تتلقى اموره بالتعظيم، وتقيم اوامره بالاحترام والتفخيم، الثالثة تحسن اقواله، وترين افعاله، بوجه لا يتطرق اليه تشويه، ولا يحتاج فيه الى تنبيه، الرابعة تجتهد في صيانة عرضك عن الخنا، وايالك ان تقول في حضرته انا فنفع في العنا، الخامسة ان تعد على الدوام، ومرور الايام، خدماتك الوافرة، وحقوقك المتكاثرة، من حقوق نعمه قاصرة، السادسة اذا وقعت منك زلة، فلا تتعدّ بها جمع النعلة، بل اطلب لذلك الهفوة في الحال محسوة، واقصد مراحمه وعفوه، فان الذنوب اذا تراكمت، وتجمعت وتزاحمت، اشبهت المزبلة المدمنة، وفاحت روايحها المنتنة، والانسان غير معصوم، والادمي بالخطاء موسوم، السابعة احفظ وجهك في

حضرته عن التقطيب، وكذلك ان يقوم منه غير الطيب، الناقصة ايات ومقصودة اعدايه وعدايه اونبيايه، التاسعة كلما زادك رفعة وتقريبا، مل الى التواضع واعطاه تصويبا، العاشر لا تكثر عليه نصيحة، واتصحه فى الخلوة لئلا يودى الى الفضيحة، واذا امكنك فى امر، وهو انه الماشى على الاثر، لا تطلب منه اجرا، ولا تبد لذلك ذكرا، فان الطمع يورث العقوق، والمرء يسود وجه المعشوق، واعلم ان حضرة الملوك عظيمة، ومجالسهم جسيمة، تنزه عن الكذب والغيبة والنميمة، والاقوال الموجبه والافعال الذميمة، واياك ان تتعدى القواعد المكسوبة، وتتخطى القوانين السلطانية، فان اعظم ما كان، ان يعرف كل انسان، تعصيبر نفسه فى خدمة محدودة، ويعترف له من احسانه دورية و يسمر واجب همة ملكه ومقام مرسومه، قال النجدى اخبرنى يا سعدى، وحتى وسعدى، وابنة السعدى، ومربية القواعد، بشى من تلك القواعد، قلت من القواعد المكسوبة، الدايرة بين البرية، ما وقعنا بعض الملوك، وحمل رعيته فيها على السلوك، وكان مشهورا بالعدل والاحسان، مذكورا بقوة البرهان، متصفا بالصفات الحميدة، مكتنفا بالشمايل السعيدة، من الدين والعفة، وعدم التلبس والخفة، بعقل يراجح الكفة، والعلم الوافر، والحلم العاطر، وذلك انه فى بعض الايام، امر ان يجتمع الخواص والعوام، ما بين امير ووزير، وكبير وصغير، وغنى وفقير، وجليل وحقير، وخادم وجاهل، ومفضول وفاضل، ومذكور وخامل، وناظر وعامل، وحال وعاطل، وحاكم وقاص، وساخط وراض، وجندى وتابع، واخرق وصانع، ووضيع وشريف، ولطيف وكثيف، وثقيل وخفيف، وقريب وبعيد، ومقبول وطريد، وشقى وسعيد، وسوقة وتاجر، وسفيه وفاجر، ودان وقاص، وطايع وعاص، وصالح وطالح، وناجح وكالح، ومصيب ومخطى، ومسرع ومتباطى، وصبيان وملاح، وسياح وسباح، وبلدى وفلاح، ومسلك وسالك، ومملوك ومالك، بحيث لا يتخلف عن الحضور احد، ولا يجزى فى التقاعد والد عن ولد، ثم مهد لهم فى روض اريض، ومرج طويل عريض، تصفق مياه انهاره طربا، وتناغى بالبلابل الالحان فصحاء اطياره الخطبا، وتتراقص بزهر الوقت اغصان اشجاره، ويلذ بفواكه الجنان جانى ثماره، فهو كما قيل شعر

يلذ جانيه بانعم مقتطف منه وساكنه باكرم معطف

والورق بين فنانه فى جوه طربا ومنعطف عليه مرفرف

وامر بفرش ذلك المكان، بالفرش الحسان، من الديباج والحرير، واطلق مجامر الند والعبير، وعين لكل عشيرة معلوما، ومجلسا مقسوما، واحل كلا منهم محله، واسبغ عليهم ذيل احسانه وظله، ثم امر بانواع الاطعمة المفتخرة، واصناف الملاذ الطيبة العطرة، فاحضرت فى اوانى الفضة والنضار، ووضعت بين يدى اوليك الحضار، بحيث عمت الجميع، ووسعت الشريف والوضيع، وجلس الملك فى مجلس السلطنة، واكتنفه من العساكر الميسرة والميمنة، واخذ كل مكانه، ورتب اصحابه واعوانه، ثم ادم عليهم ارباب الديوان، وادخل جميعهم فى دفتر الحسبان، وامر مناديا فنادى، ورفع بصوته الندا، فى ذلك الجمع، بحيث شمله من الجمع النظر والسمع، يا اهل هذا المكان، برز مرسوم السلطان، ان كل من هو فى مرتبة، من مرتفعة او منحطة، لا يلاحظ من فوقه، وهو انه امير او سوقة، بل يلاحظ

حال من هو دونه، فانه كانت منزلته او مغبوطة، فان ذلك اجمع للقلوب، وادعى للشكر المطلوب، واما ترقي بحوادث القضا، فان من رأى نفسه في مقام، ونظر غيره في ادنى من ذلك المقام استصغر، وكانت عنده منزلته عالية، وعدّ لنفسه على غيره مزية، فتوطنت نفسه على الرضى والاستقامة بالشكر وارد القضا، مثل ذلك الرقيب النازل في الصدر، اذا رأى من هو دونه في الصدر لم يشكه في ان محله محل البدر، والباقي كالنجوم، فلا يأخذه لذلك وجوم، وقد دل الحي القيوم في كلامه المنظوم، وما منّا الا له مقام معلوم، وكذلك الغائب، بالنسبة الى الحاجب، والدوادار، بالنسبة الى البرّدار، والزردار، بالنسبة الى جابي الدراهم والدينار، والبقتار، بالنظر الى السقا، والبرمدار، وكذلك السائس، بالنسبة الى الحارس، وكسائب السر، المرتفع بالنسبة الى المدبر، والموقع والرسم، بالنظر الى سائر الخدام، والحاكم الشافعي مع الفقيه، والحنفيه مع التاجر النبيه، والتاجر مع السوقي المقعد، والغني والامير، بالنسبة الى المأمور والفقير، وعلى هذا القياس، اوضاع جميع الناس، من ارباب الصنايع، وجنّاب البضايع، واهل المدن والقرى، وذوي البيع والشرا، والوعد والذرى، واولوا البضاعة والشرف، من انواع المكتسبات والحرف، الى ان نزلوا في المراتب، وبتدحرجوا من البقاع الى المطالب في المناصب، وتتعاونوا في المعايب والمناقب، وتصل قدرهم وتقرهم في ذلك، الى كل ذي فعل سمي حالك، كارباب العطايم، واصحاب الذنوب والجرايم، فينظر المعتوب، حاله بالنسبة الى المضروب، والمشتوم، حاله بالقياس الى حال المكلوم، والصحيح، بالنسبة الى حال الجريح، وبلاحظ مضروب العصى حال المسلوخ بالمقارع، ومضروب المقارع، احوال مقطوع الاقارع، وكذلك المقطوع، بالنسبة الى مصلوب الجذوع، والمصاب بالمال بالنسبة الى مصاب البدن، والاعرج بالنسبة الى المقعد بالسرس، وكذلك العوران، بالنظر الى مصاب العميان، وليتأمل الفاضل، ما قاله في ذلك الشاعر، شعر

سمعتُ اعمى مرة قبلا ... يا قوم ما اصعب فقد البصرْ
اجابه اعورُ من خلفه ... عندي من ذلك نصف الخبر

ولتكن هذه القواعد، مستمرة العوايد، بين الصادر والوارد، ليعلم ان مصايب قوم عند قوم فوايد، فتستمر هذه الدواتين مستعملة، غير منسية ولا مهملة، من زمان ذلك السلطان، والى هذا الزمان، وانظر ايها الفضيل، الى معنى ما قيل، في هذا القبيل، وهو شعر

على كل حال ينبغي الشكر للفتى ... فكم من شرور عن سرور تجلّتِ
وكم نعمة عند القياس بغيرها ... ترى نعمة فاشكر لدى كلّ نقمةِ

وانما اوردت هذه الامثال، واطلت النفس في بيان هذه الاحوال، لتأخذ منها حظك، وتكررها فيما اودعته حفظك، وتجري بها ليلا ونهارا لفظك، حتى تصاحبك لمنادمة الملك، ولا يعلق بذيل مكانتك من الفساد مرتبك، وترتقي باي مقام اقامك فيه، وتعلم انه اعلا مقام ترتضيه، حيث هو نك يرتضيه، وتجعل مورد لسنك، ومقعد جفانك، في طلبك رضاه، ما كنت انشدتك اياه، من قديم الزمان، وانا عليه الان، وهو شعر

واعلى مقاماتى واسنى وظائفى واحسن اسمائى الذى انت ترضاه

فقال الذكر ما احسن عهد هذه الدرر، لقد اصبحت، اذ نصحت، وزلفت، بما بينت، فجزاك الله خيرا، وكفاك ضيرا، فحقيق على ان اقتدى باثارك، واقتدى باذكارك، فما ارجح ميزانك، واغزر حسنك واحسانك، لقد جمعت بين فصاحة النقل، ورجاحة العقل، ومزجت روح الخلافة ببدن الظرافة، وجلوت صورة النصيحة فى خلعة اللطافة، ثم انهما توكلا على العزيز الوهاب، وقصدا حضرة ملك الطير العقاب، فواصلا السير بالسرى، واستبدلا السهر بالكرى، ولم يزالا فى سير مجد، وطلب مكد، ما بين سابر سار، حتى وصلا الى جبل قرن، فنزل وكان عند العقاب، احد المقربين من الحجاب، يؤتى، نفى الجوجؤ، نفى البوذو، احسن منظرا من اللولو، صورته مسعودة، وسيرته محمودة، وهو بين اوانك الطير، مشكور الاحوال مشهور الخبر، وفيه من المعرفة والدين، والعقل الرصين والراى المتين، ما يصلح ان يكون به معتدى السلاطين، وعنده من الوقوف على دقيق الامور، ما فاق به الجمهور، وساد به على سائر الدهور، وكان صيته قد اشتهر حتى ملأ البدو والحضر، فترك النجدى بنت السعدى فى مكان، وقصد البوذو ليعرض عليه ما له من شان، فوصل الى جنابه، واتى بيت مقصده من بابه، حتى دخل عليه، وقبل يديه، وتذلل لديه، فتوجه البوذو اليه، واشار بتقريبه منه، وازال دواعى الوحشة عنه، واقبل عليه بكليته، وزاد فى اكرامه وتحيته، وساله عن قصده وجريمه، وما سبب جشمه فى قدومه، ومن ابن حل ركابه، وما قصده وطلابه، فانشده بديها، ولم يقل ابها، مفصحا معلنا، مستعينا مضمنا، شعر

لقد حص ريشى الدهر عن كل مطلب والهمنى سعدى بانك رابشى

ففى سمرى مد كهجرك مفرط وفى قصتى طول كمدك فاحشى

ثم قال اعلم ايها الرئيس، المحتشم النفيس، ان مولدى فى جبل من جبال اذربيجان، فى مكان يضاهى الجنان، ويباهى روضة رضوان، انزه من عنفوان الشباب، وانقى من معاقرة الاتراب، وازهر من منادمة الاحباب على رنين الشراب، نشات فيه مع قرينة، جميلة امينة، فقضيت فيه غنى العمر، وزجيت فيه بض الدهر، قانعا بما تيسر من الرزق، فارغا عما فى ايدى الخلق، متمسكا بذيل العزلة، اعد الانفراد نعمة جزلة، مكررا درس نلمة تجم النفس القرينة الصالحة وايثار الموانس والكفاف من القوت ومما كنت انشدت، وفى مبداء امرى ارشدت، شعر

وحسب الفتى قوت وخل وزوجة ليرتاح فى الدنيا ويكتسب الاخرى

وكنت من الدهر على هذا اقتصرت، ومن لذيذ العيش على القناعة اختصرت، ولكن كان ماوانا، ومصيفنا ومشتانا، محل الحوادث، وممر العوايث والعوابث، ومعبرا لمصايب الصيد، وموردا لمواطى عمرو وزيد، فكنا كلما ولد لنا مولود، وتجدد لنا بالبهجة عهود، حصل للعين قرة، والروح مسرة، نقول هذا يبقى ذكرنا بعدنا، ويحيى اثارنا عند حلولنا لحدنا، فلم يكن اسرع من هجوم خاطف، او هبوب ريح نكبة عاصف، يخطفه من بيننا، ويجذبه من قلبنا وعيننا، فان سلم

من تلك المكابد، وتخلص من سهم المصايب والمصايد، حطمت عساكر الملك المنصورة، وملأت الاقطار الجنود الموفورة، فلا يخلو منها مكان قدم، الا وقد غصّ بمواطئ تلك الامم، فتذهب مياه العين، وتدهش غلمانا تحت الرجلين، وهذا هو البلاء العظيم، والمصاب العام، ولا بد منه في كل عام، فكانه ايها النبيه النبيل، في شاننا قيل، شعر

ايا ابن ادم لا يغرك عافية	عليك شاملة فالعسر ممدود
ما انت الا كرزع عند خضرته	بكل شيء من الافات مقصود
فان سلمتَ من الافات اجمعها	فانت عند كمال الامر محصود

فضاق منا ذا العطن، فامر ار اوفق) من مفارقة السكن، والمهاجرة من الوطن، فعرضت على الفرنه هذه الحيل، واشرت عليها بالارتحال، وقلت لها المرء من حيث يوجد، لا من حيث يولد، فابت وابيت، وشاعت في ذلك ونبت، فلا زلنا نحاور ونشاور، ونرمي كل منا سهم اراده ان يساور، حتى لانت اخلاقها الصعبة، بعد ان نملت ما في الجعبة، فر اعطت القوس باريها، وسلمت الدار بانيها، وادركت من ملاح مقاصدي معانيها، وسمحت بالانتقال من تلك البلاد، وسلمت الى يد تدبيري زمام الانقياد، فرحلنا من شقة بعيد، وقاسينا شدة شديده، وقصدنا هذا الحرم، اذ رايناه مشتملا على اللطف والكرم، وقطعنا شباك مصايد، وخلصنا من اشراك كل صايد، وقسمنا انفسنا عن حبات الطمع، وتجرعنا من كاسات الجزع وافداح الفزع، جرعا بعد جرع، فوصلنا بحمد الله الى جنابك الامين، وبشرنا مبشر الاقبال انك بكل خير ضمين، فحمدنا عند صباح الفلاح السري، وانشدنا لسان السعد مبشرا، شعر

وجدت من الدنيا كريمًا تؤمّه	لدفع ملمّ او لنيل جزيل

وان لم يكن بيننا سابقة خدمة، لكن تعارف ارواحنا له قدمة، مع ان كرم ذاتك الجبلة، وما جُبلتَ عليه من صفات نبيلة، يغني قصد صدقتك عن واسطة وسيلة، ووالله اني لواثق، بان ظني بوفاء مكارمك صادق، فاسال احسانك يا ذا الخير، ايصالي الى خدمة ملك الطير، وان كانت رفعة مكانه في العيوق، ودون الوصول اليه بيض الانوق، لكن بواسطة الوسيلة، يحصل هذا الشرف والفضيلة، ولا زالت الروساء والاكابر، باخذون بيد الضعفاء والاصاغر، ولرايتك العلو والشرف والسمو، والعطف والحنو، فاهتز البيوبو لهذا الكلام وارتاح، وظهر في وجهه تباشير المسرة والارتياح، وانشد شعر

قدمتَ بانواع المسرة والهنا	على خير منزول وايمن نسابر
فاهلا وسهلا ثم اهلا ومرحبا	وبشرى ويسرى بالعلا والبشاير

اعلم ان قدومك قدوم صدق، ومرافقتك سبب الرفق، ورويتك فتح باب الفتوح، ورواياتك عذا العذب وراحة الروح، ابشر بكل ما تومل وتختار، فقد ذهب العثار، وجاء الامن واليسار، اصبت مرامك، وزينت مقامك، وانست منزلك، واوتيت مأملك، فطيّب خاطرك، وبشّر اهلك وعشايرك، باخبر غايبك وحاضرك، وقد قدك الراي السديد، والامر الرشيد، والفال السعيد، حتى اوتيت في ركن رشيد، ملك كريم، خلقه عظيم، وفضله جسيم، وجوده عميم، ونظيره عديم، رووف

برحمته رحمهم، لا يخيب آمله، ولا يريب سايله، ولا يقطع واصله، ولا يمنع حاصله، لقد انبتت مساعيك ازهار الامن والامان، وتصحت لورودك في رياض سعد الزمان، نواظر نرجس النعمة وشقايق فضل النعمان، فاعلم ان هذا الملك ذو جناب منيع، وقدر رفيع، وبنيان معانيه بديع، عزيز المنال، جامع لصفتي الجمال والجلال، قد اختار العزلة في رؤس الجبال، فلذلك طبعه لا يخلو من جساوة، وقلبه من قساوة، وان غذاوه من الحبوب مشروبه والمطعوم، مخالبه كالاسل، ويلجا الى الله اذا نسر منقاره ونسل، وحقيقة امره ان كنت عنه تسل، شعر

مُفْرٌ مُرٌّ على اعدايه وعلى الادنين حلوٌ كالعسل

فاذا التجا اليه فقير، او آوى اليه ضعيف او كسير، او قصده محتاج، اوسلكه الى باب مرضاته منهاج، فلا يمكن الشف منه ولا اشفى، ولا اقرب من عطفه على مواليه ولا ارفق، فهو كما قيل شعر

بحر فما يجتنه اجدُ

وسبب ذلك ان ضميره المنير، خال من المكر شاعر عن التزوير، لا يعرف ختلا ولا خديعة، ولا خيانة ولا وديعة، ولا كذبا ولا قطيعة، ولا في خاطره فساد، ولا عنده سوء اعتقاد، ولا يعرف غير الحلف، ولا يطول الا الصدق، وذلك لبعده عن مخالطة الناس، وعزلته عن كل ذي وسواس وخناس، فقد انفى العالم، ان صحبة بني ادم، سم قتال، وهم بانل، فان دابهم المكر والتلبيس، والخداع والتدليس، وحسبك قول شاعرهم في كشف ضمايرهم، وشرح حقيقة سرايرهم، شعر

كن من الناس جانبا كي يثنوك راغبا
فلب الناس كيف شيت تجدهم عقاربا

ولقد ارشد من انشد شعر

بنو آدم ان رمت من خبرهم جنى احلى الذي جنيه من وصلهم صبرُ
مكارمهم مكرٌ ورويتهم رياً وودهم مينٌ وجبرهم كسرُ

فان كان فيهم صالح افسدوه، والى سبل الضلال ارشدوه، والكلام في هذا المقام، لا يبلغ التمام، فيكتفي بالقليل، عن الجليل، وشمس النهار لا تحتاج في وجودها الى دليل، فاسهض الان، فقد آن التوجه الى خدمة السلطان، فما كل زمان، يحصل هذا الامكان، فان الاجتماع به كل وقت مشكل، فتوكل على الله يا احسن متوكل، فاذا دخلت عليه، وتمثلت بين يديه، فاصرف كيف تقف، وانظر يا ذا الكمال، هذا يناسب الحال، ويقتضيه المقام، من فعل وكلام، فاسلك طريقته، وراع مخارجه وحقيقته، وادخل معه من ذلك الباب، ومثلك لا يدل على صواب، فما اسرع اللطف واقرب العنف من حركات الملوك والكبرا، وابعد الرفق، واشرد الخرق من ملكات السلاطين والخلفا، واقصى مدانيهم اذا غضبوا، وارحش موانسهم اذا صخبوا، واقرب مباعدهم اذا عطفوا، واعجب مناددهم اذا لطفوا، ويكفيك يا ذا العقل المتين، ما قيل في شان الملوك والسلاطين،

ان الملوك بلاء اينما حلّوا فلا يكن لك في اكنافهم نُزُلُ

ما ذا نؤمّل من قوم اذا غضبوا جاروا عليك وان ارضيتهم ملّوا
وان مدحتهم دنوك الخادعهم واستطاولوك كما يستطيل الدلّ
فاستغن بالله عن ابوابهم ابدا ان الوقوف على ابوابهم ذلّ

وقل سيّد الامم نسرّا، جاور ملكا او جسرا، فان رضوا رفعوا فوق الافلاك، وان غضبوا والعياذ بالله فهو الهلاك، وذهبا من تقلبات الملوك، يا ذا الارشاد فى السلوك، اشفا الله غضبهم عنك، قصة صدرت من ترملك، فسأل فحل الخجل، الوزير الاجل، ببيان ذلك المثل، الصادر من الاعرج الاشل، فقال الدستور، مما حكى عن تيمور، من وقوع الامور، وشدة عزمه وحزمه، وثباته على ما يقصده وجزمه، وحلول نقمته ممن بعارضه، ومعاكسه فيما يرسم ويناقضه، انه لما توجه بالجنود، الى بلاد الهنود، وذلك فى سنة ثمانمائة، وصل بجيوشه الطاغية، الى قلعة شاهفة، افراك الدراري باذان مراميها عاتية، والرجوم الثاقبة، من الناجيم الخارقة، تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الرانقة، كأنّ بهرام فى مهواه احد سوانيرها، وكيوان فى مسراه خادم نواشيرها، والشمس فى استوايها غرّة جبينها، وقطرات السحاب فى الانسكاب تنوشح من نعر معينها، وغدة الشقرى الحمراء على اذان مراميها وانوف ابدانها سراج، وحرارات الهجير فى الهبة الصرصر لعرين مكتاحاتها وانواء مدافعها ثابات وبنادق، وكان انثرا فى انتصابها، ذليل معاق على بابها، لا يعبر ثائر الوهم عليها، فلى يصل شايش السهم اليها، ولا يتعلق بعدم خدمها خاتل خيال وافكار، فضلا عن ان جاول على معظم عصمتها من عساكر الاساورة سوار، وفيها من الهنود ثلثمائة، نابتة الجنان غير خابعة، جهزت اغلها وما تحتاج عليه الى اماكن المعهود، ونبذت ما فى انفسها حافظة لها محفوظة، مع انها شرذمة قليلة، وطايفة ذليلة، لا خبر عندهم ولا مبر، ولا فايدة سوى الضرر والضير، ولا للقتال عليها سبيل، ولا لحوانيها مبيت ولا مقيل، بل هى مثلة على المماثلة، مستهكنة على المقاتلة، فابى تيمور ان يجاورها، دون ان يناحرها بالاحمار ويناجزها، والبيب العاقل، لا يترك وراءه لخصمه معاقل، فجعلت الهنود تناوسها من بعيد، وتضب كل من اغليا عليهم من اسباب المنايا ما يريد كما يريد، ولان كل يوم يقتل من عسكره ما لا يحصى، واسلحة ترداد بفتكها ابدا واستعدادا، وهو على الرحيل عنها، الا ان يصل الى غرضه منها، ففى بعض ايام الحاصرة اطلوا، وبواسطة المطر احتموا، وصار همتهم على الغسل، ثم ركب لينظر ما يصنعون فى تلك الحال، فلم يرتض افعالهم، لما عكست اوحالهم احوالهم، فدعا رؤس الامراء، وزعماء العساكر والكبراء، واخذ يزرى اديهم عصمتهم بانهار ستتمد، وتشقق ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وحدد، وقطع الشيطان فى خيشومه، والسهب فيه ذر عثيه وشومه، وقل يا ثبات، واكتاة الحراب، تتقاعسون فى نعماى، وتتوانون عن اعدائى، جعل الله نعمتى عليكم وبلا، وانبسكم بخسرانها خيبة وخبالا، يا حرى الذمم، وحسافرى النعم، وسافلى الهمم، ومستوجبى النقم، الم تطوا اعناق المماليك بافدام انعامى، الم تتسابروا الى الافق باجنحة احسانى واكرامى، الم تتسحوا مغلقات القلوب بحسام صولتى، اما سرحتم فى متنزهات الاديم سوانم تحكمكم بنزعته دونى، بى ملكتم مشارق الارض ومغاربها، واذبتم جامدها واجمدتم ذايبها، شعر

انم اك ذرا تعظلها عدوكم وحوزًا لما لحاقر من وراسيا
وباسط خير فيكم بمسبنه وقبض شر عنكم دشماليا

ولا زال بهمهم ويشمر، ويهذرم ويمزلم، وهم مطرفون لا يجيرون جوابا، ولا يملكون منه خطابا، ثم ازداد حماسا، وكاد ان يموت خنقا، فاخترط السيف بيده اليسرى، وهمز به على ثم اوثك الاسرى، وهمّ ان يجعل رقابهم قرابه، ويسقى من دمائهم نمل فريده وذبابه، وهم على تلك الحال، فى الخرى والاذلال، باذلوا انفسهم، ناكسوا روسهم، ثم تراجع وتماسك، وملك نفسه قليلا او تمالك، فاغمد عن تشريفهم حسامه، ولم يلو لامره دبرة ولا قبلة امامه، فعلّف غربه وشامه، ثم نزل عن مركبه، واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به، وكان عنده ممن فاق جنده، شخص يدعى محمد قاوجين، ذو مكان مكين، ومقام امين، مقدم على كل الوزرا، مبجل دون سايير الامرا، وافر الطول، مقبول القول، مسعود الراى ميمون النقيبة مرغوب الفضل، محبوب الشكل، فتشفع الوزرآء اليه، وتراموا فى حل هذه الاشكال عليه، وقالوا ساعدنا ولو بلفظه، وراقبنا ولو بلحظة، واعمل معنا، بهذا المعنى، وهو شعر

ساعدْ بجاهك من يغشاك مفتقرا فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

فاجابهم والنرم، ان يردّه عما تأثّم به وأثم، وراغب مجال المقال، وراعى فُرَص المجال، وشرعت افكار تيمور، تغور فى امر القلعة وتفور، وجعل يستصوى اصواءهم، ويستورى اراءهم، ولا يسع كلا منهم الا القبول، لما يستصوبه رايه ودهول، ففى بعض الاحايين، انفف ان دل محمد قاوجين، وقد زل به القضا، واحاطت به نوازل البلا، اسال الله بقاء مولانا الامير، وفتح بمفاتيح ارايه ورايانه حصن كل امر عسير، هبْ انا فتحنا هذه القلعة، بعد ان اصيب منا جانب من اهل النجدة والمنعة، هل نفى هذا بذا، ام هل توازن هذا المقع بهذا الاذى، فما احتفل بخطابه، ولا اشتغل بجوابه، بل استدعى شخصا، من المرفدارية، فبسح المطر الا انه فى هيئة زربة، يدعى عراملك ذا عرف سهك، ووجه فى السواد سدك، اوسخ من فى المطبخ، واسفخ من فى المسلخ، لعاب الكلب طهور عند عرفه، وعصارة الفير حليب بالنسبة الى مرفه، فعند ما حضر لديه، ووقع نظره عليه، امر بثياب محمد قاوجين فنزعت، وحلفان عراملك فخلعت، ثم البس كلا ثياب صاحبه، وشد وسطه بحياصته، ودعا دواوبن محمد ومباشريه، وضابطى نافقه وصاحبه وكاتبيه، ثم نظر ما له من ناطق وصامت، ونام وجامد، وملك وعقار، واهل ودار، وحشم وخدم، من عرب وعجم، واوقاف واقطاع، وبساتين وضياع، وخول واتباع، وخيل وجمال، واحمال وانفال، حتى زوجاته وسراريه، وعبيده وجواريه، فانعم بذلك كله على ذلك الوسخ، وامسى نهار وجود محمد قاوجين الزنخ، وهو من ليل تلك النعمة منسلخ، ثم قال تيمور، وهو كالنمور يمور، اقسم بالله واياته، وذاته وصفاته، ووحيه وكلماته، وارضه وسمواته، وكل نبى ومعجزاته، وولى وكراماته، وبراس نفسه وحيوته، لئن آكلْ محمد قاوجين احدٌ او شاربه، او ماشاه او صاحبه، او كلمه او صافاه، او اوى اليه آو اواه، او راجعنى فى امره، او شفع عندى فيه او فاه بعذره، لاجعلنّه مثله، ولاصيّرنه مُثْلَه، ثم طرده واخرجه، وقد سلبه نعمته واحرجه، فصار مسلوب النعم، قد حلت به فى لحظة نوايب النقم،

فسحبوه بالوثوق، ورأى نعمته على افل الناس، وتنعل غيره بأحذيته، وتلبع منه بالبلوغ، فعلقت حبّه قلبه اشدّ تألف، ولم يزل على ذلك، في عيش قرّ وعمر حلو، وحسبك ان تشبه حديثه حديث كعب ابن مالك، فكان يستحلي مرارة الموت، ويستبطئ اشارة النعوت، وكل لحظة من هذا الحبيب، اشد عليه من الف ضربة بالسيف، فاما فلك تيمور احياه، وردّ عليه خليل سلطان ما كان سلبه جده اياه، وانما اوردت هذه النسبة، يا زكي السريرة، لنقيس على هذا المثل نظيره، وتعرف اخلاق الملوك، ومعاملاتهم الغنى والصعلوك، وان نشرهم نضار، واعراقهم بوار ودمار، ومن اراد ان يطلع على سر الفضاء والقدر، فليراقب شغفي الملك اذا انبى وامر، وقل من احسن المقال

قرب الملوك يا اخا الفضل النسمي حظ جزيل بين شدق ضيغم

واعلم يا ابا الفضايل، ان هذا الملك له شمايل، وصفات وخصايل، يستدل بظاهرها على باطنها، ويتوصل بظهور بادييها على حركات كامنها، فليك ان تغفل عن مراقبتها، وتهمل حال عافيتها، بل اجعل شواعدها نصب عينك، لتقرب من حبوتك وتبعد عن حينك، منها اذا رايته رايته رجع من الانبطياد، ظافرا منه بالمراد، وقد افتتحه وحتله، وملا منه الحوصلة، وسكنت منه بواعث النشوة، التي هي منقع لواعج الطيش والسفه، ومنها اذا رايته جلس في مجلس السرور، وبسط كجبهة الكرام جناح النشاط والحبور، وتم عن مشاهج الحرص الغوادم والحوافي، وتلب من روساء المملكة الانيس الصافي، ومن ندماء الحضرة الجليس الصافي، ومن مطربي الاطيار، البلبل والهزار، ومن رقص بدفوف الازهار، وصفق من ذي عود وطار، فاستمع لهذا وباسط ذاك، وطفق جلساءه ما بين منصت وحاك، فان هذه الاوقات، لما فيها من علامات، هي ساعات الانبساط، وايام الفرح والنشاط، فاعمل فيها ما بدا لك، واستنب مقالك، وكرر جوابك وسوالك، فانك في كعبة الامل فاستملها، وقد هبت رياحك فاغتنمها، وانعب بابطيك، وصفق بجناحيك، واهدر في نعتقتك، واسجع في بقيقتك، فان الوقت لك لا عليك، والسعد الطالع ناظر اليك، ومنها اذا رايته جالسا صامتا، او الى الارض باهتا، او محمرة عيونه، او مضطربا سكونه، او افعاله على غير استواء، او اقواله دابرة مع الهواء، فاياك والدخول عليه، والمثول بين يديه، فانه اذذاك يجعل دبار جسدك بالغ، ولو انك السمر الطاوي فتصبر في محاليبه اتعس واوبع، وعلى كل حال، فليكن عندك لكل مقام من هذه المقامات مقال، وان كان السكوت اصلح، فطالما باب الكلام قطعا ولا تفتح، فكثيرا ما تخلص الساكت من البلاء واقلح، وناديك التصبيح، بقوله التصبيح، وهو شعر

وراقب مقام القول في كل مجلس خصوصا مقامات الملوك الاكابر

فكم من بليغ فوق ذروة منبر رمته اذا حسى النطق تحت المنابر

قال الملخ النجدي، للمرشد الهجدي، جزى الله مولانا عن صدقه، اوفر صلاته، وواصله بمواهد اكرامه في عشيه وغداته، فما اشمل احسانه وحسناته، واسعد حركاته وسكناته، واوفر شغفه على قصدي عتباته، طالب انت دليله، كيف لا يفتح الى الخير سبيله، ويرجع الى حصول المقام مهبته وقبيله، ثم ان النيوم انشوق، تركهم وطار الى العيوق، ثم رجع على الفور،

ووجهه يرف كالنور، فدعا اليعقوب، وتوجه وهو معه مصحوب، واخذا فى السير، الى خدمة ملك الطير، وفزعا فى جبل، يسامى فى المثل، قبة الفلك، او مرتقى الملك، يستمد السحاب من ماء واديه، وتسبح سماك السماء فى بحر ناديه، يعرق جبين النوم من صعود عقباته، ويقصر مساعد الفكر فى سلم الهواء عن الترقى الى ادنى درجاته، ويستريح راقى الخيال فى عدة مواضع عند قصده فروع هضباته، فهو كما قيل شعر

وطود تلوح الشمس من تحت ذيله ... اذا هى فى كبد السماء استقرت

فلا زالا يسيران، وفى الجو يطيران، اليوبو امام، فوق الرمام، والجمل وراءه ينشد هذا الكلام، شعر

لكل امام اسوة يقتدى به ... وانت لاهل المكرمات امام

فوصلا من تلك المدارج، الى اعلى المعارج، وانتقلا فى تلك المسالك، عن دركات المهالك، وانتهيا الى اوج راية ملكة النبرات جارية فى حضيضه، ودرر الدراري راكدة فى قعر مغيضه، يشتمل على مروج ورياض، ومراج وغياض، وتحار وحياض، تنادى خيراتها سكان الربع المسكون، فى انصبابها عليهم وفى السماء رزقكم وما توعدون، رياض تلونت، ومروج بأزاهيرها تحسنت، وارض ذل لها صانع القدرة اذ تمكنت، تكونى كاخلاق الكرام فتكونت، واخذت زخرفها من رضوان خازن الجنان وازينت، فولجا دار سلطنة العقاب، مقتاسات عقاب العقاب، شعر

مكانا فيه سلطان الطيور ... تصدر بالسرور على السرير

اطاف به صنوف الطير طرا ... عكوفا بالحضور وبالحبور

لكل فى مباشرة مقام ... يقوم به جليل او حقير

قد اكتنفه الميمنة والميسرة، واحدقت به المقدمة والمؤخرة، كل واقف فى مقامه، شاهينه مع كركيه وبازه مع حمامه، فلانيس، صاحب الظرف والكيس، حامل الغبز كالاوزان، يترنم فى مقابلة الايوان، ويمدح ملك الاطيار، والامرآء الكبرآء الخطار، وينشدهم جليل الاوصاف ورفيق الاشعار، فمما انشده الاوزان، من مناقب السلطان، ووجه به الخطاب، الى العقاب، قوله شعر

مقامك اعلى ان يقوم بوصفه ... بيان بليغ او لسان فصيح

اجلّك عنا مغرب فاختفت فما ... تلوح لطرف فى البلاد تلموح

والنسر الطاير، المقدم على العساكر، قد اظله بالجناح، وليس عليه فى ثلبة سيادة الطير جناح، رافع اللواء، صاف فى جو السماء، رئيس الدبر، حامل الغبة والطبر، شعر

ونسر تعز الطير من قرب ظله ... وفى ظله للسعد ماوى ومنزل

والسنقر فى كوبه الفهرى، وخلقه وخلقه النمرى، امير سلاح الجوارح، وراس عساكر السوانح والبوارح، شعر

هو السنقر العالى بهمته التى ... تعلت على ايدى الملوك بها يدُهْ

والشاهين الدوادار، عليه لمصالح المملكة المدار، قد تصدى لقضاء الحوايج، لكل داخل

وخارج، ينظر فى الولاية والعزل، ويتعاطى الامور بالحد لا بالهزل، فيقضى المآرب، ويوصل المطالب الى الطالب، شعر

طويل العفو رحب الصدر ضخم ... له فى ال قسطنطين ضبط

تغشى من سواد العين نورا ... عليه من دم الاحشاء نقط

والكركى، الراطن بالتركى، المتجلى فى ثوبه المسكى، كاتب الاسرار، وصاحب الاخبار، لسان المملكة، ومحور الفلكة، مستخدم السيف والقلم، وفى الفضائل والفواضل بار على علم، شعر

وكركى بحمد الصقر عنه ... لهببة بطشه وشديد باسْ

والنم المشهور، ناظر الجيش المعمور، صدر الديوان، وقاضى الجند والاعوان، شعر

ونم نم دست النسر منه ... كفاص زان ارباب الكتاب

عليه من المهابه ثوب مجد ... كوجه الطايعين لذى الحساب

والطاووس، كارهى العروس، فى الفخر ملبوس، معدم على الخواص، كالماظ الخاص، ناشر مروحة الارتياح، يتجلى بجمال هيئته العايق على الوحوه الملاح، شعر

ثوبه قد حار فيه ... كل صباغ علیم

ولسان الحسن نادى ... صبغة الله الحكيم

فيروق العين منه ... فوق اوصاف الكليم

والبازى الامير الكبير، صاحب الراى والتدبير، امير الميمنة، قد رتب صفه وزينه، شعر

وباز اشهبٌ عيناه حمرٌ ... يصيدُ وفى جناحيه النجاحُ

والصقر الشهير، السابق فى الطيران الوهم، امير الميسرة، قد فاق بشهامته عسكره شعر

وصقر ان يَلُحْ فى الفقر ظبىٌ ... انيح له من الجوّ انصبابا

اقام بمخلب عن شهم سهم ... ونسر عن قوىّ الناب نابا

والباشق الجاوش، وراس نوبة العساكر والجيوش، شعر

انظر الى الباشق فى صيده ... ينقضّ كالسهم من الراشق

يقفو حماما مثل معشوقه ... اتبعها الحب حشا العاشق

والببغا تتجلى، فى الحلة الخضرا، وتتنم من الخاتم الياقوت درر الثنا، وتخبر بعجايب الهند، وتسرد غرايب رغايب السند، شعر

تسمّت درةً لكن كساها ... حكيم الصنع ثوبا من زبرجَدْ

ومنْ لها بمنقار عقيق ... وخاط شعارها من عين مسجدْ

والهدهد لابس التاج، ينهى الى موقع الدراج، اخبار المارّة، والاحوال السارّة، كما قيل شعر

وهدهد البس ثوب الهما ... فثُمّر اذ خُصّ بصدق الهما

اغرب اذ شرق فى حسنه ... ففاق اهل التاج حتى سما

والحمام مقدم البريدية، يتردد فى مواقف العبودية، والعصافير كالمماليك الاجلاب فى الكتاب، يدرسون العلم والاداب، والبلبل والهزار، ومطوقات الاطيار، وساجعات الاسحار، مسبحات الواحد

الفهار، يتناشدون الاشعار، ويدوّنون نغمات الاوتار، ويطربون رنات الاوتار، وضروب ضروب الموسيقاه من جمك المنفار، والسنطور والرزوز، وذوات البديل من الطنبور، حتى جماح الزنبور، تغرد فتخجل العود والطنبور، وزواحر الطير، تبسر بالفوح والخبر، وانواع الجوارح فى الخافات، والطير فى الجو صافات، كل دهذى الملك، ويقدم جسده وروحه، ويسبح من اناه الملك وكل قد علم صلاته وتسبيحه، فتقدم البوبو الى الحضرة، والملك فى ادبى نصره، وقبل موطئى ساطانه، ووقف من مقام خدمته فى مكانه، وقل شخص عارف بقوانين السلوك، دامن لخدمة الملوك، واقف بالباب، يروم تقبيل الاعتاب، يطلب لذلك الدستور، والانعام باذن الحضور، لشمله النظر الشريف، ويحظى بحظ ورتق وريف هل يرجع كالصروف عن خدمته او يدخل كالدوله والاقبال

فعطف بالقبول، واذن له بالدخول، وسمح بالمثول، فتوجه البوبو على عجل، الى الخجل فدخل، وهو من الحيا متأثر، وفى ذيل الدهشه والهيبة متعثر، وعليه غلالة سابورية، وخاصة نيسابورية، مشتملا بشملة كافورية، كانه شيخ الصوفية، فلما وقع نظره على العقاب، قوى جاشه ورفع النجاب، وحل عقدة لسانه من لثغه الخطاب، ثم قبل الارض ووقف، وانشد بديها وما وقف، شعر

ولو ان فغفورا وكسرى وتبعا راوك لخرّوا بين ايديك سجّدا

وما ان وفوا حقا عليهم وانما على قدر ما فى الوسع مدّ الفتى يدا

فابتدر المؤدّب، بلفظ يخجل اللولو، وقال للخجل، بريد ازالة الدهشة والخجل، وطيب المقام، ببسط الكلام، ايها الغريب الاريب، والاديب النجيب، رايناك روحا ملخّصا، وعقلا مشخصا، محبتك مرغوبة، ومصادمتك مطلوبة، لقد حللت محل الامن والامانى، وعقدة السعد والمهانى، فدع دهشتك، وذر وحشتك، واقصح بكلامك عن كمالك، وعن مقامك بمعالك، فعباراتك مقبولة العقل، وواسطته عقود النقل، فان كان عندك نصيحة تصلح للملوك، او وصية ترشد اهل السلوك، يبين العدل بنورها طرايقه، ويزين العقل بمحاسنها حقايقه، وتستقيم بها الامور، ويستفيد منها الجمهور، او نوح رفع مظلمة، او حط مأثمة، او كشف بلوى، او بث شكوى، او حاجة فى نفسك، وما لاسبته فى دونك وامسك، او لطيفة تنشرح بها الصدور، وتبتسط بابرادها الحضور، فهذا وقت تشنيف المسامع بجواهرها، ونثر درها على بادى الحاضرين وحاضرها، فان المحل قابل، وعنق الاصغاء الى الطوق لطائفك مايل، ومجال الحلم لذاك واسع، وساحة الكرم لك واسع، وفاعل الصنيعة صانع، وكف اللطف معطٍ لا مانع، فقال الخجل، بعد ان زال الخجل، وحال الوجل، وجال الرجل، من غير ريث ولا عجل، الحمد لله الذى آسى جراحنا، واحيى بعد الملف ارواحنا، فد كنا فى بيداء الحيرة والهلاك، وظلماء الضر والخوف فى انهماك، ومرّ علينا سنون، ونحن فى الخسار والغبون، ونار الاشتياق تضطرم، ودواعث تعبمل الاعناب الشريعة الساطانيه فى العواد تردحم، اذ قد انتشر جناح عدلها، ونجاح ظلها، وسماح وابلها وطلها، وكثر كل لسان محامد فضلها، واسهر لكل حيوان مآثر نبلها، فهى امان كل محوف، ملجا كل ملهوف، لكن كانت العوادى، تعرع تلك الدواعى، وغواشى الحوادث تعترض دون المساعى، قارة باكتناف المخاوف، وطورا باحتفاف الخواطف، وحينا بضعف المبانى، واونة بعدم المعاون والمعانى، والآن يا ملك الزمان، بحمد الله المنان،

ازحنا المهالك والمهاوى، واسترحنا من ضرر المسالك والمساوى، اذ قد نزلنا بجناح النجاح، من جُنح الجُناح، وصرنا الى محل السماح والرباح، فزالت العلل، وانسدّ الخلل، وحللنا فى عفوة منيفة، وسدّة شريفة، فامنا شرك المكايد، وشر المصايد، وتوسدنا مهاد الدعة، واستظلنا جناح الامن والسعة، وانه قد قيل عدل السلطان، خير من خصب الزمان، وقيل الملك العادل، والامام الفاضل، كالاب الشفيق، والوالد الرفيق، يعامل بالسوية، ويحمى الرعية، ويحرسها من برد الماء وحرّ النار، كما يحرس الوالد الولد من هبوب الهواء وشم العبار، وقلت شعر

نزلنا فى ذرى ملك كريم ... براه عمل اولاد الكرام
اصلّ ذوايب الابار عنا ... فلم نرنا ولا فى الاحتلام
ولا مطر السماء يصيب منا ... كذى مطامنا فوق الغمام

فقال الملك اهلا وسهلا، ودعة ورحلا، نلت قلبا ونفسا، واهنا معنى وحسّا، لقد حللت بساحة الاستراحة، وباحة للامن مباحة، وقاحة ليس لتلك بها وقحة، ولا لجارحة جارح بها جراحة، وقد خلصت من جواسر الكواسر، ومناسر النواسر، ونزلت بوادى الخير، ونادى ملك الطير، فاكرمت صدر منزلك، ونلت غاية املك، فاذهب بسلام، وات بما لك من خادم وغلام، واهل وثقل، وفرس وجمل، واثاث وفماش، ومعاش ورياش، وخيّر مكانا تختار، وجار احسن الجوار، فقال ايها الملك السعيد، انا شخص فريد، غريب فقير، لا ابرق لى ولا حصير، وقلت

انا لو لا الحيا وخوف العار ... لم اكن فى الانام الا عار
من رانى فقد رانى وبنتى ... ودثارى ومركبى وشعارى

غير ان لى قرينة، مثلى فقيرة مسكينة، صابرة على السرآء والضرآء، قضينا معا ماضى الصباح والمسآء، لم يترك عقيل الحوادث لنا دارا، ولا يد العوايث عقالا ولا عقارا، ولا مخلب العوايث جارا ولا جوارا، ولا ناب الكوارث ولدا ولا قرارا، والويل كل الويل لمن كان مستقره فى بطون الليل، ومن حوادث الدهر على سبيل السبل، وقد طال الكلام فى كيت وكيت، وقضايا ليت وليت، الى ان لم يبق فى البيت سوى البيت، ولما بلغ سيل العمر الربا، وحزام انهم الظبا، وما حال من يرى افلاذ كبده تقطع، وبشاهد كل وقت قرة عينه بمخاليب الجوارح تتبضع، ولا يد للمدافعة تمتد، ولا نهضة للممانعة تشتد، فينشد شعر

كفى حزنا الى ارى من احبه ... رهين الردى يرنو الى بطرفه
اود بمالى لو يفدّى ومهجتى ... ولكن يد التقدير غالت بحتفه

ولما تكرر ضرّ ايوب، وتضاعفت حزن يعقوب، تركنا تلك الديار بالاضطرار، وعلى ابوابك الشريفة وقع الاختيار، فرصدنا للتحويل ايمن الساعات، واخترنا للرحيل احسن الاوقات، ثم صممنا العزيمة، وتادانا هاتف السعد اسرعا فديتى جذيمة، فعلمنا السهامه والقفار، واسرينا الليل والنهار، فكم رعنا عين الى الحصين، ولقينا ما لاقى الحسين، بكربلا، من الكرب والبلا، وكم لحقنا من بنى زغار، الى كهف واجم وغار، واخترزنا من قنافذ، وافعوان ذى سم نافذ، ونفرنا من حيات اشراك، وحدنا عن اوهاق شباك، واخترنا الجوع، وعدم الهجوع، على الحب المهذور،

لاصطياد الطيور، كل ذلك، فى المسالك، والسعد قابدنا، والفلاح رايدنا، والمن دليلنا، وظلال امنك ظليلنا، وفى تهانى سعدك مبيتنا، وكنف فضلك مقيلنا، حتى حللنا بدار الامن، ونزلنا بحرم مولانا السلطان، فدادنا فضل خالق الورى، لا نخشا الى معدما اسمع وارى، الفيا عدما النسيار، وانزلنا عند خير جار، فتركت القرينة، فى منزله حصينة، وكل بلادك امينة، وامست معالمك الشريف، وجنابك المنيف، مقاما عظيما، وجنابا كريما، ومجلسا عالما، وبابا سليما، فتوجيت، ثم تولايت، شعر

هذا هو الملك الذى من بابه ... يُعطى المخوف امانة لزمانه
رفّى الورى احسانه فكانما ... ارزاقهم كُتبت على احسانه

ثم نهض اليعقوب من مكانه، وقبّل الارض بين يدى سلطانه، وتوجه ذاكرا بامنيته، حتى وصل الى خليله، فاخبرها بما جرى، بتخيير المشترى، وكيف راى البوّ والملك، وصوره ما فعل به وسلك، وكيف تلقى مقدمه، واكرمه الملك بما اكرمه، وفور كيف كان خطابه، وعلى اى صورة حسنا رَدّ جوابه، فسر صدرها وانشرح، وطارت بهذا الامر من الفرح، ثم توجها الى حضرة السلطان، وحصل لهما من الانعام والاحسان، ما نسيا به الاوطان، وسلكا بنفس مطمينة، فى خدمة الملك من الجماعة السنية، وخوطب اليعقوب من الملك، اسكن انت وزوجك الجنة، فلما استقر بهما الدار، وتبدل انكسارها بالاجبار، افيض عليهما من الصدقات، والادرارات والنفقات، ما لم يخطر ببالهما، ولا دار على خيالهما، وحصل لهما الامن والامان، والسلامة والاطمئنان، واستقرت خواطرهما، وابتهجت بالسكون سرايرهما، واستمر النجدى ملازم للخدمة، وتوفرت عند الملك واتباعه له الحرمة، وسمعت كلمته، وتزايدت حشمته، ولم يزل صبيح الطلعة، نجيح السعى، وضى المنظر، مقضى الوطر، يرتع على بساط النشاط، ويطير فى رياض الامن والانبساط، مؤديا شرائط الخدمة على الوجه الاحسن، دائما بواجب العبودية مهما امكن، الى ان تمر على سائر الخدم، وتقدم على السابقين فى الخدمة ونيات القدم، ناشرا السنة النضيحة، ناشرا الالسنة الصريحة، منادما باللطايف الصحيحة، والنوادر الملحة، بالعبارات الفصيحة، والاسارات الرجيحة، حافظا زمام الاحتشام، مراعيا مقامات الكلام، على مر الايام، وكر الشهور والاعوام، ثم ختم الكلام، فى هذا المقام، باعظم ختام، وهو حمد الله الملك العلام، وشكره المستدعى لمزيد الانعام، والصلاة على سيد الانام، وآله واصحابه السادة الكرام، عليه وعليهم افضل التحية والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

الباب العاشر

في معاملة الخادم والاحباب والاعدا والاصحاب وبه ثمن ابواب الكتاب

قال الشيخ ابو الخاس، الراوي من الادب الاحاس، فلما ان تكلم، عن هذا الفصل الجسيم، وكشف نقاب البيان، عن محدرات هذا المعان، فعالا من وراء ستحجب الفاظه وحوه معانيه الحسان، عظم في اعين الاعاظم، وكبر لدى الاعراب والاعاجم، ورفعه اخوه، وعظمه ذووه، فاضاء مناره، وعلا مقداره، وملا الافاق انواره، ووقع من الملك على الاعتماد عليه اختباره، ثم استزاده من فيض هذا البيعبوب، واستسقاه من حوض هذا الشوبوب، واستطعمه من احمار العناب والبعثوب، ان كان ثم بقية، تجلو اقلوب الصديه، فامتثل الاشاره، وحسّن العباره، وقال ثم ان ابا الدجاج، دعا العبيج ابا الدجاج، واختلى به دون اصحابه، وقال له اعلم يا حلبس الخمر، وانيس الظلم، ورئيس الدير، الى تحملت من السوبو انعمه العظيمة، والجمله الجسيمة، حيث ارشدك الى بابي، ونظمك في سلك اتحادي، ولا جرم انه قام بما تجب عامه، وعرف مقدار احساني ومسلى الهه، وانه لاوثو اعواني، واصدق خلصائي، وصاحب قديم، ومخلص عديم النظير بديم، وصديق كافي، وناصح مصافي، وانسي لانيمن بطلعته، وابرك بمشاهدته، واستنجح باراته، واستصبح في المهمات المظلمه بلامع صائبه، ولقد حصل ممكن علي عضد معاضد، وساعد مساعد، وكهف وذخر، وسند وظهر، فاياك ان تترك ذيل مودته، او ترغب عن صحبته ومحبته، وان تعتصر يا ذا الوفوف، في صداقه على الوصوف، فافصل للحبد، واكمل المودة، ما تزايد على مر الدهور، وتزايد على كر العصور، وثبت اصله وفرعه، وفاض من سويداء القلب على محاري الجوارح دموعه، تحسن بقع الاتحاد، وتمتزج بالصفاء الوداد، فقد قيل لا تصح لحبه بين اثنين، حتى تصيرا كالعددين، حيثما نظرت احدهما شزرا، ماتت معها تابعة الاخرى، بل تصيرا كالنفس الواحدة، لا كل واحد على حدة، ولا كما تقول الملاحدة، بل تكميل لكل واحد بالاخر انهما، وتحصل له بوجوده انما، واذا خاطبه قال يا انا، ولا تعمل، يا انا، كما قيل شعر

ملأت حشاشتي شوقا وحبا ... فان ترم الزياده هات قلبا

فان الفتاح عند الفتوح، وباب التحصيل والزياده مفتوح، وكرم الله لا يضاهى، وفضله كعلمه لا يتناهى، وانظر يا فضيل، وذا انعلم العرض الذليل، احاد المحبة الى ما قيل، وهو

ايها السائل عن قصتنا ... انا من اهوى ومن اهوى انا

نحن روحان حللنا بدنا ... من رانا لم يفرق بيننا

نحن مذ كنا على عهد الهوى تضرب الامثال للناس بنا
فاذا ابصرته ابصرتني واذا ابصرتني ابصرتنا

وانظف من هذا وارصن، لو قاله الفضل واحسن، وهو

انا والحبيب كما قد علمتم نفسه واحدة من غير مَيْنُ
فبرانا الله اذ اظهرنا مهجة واحدة في بدنين
فاذا ما الجسم امسى دنسا تلمعنا واحدا من غير بَيْنُ

ولقد ذكرك عندي بانواع الفضل، وتصور التحارب والعقل، وهذا يدل على نصحه وقوة دينه، وصدقه في المحبة وحسن نصيحته، ولم يذكر عنه واقع، ولا جارف قدما انهاه الى المسامع، بل قال قلملا من كثير، وقطره من غدير، ولم يخبر بذلك غير خبير، فاني اعرفك بما عرف، ووقفت على فضائلك كما وقف، ثم انت عندي فوق ما وصف، فاريد منك نصائح، تاخذ لوائح، تتضمن فوائد، وعوايد وفرايد، تكون لهم للحكمة موايد، ولسهم للحكام فوايد، ولجمهور الباب المعقول وارباب المعقول فلايد، ولتضبط اساس الملك والدين قواعد وعقايد، فلقي مثاله بالامثل، وقبّل ارض في معالم المعبودية وقبل، لتحفظ العلوم الشريفة، والاراء العالية المنيفة، ان صانع العالم، تعالى وتعظم، بنى امور المبدا والمعاد، وما بينهما من معاش مستعاد، على دليلين، عظيمين جليلين، احدهما العقل الذي هو مناط التكليف، وقوامهما قواعد الشرع الشريف، فان اردت ان تكون سعيد الدارين، فاستمسك باذيال هذين الدليلين، اما العقل فهو الدليل القاطع، على وجود الصانع، وهو مستعمل بالقطع، غير محتاج الى السمع، وكما هو مستعمل بالدلالة على وجود ذاته، كذلك هو مستعمل بالدلالة على بعض صفاته، ثم ورد بذلك الشرع، فاكد في وجود الصانع دلالة العقل والسمع، واما وحدانية الصانع، فمستدل من العقل والنقل دليل عليه قاطع، وقد تظافرا بالاستباق اليه، وتضافرا في الدلالة عليه، ويقول الحكام يوم المصير، لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير، والعقل والسمع يسميهم المبدا والمعاش، ويسمع حديث ممن المعاد عاش، لان امور المعاد، من الشرع تستفاد، والعقل في ذلك تابع سامع، لاوامر الشرع ونواهيه، والمسموع في ذلك دليل قاطع، وعلى كل تقدير، ايها الملك الكبير، فاجعل العقل وزيرا، يجتهد لك في ظلمات المشكلات سراجا منيرا، واجعل النقل هاديا ونصيرا، يكن بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا، وعامل الرعية بالعدل، تعامل الله بالفضل، واعلم ان الدنيا في معرض الزوال، وانه لا بد عنها من الانتقال، وان الله سبحانه وتعالى، وجل سلطانه جلالا، اقتضت حكمته، وجرت بين عباده سنته، ان تكون الانسان، على خلاف ما فطره الرحمن، فانه خلقه للعبادة، وركب فيه عناده، واقامه للعمل، وجبله على الكسل، فامره بالصلاة وهو كسلان، وبالصوم وهو شهوان، وبالزكوة وحبب اليه المال، وبالتجنب وكره اليه الانفعال، وبالرضا وركز فيه الغضب، وبالتسليم والصبر وحمّره بالضجر والتضجر، وبالتواضع ووضع فيه النخوة، وبالسخاوة باخلاق خالقه وفيه ما فيه، وحكم عليه بالموت، تخفى انه ليس له منه فوت، وهو بكره عن الدنيا التحويل، واقل اقسامه انه يحب العمر الطويل، وعلى هذا قد تعوّد، ان يفعل في المكان

المزود، افعال المنعم المؤيد، والدايم المخلد، ويبني بناء من لا ينتقل، وعمن قليل يتركه لو عقل، لا سيما من تعاون بالدنيا قلبه، وتشبث بالمال والولد والجاه والتحكم حبه، وقد اخبر العزيز الوهاب، في اصدق كتاب واوثق خطاب، فعال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب، فالنفس مايلة الى الاقامة، راغبة في دوام السلامة، تحب طول العمر في الزمان، وان احوجت الثمانون السمع الى ترجمان، وقد قيل شعر

واحسن ما كان الفتى في زمانه مع السعد والجاه العظيم معمّرا

واشهى ما سمع الحاكم، والذ ما تلقاه من قول الناظم، قوله شعر

فلا زلت دهن الدهر حاكما بجاه عريض وعمر طويل

ولقد بلغني يا ملك الزمان، ان الملك العادل انوشروان، كان بنى اساس ملكه على العدل، وعامل رعيته بالاحسان والفضل، وتعقبه من التعابيل، حسن الشمايل، قيل سيد الاواخر والاوايل، ولدت في زمن الملك العادل، وقال الرحمن في محكم القران، ان الله يامر بالعدل والاحسان، وقد فصل في الاقاويل لا ملك الا بالرجال، ولا رجال الا بالمال، ولا مال الا بالعمارة، ولا عمارة الا بالعدل، فلا ملك الا بالعدل، ومن اقوى الصفات العدلية، عمارة بلاد الرعية، وبذل الجهد في العمارة، ليكثر الربيع وتقل الخسارة، فاذا عمرت البلاد، وترمم الطريف والتلاد، حصلت الاموال، وكثرت الرجال، وانتظمت الاحوال، فقد بلغني يا ملك الزمان، ان الملك انوشروان، كان مارا في سيرانه، بين جنده واعوانه، فراى شيخا كانه قوس قزح، نز على راسه قزع اقطان، وهو في بعض البساتين، يغرس نخلا، فتعجب من احناء قامته، وبياض هامته، مع شدة حرصه وتعبه، على نصب غرسه ونصبه، فقال له يا ذا المحارب، ومن هو من شرك الفناء هارب، الامر ترتع في ميادين الامل، وقد تتلوفك سهام الاجل، تبغي وارکان جسدك واهية، وتغرس وفرامي بدنك كاعجاز نخل خاوية، ربع شبابك قد استولى عليه خريف الهرم، وضيف وجودك قد ادركه شتاء العدم، وانت تسهم لمراودك عوامل الذبول، وتصحت قوى عيانك بتواصف النحول، وقد آن ان تغرس للاخرة، فانك قد صرت عظما ناخرة، فقل يا ملك الزمان، وعادل الاوان، قد تسلمناها عامره، فلا نسلمها غامره، قد غرسوا واكلنا، ونغرس ونادون، وفي الحقيقة كلنا زارعون وغارسون، شعر

لقد غرسوا حتى اكلنا وانتا لنغرس حتى يادل الناس بعدنا

وابعد فلاح، عن الرشد والفلاح، من يتسلم المعمور، ويتركه وهو بور، فاعجب انوشروان، وسر عقل الشيخ الفهمان، وحسن جوابه، وسرعة حوابه، فقال زه يعني احسنت وهي كلمة تحسين، وعلامة اعجاب وتزيين، وكانت علامة للاحسان، اذا تلفظ بها السلطان، يعطي المقول في حقه، اربعة الاف درهم لرقعه، فاعطوا الشيخ المهرم، اربعة الاف درهم، فقال ابها السلطان، ان الغراس يثمر بعد زمان، وانا غراسي لحسن صناعته، اثمر من ساعته، ففال زه فاعطوه اربعة الاف اخرى، ورفعوا منزلته قدرا، فقال واعجب من هاتين الفضيلتين، ان الغراس يثمر مرة، وانا غراسي اثمر مرتين، فقال زه فاعطوه القدر المعلوم، وزادوه في التكريم، وقال له انوشروان، ان امهلك الزمان، حتى

تانيني بباكورة هذا البستان، فانا افطمك خراجه، وافضي ما لك من حاجة، فمهلة الدهر، وطال به العمر، وادرك ما نصبه، ولم يخيّب الله تعبه، فحمل الى الملك البساتنة، ووفى له الملك نذوره، وانما اوردت هذا المثل، ليعلم مولانا الملك الاجل، ان الدنيا وان كانت ظلا زايلا، وحايطا مايلا، فهي مزرعة الاخرة، وان الاخرة فهي الدار العاخرة، وان الله تعالى، وحل حلالا، ولاك هذه المزرعة، وعلق باوامرك العلية ما بها من مضرّة ومنفعة، وحكمك في البلاد، وملّكك رقاب العباد، فاياك ان تغفل عن عمارتها بالزراعة، او تسلم زمام تدبيرها الى يد الاضاعة، فانك منقول منها، ومسئول عنها، وان مصالح عساكرك بها منوطة، واحوال ملاكك بالعساكر مربوطة، فكلما تعمّرت الضياع والقرى، ترفهت الاجناد والامرآء، واستراحت الرعية، واستمرت مناظم الملك مرعية، وتوفرت الخراين، واطمأنّ الظاعن والساكن، وقلّت المظالم وكفّت اكفّ الظالم، وملاك هذا كله العدل والاستواء، ومجانبة الاغراض العاسدة والهواء، وهذا الذي بعنصيه معاملك، وبنم به مراملك، فان الملك انما هو ملك بالاجناد، فلا بد له من عمارة البلاد، والنظر في مصالح العباد، ليستقيم بنظره مصالح العالمين، ويستقيم امر العالم الى الحين، الذي قدّره احكم الحاكمين، فان سنة الله جرت على هذا السنن، وما راه المومنون حسنا فهو عند الله حسن، ولهذا قال سيد سكان الحيف، انا نبي السيف، والجهاد فُرِض عينٌ على الملوك، لا على الصغير والصعلوك، فالملوك في نوع من العباده، تقتضي من انمال اردياده، ليقيموا من الاسلام عماده، ويقمعوا من الشرع مراده، ويعصموا الكفر وعناده، ويبيدوا اهله واولاده، ويمهوا طرافه وتلاده، ويوطئوا سنابك الانمان بلاده، وعلى كل حاكم واجب، ان يبذل في ذلك اجتهاده، ويجعل الجهاد الى الاخرة زاده وعتاده، ويصون عن الكفر بلاد الاسلام وعباده، الى يوم يلقى معاده، فيجازيه الله الحسنى وزياده، هذه طريقة الملوك، ومن تبعهم في الاقتداء والسلوك، واياك ايها الملك المعظم، وصاحب المال الجسيم، واخذ المال من غير حلّه، ووضعه في غير محله، ولو كان موضع الخبر، وقصد به دفع الضرر، فانه لا يفي ذاك بذا، ولا يقوم نفعه بما فيه من اذى، فذلك كابناء المغارس، وبنيان المدارس، وتنوير المساجد، وتعمير المعابد، وسد الثغور، وعمارة العبور، واقامة القناطر والجسور، وعمل مصالح الجسور، واطعام الطعام، وكفالة الايتام، والحج الى بيت الله الحرام، واعطاء السايل، واغناء الارامل، وصرف المقعات، واخراج الزكوات والصدقات، ومثله التوبيل، كما قيل، شعر

بنى مسجدًا لله من غير حله ... فصار بحمد الله غير موفق

كمطعمة الايتام من كد فرجها ... لك الويل لا ترنى ولا تتصدّقي

قال من لم يخف عليه اخفاؤها، لن ينال الله لحومها ولا دماؤها، ثم اخبر بحبر ما يصدر عنكم، فعال ولكن يناله التقوى منكم، فان تُنلب من هذا اجر، فهو خسران وكفر، لانه في صورة الاستهزآء، وهل يطلب بقبيح الحرام حَسَنُ الجزاء، بل الواجب في هذا، على كل من آذى، رد المظالم، وخلاص ذمة الظالم، ورجع الحقوق الى اهلها، وايصالها الى محلها، وما يرضى ظالم غوى، وتحمل الحرام هوى، ان ينخلص سواء بسوى، وشر الناس، يا ذا الباس، من اتبع

قصة ابليس، فسأل العقاب، عن بيان هذا الخطاب، فقال كان في الشام، شخص من اللئام، تصدّى لعمل الاحكام، ومشى من الظلم في ظلام، وشرع في اخذ الاموال، على سبيل التعدي والوبال، فاذا اخذ من احد المال، ادخر لنفسه من ذلك نصفا، وتصدق بالخمسمائة الاخرى، على اولى الضرر والاضرار، كل واحد درهما، وعد ذلك مغنما، ودل هذه فائدة، عليها بالربح عائدة، للحسنات بخمسمائة والسيئة واحدة، وواحد يدعوا عليها، وخمسمائة يتوجهون بالثناء والدعاء اليها، ثم قال ذلك الملحد، ولا تتغير الخمسمائة عن الواحد، هذا وان كان والعدد واحد، صرف ذلك الحرام في النفوس والملاء، وقبيل الاعراض الفاسدة والدماء الحاء، فهو اشد في المثال، واعظم في الوزر والوبال، وهذا المقام، يطول فيه الكلام، واقل ما في الباب، ان الحلال حساب، والحرام عقاب، وقد سمعت يا جليل القدر، ما نطق به السيد الصدر، الذي اخجل نور طلعته الشمس والبدر، سيد الانام، ومصباح الظلام، وحبيب الملك العلام، عليه افضل الصلاة والسلام، يوما لاصحابه السادة الكرام، رضي الله عنهم وجمعنا في مستقر رحمته وانعامه، اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وهذا اذا كانت هذه الطاعات من الصلوات، والصوم والزكوات، واقعة في محلها، ومصاريفها من حلها، فانها لا تفيد الطائر، الا في وقاية الطائر، واما اذا كانت من الحرام، ونماء غراسها من مياه الاثام، فهي وبال على وبال، وفساد فوق نكال، ووهن على كسر، ونقصان فوق خسر، ودل ايضا، اقاص الله عليه سحايب صلواته فيضا، لمؤذن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يعاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا فاستعذ بالله يا مولى الطفر، ومولي الخير، من نار هذا الشرر، وان تتفرق طاعاتك شذر مذر، واعيذك يا سلطان الصفات، وما اكتسبته من الطاعات والخيرات، ان ينقل الى ديوان غيرك، او يفوز بخيرك سوى ظفرك، اللهم الا ان يكون، يا ذا الوقار والسكون، على وجه ما قال، من احسن المقال، شعر

وتكتسب الطاعات ذخرا لعلّما ... يجود بها يوم القيام على العاصي

او على وجه ما قبل، واحسنّ به من وجه جميل، شعر

بجود بما ضنّ الجواد بمثله ... من الوفر بل لو امكنته شمائله

لعاد على المرضى بصحة جسمه ... وجاد على الموتى بعمر يطاوله

ومنّ على النوكى بوافر عقله ... وقسّم في الحمقى من الراى كامله

وثقل ميزان المخف باجره ... لدا الوزن لما آد بالوزر كاهله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتّق الله سائله

ولاجل هذا الخطر العظيم، والخطب الجسيم، تورع عن الحلال الزاهدون، وشمّر عن التلوث بالدنيا قبل الرغبة العابدون، قال سيد البشر، والشفيع المشفع في الحشر، لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما، سقى منها كافرا شربة ماء، وقال عليه الصلاة والسلام، والتحية والاكرام، اللهم

ارزق ال محمد قوتا ومع هذا كله فالملك والرعية امانة، ومن تقلد ذلك فقد اوجب على نفسه ضمانه، فليجتنب خيانته، ولا يشن بها امانته، قال صفوه الله تعالى وخيرته من بريته، كلكم راع وكلكم مسيول عن رعيته، ومصداقه قول رب العالمين، وملك الملوك والسلاطين، وهو اصدق القايلين، انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاعلم يا ملكا اعطى الزمان امانه، ان هذا الملك الذى بيدك هو من جملة الامانة، التى اشفق السموات والارض والجبال، وابين ان يحملنها خوفا من النكال والوبال، وخشية ان لا يعين بحقوق حملها، او يضعنا فى غير محلها، فيعاقبن، او بالعتاب يخاطبن، فمعقفن عن الرغبة فى الثواب، خوفا من العتاب والعقاب، وعملن بموجب ما قيل شعر

هجرتك لا قلى منى ولكن ... رايت بقاء ودك فى الصدود

كهجر الحابمات الورد لمّا ... رات ان المنبة فى الورود

تغيظ نفوسها ظمأ وتخشى ... حماما فهى تنظر من بعيد

تصد بوجه ذى البغضاء عنه ... وترمقه بالحاظ الودود

ثم حمل هذه الامانه بنو آدم، لما قدره وقضاه العلى الاعظم، فى سابق القدم، ولما فيها من احكام وحكم، وان الصادق المصدوق اخبر، فيما روى عنه ابو ذر، قال قلت يا رسول الله الا تستعملنى قال فضرب بيده على منكبى ثم قال يا ابا ذر انك ضعيف وانها امانة، وانها يوم القيامه خزى وندامه، الا من اخذها بحقها وادى الذى عليه فيها فمن حملها الصلاة، والصوم والزكوة، والوضو والاغتسال، ومراعيه ذى الجلال، فى السر والاعلان، بقدر الطاقه والامكان، وعلى هذا جميع الطاعات، وانواع العبادات، هى فى رقاب العباد امانات، ومن اعظمها، وانبها واحكمها، الامرة والحكومة، والتصدى لفصل الخصومه، والسلطنه العليه، وامور الملك البهيه، والقيام بامور الرعيه، فيجب على السده الحكام، وملاكى ازمه الانام، ان يراقبوا الله تعالى فى كسعه ادائها، ويطالبوا انفسهم على مر الانفاس بالقيام بوفائها، ويراعوا اوامر سلطان السلاطين، فى امور عبيده المستضعفين، خصوصا المظلوم والفقير والضعيف والمسكين، فاذا عاملوا عباد الله بالعدل، عاملهم الله تعالى عز وجل بالفضل، قال الله المنان، فى محكم القران، ان الله يامر بالعدل والاحسان، وقال السيد الكامل، والسند الفاضل، اشرف الاواخر والاوائل، صلى الله عليه صلاه تعمى البوائر والاصابل، سبعه يظلهم الله فى ظله، يوم لا ظل الا ظله، امام عادل بدا فى هذا الفصل، من ذكر الصفات بالعدل، والعدل اذا انوجه الشرّ، الوسط والوسط هو الخير، قال من امره فهو وسطنا، وكذلك جعلناكم امة وسطا، لتكونوا شهداء اى للانبياء تشهدون لهم على امهم بعدالة فيكم، ويكون الرسول عليكم شهيدا اى يزكيكم، اى وكجعلنا فيكم امام العدل، حاضر الفضل، جعلناكم حاضرين حضلكم، بالعين مرتبين، وهما كونكم عدولا شهداء على الناس للانبيا، مقبولى الشهاده فى الادا، وكون الرسول معدّ لكم، ويتركيته على الامم مقامكم، وقال صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، وعظم، عدل السلطان يوما يعدل عبادة سبعين سنه رواه عامه السلاطين، والخيره والاحترام، والذى

نفس محمد بيده انه لترفع السلطان العادل الى السماء مثل عمل جملة الرعية وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه عليه السلام قال ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حين يفطر ودعوة المظلوم وروى كُثَيِّر بن مُرة رضى الله عنه قال قال عليه السلام السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاثم وعلى الرعية الصبر وعن ابى هريرة رضى الله عنه يرفعه لعمل الامام العادل فى رعيته يوما افضل من عبادة العابد فى اهله مائة سنة او خمسين سنة وقال قيس ابن سعد سنين سنة واعلم ايها الملك الاعظم واسلم ان العدل ميزان الله تعالى فى الارض به ينتصف بعض الرعية من البعض وبه يوحد للضعيف من القوى ويُعبَد الله على الصراط السوى ويتميز الحق من الباطل والخالى من العاطل وهو من صفات الذات واعظم الصفات بمعنى ان الله تعالى عز وجل جلالا له ان يفعل فى ملكه ما يشآ فيعزى الملك من يشا ويذرع الملك من يشا ويعز من يشا ويذل من يشا ويحكم ما يريد والخلق كلهم له عبيد وحبيعهم بعين ملكه نافذ فيهم سهم امر ملكه فلا اعتراض على فعل المالك ولا فيما يسلك بمملوكه من المسالك ولا مجال لاعتراض عبده على ذلك لا سيما اذا كان مولاه كريما وفى افعاله مدبرا حكيما فمن عرف ان الله عدل وان افعاله حاريه بين العدل والفضل يتلقى نقمه بالصبر ونعمابل نعمه بالشكر وبطمئن خاطره وتسكن الى مولاه سرايره فلا يستقبح موجودا ولا يستهجن مفقودا ولا يستعظل حكما ولا يرى فى اللون ظلما بل يستقبل الاحكام بالرضا ويستسلم لموارد القضا ويقابل العوارض بما قاله ابن العارض شعر

وكل ادّى فى الحب منك اذا بدا جعلتُ له شكرى مكان شكيتى

واعدل المخلوقات واوسط الكائنات الانبيآء عليهم السلام فانهم اعدل الخلق مزاجا وطبيعة واقوم الناس منهاجا وشريعة واوسط البشر افعالا وافوالا وانما يعترض على اقوالهم ويتعرض لافعالهم من هو عن الصواب منحرف وعن جادة الحق منصرف ومن عين بصيرته عميا عن مرائيه الحظوظ كالاعمى الذى خرج وهو ماش عن سواء الطريق فيعثر عن شوك او حجر او يصدمه حيوان او شجر فيقول تحوا هذا عن الطريق فانه يحصل به للمارّة تعويق ويعيب على واضعه وانما العيب فى طبائعه والجهل منسوب اليه لعمى قلبه وعينيه كما قال ذو الخويصرة لسيد الرسل البررة لما قسم الغنيمة قسمة مستقيمة اعدل فاجابه الكامل المكمل بانه ان لم يعدل فمن يعدل وانه اى ذا الخويصرة الذى اعمى الله بصره خاب وخسر ولاقى اليوم العسر ان لم يعدل ذلك المفضل وكيف يقال هذا الكلام لمثله عليه السلام وقد امره الله تعالى بالعدل ويُشر نَشْر هذا الفعل وامر همكم بقوله وأُمِرتُ لاعدل بينكم قال الاسد الغالب على بن ابى طالب كرم الله وجهه وجعل الى رضوانه له احسن وجهه امام عادل خير من مطر وابل واسد حطوم خير من سلطان ظلوم وعدل الملك يدوم مع العدل ولو كان الملك كافرا ولا يدوم مع الظلم ولو كان الملك مسلما وما نعاطى حاكم ذو فضل فضل فضيلة فى فضل احسن من سلوك طريقة العدل ولهذا بقى اسم انوشروان مخلدا بالعدل على مر الزمان والى يوم ينصب

الميزان، مع انه كان مجوسيا يعبد النيران، والله تعالى اخترعها، بالسلسلة التي وضعها، واقفة في محالها الصحيح، معمول بها الى اخر حين، ومثل انه كان شديد الوداد، للاصطفاد، وكان يعشق البازي والشرّق، والصقر والباشق والبندق، فسأل يوما من البازدار، لم كانت هذه الاطيار قصار الاعمار، قال لانها تطالع الطلوع، والظلام عمره قصير، فمنعه بهذه الكلمة وانعه، وكفّ يده عن الظلم واحتاط، ثم اسس قواعد العدل، ونشر ذكره الى يوم الفصل، وكفه من القصايل، قول السيد الكامل، ولدت في زمن الملك العادل، وروي ان بعض الملوك العادلين، والحكام الفاضلين، استولى عليه الكبر، ووقر في اذنه وَقْرٌ وَقْر، وكان قبل التصميم، في العدل والكرم، كما قيل

وانّ مطاوعه وغُنّمه سائل على اُذنه احلى من الشهد في الفم

فحزن لفقد سمعه، وتأسف، وتحزن وتلهف، وتأوه وبكى، وتباوه وابكى، ودل ما اتلهف من عدم سماع الحديث، الا على فقدي صوت المستغيث، ولا كنت اناشد من متكلم، الا بالاصغا الى خطاب المظلوم، ثم دل ولش حرمت ذلك من طريق الاخبار، فلا توصلُ اليه من طريق الابصار، ثم امر باشهار المدا، في الاطراف والارجا، انه من كانت له ظلامة، فليظهر له علامة، وهي ان يلبس ثوبا احمر، ويقف فوق ذلك السفل الاحمر، ليعرف علامته، ويكشف ظلامته، وقيل ان السلطان السعيد، نور الدين الشهيد، لما امر ببناء دار العدل، وعزم ان يقيم فيها للحكومات الفصل، ادرك الامير الكبير، صاحب الراي المنير، اسد الدين شيركوه، ما يعتمده السلطان ويرجوه، وما يحمله على ذلك ويدعوه، وعلم ان ذلك الاسد، لا يُسامَح عنده احد، وانه لا يراعي في الحق اميرا، ولا كبيرا ولا صغيرا، فانه مع الحق وبالحق قايم، لا تاخذه في الله لومة لايم، فجمع مباشري ديوانه، واكد ما داله ليم بامتانه، لئن شكا عليهم احد، او بلغه عن احد من حاشيته ظلم او نكد، لمذيقنّه اشد العذاب، ولينزلن به انكى عقاب، وقال ما برز هذا الامر العزيز العالي، بناء هذا المقعد العامر العالي، الا لاجلي ولاحل امثالي، فما وسعهم الا طلب الخصوم، واسترضاء المعاصم والمظاليم، وروي ان احد الصدور، غصبه بعض عُمّال المنصور، واخذ منه كفرا من الكفور، فتوجه الى المدينة، وضرب له امثلا طريقه، وقال اصلح الله امير المومنين، واقام به شعائر الدين، ونصر به المظلومين على الظالمين، اذكر ظلامتي اولا، ام اضرب امام حاجتي مثلا، فقال دع الجدل، واضرب المثل، فقال اتهمك الله العدل، واقام بك قواعد الفضل، ان الطفل اذا فاته ما يكرهه، او فزعه حَنَتْ حَنْبَتِه، فرّ الى اُمّه، واحتمى الحما من قمّه، فاوى الى حصنها، واندس تحت ضبنها، لانه لا يعرف سواها، فيستكشف بها عن نفسه ما دهاها، ولا يظنّ ان غيرها، يدفع عن نفسه ضيرها، فاذا عرف اباه، بث اليه شكواه، واستدفع به ما عراه، لانه قد وَقَر في وَقْمه، ان اباه اقوى من امه، وان عنده من الباس، لا يقدر على دفع الباس، فيلجا اليه، فيترامى في شدايده عليه، ولا يعمل عذره، ان ذرف نصره، او قصّر في مبتغاه، او تهاون في متمناه، وبهذا قال بعض الحي، ان النساء والصبيان يظنون ان الرجل يقدر على كل شي، فاذا اسد واسوى، واصابه من احد جوى، تقدم الى النوالي، لان مقامه عالي، وهو اقوى من ابيه، فيستكشف له ما وقع فيه، فاذا صار رجلا، واصابه من احد نكدٌ وبلا، استجد بمايب

السلطان، فوجده له احسن معوان، فاشتكاه، ورفع بلواه وكفاه، اذ دعاه من عداه، ما دعاه، ورعاه، عما عراه، فانه اقوى من الوالي، واقدر على دفع الظلامة من كل منهما غالي، وهو السلطان الحاضر، والعامل والناظر، على البادي والحاضر، فاذا ظلمه الوالي والعامل، ونقصه حقه ذو الحكم الكامل، تعلق باذيال عدل السلطان، واستكشف بمراحم نعمته ما دعاه من عدوان، اذ قد تحقق، ورأى وصدّق، انه اقوى من الظلّ، والى مرسومه مرجع الجلّ والفل، ولا يدّ فوق يده، وانه قد انتهى حديث رفعته لعلو سنده، وبلغ في النسلط ونفوذ الامر الى اقصى امده، اذ هو ظل الله في ارضه، وخليفته في ادامة نفله واحياً فرضه، وقابض ارمة المخلوقين، ومنصف المظلومين من الظالمين، فاذا لم ينصفه السلطان، مع القدرة انامنة والامكان، توجه بشكواه الى سلطان السلاطين، وطلب رفع ظلامته من رب العالمين، لعلمه انه الحكم الذي لا يجور، والخصم الذي بيده مقاليد الامور، والحاكم الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور، وانه اقوى من السلطان، ولا حناح في الشكوى الى بيّنة وبيان، وقد نزلت بي حادثة للطلب كاربة، وتنكر وانسو عابنة عابثة، وهي ان العامل الفلاني، ظلمني واخذ مكاني، فانا اشكو اليك، وقد ترامينت عليك، وعرضت قضيتي بين يديك، لانك نعم السند، وليس فوقك احد، ولا في الحكام، الا من هو لك بمنزلة الغلام، وما بعدك الا الله، مولى لا يُخيّب من رجاه، ومجيب المضطر اذا دعاه، فان وعيت قضيتي، وكشفت غُمّتي، والا رفعتها الى الله، وقطعت النظر عما سواه، وهذا اوان الموسم، واعمال المنسم، وانا متوجه الى حرمه، ومترام على باب كرمه، فاما وعى المنصور خطابه، ارسل من سحاب جوده عبابه، بذل حبا وكرامة، يا ذا الزعامة، بل انصفك، وبالفضل اسعفك، واضعف كرامتك، واكشف ظلامتك، واوصلك حقك، واعطاك مستحقك، وامر فكتب الى واليه، يدع من معانيه، ويامره برد اراضيه وثياب مراضيه، والتحلل من ظلم اياديه، وادرام محله وناديه، وروى ان موسى الكليم، عليه الصلاة والتسليم، في بعض مناجاته، وسؤاله حاجاته، سال الله من فضله، ان يريه نبذة من عدله، فامره ان يتوجه الى مكان، ويختفي فيه عن العيان، فامتثل ما امر، واختفى في ذلك المكان على شط نهر، فما كان باسرع من قدوم انسان، الى ذلك المكان، فجرد ما وصل اليه، نزع من ملبوسه ما عليه، وكان معه كيس فيه مال نفيس، فاودعه مكانه، ورام في انا انسيابه، فدخل في ذلك النهر، وغاص فيه الى ان غاب عن النظر، فاقبل فرس، فوجد ثيابا بلا حارس، فنزل عن دابته، وقد ثيابه، واخذ كيس الدنانير، وركب فرسه وذهب، واسرع في الذهاب، الى ان زال شخصه وغاب، ثم اقبل شخص ذو منصب، وعلى ظهره حرمه سلب، فمضى الى الماء، وقد برح به الظمأ، وامضّه التعب، واخذ منه النصب، فنزل عن ظهره للحال، وقصد الراحة، وقد ظهر الكلال، كان في السباحة، فوجد عند شطه، شخصا من اثيابه، فاستانس به، وتناوله لمكتسبه، وما يقاسبه من نصبه، ثم اشتمل ملبوسه، وتحلى بنفيس نفسه، فما وجده، فعمد بقصده، فسال الخطاب، عما كان في الثياب، وتلطف معه التجسس، بالتعريض، فقال ما رايته، ولا حويته، فقال هل كان معك احد، فقال لا والواحد الاحد، بل جهل مقامي فما سواه، بل لا والذي سواك، قال يا اخي انا وضعت الهميان، بيدي في هذا المكان، ولم يطل على ذلك زمان، ولا حضر سواك حيوان، ولا طمعت

هذا هذا الموضع انس ولا جان، فلا انك انه اخذته، ولنفسك افتلذته، فاقسم بعالم الخفيات، وكاشف البليات، المطلع على الضمائر والنيات، انه ما راى له هميانا، ولا يعرف لذلك مكانا، فقال لو شهد لك اللون والمكان، وذلك بمرادات حوامد الرمان، وزاعم الحرام الكاتبون، لما شككت انهم كاذبون، لان انكار المحسوس معتبر، بالمشاهدة على البائل كالحق مدابرة، ولن خذ لك منه با فقره الملك والغلق دثه، وارد على الخائنين، وان ابيت فاجعله بيني وبينك نصفين، فما زاد ذلك على اليمين، وما شاء هذا ابدا دمين، فقال اردد علي مالي، والا فملكه فلا لك ولا لي، فقال ما رايت مالك، فاعمل ما بدا لك، فشرع في تفتيشه، وبلغ في فحصه وتفتيشه، فلم يهتد الى شيء، سوى الضلال والغي، فاخذه الغيظ، واشتد به الارق، وثارت نفسه الابية، وانفدت سورته الغضبية، فضربه بمحدد فصله، وحدّ له بالاهلاك فجدّله، ثم تركه وذهب، ولم يحظ من الذهب بغير التاهب، دل هذه الاحوال، وموسى عليه السلام بشاهد ما فيها من افعال واقوال، ثم تاجي فعال، يا ذا الجلال، انت عالم بخفايا الامور، وسواء عندك المبطون والظهور، سالت فضلك ان تريني عدلك، فاريتني هذا المغرم، وانت اعلى واعلم، ففي ذهني ما امرتني، وبكرامته غمرتني، من الشريعة المطهرة، باهر النورية المخيرة، هذا الحكم، جور وتمام، فالطاعن على الخضر، ويمن لي سلوك هذه الطريقة، فقال الله تعالى، وجل جلاله، يا موسى المعقول فعل اما القاتل، والعدل سرق الكيس من ابي الفارس الخذل، ففي الخضر اسرار النبوة، وحمل الى ماله المختلف عن ابيه، والقاتل اما استوفى دوده، ممن قتل والده، وهذه الامور، انما تتضح يوم النشور، يوم تبلى السرائر، وتكشف الضمائر، وينادي يوم التناد، لا ظلم اليوم ان الله قد حكم بين العباد، وتطير هذه الغصة، ما ذكره الله تعالى وقصّه، في روض كلامه المصر، عن موسى والخضر، عليهما السلام، والتحية والاكرام، اذ ركب السفينة وخرق، خرقه مودية الى الغرق، وقتل النفس الزاكية، واقام بغير اجر اركان الجدار الواهية، وبعض ذلك مخالف لظاهر الشريعة، تنفر عنه النفس السليمة والطبيعة، وتلك مواقف للحكمة الالهية، ومقتضيات الفعل الخصوصية، الذي لا يطلع عليه الا عالم الاسرار الخفية، ولهذا قال جل واحدا احدا، وتعالى فردا صمدا، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا، ثم استثنى من هذا المقول، الا من ارتضى من رسول، وانما الشريعة الزاهرة، وردت بما يقتضي من الحكم ظاهرة، فتعبدنا الله في الشرائع، بشطر ما ثبت في الوقائع، فيقل من الف حنفية اربعة، كان من ضيق اربعة في سعة وان زعمة، ومن اعجب ان الصديع، انكسار الشمع، ثم يخطي ولم يغلط، امن من العجب والشطط، ومن اعجب ان الخلاق، ومقسم الارزاق، لم يجف في خلقه، ولم يمل في رزقه، امن من الحسد، واستراح من النكد، ومن ايقن بوقوع المقدور، وانه لا ينجيه منه محذور، امن من الغم، ولم يتسلف الهم، كما قيل شعر

ما قد قضى يا نفس فاصطبري له ... وكلا الامان من الذي لم يُقدّر

ومن عرف اصله، امن من الكبر نصله، وكتب في قضيته، الى اعدل خلقا بني امية، من عامله بجمعر، انه قدم الدمقس وعدم التمقس، وان ربعها رابض، ومرعى رياضها بارض، وانها محتاجة الى عمارة وزراعة، وحراسة ومناعة، فكتب اليه عمر بن عبد العزيز، هذا الجواب المعيد الوجيز،

وهو حصنها بالعدل، وثق طرقها من الخلل، يثبت البنا وينبت الكلا والسلام وقبل امير بلا عدل كغيم بلا مطر، وعالم بلا ورع كشجر بلا ثمر، وشاب بلا توبة، كمشكاة بلا مصباح، وغنى بلا سخا كفعل بلا مفاح، وفقير بلا ادب، كسحاب بلا خطب، وامراة بلا حيا، كطعام بلا ملح، وقاض جائر كملح على جرح، وقبل العالم بسنان سماجه الشريعة والشريعة سياسة يخدمها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش اعوان يكفلها المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية احرار يستعبدها العدل والعدل سلك به نظام العالم ولبعلم ان الملة الاحمدية، والشريعة المحمدية، هي اعدل الملل، واقوم النحل، مما النصارى لا يتحاشون الخامر امام اقرانها، ولا فرق بين الخامر وغيرها من نسايها، واليهود يجنبونها، فلا بوا اولادها ولا تساريونها، ولا يربونها راسا، ويعدونها رجسا وركسا، فسلكت الشريعة المحمدية في ذلك اعدل الطرق وافضل المسالك، فتعاشر كالاظهار، وحرم قربان ما تحت الازار، وفي بعض الملل على الذي فعل القود والقصاص، وليس في الدية خلاص، وفي بعض الدية لا غير، وما للقصاص فيها سبيل، ودين الاسلام المرفوع، كل فيه مشروع، والعدل في الاعتقاد، يا ملك البلاد، ترك التقليد، وسلوك سبل الادلة واسعر حد، والقول بالتعديس والتمريد، واثبات الصفات من غير تعطيل ولا تشبيه، واقتباس النور من حمرين، وسلوك امر بين امرين، والعدول عن المذهب البغيض، وهو مذهب الجبر والمفوضة، والعدل في التعهدات، يا معشوق المخدرات والخدارات، الذي لم علمه النص دليلا، ولا تجهم بصلاتك ولا تحاشت بها وابتغ بين ذلك سبيلا، فمن العدل الوضوء المعتاد، ثلث مرات ومن نقص او زاد فقد تعدى وظلم، كذا دل النبي المكرم، صلى الله عليه وسلم، اي تعدى ان اسرف، وظلم ان اجحف، والعدل في الصلوة، ان تكون على مرتضى الشرع ومقتضاه، وهي اداؤها في افضل الاوقات، مؤداة مع الجماعات، في الصف الاول، على الوجه الاكمل، عن يمين الامام، من الافتتاح الى الاختتام، مع تعديل الاركان، بل التعديل فرض عند بعض الاعيان، لا نقرا كنقر الطير، ولا تطويلا يضر بالغير، والعدل في الزكوة ان لا يتمموا الحبيث منه ينفقون، ولا تجعلوا لله ما يكرهون، وليسوا بآخذيه، الا ان تغمضوا فيه، ولا يكلف جابي المال، ان يعطي كرايم الاموال، والعدل في الصوم، يا سيد القوم، ان لا يتناول فوق الغذا المعتاد، ولا يصل بالوصال الى درجة الاجتهاد، ويتجل التطور، ويوخر السحور، والعدل في الحج ان لا يماري في الانفاق، ولا يضاري الرفاق بالشقاق، كما يفعله ابناء الزمان، فان ذلك خسران، والازدياد من ذلك نقصان، ونقد ناهيك به نقدا، ما دنه عمر لخادمه نقدا، وذا لا يخفى، كم بلغت نفقتها مقدارا، قال دعاليه عشر دنانيرا، يا امير المومنين دل والله اجتمعنا بمت مال المسلمين، واباك والاشر، وذاك اياك كل سر، فقد باعك فيمه راحله سيد البشر، لبدل ذلك على ترك البطر والاشر، ولا بتقصير في نفقته، تحبست بسعير جملا على رفقته، وكذلك في كل الانفاق، يا ملك الافاق، قال من عر كلاما، وحل مقلا ومعما، والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والعدل في المكاسب، يا حبيب الصباح، لمن عليه بقوى، فتوا قرب للتقوى، وهو يا ابا حسان، واجب عند الثوري، سيد عند الفخره عليه، مستحب عند اسوا ظرفه، مكروه عند العجز عنه وهذا بحث قد فرع منه، ونس يا ذا الكرامات، على هذا سابر العبادات، وجميع العادات،

وعقود المعاملات، ولا تتعدّ الحدود فى الحدود، فان ذلك مردود، وعلى قانون العدل وردت الشريعة المطهرة، وجرت قديما شرائع الانبياء البررة، وكذلك مقادير الملة الحمدية، عليه ازكى تحية، محررة على القواعد العدلية، وفيها من الحكم الالهية، ما يحير عن ادراكها القوى العقلية، قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وحاصل الامر، يا ذا النهى والامر، ان العدل هو قوام كل فضيلة، كما ان الجور هو اساس كل رذيلة حميلة، وان اردت بسط هذا البيان، فدونك الفصول والتبيان، فى تفسير القرآن، المنزل على اشرف جنس الانسان، ان الله يامر بالعدل والاحسان، فقد اشبع التدبر، ودوى التحرير، فى روضة التضبير، فارس ميدانه الامام الخطير، فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير، والعدل يجرى فى الصفات، كما يمشى فى الذوات، ومرتبته فى العلو، ان يكون بين التقصير والغلو، كالقوام الذى يكون بين الاسراف والتبذير، والشح والتبذير، والتواضع الذى بين الصعة والتكبر، وبين التصغّر والتصعّر، والشجاعة التى بين التهوّر والخور، والحلم المتلبس النعت، والقناعة التى بين الحرص والطمع، والسخاوة والبذخ، وبين الكبر والعجب والتعلف، والاحتشام والتقشف، والاخلاص الذى بين الشرك والهوى، وبين الاعجاب والرياء، والعفة التى بين التهافت على المشتبهات، والترفع عن تناول المباحات والطيبات، والحرم الذى بين سوء الظن والوهم والوسواس، وبين الاضاعة السرّ والاختلاف وعدم المبالاة بالناس، والحلم الذى بين الغضب، بلا سبب، وبين الغضاضى عن اللئام، عند موجب الانتقام، والشفقة وليين الجانب، للادب والاجانب، الذى بين القسوة والاستكبار، وبين الرخاوة واللين المستلزم لتضييع حقوق الاهل والجار، وحفظ الحقوق الذى بين التكلف والتعوّف، يراعى فيها الحدود، ولا يخرج فيها عن الحد المعهود، فالخروج عنها يسمى عناد او قساوة، والتقصير فيها يدعى رخاوة وركاكة، مثلا من يستحق العفو لا يضرب، ومن يستاهل الضرب لا يداع ولا يفكه، ومن استوجب القطع لا يهمل، ومن وجب عليه حدّ لا يهمل، وتجرى امور الشرع الشريف، على ما ورد به الامر المنيف، فما ثم احد اكرم من الله ولا ارحم، ولا اعلم بامور عباده ولا احكم، قال السميع البصير، الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وروى ان الامام المسدّد، جعفر بن محمد، دخل على الرشيد، وهو فى امر شديد، قد استولى عليه الغضب، واستخفه الطيش والتعصب، فقال يا امير المومنين، ان كان غضبك لرب العالمين، فلا تغضب له اكثر من غضبه لنفسه، وقد حد لكل شيء حدّا من نعمه وبأسه، فلا تتعد حدوده، فانه قد ملكك عبيده، فحذر من وقوفهم بين يديه، واقدارك عليهم اذا تمثلوا فيما لديه، فدومك يوم القيمة عليه، ووقوفك خاضعا منفردا بين يديه، ومن انتقامك منهم، سواء اياك عنهم، فسكن من غضبه، وافدى بادبه، وقال الحكماء للاسكندر عليك بالاعتدال فى كل الامور، فان الزيادة عيب والنقصان عجز وفى الحديث خير الامور اوسطها ولهذا قيل، فى الاقاويل، ينبغى للانسان، الراجح العقل فى الميزان، ان يحصّل من كل علم مقدارا يجتاج اليه، ويعوّل فى مشكلاته عليه، مثلا من علم الادب، ما ينال به عند ارباب الرتب، كالمعرفة والنحو والصرف، ولو انه ادنى حرف، ليقوم بذلك نسبه، ومن علم المعانى ما يبدع به بيانه، ومن العروض والقوافى، المقدار الوافى،

والمعيار الحقيقي، ومن الطب ما تعرف به مزاجه، وتطلب به علاجه، وتقوّم به اعوجاجه، ومن علم التفسير والبيان، ما يقتدر به على بيان كلام الرحمان، ومن علم السنة والحديث، ما تميز به الطيب من الخبيث، وتضبط به اسانيده وصحته وسقمه، والانساب والرجال، وما لهم من صفات واحواله ان لم تكن معتلا فعلى الاجمال، وتدارج فيه علم التاريخ، الزكي الثماريخ، ومن علم الكلام، ما تصحح به دينه، وتقيم به اعتقاده وتقينه، ومن علم الاصول، وما اشتمل عليه من ومنقول، ما يقتدر به على استنباط الاحكام، ومعرفة الحلال والحرام، ومن علم النوع، ما يحكم به اصناف العبارات، وانواع الاستعارات، وفنون البديع، واقسامه ومن علم محارم الاخلاق، ما يصيد به قلوب الرجال، ويتقدس به الضمير الجميل، والسمت الجليل، ومن الحرف ما يحصل به القوت الحلال، ولا يحرم على العالم صيد ذا ادّعاء، وقد قيل خالطوا الناس محالطة ان غبتم حنوا اليكم، وان متم بكوا عليكم، ومن علم الرسوب والرمي والسباحة، والجمباز ولعب الرمح والسباحة، وعلم الفرايض والحساب، وطرايق البياعات والكتاب، ما يقتدر به على الدخول اليه، اذا تكلموا فيه بين يديه، بحيث يصيرون له فيه مشاركة وامام، ولا يكون بين الخواص به كالعوام، وكل ما ذكر سلوكه عدل، والتلبس به كمال وفضل، وراس مال الجميع التقوى، فان الانسان الضعيف بالتقوى يقوى، قال الله تعالى لكنكم ينالكم التقوى منكم وبالجملة فالعاقل العادل، هو الكامل الفاضل، لا يستنكف من ذوق من العلوم، ولا تبرد همته عن اقتباس منطوق ومفهوم، قال معلم الخير وحذر الشر، تعلموا حتى السحر، وقال الشاعر شعر

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

وقال صافي السريرة، وذي بصيرة منيرة، يتوجه الى التعلم والاستفادة، ويجعل مُراده مُرادة، اي علم كان، خصوصا اذا كان من الشرف بمكان، قال بعض الوزرا لابنه يا بني تعلم العلم والادب، ولا تسام فيهما عن الطلب، فلو لا العلم والادب، لكان ابوك في السوق حمالا، والنوق حمّالا، فبالعلم والادب، رفعنا اعناق الملوك، واحوج الناس يا ذا الافضال، الى اكتساب الفضل والعلم والكمال، السالكين والملوك، ومن تبعتم في المساوك، فانهم بين خلق الله تعالى هم المرموقون، والسابقون بجلايل النعم هم المسبوقون، وحفظ بلاده وعباده المستوثقون، وبالسوال عنهم موثوقون، فهم المحملون لاعباء العدل، المطلعون بالمحاسبة عنه والفضل، قال من يقول للشي كن فيكون قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهم اقدر على التحصيل من غيرهم، والزمان والمكان تعاون لسبرهم، والخاص والعام بمهمّي قريبهم، ويسلك في التوصّل الى جنابهم دربهم، ويبذل في ذلك ما وصلت اليه يداه، وتجعل تحصيل ما يرومونه غاية متمنّاه، فيبذل جهده في ايصالهم اليه، ويكدّ قلبه وقالبه في اطلاعهم عليه، قال شعر

وقد ارى في عيوب الناس نقصًا كنقص القادرين على التمام

وقال بعض الملوك لاولاده يا بني اكتسبوا العلم والفضل، وادخروا الحلم والعدل، فان احتجتم الى ذلك كان مالا، وان استغنيتم عنه كان جمالا، وقال بعض الحكماء، العلم ملك ذو اعضاء، رئسه

التواضع ودماغه المعرفة ولسانه الصدق وقلبه حسن النية وبدنه الرحمة وجبلة مكارم العلماء وسلطانه العدل ومملكته الشجاعة وسيفه الرضا وقوسه المسايلة وسهمه غيب وجعبته مشكور الاذى وزينته التجدة وحكمه الورع وكنزه البر وماله العمل الصالح وذخره اصطناع المعروف ومستقره جود الراى ومواه الموادعة ورفيقه مودة الاخيار وذخيرته اجتناب الذنوب والتاهل لما ملك الظفر، وبا مالك الخير، ان قوام العالم، ونظام بنى ادم، سيف الملوك والسلاطين، وقام العلماء الاساطين، فهما حدث من شو محاه سيف الملوك، ومهما وجد من خير اثبته قلم علماء الارشاد والسلوك، وفى الحقيقة، يا شيخ الطريقة، العالم عبارة عن هولا، وبصلاحهم تصلح الاشياء، وبفسادهم والعياذ بالله تفسد الذنيا، اذ هم لزوال الفساد، وظهارة العباد وعمارة البلاد، بمنزلة الصابون للاوساخ، والاستغفار للاوزار، فاذا فسد هولآء، فا لفسادهم دوآء، كما قيل شعر

الذنب صابون الاستغفار يغسله　　كالثوب ينظف بالصابون اذ وسخا

فا الذى يغسل الصابون من دنس　　اذا راياه صار الذنب والوسخا

ولهيك يا ملك العقبان، ما فسد من الزمان، وجرى من الدماء من ذوذن، وانمحى من امهات البلدان، عند استيلاء الكافر جنكزخان، فسال العقاب، عن كيفية هذا المصاب والعقاب، ومن هو جنكزخان، الذى افسد وخان، وما اصله وفصله، وكيف كان قطعه ووصله، حتى عد فى كيد العالم، بالفساد نصله، فقل هذا رجل من التتار، الساكنين من بلاد الشرق فى قفار، وهم من بقايا ياجوج وماجوج، عن الاسلام منحرفون وعن الايمان عوج، سموا بالترك لانهم تركوا عن دخول السد بالخروج، فكانوا قبل جنكزخان، مبددين فى صحارى لا يتقفو منهم اثار، مسيرة اماكنهم، ومدى مساكنهم، شرقى بغرب نحو من ثمانية اشهر، وشمالا بجنوب لا ينقص عن هذا المدا ولا يفتقر، حدهم من الشرق حدود ممالك الختا، وافغانا خان بالبس وفى مدينة عظمى، وواحا شرقا، يا من يرقى، ينتهى الحد، بعد السير الجد، الى بلدة عظيمة، ولايتها جسيمة، تدعى خيسار، واخلبا قفار، وفى مبدا مملكة الصين، يا ذا الجد الرصين، ومن الشمال نواحى برغير وسلنكاى ومن الجنوب بلاد تدعى تمغاجت وتبت وتبين هذه يا ذا النشان، هى التى يتولد منها غزالى المسك، ومن الغرب وفى جهة قبلة تلك البلاد، اذا صلى منهم المسلمون والعباد، حدود بلاد اوبغور، وما والى تلك الثغور، من بلاد قرقستان، يا ذا الاحسان، ويسير الجد منها، اذا انفصل عنها، كذا وكذا شهرا، حتى يحصل من جهة غربيها الى ماوراء النهر، ثم هولآء التتار، كانوا فى بلاد القفار، بين هذه الحدود الاربعة، فى متبعة واى متبعة، يتوالدون فى ذلك البر، ويتهارجون فى ذلك السهل والوعر، كالحيوانات السائبة فى البر والحجر، لا حاكم يردعهم، ولا دين واعتقاد يجمعهم، وهم فيما بينهم قبايل وشعوب، واصناف وضروب، وخلايق واسم، لا يعرفون الاسلام والتسليم، بل كل امة تلعن اختها، وتنهب اختها وتاصل رختها، وكل طايفة تعد غارتها، وتقصد جارتها، وكل من قوى على غيره كسره، اما قتله واما اسره، لم تزل المكارحة بينهم قايمة، والمناطحة بين ذوتهم وحيواناتهم دايمة، معبود الرشد والاقتداء عندهم زايد، وشعاري الظلم والاعتداء فى مسارح سوارح احلامهم سايد، يعدون الذهب عبهرا، والتعسف والجور والتعيير، اجمل صنعة واكمل

شممة، ياكلون الكلاب والفار، وما وجدوا من صيد الفار، والميتة والدم والبهائم لا يعرفون الحلال منها والحرام، ويلبسون جلودها واوبارها، واصوافها والمعازف، دما كان مشركوا العرب في الهند، فهل اشراق شمس الملة المحمدية، لا زرع نام ولا ثمر، سوى نوع من الشجر، شبه شجر الخلاف، هو ثمرهم في الشتا والاصطياف، اسمه قسوم، وهم على ما هم عليه من النسوق، يعبدون الابدان والاصنام، ويسجدون الشمس اذا بزغت من المشارق، ويعظمون النجوم ويعبدونها، ويخطبهم الجن ويرصدونها، وفيهم ذمة يعبدونها، وسحرة ومكرة، وسواحر زجرة، يجبى خراجهم الى ملك الخطا، وهم على اشد كفر وخطا، قد ترتب التحتر في اجسامهم، وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم، واعلى من فيهم من اكابرهم وذويهم عالم يرأسهم، ويدبره بسياسته، وانه فيهم ذو باس شديد، وراى سديد ومال مديد، حصون رفاعه من حديد، وراق اعيانهم، ذو مكانتهم وامدادهم، ان كانوا ذوى جد، فرئيسهم صيب ماوين او ود، وعندهم اخبر ملبوس، جاود الكلاب والنموس، والذيب والنبوس، وهس على هذا جميع جماعتهم، وعاشر آلاتهم، فهم من قديم الزمان، وبعد الخذلان، حين باغ ذو القرنين بين السدين، وساوى هاى ياجوج وماجوج بين الصدفيين، والى اخر وقت، كانوا في قلة وهفت، وضعف حال، وسوء دل، لا دنيا رخية، ولا اخرة رضية، حتى نبغ منهم هذا اللعين، والطاغية تموجين، الذى نسمى جنكزخان، وساعده قضا الديان، فامده الرحمان، واشاعه الدان، لامر يريده الرحمن، وقضاء قدره على عبيده في سالف الازمان، فطم العالم بالفساد، فاهلك العباد والبلاد، فصلى الله على سيد بنى عدنان، بل اشرف جنس الانسان، الذى قال يخرج في اخر الزمان، رجل يسمى امير العصب اخابه محشورون محقورون مقصون عن ابواب السلطان، يانونه من كل اوب ضفادعهم فزع للريف بورنهم الله مشارق الارض ومغاربها فاتبعه منهم النسا والرجال، انياع البغود والكفرة المسيح الدجال، امم لا يحصرها حساب، ولا يحصيها ديوان ولا كتاب، وما يعلم جنود ربك الا هو، فارشدوا الى طرق الضلال بعد ما تاهوا، وصار كل من اولئك الطغام، المقرة الفاجرة الاوغاد اللئام، وكل كلاب خادم كلاب الصيود، جرب سيفه الذل الخدود، من اشراف الملوك وملوك الاشراف اعتاد الاسود، وفي رقاب النمور والفهود، وكل ماجع شبع وجموم، وعاج من اوليك العلوج وعاجوم، وتفكه في انواع المستلذات من المشروب والمطعوم، وذل دعاوك مغلوك، من تركى متروك، او خدام مملوك، يتحكم في رقاب اكابر الملوك، ويستعبدون احرار اولادهم، ويستفرشون زوجاتهم وبناتهم في بلادهم، شعر

على راس عبد تاج عز يزينه ... وفي رجل حر قيد ذل يشينه

ومن لا يعرف البنائين المرونة، ولم يسمع بارتفاع الدرابزينة، يستوطى الاستبرق والديباج، وينتسب على خوب الصندل والساج، ويترقى الى سرر الابنوس والعاج، ويعامل التجار، والمضاربين في البر والبحار، بالوف الاوف من الدراهم والدينار، فيجبى اليهم نفايس المضارب، من المشارق والمغارب، ومناجم المعادن، وذخاير الخزائن، كل ذلك بواسطة ذلك الطاغية، واستيلاء الفئة الباغية، وكم من امر هذا المصاب، الذى بذل حلاوة العيش بمرارة العذاب، وخلد في الدهر قواعد الويل والاوصاب، ان الله قاهر فوق عباده، الذى لا يسأل عما يفعل من مراده، في عباده وبلاده،

المتصرّف في مُلكه، تصرّف الملك في مِلكه، بما اراد ابتذال الحرون، وعبور الفساد على الكون، واستيعاب غالب اهل الارض، واذاقة بعض عباده بأس بعض، وانبثار انهار غضبه على صفحات الشهود، وابراز اسرار قدره على وجنات الوجود، ولمس سطور صدور علماء العالم على لوح الورود، باسنان نار السخط ذات الوقود، ونفس ارض الحبش من انوارها، واخلاء ربوع خاسس من آلاف أرضها، نبع هذا المسلح من افواح الهواجم هذه البحار، ونبع هذا المنبع المبين من اوعار تلك القفار، واغوار اوغاد هاتيك القفار، فتطاول ممتازا على اقرانه، بوفور عمله وحسن بدنه، فكرّ مصعب، وراى مذانب، وحزم مجيب، وعزم قدوب، وهمة تبارى الافلاك، وبأس يجارى السماك، فحسر بصدمته الاكتاسر، وقمّص بسطوته الجباجرة، وفرع بعزمته على قمم الشراعة والبادية، وقهر حملاته قبارمة خواقين الحقب، وحطّ اسما لا يقرأ ولا يكتب، اعجميًا عجرفيًا لا حسب ولا يمسب، لا تشايع الاخبار، ولا التقى في سنة الممالك الاثار، بل قرع ما قرّعه من القواعد من صحيفة تقديره، واخترع ما ابتدعه من تدبير الملك من مشاقة قواعس تدميره، فاسّس قواعد لم ادركه اسلافه ولا دراه، لما وسعها الا اعصار بعيد، ميادئ له بالغت نهاية وبداية لبعدها قصور فحورهما وقصاراهما على اركان خبرة وخبرة، ورتب تجهيز النسرانا والسودة وبعث عهود الجيوش والبنود، بطرائق يعجز عنها مهندس الحكمة، وتقعد عن حل رموزها مدوّر الدائرة، وتطلب ما بمعاقلها، ويستعيذ منها بعقاطاه، جيوش الافراك في بسيط الارض، من ابرام طرائق عساكرهم والنفض، انما هو من فوانين ما رتّبه، واقانين ما هذبه ورتّبه، وله في ترتيب حراب الحروب، وما في فن الضرب والضراب من نروب، وطرائق الاصطياد، اختراعات دقيق لم تسبق اليها من لدن كيخسرو وجمشيد، احكم بها الموافق، ونظم المصادق، وكبت المعادي، وكسر الاعادي، واستقبل مع كثرة مخالفيه عليهم، وانفذ سهم تحكمه وتحكيمه فيهم وفيهم، وصال فيهم حسبما اراد وجال، واتسع له في التضييق على الاسلام والمسلمين المتجل، فكل من عاداه بالمجاهدة، وناداه بالعبودية وحسن المعاملة، ابقى على نفسه واهله وماله، وحقنهم من الدم خيله ورجله، ومن دبله بالمقاتلة، وذده بالمقابلة، وتلافى دف فداله سورة المجادلة، فما سطور كونه من لوح الوجود، واوشا سرابك خيله منه الجباه والخدود، فخرب ديارهم، ومسح آثارهم مع شرفه واسلافهم، وبدد عساكره وتشاتيهم، ومع ان اكثر الملوك والسلاطين، وحكام الممالك الاسلامية من الامرآ والاساطين، لعدم اعترافهم بالادراك والتثر، وشدة ما هم فيه من التخوة والبطر، ولاعتمادهم على حصونهم الحصينة، وتعويلهم على معاقلهم المكينة، وكثرة العُدَد والعَدَد، والمساعد المدد والمَدد، ووفور العساكر بملادهم، وخراب بلاده وبسطة استعدادهم، وضيق استعداده لم يعاملوه الا بالمخادعة، ولا ردوا جواب خطابه الا باللعن والمكاشحة، والسب والمفاحشة، ولا قابلوه الا بالمراوغة والمناشحة، فقلعهم وابادهم، واستصفى ديارهم وتلادهم، وتوطن ديارهم وبلادهم، وابادهم عن اخرهم، وانفا فبايل عشايرهم، فمد لاكابرهم اسمطة الرزايا، ووضع في افواه اصاغرهم اندية المنايا، واخافهم في ولايم الدمار، واطافهم على اجانيب الانكسار، في ملابس البوار، فاستامل شاقتهم بالقلة، وحكّم فيهم صوابل المنية، فلم يبق من مائة الف انسان مثلا مائة انسان، وذلك ايضا اما على سبيل التغافل، او على سبيل

النسيان، وسيذكر على سبيل الاجمال، ما يدل على تفصيل ما له من احوال، وشواهد ما فرّعه من اقوال، واستمر ذلك في ذرّيته، وان كانوا رجعوا عن ملته، واصل هذه الاصله، انه اصحت بخلفان اللعن اكسى من بتّلة، قبيلة من تلك التتار، الساكنين في تلك القفار، تسمى قنات، ظلمة عتات، غير امنآ ونسات، منيا اباوه واجداده، وفيهما اقاربه واحفاده، واخوته واولاده، فنشا كما ذكر بتلا باسلا، وشجاعا كاملا، سهام افكاره في عمره مصيبة، ورهام ارائه في مكره خصيبة، ثم اتصل بعد ما اخنى وخان، بملك الختا يسمى باونك خان، واظهر من انواع الفراسة، والفروسة والتلياسة، ما فاق به اقرانه، وفات من النعل قبلته، فقربه الملك وادناه، وبمآمه اصطفاه، ولا زال يترقى عنده، الى ان ملك جنده، وصار عضده وزنده، ودستور ممالكه، ومسدّد مسائله، وحاكم امرائه، وناظم امور وزرائه، وناشر جمهور كبرائه، وعين اعوانه وعون اعيانه، واعز من اخوته واولاده، وابرّ من حفدته واجناده، وكشف حوائجه، وعظمت خواشيه، وسالت السهل والوعر قواشيه ومواشيه، فثقل على الوزراء، وصعب على الامراء، اذ مدار الملك صار عليه، ومرجع الامير والمامور اليه، فحسده اولاد الخان واخوته، واجتادوه واسبته، واعملوا له المكايد، ونصبوا له المصايد، ونعاطوا افساد صورته، وتواطؤا على اخماد سبرته، فصاروا يتناوبون على ذلك في غيبته، ويحرّفون اديم عرضه عند الخان، ويشعفون سر عصمته بمخانيب النيتان، ويراشيون الكلام اوقات القبول، ويواشيون في المرأسلة عليه بدلايل المعقول، حتى اوغروا صدر الملك عليه، واخذ سهم في كبده اصابة الاسنّة البيد، ولم يقدر على مواجهته، لوفور جماعته وكثرة حاشيته، فان اوتاده كانت ثابتة، وغراس ضبسه كالارزة نابتة، وفروع دوحة عصباته، قد احاطت بالملك من كل جهاته، حتى قبل، ان ذلك الثقيل، كان له من القرابات، وذوي الارحام والعصبات، والاولاد والاحفاد، ما جاوز في التعداد، عشرة الاف نسمة، كل له حرمة وذلمة، فاختص له السلطان البيات، وانتخب لذلك من عسكره اولي الثبات والانبات النبات، ولم يخالف عليه في ذلك احدان، لانه كان قد استحكم عالم عند السلطان، وعلموا ان سهم مشورته نفذ، وحسام مكرته فلذ، وراوا من الراي ارضاه، ان يراضوا لحتفه مهادنه، فتواعدوا على لياه معاهدته، ومصالحته، وختان عند الخان، وجلسان محترمان، لا يودّ اليهما، ولا يعوّل في الامور عليهما، يدعى احدهما كلك والاخر بادو، فنسلا من بين اوائل العساكر، وسلكا من شريف الشعر العساكر، واديبا نموجن، الشاخية اللعين، ذي عظمة، وبوبا وعينه، واخباره وبشراه، واخباره وحذراه، ما ملا عليه الملك، مع عسكره المتهمك، وقد ابهما الغنيمت، فقد ضحكت لك قدرة الغنيبيت، وعمه من الغيوم، وارتاح من الكلفة الثقيلة جمهور القوم، فانه قد مرح مارح الفتنة فامرح، وعن وقاد نارها اسرح، ان الثعالبة تموزون بمكر فاضح، وباعساه من الشر ما جرى، بتخبير المشترى، وعما عاد عليه من عصى، تخلعها ثم حبونه من الدنس، وثبى نجسانه من النعس، فهشكر لهما فعلهما، واسعدهما عوايدهما، ولم تفت في امره، واحتاد عن زيده وعمره، وجمع تلك الليلة رجاله وخياله، ولم يعد بالليل الاحد من الرجال، بل اخلى بيوته، ولازم سكوته، وقعد احد الجوانب، وما معه من راحل وراكب، ولم يدر في كمين، ولا نشر الصديق انواشي امر يمين، فما مضى ربع من الليل، الا وقد احست الخيل، فوجدوا البيوت خالية، والاطلال خاوية، فحقق

صدق المقاتل، وانه ناصح عاقل، فعمل مصلحته، واخذ حذره واستحكمه، وتدبر وقوع النكد، فتعدم امامه واستعد، فتصدوه، وتلاقى رصدوه، ولا زالوا يتبعونه، حتى انتهوا بمكان يسمى بباخوند، وهو عين ماء فى حدود بلاد الختا، وتصادمت بين الفريقين نار الحرب، وصدق كل منهم الاخر الطعن والضرب، فاعانه الله ونصره، وكسر للخان وعسكره، وفر من معه من قيده، وذلك فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وغنم كثيرا من الاموال، والمواشى والابل، وذخائر الخزائن، ونفايس الجواهر والمعادن، ما فات الحد والحصر، خارجا عن سعادة العمر، وغرب اللسان، وتهدمت منه الاركان، فجمع متفرق عسكره، وتخبط اسماء من حضره، ومن كان شاهد الفشل، وموقف الحرب والجدال، من النساء والرجال، ومن خادم ومخدوم، وخاصم ومحروم، ومأمور وامير، وكبير وصغير، حتى السائس بالمطايا، والطباخ والبغال، والقفال والرحايا، والنذل والوضيع، ومن بعيد تلك الغارة، وكان فى تلك الدارة، ولو حاضرا للفرج مع النظارة، واستبشر بوجودهم، وتيمن بورودهم، وانبههم فى الديوان، باسماء ابائهم وجدودهم، وفرق عليهم ذلك الفيء، ولم يرجع الى خزائنه منه شيء، بل وزع ذلك المغنم الوافر العظيم الخطير، على الحاضرين معه من العساكر، وضبط اسمائهم فى الدفتر، وفرق ذلك العرض الجزيل الطويل، على قدر الخطر منهم والقليل، ووعدهم بمثل جميل، واما الغلامان اللذان اتيا، وعن ما ستان اسمه خان المهراه، وكانا سبب حيوته، وخلاصه من الموت وفواته، فانه جعلهما ترجمان، عسكرا لسيهم مجاهده كانهما شرخان، والترخان عبارة عن المعاف المخلق بسعوفى حوبه ولا يحوم بها عليه من حوب لا يواخذ بقصاص ان قتل، وقس على هذا ما يوجبه الحول والحيل، منتهى الحرب، موصول المطالب، الا بكلف خدمة ومباشرة، ولا بحضور ومعاشرة، مهما تطلب اعطى، وبعد ذلك ما يعطى، واعلى مراتبه، فى مراعاة جانبه، انه يدخل على السلطان، من غير استيذان، وهو ناثم معه سراريه، ونسائه وجواريه، فيذكر ما له من مآرب فتقضى، ومن شفاعة فتقبل وتمضى، ويعطى بسؤال مناشير، وتواقيع وتقارير، تبلغ التاسع من اولاده، وتشتمل احداهما جميع اسبابه واحفاده، ولما انتصر، وحصل امنه واستقر، تفاقم امره واستهر، وعظم صيته وانتشر، وقرر كل من حضر تلك الوقعة، فيما يليق به من منصب ورفعة، فاقبلت الجحافل اليه، وانهالت الرؤوس والوجوه عليه، ورجع للخان واستعد، واعد ما وصلت اليه يده من عدد، واستعان عليه بالمدد والعدد، ثم ذاقيا كرتين، وتصاولا مرتين، انكسر الخان فى الاولى، وقبض عليه بعد انكساره فى الاخرى، قتله وابادة، واستملك بلاده، واستولى على عساكره، واستحوذ على ذخائره وعشايره، ثم راسل سلطان الختا وانصين، بكلام رصين، يدل على عقل حصين، واسم ذلك السلطان، انغون خان، وتلقب المهاداة والموافقة، والمحافاة والمصادقة، فلم يلتفت الى كلامه، فضلا عن اعزاز واكرامه، اتكالا على حسبه، استنادا الى نشبه ونسبه، واعتمادا على سعة ممالكه وكثرة ملوكه، ومنعة حصونه وعمارة بلاده ووفرة مملوكه، فان ممالك جنكزخان، بالنسبة الى ولايات الدنيا، لا شيء واقل من لاشيء، وعساكره وقبايله بالنظر الى اهل الصين اوشاب اوباش، فرجع فساد جنكزخان بالخيبة، وذكروا ما راوا لملك الصين من عظمة وهيبة، فلم يلتفت اليه، ثم قصد التوجه عليه، بعدد كالرمال، ومدد

كالجبال، ووافقه فكسره، ونافقه فحصره، وقبض عليه واداده، واستحفى ولايته وبلاده، وكانت هذه الكسرة والحصر، فى سنة احدى وستماية من الهجرة، فاستقل من غير منازع، ولا ممانع ولا مدافع فلما خلصت له الممالك، وانقاد له المملوك والمالك، اخذ فى ترتيب الامور، وتهذيب الجمهور، ونيّر اجنحة مراسيمه، الى اشراف ممالكه واكناف اقليمه، فرفع جميع ما حرم عليه من المذاهب والغارات، والمحرمات وطلب الثارات، فهدم قواعد الظلم والتعدى فى ممالكه، فلم يُرَ ايمن من ولايته ولا آمن من مسالكه، وهى ممالك المغل والخطا، والى الصين شرقا، وولايات المغل والجتا، وبلاد اتترك والى حدود أُنرار ما وراء النهر غربا، فجرى بعد النهب والاسار، فى ممالك المغل والتتار، والبغى والعدوان، العدل والامان، والسلامة والاطمينان، وبعد السرقة والخيانة، الوفا والامانة، وامر بوضع البُرُد والمنارات، والعلائم والاشارات، وعمرت المفاوز والمناهل، وسكنت الصحارى والمذاهل، وعرفت طرق المهامه والجاهل، وابتلفت تلك الطوايف والامم، وانتشر صيت عدلها فى العرب والعجم، واخترع كما ذكر انواع سياسات، وقرر للمملكة قواعد بنيان واساسات، الّف بها بين تلك الطوايف، فلم ير بينهم مختلف، ولا غير موالف على سعة ممالكهم، واختلاف مسالكهم، وتعدد اديانهم، وتفاوت كيل اخلاقهم وعمرانهم، فانهم كانوا ما بين مسلمين، ومشركين، ومجوس، وارباب النواقيس، ويهود، ومن لا يدين لمعبود، وصبأة وعواد وعباد الشمس والنجوم، ومن يستحل لها اوان الرجوم، وكل منهم يتعصب لمذهبه، ويغض من مذهب صاحبه، فلم يتعرض لاحد فى دينه، ولا وقف فى طريق اعتقاده ويقينه، واما هو فلم يتقيد بدين، لا كافر مع الكافرين، ولا ملحد مع الملحدين، ولا يتعصب بملة من الملل، ولا يميل لنحلة من النحل، بل يعظم علماء كل طايفة، ويحترم زهاد كل ملة على دينها عكفه، وبعد ذلك للحملة قربه، حسن يعظم كل دين وحربه، وكل من اختار من اولاده، واسباطه واحفاده، واقرابه ورعيته واجناده، دينا من الاديان، لا يعترض عليه اى دين كان، فبعضهم كان مسلما حنيفيا، وبعضهم كان يهوديا، وبعض نصرانيا او مجوسيا، الى غير ذلك من الالحاد، والزندقة وعدم الاعتقاد، وجميعهم لم يعترضوا الى دنياه، ولا نازعوه ملكه الذى تولاه، لم بشاقيهم فى دينهم، ولم يوافقهم فى يقينهم، واخترع هو لنفسه فى الملك قواعد، حمل عليها المغارب والمباعد، ثم انما لم يكن لهم كتاب، ولا خط، ولا لاوليائهم الحروف فلم يعرفون به ضبط، امر انبياء قبيلته، وعلماء مملكته، ان يضعوا له خطا وقلما، يكون لهم علما وعلما، فوضعوا له قلم المغل، واشتغلوا به اعظم شغل، ونسبوه الى قبيلته، لبدلوا به على فضيلته، فقالوا قُوبَلَاى بمعنى قلم قنات، وهى قبيلته ذلك المفتات، فوضعوا مفرداته ورتبوها، ثم جمعوها ورتبوها، وهى اربعة عشر حرفا، ظاهرة بينهم لا تخفى، وهذه صورتها

. . . . . .

قلم اولاده واحفاده، وجماعته واجناده، ومشيره الرجال، والاذكيا والاقبال، ان يتعلموا هذا الخط، وينشروه، ويتداولوه وينشروه، لتنتشر بينهم، ويحار عنه راسهم وعمهم، فرسموا به المراسيم والمناشير، ورسموا جواهر جهد المستشير، ووضعوا الرسومات الديوانية، والموضوعات السلطانية، وابتدا لهم

تواريخ وحساب، كل ذلك بهذا الكتاب، ثم لما تقرر امره، وانتظم في [illegible]، مهّد قواعد اسّسها، ونصب في دوحة ملكه، اصول خلائف غرسها، بوضع على ما اصطناه رأيه النفيس، وفكره الحسيس، شرعا وقانونا، ودرب في امور الحكومات اساليب وقوانين، فجعل لكل حكومة حكما، وفوق لكل حادثة سهما، وفرع لكل حسنة منونة، ولكل سهمه غرضه وشرع لكل معضية حدّا، ولكل بنيان مخالفة هدّا، ولكل فرع اصلا، ولكل سهم من الردع نصلا، ومن صيقلة العبد والحرب، وسلك في كل ذلك الطريقة والدرب، والفى روس ذلك على اولاده وحفدته، وجنوشه ورعيته، بحيث انهم حفظوها ورعوها، وفي سير سيرعمر عوجا ومرحا رعوها، فمن احكامها المطاعة، وفروعها المعتمة، صلب السارق وختم اليمنى، وان شهد بذلك واحد فلا حاجة الى ثان، ثم فصل حد السارق، بهذيان فارق، فصل في السرقة من خرزة، او بيت نعر واه، وجوب الصلب، وبقطع اليد ان كان بالنقب، ثم حكما السارقين، بوخذ مالهما من مال وعين، وسترق ما لهما من اولاد، وينقل الى السلطنة ما ليهما من ضريف وتلاد، ومنها حتية دعوى من سبق، سواء كذب او صدق، ومنها استعباد الاحرار، وتوارث العلاج والاكثار، ومنها توريث نكاح الزوجة لاقرب الزوج، وتداولهم ايانا فوجا بعد فوج، فان تزوجها احد منهم، كان احق بها ولا يخرج عنهم، والا زوّجوها بمن شاؤا، واخذوا مهرها وباؤا، ومنها عدم العدد، وعدم احتمار الزوجات في عدة، ومنها الاخذ بقول الجواري والصبيان، وبما يدعوه على الرجال العبيد والنسوان، ومنها امتثال امر السلطان، على الفور من غير توان، ومنها لزوم ما لا يلزم من العقبا، واحتساب ما تحفه الانسان من الهدايا، حتى لو اعطى سلطان شخصا، من مال خاصه او ضياعا، فان ذاك يلزمه، في كل عام يعزمه، ومنها المنو بين يدي الحاكم، على الترتيب وفق الاحاكم، ومنها مطالبة الجار بالجار، ومعرفة البرى مرتكب الاوزار، وذلك لادنى مناسبة، من معرفة او معاهدة، فضلا عن اكيد استحبابه، او شديد قرابه، ومنها ان لا ينتصر المرء على الشريف، ولو كان ذا مال عريض وجاه كثيف، ومنها العمل بما يقتضيه العقل، والتصدي عما لا يدركه ولو ورد به النقل، ومنها منع عفو الحاكم، وان عفى المظلوم عن الظالم، ونحو هذه الخرافات الباطلة، والهذيانات العاطلة، ومن استخفها، واستخيا واستخسفها، انه لو اخذ احد ابدا، عن قواعدهم ذو غفلة، من ثوب احداهم فلة، فان دفعها الى صاحبها، خلص من تبعة عواقبها، وغرامة مطالبها، فان شاء قطعها، وان اراد رفعها، وربما اشار عودها الى مكانها فرتعها، وان قماها او رماها، والى صاحبها ما اداها، فان صاحبها يخدمه، والى حادم النار يحادمه، ويلقى عليه بين يديه بان هذا الانسان، عمد لى الى حيوان، ربيته بمن سخرى وخرى، وغذيته بدم صدرى وظهرى، فضله قصدا، واضاعه عمدا، من غير سبب تعدم اليد، ولا ابدا اجترأ عليه فبنسبه الى الاجترام، واخذ ديتها بالاغرام، وقس من هذا البسير، على الكثير، ومن ذلك هذه البعير على خرائه البعير، ومن هذه القواعد، امر الادب والاباعد، ما يستحسنه العقل، ويستقبحه النقل، من سلوك طريق النفس، ومعاملة الخلق بالبر، والتحرز والاحتراز، بالمدارة مع كل انسان، والبعد عن الذام والتخرات، ثم الا في طلب المارب، ثم وضع شرق المذانب، والمراسات، والمساويات والمشاتمات، فمتحان في

المكاتبات طريقة رسمه، ان لا يزيد على وضع اسمه، مثل ان يقول في اول الكتاب، وبراعة استهلال الخطاب، عند ابتداء المقال، بعد عده اوصال، جنكزخان كلامي، ثم يكتب تحته من نصف السطر الثاني، الى فلان ليفعل كذا، ولا تتعلل بان واذا، ثم يذكر منع المقصود، بطريق معهود، بابين العبارات، من غير مجازات واستعارات، ويختم بذكر الرمان، واسم المنزل والمكان، واذا استدعى احد الى الطاعة، وسلوك السنة اسوة الجماعة، فانه يتجنب التهويل والتهديد، ويتحامى من التشريد والتشديد، ويرغب بالوعد، ويترك الوعيد، ثم يقول ان سمعتم واطعتم، فزتم وغنمتم، وان ابيتم، وتمادبتم، فليس امر ذلك العدا، ولا درك علمه علينا، يرى فيكم الخالق القديم رايه، فان في تقديره وتدبيره كفاية، فهذه القاعدة نافيه، في نيل امنيته البالغة، مستمرة على الدوام، والى هذه الامور، جارية على هذا النمط، يكتبون اسم الخان والخاقان فقط، وكذلك الامراء الوزراء، والمباشرون والامرا، يكتبون في اول الخطاب، فلان لا مفر ولا جناب، وهكذا الى الاكابر من الادانى، يذكرون اسم الكبير ووظيفته فلان لا الفلاني، ولما فرغ من ترتيب هذه القواعد الملعونة، وخرج بها على خلاف الشريعة المبعوثة، وقرر عليها الامور الديوانية، والاحكام السلطانية، امر بها فكتبت، وبهذا الخط رتبت، ورسمت في طوامر، ولفت في شقق الحرير، ورمكش بالذهب ورصعت بالجواهر، كما فعل مانى النقاش الكافر، واتبع مذهب المجوس، ومصوره على صفحات الطروس، ومبرز المعقول بطريق المحسوس، ليكون اهرب الى نفوسهم النفوس، في كتابه المسمى برنكاسنا، ثم امر باحترامها وتوقيرها، والمحافظة على ضبطها وتحريرها، والعمل بها والاقتدا بما فيها، وتعلّم اهل ملته بعوائدها وخوالفها، ثم رفعت الى خزانته، وهي عندهم اعز من اللعل الاحمر في معادنه، واسمها بالمغلى المورة، وتصويرها المائة المذورة، فاذا جلس منهم سلطان على سرير، وذلك بما للروسا من انفاق وتدبير، وعادتهم في ذلك انهم اذا رفعوا عليهم سلطانا، وارادوا ان يبنوا لدار المملكة خانا، اجتمع الامرآء من الاطراف، واستدعوا ارکان النغور والاكناف، واشتوروا فيما بينهم مدة ايام، واستمروا في ذلك ما بين دقن وادام، وربما اقاموا في ذلك الجمع العام، حولاً قميئا او صعقى عام، ويسمون تلك الجمعية قورلتاى، وهي مستمرة الحكم في الجغتاى، وسبب ذلك تداعي الامرة، والزام من ذخل السلسلة الحلوة المرة، كما كان الصحابة الكرام، يتدافعون الفتاوى خوف الاثم، فاذا وقع الاتفاق من الرقاق، وامرآء الجند ورؤساء الاقاق، على واحد من اولاد الخان، وان يكون عليهم الملك السلطان، وتصوّب الراى عليه وتسدد، وضعوه على لبد اسود، ثم رفعه من الارض الى السرير، اربعة انفس كل امير كبير، كل حامل بطرف، رافع في زعمه راية الشرف، والمغني يغني بلسان فصيح، يا رؤساء ويا امراء، ويا ملوك ويا زعماء، انا ما اقدر ان انساكن عليكم، ولا طاقة لي ان احكم لديكم، ولا قوة لي بهذا الحمل الثقيل، والدخول تحت هذا الامر الجليل الطويل، فيقولون بلى يا مولانا الخان، تقدر ان تقوم بحمل اعباء هذا الشان، فيتكرر الخطاب، ويتعدد الجواب، حتى يجلسوه على السرير، ويتوجوه بذلك الكبير والصغير، والمامور والامير، ثم يلبسون بلنوزا الجنكزخانية، الملعونة السيطانية، مبجلة معظمة، محترمة مكرمة، فينهضون اعظما لها، ويتبركون بمشهور اذيالها، فيمشونها، ويشهرونها، ثم يتمشون فيقرؤنها،

ثم يبايعون الخان على اقامتها، وان يراعى احكامها حق رعايتها، ويبايعهم على امتثال احكامها، واجراء نفضها وابرامها، فيجيب كل منهم الاخر على ذلك، وان يقيم شعايرها المملوك والمالك، ثم يضربون له الجوك ثلث مرار، ثم يتوجهون الى الشمس فى وجه النهار، ويضربون لها الجوك، ويسجد لها من فيهم من مالك ومملوك، وما يفعلون هذا الفعل الشنيع، الا فى ايام الربيع، فاذا تعاقدوا وتبايعوا، وتعاهدوا وتتابعوا، رفعوا تلك الشعريات، واحضروا الالات الخمريات، فادار الخان عليهم الكاسات، واستعملوا الاقداح والطاسات، وفتح الخزائن، واظهر المكاس، ونثر النثار، من الدرهم والدينار، وخلع الخلع والمشاريف، واعاد فى دروس الفعايس اجناب التصريف، واستمروا على ذلك ايامًا، والانعامات تدر عليهم خاصًا وعامًا، ثم يأذن لهم فينفرقون، ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يعقلون، وهذه الطريقة مستعملة، والى اخر وقت غير مهملة، فى جميع ممالك الشرق من الختا، والدشت والصين والمغل والجاه، وفى ولايات الجغتاى والروم، قد اعتادوا غالب هذه القواعد والرسوم، يمشونها على القواعد الاسلامية، والشرايع الاحمدية المحمدية، اللهم انهمنا الصواب ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب، و... ب تحركه الى ممالك الاسلام، وتوجه عنان سخطه الى طلب الانتقام، هو انه لما استقر امره، وانتشر بعد الجور بالعدل ذكره، وطابت بلاده وامنت، وهمدت حركات الظلم وسكنت، توجه من بلاد ما وراء النهر فيدًا، فى سنه ثلث عشره وستمائة، منهم ثلثة انفار، من اعيان التجار، احدهم يدعى احمد الخجندى، والاخر عبد الله بن امير حسن الجندى، والثالث احمد بلاجيج ومعهم من انواع المتاجر، ونفايس الاقمشة والذخاير، ما يطابق للملوك اولى المفاخره فوصلوا الى بلاده، الجارى فيها مياه كفره وعناده، وانتهوا الى قوقن وايجيل، وهما محل سريره الذليل، فاكرم نزلهم، ورفع محلهم، وانزلهم فى قباب ببعض، واقام عليهم اللزم البعض، وكان شعار المسلمين، فى تلك البلد، ان يعزلوهم فى قباب ببعض من بلد، وكانوا يعزبون المسلمين، ويحترمونهم دون الناس اجمعين، ثم ان جنكزخان، دعا احد اولياك الاعيان، واستعرض معاشه وساوده، بعد ما قربه واكرمه، فطلب منه اتحاف نفسه، وسامه ما يقضى بغبنه وعبثه، فما رد جوابه، ولا اعتبر خطابه، ثم طلب رفيقيه، واستعرض بضايعهما عليه، ثم ساومهما الثمن، فقالا يا مالك الزمن، ان صلح هذا القماش، خدمناك به بلاش، فابطل ثمنه رعناه، وهدية فى مقابلة ملكه، ونعدمة منا اليك، بل خدمة لخادم ادخلنا عليك، فاعجبه هذا الحوار، وقال بل انتم تجار، انما جيتم لتربحوا، وتكسبوا علينا وتتجاحوا، وانتم تهوفتم، والاولى ان نشملكم معروفنا، ولكن انا اقول قولا، وادفع اليكم نقولا، فان رايتم فيه فايده، وعاد عليكم منه عايده، فبلغوه، ولا تراعى فيما رايتموه، ثم ذكر لهما مبالغا ارتفاعها، وبلغ به منتهى مناطعها، بحسب ربح درهمها ذانه واربعه، وتضاعفت مع قرب الملك المنتجعه، فقالا رضينا بما رسمت، واسعفت به وقسمت، فقال لرفيقهما الاول، ان رضيت بمثل ما رضى به صاحبك فتحول، والا فخل متجرك وتحول، وشانك وشانك، وتحسن مع ذلك رياسك، فقال رضيت بما رضيا به، ورايت فى خطابه وجوابه، قاصر فى الحال، واحقر المال، وبدون الثمن، وراد ونقص، وانهسهم لذلك، واقتصل فى المتاع، وامر بتصايرهم فرفعت، وفى خزانته وضعت، ثم

امر خواص بطانته، ان يدخلوا هؤلاء التجار الى خزانته، فلما دخلوا اليها، ووقع نظرهم عليها، راوا من نفايس الاموال والذخائر، واصناف الاقمشة والاخابر، وانواع الجواهر الملوكيه، واجناس الامتعة الكسروية، واعلاق ملوك الصين، ومتمنيات الملوك والسلاطين، ما ابهت نواظرهم، وادهش ابصارهم وبصائرهم، فنوهوا في محاسنها ابصارهم، واودعوا احاسن تخيلاتها افكارهم، ثم اتوا بهم البه، وادخلوهم عليه، فقال ما ذا رايتم في الخزائن، من نفايس البحار والمعادن، فقالوا ما لا نصلح الا في خزانتك، ولا ننظر على قرن ملوك المشارق والمغارب الا من مكامن معادنك، فقال ما بايعناكم فارغبناكم، ولا استرقيناكم اذ ملكناكم، بناء على اننا عالمون، ولا انا بقيمة الاشياء وقدرها جاهلون، وانما فعلنا ذلك لاحسان، وجبرنا منكم انفصال، لعدة معان، احدها انكم اضيافنا، وقد سماكم كريمنا واضافنا، ثانيها ان فضلنا التقبل، يقتضي اكرام النزيل، ثالثها انكم مسلمون، والمسلمون عندنا مكرمون، رابعها اردنا اشتهار اسمنا، وان يذكر في الاقطار طريقة رسمنا، خامسها ان اذا سمع بمعاملتنا التجار، يقصدون بلادنا من الامصار، وسبر الافاق والاقطار، فتعم المسالك والدروب، وتربح المكاسب والمطلوب، سادسها وهو اعلاها، واحسنها واولاها، انكم امنتمونا وافدين، وانا لا نحيب رجاء الصادرين، ثم سرحهم شاكرين، ولما سمعوا وراوا ذاكرين، ثم اعتضت الاراء، فامر الامراء واكابر بلاده، ورؤساء اجناده، ان يجهز كل منهم الى الجهات القريبة، والولايات الاسلامية، من جهته احدا من المسلمين، يبتدع من امتعة الخطا والصين، في صفة التجار، ليتعاملوا في هذه الديار، وتفتتح المسالك على السالك، وتنقل اليهم بصنايع هذه الممالك، وتتحر المعاملات، وتتحد الممالك والولايات، فامتثلوا مراسيمه، وعدوها غنيمة، وجهز كل منهم من جهته، من وثق بامانته واعتمد على كفايته، واعطاه من النقود والاجناس، ما يحير به من رؤساء الناس، واجمعوا ذهابه، ورحبوا ذهابه، نحو من اربعمائة وخمسين نفرا، كلهم مسلمون خيرا، وكتب لهم مراسيم وحوايات، باكرام نزلهم في الدروب والمجازات، ومعاملتهم بالمرامات، وان تنهى لهم دوابهم الامانات، ذهابا وايابا، حضورا وغيابا، وارسل معهم الى السلطان قطب الدين، محمد بن تكش علا الدين بن اتسز بن محمد بن انوشتكين، وانوشتكين هذا هو ابيك الملوك السلجوقية، والسلطان قطب الدين، هو السابق من تلك الذرية، رسالة عاطرة، تستهل خاطره، وتستدل من سحايب كرمه مواطره، وحسن الجوار، ومراعاة جانب الذمار، وسلوك ما تنتظم به الامور، وتنتشق به الصدور، وتجعل به الامن للصادر والوارد، والرفاهية للنعم والقاعد، وتنعقد به اسباب المحبة من الطرفين، وانساب المودة بين الجانبين، وفتح باب المراسلات، وكشف حجاب المعاملات، وان كانت الاديان مختلفة، فلتكن القلوب مؤتلفة، وشمول نظر الصدقات السلطانية، وعواطف مراحمها الملوكية، على الفصاد الوافدين، على ابواب مكارمها المستمطرين سحاب صدقاتها وديمها، بحيث تسقى مطالبهم، وتبلغ مآربهم، او كما قال، وصدر منه السوال، هذا واما اخبار السلطان قطب الدين، فانه كان من اكبر الملوك والسلاطين، تملك عراقي العرب والعجم، وما في ممالك خراسان من امم، واستولى على غالب الممالك بالقهر، والى اقصى ولايات ماوراء النهر، وجعل حجرجانيه خوارزم ماواه، وتلقب لذلك خوارزمشاه، ورفع ما بيوم

ممالكه وبين ممالك جنكزخان، من التتار المسمّين بقراخطاى وعباد الاوثان، واسترقّهم قهرا وقسرا، واستصحبهم جبرًا وكسرا، واستمالهم من ذلك الطائفة المعتدين، ولده سلطان جلال الدين، فبواسطة انه صار له مصاهر ونسب، صاروا اقرب عساكره اليه وعليهم المعتمد، فحانوا شعوبًا وقبايل، وجمع منهم سبعون الف مقاتل، الى ان خانوه، وبذلوه وما صانوه، واستدفع بهم طارق البلا فحانوه، غريبة ذكر عجيبة كان هولاء التتار، مناخمين بلاد أتراز، وفي حدّ مملكة السلطان، وهم بعد عظيم من المسلمين ومن جنكزخان، مغارم السلطان واباداهم، واستعبد كما ذكر اجتدادهم، فارتفع السدّ من البين، وتهدم الفاصل بين الجانبين، واتصلت المملكتان كالجبين، اعني مملكة السلطان ومملكة جنكزخان، فسرّت السرابر، وابتهجت الضمابر، وهمت في ممالك السلطان قلب الدين البشارة، وكان في نيسابور، من اكابر الصدور، شخصان من العلماء داعيا واداعيا الشرا، فسئلا عن موجب هذا البدا، وانما الناس في فتنة وعمًا، فقالا انتم تعلمون هذا الامر قحما، وتتصورون هذا الفساد صلعما، وانما عمر مبدا الخروج، وتسابيك العلوج، وهم سدّ يأجوج ومأجوج، وهم بعد ان ذرا على الاسلام والمسلمين، وما حدث من هذا الفتح من الخطب على قواعد الدين، وسيعاملهم نياد بعد حين، وانشدا فارشدا

وعلمتُ ان فراقكم لا بد ان ... يجري له دمعي دمًا وكذا جرى

وكان السلطان قد دانت له البلاد، واستولى على اكثر البسيط والوطاد، وباد ملوك العجم، وتفرد بسياسة تلك الامم، وتاخت ملكه ممالك خوارزم، وقد دمر العزم تجزم، وحمل الناس، على نزع الخلافة من آل عبّاس، ووضعها في آل علي، وقد توجه الى العراق لهذا القصد الجلي، فوصل الى حدود العراق، وهو مجدّ على هذا الاتساق، فوصل اوليات التتار، الى انزار، من صوب جنكزخان، وبها من جهة السلطان، نائب بدعي قايرخان، فاما وصلوا الى البلدة اخبر بهم النائب الرشيد، فحبسهم عنده في مكان، وارسل يستامر فيهم السلطان، ويدّعي الغبار، ويشيع الخبار، وذكر انهم جواسيس، تستروا بالتجار، وان معهم من الاموال، ما دواعي الرسل ودواعي الجبال، مصراع

وما الفة الاعتبار الا رواحل

فامره بقتلهم، واخذ ما معهم ونهابهم، ففي مثل ذلك الدهر، وسلبهم نفوسهم وتلادهم، وارسل المال الى السلطان، واوصله حسبما رسم الى الديوان، فاستوحش على تجار بخارا ومرفند، كما يطرح على مساكين دمشق الفند، واستحلفوا نفسه بالشام، واقاموا عليهم فيه الغرم، وكان سبب ذلك تاجرا عند قايرخان، اراد ان لا يكون عند السلطان، تاجر سواه، فمنعه قايرخان لما اغراه، فتعددت الاسباب، وانفتح للشر ابواب، وطلوا شر الشر ذا ناب، عام ينات منهم سوى رجل واحد، انجاه الله من العدو والحاسد، فاختفى واتصل الى بلاده، واخبرهم بوقوع الامر وفساده، فغضب جنكزخان، وتحرك منه باعث العدوان، ثم تثبت في امره، وتثبت في فكره، وارسل الى السلطان رسالة، فيها تهديد ورسالة، وكان السلطان خوارزمشاه، لما ابدى هذا الخطا وابداه، ضيّع مراسيمه الى اطراف الممالك، بامرهم بالمحافظة على تربّصات المسالك، وبحرّض ولاة الامور،

واصحاب الادراك فى المضايق والثغور والطلايع والارصاد، على منع القصّاد، وكف من يخرج من تركستان، الى صوب ممالك جنكزخان، ثم ارسل من جهته جواسيس، يختبر احوال ذلك الابليس، وينظر امورة واوضاعه، ومقدار عسكره وامرهم فى الطاعة، وما قصْدُه ان يفعل، ليستعدله بحسب ما يعلم منه ويعمل، فنوحه جواسيس السلطان، وطال فى غيبتهم الزمان، وقطعوا الجبال والقفار، وسلكوا المفاوز والاوعار، حتى وصلوا الى بلاده، وفحصوا عن امره واستعداده، وخبروا امر جنده وعتاده، واوضاع عسكره وتعداده، فرجعوا بعد مدة مديدة وزمان، واخبروا بما حققوه السلطان، وان عدد عساكره يفوت الاحصآ، ويخرج عن دايرة الاستقصآ، وانهم اطوع البرية لملكه، وانبس جنانا من الاسد المنهمك، واصبر جند على القتال، كانّ امر الهزيمة عندهم محال، وانهم اذا وثبوا او حاربوا، او سالموا او لاسبوا، او رابضوا او ضاربوا، خابطوا ثم خاطبوا، بقوله شعر

ونحن اناس لا نوسّط بيننا لنا الصدر دون العالمين او القبرُ

وانهم لا يحتاجون فى الاسعار، ولا عند مقاحمة الاخطار، الى كثير مؤنة، ولا كبير معونة، بل كل منهم ينهض باحتياجه، واحتياج مركوبه الى الجامه واسراجه، ويستبدّ بعمل سلاحه، وجميع ما يستعين به سفرا وحضرا فى صلحه وصلاحه، ونطاحه وكفاحه، وكذلك ملبوسه وزاده، وسايم اجنته وعناده، فندم خوارزمشاه، على ما قدمت يداه، من قتل اصحابه، وفتح سدّ الثغر وبابه، وانّى يجدى الندم، وقد زلت القدم، وتبدّل الوجود بالعدم، وغرق فى بحر الهموم، وهمى عليه غمام الغموم، فشاور لما لقى، الشهاب الخيوقى، وهو فقيه فاضل، ونبيه كامل، عالم اجل كبير، المحل له عنده محل خطير، لا يخالفه فيما يشير، فان رايه سديد، وقوله وفعله رشيد، فقال له يا امام، قد تحرك على الاسلام، عدوّ الدّ للخصام، بعساكر كالرمال، قوى صدمات كالجبال، فما نرى، فيما طرى، فقال فى عساكرك كثرة، وانت ذو قوة ووفرة، وزُفَر اقدامك له زُفَرة، فكانب الاطراف، واجمع عساكر الاكناف، وادع اهل بيعة الاسلام، الى هذا النفير فانه عام، فاذا وفدوا عليك، وتمثلوا بين يديك، توجّه بهم الى نهر سيحون، واجعل ساحله من فلك الجنود مشحون، واملأ بهم تلك المهامه والقفار، وحصّن ممالكك الى حدود اترار، فان افبل العدو المخذول، لم يصل الا وهو من الكلال محلول، فانه باتى من بلاد بعيدة، بجنود عديده، وقد اثر فيه النصب، واخذ منه التعب والوصب، فلاقيهاه على سيحون، وهم كالّون، ونحن مستريحون، فجمع بعد ذلك امراءه، ووزراءه وزعماءه، وعرض عليهم ما جاءهم، وطلب منهم اراءهم، فلم يرتضوا راى الشهاب، لامر يريده مسبب الاسباب، وقالوا بل يتركهم حتى يقطعوا الاوعار والمضايق، ويتورطوا فى بلادنا بالعوايق، فتزداد مشقتهم، وتطول فى المسير شقّتهم، لا سيّما وهم بارضنا جاهلون، او عن مداخلها ومخارجها ذاهلون، فاذا حصلوا فى قبضتنا، كان بامكاننا فنضيق عليهم واسع رحابها، واهل مكة اخبر بشعابها، ولهل اوليك الجمع عن مّا راه الفقهاء، وهو ان الدفع اولى من الرفع، وبينما هم فى المشاورة والمراودة، ورد قاصد جنكزخان برسالة المناكدة، وفيها من التشنيع والتقريع، والتهديد والتبشيع، العجب العجاب، وما يشيب الغراب، فمن جملة تشنيعاته، ومضمون تهويلاته، ما معناه، فى فحواه، كيف تجراتم على اصحابى ورجالى، واخذتم

تجارتي ومالي، وهل ورد في ديننكم، او جاز في اعتقادكم وبلتكم، ان تريقوا دم الابرياء او تستحلوا اموال الاتقياء او تعادوا من لا عاداكم، وتكدروا عيش من صادقكم وصافاكم، او تحركوا الفتن النائمة، او تنهضوا الشرور الجاثمة، اوما جاءكم عن نبيكم، سريتكم وعلتكم، ان تمنعوا عين السفاهة عونكم، وعن ظلم الضعيف قويكم، اوما اخبر مخبروكم، وبلغكم عنه مرشدوكم، وانبساوكم محدثوكم، اتركوا الترك ما تركوكم، وكيف تؤذون الجار، وتسيئون الجوار، ونبيكم قد اوصى به، مع انكم ما ذقتم طعم شهده او صابه، ولا بلوتم شدايد اوصافه واوصابه، الا ولن الفتنة نايمة فلا توقظوها، وهذه وصايا اليكم فعوها واحفظوها، وتلافوا هذا التلف، واستدركوا ما سلف، قبل ان ينهض داعي الانتقام، ويتحرك من الفتن حاضي الاضطرام، ويقوم سوق العتن، ويظهر من الشر ما بطن، ويموج بحر البلا ويروج، وينفتح علكم سد ياجوج وماجوج، وسينصر الله المظلوم، والانتقام من الظالم امر معلوم، ولا بد ان الخائن الغدر، والحاكم الحكيم، يظهر اسرار ربوبيته، واثار عدله في بريته، فان به الحول والقوة، ومنه النصرة مرجوة، فلترون من جزاء افعالكم العجب، ولينسلن عليكم ياجوج وماجوج من كل حدب، وكان اللعين جنكزخان، قد مشى على تركستان، واخذ منها عنوة كاشغر وبلاساغون، وصارتا في حوز ذلك الملعون، وكانتا في يد كوجلك خان، بن اونك خان، المار ذكره في اول النعمة، لما قتله جنكزخان وفتته، هرب ولده كوجلك خان المغبون، واستقر في كاشغر وبلاساغون، الى ان مشت العساكر عليه، واخذت تلك الاماكن من يديه، فلما وصل هذا الخطاب، الى ذلك الاسد الوثاب، امر بمقدم القصاد، وربيس اولبك الوراد، فضربت رقبته، وبمن بقي حلقت لحيته، وسخمت بالسواد حليته، ثم رد الجواد، بابشع خطاب، ومن فحواه، وبارد ما حواه، الى سابر البلك، وهاجم علبك، بجنود الاسلام، واسود الاقتحام، وكل بطل ضرغام، ولو بلغت مطلع الشمس، فمحلكك في فعر الرمس، وجاعلك كذاهب امس، فتيقن ذلك، واعلم انك لا محالة هالك، وردّ قصاده على عقبه، وقصد التوجه في ذنبه، فتجهز وسار، بعسكر جرار، الى صوب النتار، واوصل السير، وسابق الطير، واراد ان يسبق الخبر ويكبس التتر، ويربكهم عين العلة قبل الاثر، فالوى من العراق، وسار وساق، فقطع ممالك خراسان، وولايات ما وراء النهر وتركستان، وهجم بذلك البحر الزخار، في تلك المهامة والقفار، فوصل الى حشم في بيوت، وهم امنون في سكون وسكوت، ليس فيهم غير نساء وصبيان، ومواش وبعران، رجالهم غايبة، وامورهم بواسطه الامن ساببة، وكانت رجالهم توجهت لاخذ الثار، من بعض التتار، بواسطة عدوان، وقع بينهم وبين كوجلك جان، فقاتلوهم وكسروهم، ونهبوا اموالهم وقصروهم، ففي غيبتهم، وصل السلطان الى بيوتهم، وفي امنهم وسكوتهم، ولبس فيهم الا الحريم والاطفال، والمواشي والاثقال، لا يوبه البهم، ولا يعول عليهم، فاستولى عليهم ونهبهم، وسبايهم عيشهم وسلبهم، وامر العساكر فنهبوهم واسروهم، وفرقوهم وكسروهم، وهم الجم الغفير، والعدد الكثير، والمال الكثير، ورجع السلطان من فوره، وابتدا في حوره بعد كوره، وتصور انه اضحى وانكى، وانه اضحك وليا وعدوا ابكى، فما هو الا وضع على القرح كيه، وداس ذنب الحية، ثم رجع التتار، وراوا ما حل باهلهم من بوار، وانهم اخرجوا من ديارهم واولادهم، ونكبوا في طريقهم

وتلادهم، وان نساءهم اسرت، وعققهم خسرت، فما وفت نصرتهم بكسرتهم، ولا تامت فرحتهم بحسرتهم، انهبوا واغتربوا، واصطلموا واصطدموا، واخذتهم الحميّة، وعصبتهم العصبيّة، وتنادوا يا للغارات، وشب الشرار، وتناخى منهم حماة الخمايل، وكماة المضايق، وتنبعوا في الخال، اثار الرجال، من غير اهمال، ولا اهمال، وسلكوا الاثار، لاخذ الثار، واكبّوا كالبرق الخاطف، ورهقوا كالرعد العاصف، واندفعوا كالريح العاصف، واندفقوا كانهم الناقف، ودعموا كالليل المدلهم، وعجموا كالسيل المنهل، فادركوا عساكر بشرور نابره، ومراجل صدور بالضغاين فابره، فلم يشعروا الا والعدو المتهور، غشيهم كالقضاء المبرم، فانوت عساكره وقابلت، واسنعدت وقاتلت، والتفت الرجال بالرجال، وصافت ميادين الاجال، واستمرت حروب الحرب بينهم سجال، وتطاولت سهام الموت لقصر الاجال، وتهللت ذلك المحل لمضاء السيوف، وتبسمت ثغور الرزايا للتوح الحتوف، واستمرت ديم السهام، من غمام الاكمام، على رياض الصدور فهمى، ونوامع بروق السيوف، على قمم تلك الصفوف، بعد انواء النوسمى، تتضواعف ترمى، ثم انتقلوا من معاشقة المراشقة، الى المعانقة، ومن مكالمة المضاربة، الى ملاصقة الملابسة، ومن خداعة المعارعة، الى مسارعة المصارعة، وامتدت بهم الحال، في هذا المجال والجدال، ثلاثة ايام مع الليالي لا يسأمون الطعن والضرب، ولا يملّون مباشرة الحراب والحرب، الى ان جرى من الدماء طوفان، وكاد يظهر سرّ من عليها فان، كل ذلك وكاتب اليمين والشمال، يستوفي من اقلام الخط في صحايف الصفايح مستورات العمر، ولم يسمع بمثل هذا القتال، ولا نظير هذا التراب والنضال، في سالف الازمنة والاعصر الخوالي، وما امكن تولي احدى الطائفتين، ولا تكوس جهة من الجهتين، اما طايفة المسلمين، فلحميّة الدين، ولو ولوا الادبار، لما ابقت النار، لبعد الديار، وصعوبة الفرار، منهم نافخ نار، واما الكفار، فللغيرة على ذوات الاستار، واستخلاص الاطفال والصغار، من قيد الذل والصغار ورق الاسار، فصارت الخضرا، غبرا، والغبرا، حمرا، والصحرا، بحرا، والقتلى، تلا، والجرحى، طرحى، ولم يمنعهم عن استيفا القتال، غير انحلال الاعضاء والخلال، فانفصلوا، وما انفصلوا، وانقطعوا بعد ما اتصلوا، وحنّوا، بعد ما كلّوا، وتراجع كل عن صاحبه، بعد ذوبان قلبه وقلبه، واستفراغ جهده، بما وصلت اليه غاية كده، ثم استوفى ناظر القضا، ما اورده عامل القضا، من سهم المنون، الى ديوان برزخ الى يوم يبعثون، من ارواح الشهدا الابرار، وانفس الاشقيا الكفار، الوارد من تلك المعركة، السالكين من حركات حنيك النبالكة، فكان من المسلمين عشرون نفسا، ومن الكفار كذا وكذا ضعفا، غير انه لم يمكن حصرهم، ولم يعرف قدرهم، فلما حدثت الليلة الرابعة، وهي الليلة الفارقة القاطعة، اوقد كل من الفريقين في معرك النار، واثر من الرحايل في المنازل والاثار، وتركها وسار، فوصل السلطان، من بلاد تردستان، وقطع وسيحون نهر خجند، ووصل الى بخارا وسمرقند، وشرع في تحصين البلاد والقلاع، والاحتفاظ بمدن الممالك عن الضياع، وقد سدن الهم فواده، ونهب القلق والارق رقاده، وعلم المسلمون انه خبر، وانه لا طاقة لهم بالكفار، فخافوا حلول البوار، ونزول الدمار، وتيقنوا خراب الديار، لان السلطان عجزه، ولا بد من صدوره بلاد ناخره، وقالوا اذا كان هذا الجور، من شرذمة قليلة من الكفرة في طرف من اطراف بلاده، لا قيمة لاحد معتبر من اجناده، ولا رئيس يشار اليه من

اولاده، ولا درى ولا علم بما جرى، فكيف اذ ادهم بشامته الكبرى، واحشاه حبرته العظمى، فترك خوارزمشاه ببخارا، عشرين الف مقاتل، وفى سمرقند خمسين الف مناضل، وفر معهم انه سيجمع الجنود، ويستجيش ابطال المسلمين ويعود، وتوجه بثبات عزم، واجتماعه حزم الى سرير ملكه خوارزم، ثم انتقل الى خراسان، وخيم بضواحى بلخ فى مكان، واقام رضى البال كان الشى ما كان، ثم لا زال يضمحل ويذوب، ويحل به ما يحله من نوائب الخطوب، حتى انتقل الى حوار الرحمن، فى اطراف طبرستان، فى سنة سبع عشرة وستمائة، وكانت ولايته فى العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة، وكان ملكا عظيما، وسلطانا جسيما، ذا صولة قاهرة، ودولة باهرة، وجولة ارفدت الملوك بالساهرة، فاضلا فقيها، عالما نبيها، اضمحل بادنى حركة ملكه، وغرق فى بحر الفناء بعد الطغيان فلكه، وركن الى الخطا فوقع فيه، وخانته عساكره وخانوه ودود الخل منه وفيه، وكان فى خزائنه عشرة الاف الف دينار، ومن اجناس الاقمشة والامتعة والاسلحة ما لا يحصيه الا انواحد القهار، وكان فيها الف حمل من القماش الاطلس، واضعاف ذلك من نفيس النفايس والنفس، ومن الخيل المسومة عشرون الف جنيب، ومن المماليك الملوك عشرة الاف كل له فى دار الملك ربع خصيب، واوفر حظ ونصيب، فما افاد ذلك ذرة، بل نبشوا بعد موته قبره، وقطعوا راسه، وفجعوا به ناسه، فسبحان من لا يزول سلطانه، وعز وعلا من لا يذل سلطانه شعر

فما كف ذو كف له رايد الردى ولا مال بالاموال عنه حمامه

ولا ملك كلا ولا ملك حمى حماه لما عراه انهدامه

وبسط المقول، فيه شرح يطول، واما امر الطاغية، صاحب الفتنة الباغية، جنكزخان، لما وصل قصاده من عند السلطان، بعد الفناء والشدة، لحاهم محلوقة ووجوههم مسودة، وقد قتل رئيسهم، وخلا من نقد مرادهم كيسهم، ذهب حفاظه، وانتهب شواظه، وظلمت بحار كفره وتلاطمت، وتزعزعت اطواد شركه وتصادمت، وبينا هو يرغى ويزبد، ويقوم من غضبه ويقعد، اذ جاءه الخبر الثالث، وهو شر الحوادث، اذ فيه خبر من قتل من الكفار، وانفعل من دار الخسار، الى دار البوار، جهنم يصلونها وبيس القرار، فاعمل فى قلبه نصله، وكان اولا قد زاد على فرحه قرح منه، ثم كان خبر هذا القرح، ملحا مذرورا على جرح، فتمت قيامته، وتعوجت بالحزن دمنه، وود لو احرق الكون بانفاسه، وهدم اساس المكان بعاس بأسه، ثم تروى وافتكر، وتهوى من حر هذا الشر، ثم قصد مذهب الاعتزال، وانزوى عن جماعته فى مكان خال، ودخل الى مكان خراب، وعفر وجهه فى التراب، وتضرع الى الله الخالق، وقال يا خالق يا قديم، انا اردت ان اعمر بلادك، وانعش عبادك، فظلمهم يا اله، عبدك خوارزمشاه، وتعدى علىّ، وكرر الاساءة الىّ، فانتصر لى منه وانتقم، فانك جبر من كسر وعون من ظلم، واستمر على هذه الحال، ثلاثة ايام وليال، لا ياكل ولا يشرب، ولا يفتر عن التضرع والتطلب، يمرغ راسه ووجهه فى الثرى، ويقصد فيما يرومه رب الورى، وقد قيل شعر

تضرع جنكزخان لله ساعة واخلص فيما رامه وهو مشرك

فما خاب فيما رامه من فساده وسفك دم في الاثم يشفي كما
فما نال من لله طول حياته بوحّد بالاخلاص هل هو بهلك

ثم نهض نهضة اخرى فيها الاثم، وذم قومة اقام، بها ساعات الغيام، فتوجه من مشرقي التتار، وعساكر التتار، بالبحار الظامية، والامطار الهامية، وجبال الثيران الحامية، في شهور سنة خمس عشرة وستمائة، ومسوا على ممالك الاسلام، وساروا على بسيط العالم سير الغمام، وارادوا اطفاء نور الايمان، من اشراكهم بظلام، فوصلوا الى البلاد، وهي جنّة المرتاد، امنة مطمئنة، ساكنة مسكنة، وليس لها مانع، ولا ممانع، ولا لهم عنها دافع ولا مدافع، ولا بها حام ولا محام، ولا سامر ولا مسلم، فاخذوا على جُنْد وفراشها، وولاياتها وما والاها، رابع صفر عام سنة عشر، واظهروا فيها علامات الحشر، فاغشوا وعاثوا، وسبكوا اهلها، ودكوا جبلها، وملاوا بحبال القتلى سهلها، فقتلوا الخاص والعام، ومدوا الى ذخائرها النهب العام، فراح بها رجله وخيله، واحاط بها نبوره ووبله، واستمروا في نهبها ست عشره ليله، ثم تنقلوا عن جند، الى ولايات اندكان وفناكث وخُجند، فاخذوها وقتلوا وفعلوا كما كانوا فعلوا، ثم الى بلدة مَرْغينان، وكانت دار مُلك ابلك خان، ثم الى اطراف تركستان، ومنها سبرام وناس كَنْد وباق البلدان، ثم الى نَسَف وأُنْرار وسُغناق، وما من امهات البلاد في تلك الاقاليم شعر

فشوا على سهل البلاد ووعرها مشى الجراد على القضيب الاخضر
فكانهم موسى على شعر مشت او منجل فوق الحصيد الاصفر
او شعلة نار الهوا فتعلقت فوق الصعيد على الهشيم الاغبر

فكل من اطاعهم، وقصد اتباعهم، صار من جلدتهم، ودخل في عدتهم، ومن عصى او توقف، او خالف او تخلف، سفوه كاس الدمار، واحلّوه وقومه دار البوار، واسروا حريمه واولاده، ونهبوا طارفه وتلاده، ثم ان تلك الدواهي المصيبة، في يوم الثلثا رابع المحرم سنة سبع عشرة وستمية، وصلوا الى بخارا، بلده فاضلها لا يُجارى، قبة الايمان، وكرسي ملوك بني سامان، مجمع العلماء والعباد، والصلحاء والزهاد، ومنبع المحققين من الفقهاء الامجاد، والمدققين من النبهاء الانجاد، وفيها من الاكابر والاشراف، واوساط الاماثل والاطراف، الجمّ الغفير، والخلق الكثير، فلما راى العساكر السلطانية، والجيوش الخوارزمشاهية، الذين كان ارصدهم السلطان، لحفظ البلاد من تطارق الحدثان، وهو عشرون الفا، ان البلاء زحف اليهم زحفا، وان كسرتهم منهم لا تخفى، وان سيل الويل حطم، وموج بحر الدواهي التطم، وان لم يدرك من الغرق نفسه ارتدم، شمروا الذيل، وخرجوا تحت الليل، وقصدوا جيحان، والعبور الى خراسان، ومقدمهم من امراء السلطان، كورخان وسونج خان، وحميد النوري، وكوجلي خان، فبينما هم على نهر جيحون قاصدين العبور، صادفتهم طلائع جنكزخان الكفور، فوضعوا السلاح فيهم، ومحوهم عن بكرة ابيهم، فما افلوا منهم عينا ولا اثرا، ولا سمع لهم احد خبرا، فوهى امر البلد، اذ لم يبق لهم مدد، فطلبوا الامان، وارسلوا القاضي بدر الدين ابن فضلي خان، فاجابهم الى ذلك واناب، فاطمانوا وفتحوا الابواب، فدخل المدينة يرفلون، وهم من كل حدب ينسلون، فعمى بقية العسكر في القلعة،

وتصوروا ان يكون لهم منه منعة، ففي الحال، امر الرجال، بطم الخندق، بكل ما وجدوا جلّ او دقّ، فانوا بنفايس الاقمشة، والذخاير المدخرة، والكتب الربعات، والمصاحف الشريفة والخمانات، وطرحوها في الخندق، ومشى العسكر عليها وتسلق، ونقبوا النقوب، وانفذوا النقوب، وكان قد نادى بالامان، للقاضي والدان، فخرجت القلعة، وذهب ما بها من منعة، وكان فيها فئة، نحو من اربعماية، فباشروا الحرب دوما، نحو اثنى عشر يوما، فاخذوا عنوة بالانقاب، وفسح لهم من كل جهة باب، فقتلوا من بها عن اخرهم، واستولوا على باطنهم وظاهرهم، ثم مدوا ايديهم الى المخدرات، وفجروا بكرًا بالمسفرات، وجعلوا الناس يغطرون ويبكون، وهم يفتكون ويُنكدون، لا يستطيعون دفعا، ولا يملكون ضرا ولا نفعا، فاجتمع من ايّة الدين، ومن اعلام العلماء المهتدين، ومن لم يرض بعمل المفسدين، جماعة غاروا، وثاروا وفاروا، وانضموا الى العلامة القاضي صدر الدين قاضي خان، واولاده السادة القادة الاعيان، والخادم الشهيد، الامام العالم السعيد، والامام ركن الدين امام زاده، واختاروا الموت على الشهاده، فحملوا على الفئة الطاغية والطايفة الباغية، وقتلوا حتى قتلوا، والى جوار الله مقبلين انتقلوا، فاستشهدوا عن اخرهم، وخرق اصاغرهم باكابرهم، ودخل جنكزخان الى المدينة، وشاف بها على هيئه وسكينة، حتى انتهى الى باب الجامع، مكان نزه وموضع رايع، ومحل شريف ومعبد واسع، ولم يكن لذلك البلد الكبير، والجمّ الغفير والجمع الكثير، والمصر الواسع، من الجوامع، سوى جامع واحد، يجمع الصادر والوارد، ويسع ما شاء الله من الامم، وهذا على مذهب الامام الاعظم، وهكذا كل امصار الحنفية، في الممالك الشرقية، والممالك الهندية، وغالب البلاد التركية، فقال جنكزخان، هذا بيت السلطان، فقالوا بل بيت الرحمن وماوى عبادة العبّاد، والعلماء والزهّاد، وذوى الطاعة والاجتهاد، فقال ان اولى ما اقمنا افراحنا، في بيت من خلق ارواحنا، ورزق اشباحنا، ثم انوى اليه، واقبل عليه، ونزل عن دابته، ودخل الجامع مع جماعته، ثم دعى بامرايه، وكبراء جنده وزعمايه، واستدعى الخمور، والطبول والزمور، وهش الى الثلفار وعظمهم، وبش فرحا واحترمهم، فسجد له منهم الملوك، وضربوا له الجوك، وعزفوا حقه ورعوا، ورفعوا بالثناء صوتهم ودعوا، فاذن لهم بالجلوس، وان تدار عليهم الكؤوس، فجلس كل في مكانه، بمن اضرابه واخوانه، ولم يعتن في مقامه، في موقف حدّه واحتشامه، فتصدر في مجالس العلماء والاذكار، ومحاريب الصلوة الفقراء الفجار، ورؤس المشركين من المغل والتتار، واستبدلت محافل العلم والتدريس، بمجالس الشرك والتنجيس، ثم احضروا العلماء، والاشراف والامراء، وسادات الانام، ورؤساء الخواص والعوام، وانزلوا بهم الثبور والويل، واحتفظوا بهم واستحفظوهم الخيل، وصارت النفاس حيارى سكارى، وما هم بسكارى، واخذتهم بغتة، ان انيهم العذاب بغتة، ولم يكن بين رحيل السلطان، وبين هجوم هذا الطوفان، غير خمسة اشهر وايام، ساروا فيها سير الغمام، وهجموا على العالم هجوم الظلام، وكان الناس كانوا نياما، وراوا في منامهم احلاما، فلم يوقظهم من هذا الرقاد، سوى ابراق البلايا بالارعاد فانسدّ عليهم طريق الخلاص، وخانتهم المدد في شدة الافتناص، وتنادوا ولات حين مناص، اذ فرقهم العسكر، وهم في حبل المتطر، وكان من جملة اوليك الاعيان شخص ولى، يدعى السيد الشريف جلال الدين على، ابن حسن الربندى، وهو المتقدم والمتصدى، والمسلك

الى طريق الهدى، واعلى سادات ماوراء النهر، ولدوحة ساداتها بمنزلة الثمر والزهر، قد قبض عليه، وربطوا الى عنقه بدنه، ثم استنظروه مراكبهم، وانشبوا فيه مخالبهم، وهو واقف بباب الجامع، في هيئة الذليل الخاضع، فراى الامام الهمام، البحر الطام، علم العلماء الاعلام، افضل علماء عصره، وانبل فقهاء دهره، الشيخ ركن الدين ابن الامام، بوّأهما الله تعالى دار السلام، وهو في مثل حاله، متسربل بسربال ذله، فقال ايها الامام المفضال، ما هذه الاحوال، ثم انشد معنى هذا المقال، شعر

لرى حالة بذت لساني فليس لي ... طريق الى انسى افوه بلفظة

اعضّ لها كفّي وامعك مقلتي ... افي النوم هذا ام تراه بيقظة

فاجاب الامام، ما هذا محل الكلام، كن عبد الارادة، واتبع ما اراده، واستمروا يشربون الخمور، على صوت الزمور، ويضربون الطبول، ويترافصون رقص التتار والمغول، ثم صعد المنبر، ابن جنكزخان الاكبر، واسمه نوشي خان، وتكلم بكفر وكفران، ثم غنّى ورقص، ودعا لابيه ونكص، ثم صعد بعده ابوه، وتكلم بكلام سمعوه، ودعا بالخمر وشرب، ثم غنى وطرب، ثم قال ايها الرجال، ان خيلنا هي راس المال، وقد رعيتم الوهد والبقاع، وحاقنم شعور الكلاء من قمم البقاع، وقد شبعتم فلا تنسوا الجياع، الا فاشبعوا خيلكم، ولا تحرموها نيلكم، وحيث رعيتم الخضم، فابغوا لها القضيم، وامتثلوا امر سلطانكم، تحظوا منه بامانكم، فنهضوا قياما، وامتثلوا مرسومه مراما، وتهارجوا كالحمير، وابتدروا طلب القمح والشعير، ثم طغى وتكبر، وبغى وتجبر، ونزل عن المنبر، فلم يكن باسرع من انيابهم بالحبوب، والقضيم المطلوب، وادخلوا الخيل الى الجامع، وشدوا لها مرابط ومواضع، ثم افرغوا خزائن المصاحف والختمان، وظروف الكتب واوعية الربعات، وصبّوا الشعير، وانتعوا فيها الخيل والبغال والحمير، فتبددت الكتب المنيفة، والمصاحف الشريفة، والربعات المعظمة، والحمعات المكرمة، تحت السنابك والحوافر، ومواطئ اقدام كل كافر، وصار احر القاذورات والخمور، على تلك النفائس والذخائر تمور، ثم انه خرج من البلد، وامر ان لا يترك في البلد احد، بل يخرجون الى المصلى، ووفى جمعهم من كفر وتولى، ومن تاخر قتلوه، وبنكوه وبتلوه، فخرجوا كلجاد، وانتشروا على الوهاد، واجتمعوا في المصلى، ثم على المنبر تعلى، وخطب خطبة تركية، كافرية مشركية، منها انكم ركبتم عظائم، وارتكبتم مآثم وجرائم، فتقدم ربكم اليكم، ان سلطنتي عليكم، وهذه الاوزار، انما جناها منكم الكبار، فلاجل هذا عم البلا، وذهب بجريره الكبراء الاصاغر والضعفا، ثم ضبط اسماء التجار، واستخلص ما عندهم من درهم ودينار، وقال هذا ثمن ما لي من نقد واعيان، الذي كان باعكموه السلطان، فلما استخلص الاموال، امر بقتل الرجال، واسر النساء والاطفال، والنهب العام لسائر الانعام، ومن اخذ شيا فهو له، لا يُقطع احد سبله، ثم امر بهدم البلد والاحراق، واعدام عينها على الاطلاق، فهما قل فعلوه، وكل ما رسم به امتثلوه، فساووا بالبلد الارض، واستوفوا اعمار اهلها بالقرض والعرض، فلم يبق منهم ديار، ولم ينجُ من تلك النار العظيمة الشرار، ويقال انه نجا من هذه الواقعة، رجل واقعة، فوصل الى خراسان، فسالوه عن هذا الشان، كيف كان، فقال لهم بذلك اللسان، ما صورته

آمدند وكندند وسوختند وكشتند وبردند ورفتند

يعني هجموا وهدموا واحرقوا وارهقوا ونهبوا وذهبوا

فقيل لم يوجد، في الفارسي في هذا المعنى احسن، من هذه الالفاظ ولا ارصن، ولا اوجز ولا امتن، ثم امر الجند، بالتوجه الى سمرقند، فتوجهوا بالاثقال من الاموال، والاسرى من النساء والاطفال، مشاة حفاة، اذلاء عراة، فلم يتوقف كل اغتمى أعنق، وكاثر اغلف، في ضرب رقبة من اعيى او توقف، فوصلوا اليها، واخذوا عليها، وفيها من العساكر الاكفاء، مائة الف وعشرون الفا، سبعون من اهل البلد، وخمسون من المرصدين للمدد، فتجمهر عسكر البلد للقاء، وخرجوا من البلد للملتقى، فكمن لهم التتار، من اليمين واليسار، في رواب وتلال تسمى ببلاحصار، فماوشهم من عسكر الكفار شرذمة، ثم ولت امامهم منهزمة، فركب البلديون اعقابهم، وداسوا اذنابهم، الى ان ابعدوا عن البلد، وانقطع عن البلديين المدد، خرج الكمين من خلفهم، فقطع رجل مددهم وكفهم، ورجع عليهم الفارون، واحاط بهم الغارون، وتلاحق عليهم عساكر، لا اول لهم ولا آخر، فلم يفلت منهم واحد، ولا صدر عن حياض تلك الملحمة وارد، فلما شاهد العساكر الخوارزمشاهية، ما نزل بالجنود البلدية من داهية ورزية، لم يسعهم الا الترامي عليهم، والانحياز اليهم، فداروا وداروا للبيب من دارا، فوقوا بذلك انفسهم واعليهم نارا، فلم يركنوا اليهم، ولا اعتمدوا عليهم، فراوا مصلحتهم، في سليهم اسلحتهم، فسلموا منهم عُدّتهم، ثم فرقوا عدّتهم، كما فعل تيمور الغدار، في بلاد الروم بالتتار، عند كسر ذلك الجوان، في سنة خمس وثمان مائة ابا يزيد بن عثمان، فلم يبق لاهل البلد، معين ولا مَدَد، فاستسلموا للقضا، وجروا طوعا وكرها في ميادين الرضا، فاحل بهم بوارا، وانزل دمارا، ففعل بسمرقند واهلها ما فعل ببخارا، ودور اسوارها، بدلالة انارها، من الفراسخ اثنى عشر، لا يمترى في ذلك اثنان من البشر، ففس ما في ذلك من الخلايق والامم، فانكل براعم سيف القلم، كما ببرئ السيف العلم، ثم قوى العزم، وسدد الحزم، وجهز طائفة من العساكر الى خوارزم، مع ولديه احدهما المدعو بجغتاى، والمسمى الاخر باوكتاى، وهي تخت خوارزمشاه، وفيها من الامم ما لا يعلمه الا الله، معدن الافضل، ومعدن الاماثل، محفل رجال اهل الحقيق، ومقصد رجال الفحول ذوى التدقيق، ولوفور ما بها من الروس، لم ينفرد برياستها رئيس، ولكثرة ما بها من الناس، لم يتعين لسياستهم راس، فانفق اكابرها لضبط امور المسلمين، على تقديم شخص يدعى خُمار تكين، فبعد حروب بطول شرحها، وبهول برحها، وانجب فرحها، وتستحب طرحها، اخذوها عنوة، بعد ما دنوا جفوة، فاستصفوا ارباب الحرف، ومن تعلق من صنعة بطرف، فكانوا نحو من مائة الف بيت، او يزيدون اذ عددتهم وعدّيت، ثم ميزوا النساء والاطفال، وكانوا كعدد الحصا والرمال، فعرضوهم على ذلك العسكر النبيل، فكفى الخبر منهم والخبيل، ثم قصلوا بالحسام المفصل، مزارع ذوات ما بقي من الرجال، ثم ارادوا حصر من قُتل، وادمة عدد من بُتك وبُتل، فكان حصّة كل فناك فصل، على ان عددهم اكثر من القطر والرمال، اربعة وعشرين مقتولا، ثم فعلوا بالبلد كعادتهم الاولى، فهدموا اسوارها، ومحوا انارها، واجروا من بحار الدماء انهارها، فانمحى العلم والعلماء، واندحى النسل والفضلاء، واستشهد الرؤساء والكبراء، وذهبت بالنصب النوى الشيخ

فخر الدين الكبرا، وتوجه جنكزخان، من سمرقند قاصد السلطان، ومرّ من اطواد عسكره بكل اخشب، حتى اناخ على ترمذ وخشب، فامتنعتا عليه، ولمناعتها لم تلتفتا اليه، وكانتا كنيرتي العدد والعُدَد، غزيرتي المدد من مُدَد، وهما من امهات البلاد، مملوتان من آلات الجهاد ومقاتلة الاجناد، فاملك انسبهما، وسفاهما من خمر الشريب كاسبهما، فلم يبق لهما فئا، فلم تغن العدد والعُدَد عنهما من الله شيا، ومن غريب ما وقع، من البدع، انه امر باهل ترمذ ان يقتلوا عن اخرهم، مع اهلهم وعشايرهم، ولا يبقى فيهما على احد، وارصد على ذلك الرصد، فانفلق ان امراة من المخدرات، تخجل الشموس النيرات، فبصوا عليها، وتقدموا بارافة دمها اليها، فتشفعت فما افاد، وتضرعت فما زاد الا العناد، فلما اسامت وتلوها للتجهين، وعلمت انه جاءها الحين المبين، قالت لاوليك الفجار، لا تقتلوني يا حتّار، وانا افتدي نفسي منكم بعقود من اللولو كبار، فانهوا القضية اليه، وعرضوا ما قاله عليه، فقال اتركوها، ثم بما قالت طالبوها، ننظر اصدقت، ام اختلقت، فاسلفوها، وبتقاضي اللولو اطلعوها، فقالت لهم انه بزور، ولا دليتكم بغرور، وانما اللولو كان عندي، وحين استخلصتم مالي كان في يدي، فخفت منكم فابتلعته، ونبّا لفعل صنعته، فامهلوني حتى اتبرّز، ويخرج مني ذلك الحرز، فانهوا كلامها اليه، وعرضوا امرها عليه، فقالوا ابقروا بطنها، وانظروا فطنها، فان وجدتم شيا فهو لكم، وان كانت كاذبة فقد استحقت فعلكم، فشقوا بطنها البطين، واستخرجوا منه الدر الثمين، فلما راوا صدقها، وحققوا تلقها، امرهم بشق بطون جميع القتلى، وتفتيش ما طرحوه من جبال الاشلاء، فلم تنج روس الروس من المثلة بعد القتل، ولا بطون الصدور من ظهور المنكيل اثر النبل، ثم امر بهدم الحصون، بعد ابتذال المال والعرض المصون، فمُحيت الديار، ولم يبق فيها ديّار، ثم عبر من جيحون الى خراسان، وجعل نصب عينه ممالك السلطان، وتوجه الى بلخ وهي احد معاقل الاسلام، وفيها من امم الانام، ما لا يدرك ضبطه سابق الاقلام، بل يخرج حصر الاوهام، ولا يحصيه الا الملك العلام، وكان السلطان، قد انشمر عنها كما ذكر الى نواحي طبرستان، فوصل بتلك البحار الثامنة، في ثماني عشرة وستمائة، فخرج اليه الاعيان، وطلبوا منه الامان، فاجاب سوالهم، بما يصالح حالهم، ثم اختشى من السلطان جلال الدين ابن الخوارزم شاه، فلم يرضين البقيم، ولا عوّل عليهم، فامر بارافة الدماء، وهدم البناء، واحاطتهم بدائره الفناء، فقتلوهم عن اخرهم، وساووا بالحصيص بقاع عمايرهم، ثم ارسل ولده تولي خان الى سيرة طالقان، فعصت عليه، ولم تسلم قيادها اليه، فاستمرت في الحصار مدة، واذاقها لباس البأس والشدة، الى ان اخذوها، واباحوا خلقها وذكورها، ثم ان جنكزخان، الخافر الخوان، معدن التكسر والتغيان، استوبل هوآء خراسان، فاسرع الى بلاده، وترك تولي خان من اولاده، وولاه خراسان، وهو محاصر طالقان، واسر في ممالك ايران، من كفار امرايه اثنين احدهما يدعى سُتَاي، وهو من قبيلة الجغتاي، والاخر يدعى يا، وهو من الكفار الاوه، وترك معهما من الكفار الارازل، والفتار الاسافل، ثلثين الف مقاتل، فوصلا الى رواة، ووضعا السيف في الامة البهاة، وابتديا في القتل والنهب، والفتك والسلب، والنهر والاسر، والقسر والكسر، ثم انهما في الاتلاف طريف الايلاف، وذهب كل منهما للاحتلاف، في الفساد على الخلاف، فدلا

وجالا، واوسعا فى الدمار والبوار مجالا، وخاضا فى دماء المسلمين، واجتهدا فى اهلاك الاسلام والدين، وخلا لهما الجو فباضا وصفرا، وكان السلطان قطب الدين قد اخلى الدنيا من الملوك والكبرا، فلم تثبت لهما مقابل، فضلا عن مخاتل او مقاتل، فاهلكا الدين واباداه، وتعمقا فى نصرة الشرك على الاسلام كيف ما اراداه، فاستخلصا جُوين وطوس، واعدما ما بهما من نفايس ونفوس، وجأم وجيوشان، واسفيرابين ومازندران، وامل وقومس وتلك البلدان، فمحوا من كتب كتابها اسطارها، واطفأوا منارها، واطهروا من صفة الجلال والقهر اثارها، واجروا من العين كدماء جارها، واخرجوا من الشرور نارها، كل ذلك قتلا ونهبا، وسبيا وسلبا، وهدما واحراقا، وعدما وارعاقا، وردما واغراقا، ثم بلغهم ان حريم السلطان جلال الدين، فى فلاع امل امنين، فقصدوها وحاصروها، ورصدوها فصل ناصروها، فاستولوا عليها، ووصلوا كما ارادوا اليها، ففروا وفتكوا، وبروا وهتكوا، وسبوا وسبكوا، وسفوا وسفكوا، وكروا وشووا، وغوروا ولووا، وعووا وما ارعووا، ثم انهم تمادوا لعكس الزمان، وانقلاب الدهر على السلطان، وسوء التدبير، وشوم الخط المبير، وهم فى بعض السير، من غير مخبر ولا معلم، فى سدفة ليل مظلم، حريم السلطان خوارزمشاه، لامور قدرها الله، مع والدته وجواريه، وبناته وسراريه، وكان لشدة ما نابهم من الزمان، قد ضاق عليهم المكان، ونغير، بل تنكر، لهم الكون، وقل عنهم النصير وقل العون، وخافوا الابتذال بعد التصون، فجردوا ما تم فيه من مكان، فتصدوا البعد عن خراسان، فوجهوا الى اطراف اصفهان، ومعهم من نفايس الاموال والجواهر، وانواع المفاخر والذخاير، ومصونات الخرايد، ومكنونات المعادن، ما لا يعلمه الا ماجده، ومن الكنوز ما ينوء بالعصبة مفاتحه، وما لم يجتمع لسلطان قط، ولا ضبطها قلم ديوان ولا خط، فتباغتوا مواجهة، وتواجهوا مباغتة، وتباغتوا مشافهة، وتشافهوا مباغتة، فوقعن فى شبكة الصيد، واحاطت بهن دايرة الطريد، وتورطن فيما فررن منه، وتربطن باوثاق ما نفرن عنه، وناداهن لسان الحظ، وعانف الحظ شعر

واذا اراد الله انفاذ القضا ... وظهور فهم للجماير بانسلا

جعل الدواء لذاك داء مرضا ... وفوايد العربان سما قاتلا

والنون خصما والمكان مناقضا ... والعيش موبا والتصدى معضلا

فلم يشعرن، الا وقد وقعن، من نيران الفتن فى سقر، ونورطن من بحار المحن فى دردور، وتبسمت الى مكايدهن ثنايا البلايا، وتكللت على جباه مصابيهن عقود الرزايا، فظفر حامية الكفر بذلك المغنم البارد، ولم يصدر من حلقة صدده شارد ولا وارد، فحازوا تلك المستورات، ونزل الى حضيض قنصهم من سماء المناعة النسوس النمرات، فبددوا اسنارهن، وخربوا ديارهن، وضبطوا اسعارهن ودنارهن، وجرروا ما معهن من كنوز المعادن، ونفايس المخابى وذخاير الخزاين، ثم اصادرهن الى رباتبة فلاتهم، واحتفظوا بهن اشد احتفاظ، وسوقوهن الى بلاد الغزار، ميدان الاغزار، غارات حافيات، حاسرات مشيات، وامروهن ان يجتمعن كل ليلة، عند ما ينشر الظلام ذيله، فى كل منزلة، وصباح كل مرحلة، ويقمن على انفسهن النوحا، ويندبن بما نعدد ويبكين بما يجرى، ويعدون على خوارزمشاه، ويدكرن ما قدر الله عليه وقضاه، وينعين ما كن فيه من النعم، وما صرن اليه من الهوان والنقم، وليدلن على هذه الطريقة، حتى يصلن من سفرهن بطريقة، ويحللن بجنكزخان، على ذلك الامتحان،

والذل والهوان، فبرى فيهن رايه من نكال ونكاية، ورحمة وعناية، وامتثال ما امروهن به، فكن ينبّهن النيام ويبكين المتنبه، واستمرون على هذه الحال، في الخزى والاذلال، والمشقة والابتذال، بعد ذلك الصون والدلال، يفطرن بتحبيبهنّ الجبال، ويمزّقن بالنظر البهن كباد الصخور والتلال، ثم ان قولى لما اخذ طائفان، واعلك اهلها بسيف الطغيان، ولم يدع فيها من يتنفّس، وهدم الى الارض بنيانها الموسس، توجه الى جانب من بلاد العجم، واعلك ما شا الله من خلايق وامم، فصار فى احد الجوانى بعبث، وكل من سُنّاى الخبث، ودما الكافر الغشيث، فى جانب ببيد المسلمين ولا مغيث، فدكّوا قزوين وهمذان، وصكّوا آران وبَيْلقان، واغاروا على ممالك اذربيجان، وبلغهم ان السلطان جلال الدين، له فى سجاس جماعة مجتمعين، مقدمهم السلاحدار بيكنكيين، وفيهم من الاعيان، كوجبوغاخسان، فتوجه البهم بما، فبدد شمل اوليك الزعما، وابادهم وفرقهم، وشتتهم ومزقهم، ثم اغاروا على غالب عراق العجم، فاوسفوا القفار بالصرم، واوسعوا البحار بامطار الدم، وملاوا الوجود بالعدم، ثم قصدوا اردبيل، وجعلوا اهلها ما بين اسير وقتيل، وكانوا فى اول المرور، قد صالحوا اهل نيسابور، وانتقلوا الى مرو منها، وراودوا اهلها عنها، فغافلوا ابوابهم، واقلقوا جوابهم، فحطموا عليها، ودخلوا اليها، وحكموا فيهم السيوف، وكان شهر الصيام فقطروهم على كاسات الحتوف، ونقلوا الى جوار الله تعالى منهم المبين والالوف، فضبطوا من امكن ضبطه من القتلى، واستسعد بنيل الشهادة من الشهدا، فكان الف الف نسمة، وثمانماية الف وثلثين الفا مكرمة، وكل هذه المحنة والفترة، فى سنة ثمان عشرة، عامت الدنيا فى الدماء هوما، وكانت نحو تسعين يوما، ثم توجهوا الى شروان، واغاروا من بحار الدماء الطوفان، ودخلوا من الباب الحديد، واتصلوا من الدشت بذلك الشيطان المريد، فتيقظ الناس من الفكرة، وافاقوا مما كانوا فيه من السكرة، وتصوروا انهم سحابة صيف انقشعت، او نسمة ازمة هبّت بارقة او مَضَتْ، ولكن احتاطوا واستعدوا، وتحفظوا واستمدوا، وحصنوا الحصون والمعاقل، وجمعوا الجنود والجحافل، فلم يكن باسرع من ابابهم، وتعاطى ما كانوا عليه من دابهم، والشروع فى اعمال حرابهم بخرابهم، واخذهم فى ضروب ضربهم وضرابهم، واستقر تولى فى ممالك العجم، وهو ابو هولاكوا الكافر الاغتم، فوصلوا الى سبزوار، وقد استعدت للمناوشة والنقار، فاخذوها عنوة زحفا، وقتلوا منها مما امكن ضبطه سبعين الفا، ثم ايضا الى طوس، فارتفقوا ما بها من نفوس، ثم الى سابر القلاع، بالحصيص والبقاع، فاستولوا على الكل قهرا، واخذوه عنوة وجبرا، وسعوا فى احلال البوس، وارهاق النفوس، ثم الى موقان، ولم يبقوا بها احدا كائنا من كان، وعم القتل الصبر، كل صغير وكبير، ثم حل اولئك البور، ببلدة نيسابور، فكالحت، بعد ما كانت صالحت، وتحصنت، بعد ان اذعنت، واعتمدت على عددها، واستندت الى عُدَدها، وبرجالها استعانت، بعد ان كانت قد دانت، ولانت واستكانت، وكان فيها من اسباب الحرب، ورجال الطعن والضرب، ما لا يحصى، ولا يبلغه الاستقصا، فكان فيها من المجانيق، المرسلات الصواعق، على اسوار الحصار، ثلاثماية منجنيق اصغرها كالغصبان فى المقدار، خارجا عن المكاحل والمدافع، المهلكات بالصواعق الصوادع، ومن رماة القوس القصير، المنفذ حكمه قاضى المقدير، ثلاثة الاف بندق، كل ارمى من بنى ذُهَل، واما عدد الضارب والنابل، والقاتل

والمقاتل، والرامح، والناطح، المصارع، والمقارع، والخارف، والخادف، والخاطف، والفاطف، والناهب، والسالب، فالضابطون فيه تاهوا، وما يعلم جنود ربك الا هو، فوجّه التتار اليمة اليهـا، واخنوا كالقضـاء المبرم عليها، وحمى الوطيس، وخاطر بنفسه كل خسيس، وبذل مهجته من الغزاة كـل نفيس، فقتل من اهل العدوان، بلغاجارخان، زوج ابنة جنكزخان، وكان من عتاة الكفـار، المعتبرين بين التتار، فحنق العدو لذلك، وشددوا المسالك، وسمع بذلك تولى، الكافر الموغلى، وكـان فى بعض الجوانب، مشغولا بالدواهى والمصايب، ففار دم قلبه، وتاججت نيران كربه، وتاسف لفقد ختنه، وثار غيار احنه، فتوجه من فوره، بجحفله وجوره، ونزل على نيسـابور، وحـل بالبوار على اوليك البور، وزحف بالعساكر، وتقدم بالطعن والضرب كل كـافر، فلم تمتنّ غلوة، حتى اخذوهـا عنوة، ودخلها من كفر من التتر، يوم السبت خامس عشر صفر، سنـة تسع عشرة، وستماية من الهجرة، واعطى تولى لاخته ذلك، عوضا عن زوجها الهالك، وقال لهـا تسلّى عن ذلك الفقود، بهذا الموجود، وتحكمى فى اهل البلد، بما ترتضيه من سرور ونكـد، وتصرفى فى الاموال والارواح، فمهما تريه فهو لك مباح، فامرت ان لا يبقّى على ذى روح، وان تجرى السيول من الدم المسفوح، فاطلقوا فى ميادين الحتوف، اعنة صوارم السيوف، فجدت جياد الجداد، وجادت بجود الجد على اجياد الاجواد، وصارت كالسن الشعراء النقاد، تهيم من المظم والنثر فى كل واد، فمحوا عن لوح الوجود، بلسان شواظ السيـف ذات الوقود، سطور ذوات ذلك السواد الاعظـم، وكتـاب كتايب تلك الخلايق والامم، وزادوا فى الاشتطـاط، حتى فتلوا الكلاب والقطـاط، ثم امرت ان تجمع روس ذلك الجمهور، ويميز روس الاناث من الذكور، فميزوا روس الرجـال، عن فهم رباب الجمال، وطرحوا كل كاشبة، فى ناحية، فصارت الروس كرواسى الجبال، وتلك الدور والقصور كـالاعصر الخوال، ولم يخلص من قمع الاروس، سوى اربعة انفس، كانوا من ذوى الحرف، فجذبتهم المهارة من فجج بحر الفناء الى الشرف، ثم ركبت تلك النفوس، ووقفت على تلال الروس، فلم تتطفى نارها، ولا برد اوارهـا، وزعمت انهـا لم تستوف ثارها، وان دود ترابها من علو تلك الاممر ما تكفت، وغيظة غيظها لسعتها بزوابر السيوف ما تشفت، واستغاثت بالرجـال، وصاحت بلسـان الحـال، وانـشـدت

وهب ان النساء سُلِبْنَ سيفًـا ... فصلنَ وجُلْنَ كالفحل الغيور

فزلزلـن الجبـال فطرن خـوفا ... بصاهين السحاب على النطير

وصـار لسفكهنّ البـر بحـرا ... ايغنيهـنّ ذاك عـن الابـور

فامرت بهدم البلد، واحراق ما فيها من الات وعُدد، فدكّوها دكّا، واعدموها سبكا وسفكا، وتصرفت ايدى النوايب فيها فتكا وبتكا، ثم ان تولى لوى اعنان، وقصد قراه من خراسان، فاخذهـا بالامان، ولم ينجُ من ذلك الطوفان، سوى تلك الكورة، واسمرت تحت اوامرهم مقهورة، وامهات بلاد خراسان، ومقرّ سرير السلطان، كانت اربعة امصار، كل ذات اعتبار جايلة المقدار، نيسابور، وصارت بور، وبلخ، قـد كُسيت من البوار ثوب سلخ، ومرو الرود، وقـد امحت من

الوجود، ولم يفز بالنجاة، الا بلدة هراة، وسائر الامصار شماليها البوار، وليست من خلع الدثور الدثار، وكل منها مصر جامع، وبرعا بحر واسع، وبحرها كصدر البر مداه شاسع، واما القرى والضياعات، والرساتيق والمزدرعات، فاكثر من ان تحصر، او تضبط بحساب دفتر، فابيد كله وأبيد، فالحكم لله العلي الكبير، كل ذلك في ادنى مدة، واوهى رقدة، وما ذكر ذرة من طور، وقطرة من بحور، فسبحان من لا يسئل، عما يفعل، ثم ان جنكزخان الهامة الهامة، والفتنة الطامية الطامة، لما علق به المرض، وحمل له في خراسان العرض، رجع الى بلاده، واستمر مرضه في ازدياده، ولم يزل على ذلك، حتى اورد سبيل المهالك، وتسلم روحه الخبيثة ملك، وحين ايس من الحيوة، وقنط من رحمة الله، جمع المعتمد عليه من اولاده، المشاركين له في عتوه وفساده، وهم جغتاى واوكتاى، واولغ نوين وجرجداى، وكاذان، واورجان، واوصاهم بوصايا، وطرايف في سياسة الرعايا، حافظوا عليها، وتناقضوا اليها، فنبت ثم من ملكهم اساسا لم ينهدم، واقامت بنيانا والى يومنا لم يتحوم، وعروش قواعد اركانها لم تتثلم، مع كثرة عددهم، ووفرة مددهم، وشكاستهم، وشراستهم، وشماستهم، وتعاستهم، وغلاظتهم، وقطاعتهم، واختلاف ادراتهم، وانساع بلدانهم، وهلك الطاغية جنكزخان، وانتقل الى الدرك الاسفل من النيران، واستقر في لعنة الله وعقابه، واليم زجره وعذابه، في رابع شهور رمضان، المشامل بالفضل والاحسان، والبركة الغامية الهامية، سنة اربع وعشرين وستماية، في سرة ملكه المشهور، واعظم امصاره ابمل وقوناق وفراقورم، واستمرت بعده الفتن، والشرور والمحن، تغير على ممالك الاسلام، وتثير شعاير شرايع خير الانام، وتثير غبار الافساد والمفسدين، في وجوه سنة سيد المرسلين، وتخش جنود الاسلام، وتفش جيوش العلماء الاعلام، وتنقص اطراف الارض، وتنقص اركان الدين بعضها على بعض، وناهيك يا مولانا السلطان بفتن هولاكو تولى بن جنكزخان، وبعده ابغا، ابن هولاكو الذي تجبر وطغى وتكبر وبغا، وبعده ابنه ارغون، وبعده ابنه كران المفتون، واستمرت بحار الفتن منهم، تزخر عنهم، وتمور الى ان نبغ الاعرج تيمور، فاهلك الحرث والنسل، واختلط المباح بالمحل، وحل بالعالم الباس، وفسدت احوال الناس، وانما ذلك كله بفساد الراس، ومن جملة فتنهم، وطعنهم في ضعنهم، جالوا في معركة، وصالوا في دشت بركة، فقتلوا في مثل حرب البسوس، وقطعوا في ناحية من الروس، جملة اراذوا ضبط عددها، بعد ان ابانوها عن جسدها، فلم يقدروا، ان يحصروا، فرسم لتلك البغاة سلطانها، ان يقطع من الروس اذانها، يقطعون من كل راس اذنا، ولتكن الاذان اليمنى، فجذعوا اذان بعض الروس وبتكوها، وفي خيوط سلكوها، ثم قلدد ربطوها، وبعد ذلك ضبطوها، فكانت نحو مايتي الف اذن مجدودة، وسبعين الف اذن معدودة، وانما ذكرت يا ملك النظير، امثال ما جرى من الشر والخير، وجلوت عن مراة ضميرك المنير، صورة ما مر في الزمان المبير، وما فعله من ملكه زمام الاقتدار، وامهله سلطان السلاطين الذي يخلق ما يشا ويختار، وصرفه في بلاده وعباده، وبين له طريقي صلاحه وفساده، واخبركم ايها الملوك والحكام بامورهم في دنياكم، وجلا صور احوالكم على اعين بصايركم وبين مراياكم في مراياكم، وقال وهو الذي جعلكم خلايف الارض، ورفع بعضكم فوق بعض، درجات ليبلوكم فيما اتيكم فانظر ما في هذه السير من الحكم والعبر، وتعلم ان الدنيا

محلى الغبر، ومحك العقول والفكر، والمحال بها هدف لسهام القضاء والقدر، مبتلى بكل خير وشر، ونفع وضر، غافل عن مواقع الحذر، آمن وهو على شرف الخطر، مقيم وقد جدّ به السفر، مناقش بما مضى من انفاسه مما حلا ومرّ، ومحاسب على ذرّات ما اكتسبه، مطالب بالقليل والقاطمير مما ارتكبه، فلما وصل الخجل فى الكلام الى هذا المقام، قبل العقاب بين عينيه، وزاد قربه لديه، وافاض خلع الانعام عليه، وقال صدق عليه افضل الصلاة والتسليم، من قال تلمة الحكمة ضالة كل حكيم، وتطلف بالخوى من قال، لا تنظر الى من قال، وانظر الى ما قال، فاهل التحقيق، ذووا النظر الدقيق، راقبوا المعانى، ولم ينظروا الى القوالب والمبانى، فان سليمان عليه السلام، وهو ملك الجن والانسان، والوحش والطير والهوا والهوام، ونبى مرسل وملك ذو فضل، وسلطان الفضل بالعدل، استفاد الفصايح من نمله، وجمع هدهد مع ملكة سبا شمله، و يوجد فى الاسفاط، ما لا يوجد فى الاسفاط، ولقد يتطوق بالعوايد، من هو كافر وجاحد، فيوخذ من اقواله، ولا يقتدى بافعاله، وقد قيل ان الحسن البصرى رحمة الله عليه، دخل صبى مسجده وصلى بين يديه، فراه لا يتم سجوده، ولا يرضى بصلاته معبوده، فدعاه وخاطبه، وانكر عليه وعاتبه، وقال اتمم سجودك، ترضى معبودك، فقال يا شيخ المتين، هذه سجدات شخص من المومنين، لو سجد احديهما ابليس لادم لما كان من الملعونين، ولو سجدها فرعون مرة لكان من المسلمين، ولم يصر من اهل العناد المطرودين، ورأى يوما صبيا ومعه سراج، وهو سالكه فى منهاج، فسأله عن ناره، وما فيها من انواره، من اين اخذها، وكيف اصلذها، فلم يجاوبه الا بانتفاء السراج، وسواله اين ذهب ذلك النور الوهاج، قل لى اين ذهبت تلك الانوار، افل لك من اين جات تلك النار، ثم ان العقاب، ولى الخجل ما تحت يده من رقاب، وقدمه على سايز الخدم، وصنوف الطير واجناسه من الامم، وجعله الدستور الاعظم، والوزير المعظم المحترم، وفى هذا المقام، امسك الحكيم حسيب عن الكلام، وختم ما افتتحه من الحكم والاحكام، بالدعاء والثناء والصلوة والسلام، قال الشيخ ابو المحاسن، المتخجل بادبه امرى القيس وابا فراس، فاما انتهى الحكيم فى مفترحه، وما قصده من بيان محاسنه وملحه، الى هذا المحل، وفصّل من فضله ما جمّل من جُمَل، نهض الوزير وقبّل قدميه، واعترف له بالفضل المنعم به عليه، وانه مالك ارمّة الانشا، وملك الكلام بصرفه كيف شا، وذلك فضل الله يوتيه من يشا، وكما انه شيخ المنقول، واستاذ المفول، فمن انوار افاضته تنير العقول، ومن كنوز عباراته تستخرج جواهر المعقول، واما اخوه الملك فسار بسروره به عن سريره، واخذه فى مهمّ اموره مقام امير، ثم ادت اراه فكرته، ان يستعمل اخاه لكشف كربته، ويمشى فى السعى بينه وبين اخوته، لرتوى ما انفتق، وسدّ ما خرقه سيل الحسد فانبتق، فامتثل امره المتعالى، ونهض بامر الله المتعالى، وانفق من جواهر افكاره فى سوق المناصحة الرخيص والغالى، ورتّع ما استخرجه من بوادئ ذلك من عباراته بما يستعيد عقود اللالى، وتعاطى اسباب الاصلاح، وساعده لحسن النية وخلوص الطوية السعد والنجاح،

وهذب فى الفضل ما رتبه ... واعجب ذا اللب ما شاده

فانثنى عليه بما اعجبه ... واغرب فى السعى اشراقه

فلله ذا السعد ما اغربه فا شذب الصدق عن لصحه
ولا شذ خل لما شذبه

فاستمال الخواطر النافرة، واطفا بزلال الفاظه العذبة شواظ تلك النايرة، وسكن بنسيم ملاطفاته فتام الاخلاق الثايرة، فاطمانت القلوب، وطهرت من غش التشاحن الجيوب، واتصل بالمحب المحبوب، وحصل الامن والامان، ومساعدة الزمان، ومعاضدة الاخوان، ومصافاة الخلان، وطيب العيش والمكان، وافضل من هذا جميعه شفقة السلطان، والاستقامة على الاسلام والايمان، ونسال الله تعالى اتمام نعمه، واسبال ذيل احسانه وكرمه، واللطف فى القضا، والعفو عما مضى، والمعاملة باحسانه الجزيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين وعلى آله الاطهار، وصحابته الابرار، من الاختار والاصهار، والمهاجرين والانصار، وسلم تسليما يطيب الاعطار، ويتمسك باذيال عرفه خياشيم الازهار، فى الاسحار، ما دامت الاعصار، ودارت الادوار، وترادف الليل والنهار، وحشرنا فى زمرتهم مع المصطفين الاخيار، انه كريم ستار، حليم غفار ٥

تم هذا الكتاب
بعون الله الوهاب

P. 250. l. 20. In codicibus E. F. legitur وموجها يمور.

— l. 28. In codicibus E. F. legitur وجاوت عن مراة ضميرك المنير وما حلا ومر من الزمان المعمر.

P. 251. l. 3. Loco vocis والقطمير in codicibus E. F. legitur والنقير.

— l. 13. Loco vocis المتفين in codicibus E. F. legitur البيقين.

P. 252. l. 2. Codex E. habet ولا سد حل لما شد به; codex F. ولا شد جل لما شد به. In fine codices multum inter se discrepant. In codice B. verbis والحمد لله رب العالمين l. 8. codici finis impositus est; in codice C. post vocem عفار haec addita leguntur verba كمله مولفه ولفقه مصنفه من غير تردد وتعذر ولا تعمق فى تدبير مع توزع البال وتمزع الحال احمد بن محمد بن عربشاه الحنفى سامحه الله تعالى وعامله بما يرتضيه فضلا وجمالا لا بما يقتضيه عدلا وجلالا من اواخر شهر ربيع الاول المبارك سنة ٨٥٨ احسن الله تعالى خاتمتها وعقباها وجعل اخرها خيرا من اولها

Cum hoc consentiunt cod. E. F. nisi quod loco vocis كمله habent نقه et post vocem مصنفه addunt verba فقير عفو الله تعالى. Pro من اواخر uterque codex habet فى اواخر, quae lectio praeferenda, denique legunt وعقبتها loco vocis وعقباها. Eundem quoque libri finem impositum legimus ni fallor in codice D. At in codice G. verbis وحسبنا الله ونعم الوكيل finis imponitur, tum charactere minus accurato et distincto scripta sequuntur verba وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم سلما كبيرا يا رب العالمين, denique indicatur tempus, quo scriba opus absolvit his verbis وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة ثالث عشر من شهور الصفر . . . . اربعة واربعين وتسعماية على يد العبد الفقير الى الله تعالى محمد ابن سالم ابن الشيخ حسن المدد بن الارهرى المالكى . . . . In codice F. ipso libro finito, quatuor circiter paginae sequuntur, quas se reperisse eadem manu scriptas quam caeteras codicis partes, indicat scriba verbis sequentibus ووجد بنسخة الاصل ما صورته. Quae vero quum sint extra libri fines positae, continent enim ciborum in coena de praestantia sua certamen, addere operae pretium non videtur. Indicatur autem in calce totius a scriba absoluti operis tempus his verbis تم فاكهة الخلفاء فى مفاكهة الظرفاء فى يوم الخميس خمس عشر من شهر جمادى الاولى من شهور سنة ستة وتسعين تسعماية

P. 247. l. 30. Loco vocis ينتحن in codicibus E. F. legitur ينتحبن. In codicibus C. G. legitur يعدن.

P. 248. l. 3. Loco vocis يفطرن in codicibus E. F. legitur يصدعن. In codicibus E. F. loco vocis اليمين est اليمن.

— l. 4. Loco verborum بسيف الطغيان legitur in codicibus E. F. بالاثم العدوان.

— l. 8. Vox يتمكنن est lectio codicis D; in codice F. puncta diacritica desiderantur. In codice B. est يتد تكين, in codice G. يمكن كين: in codice C. legitur يبتدين.

— l. 9. Secutus sum lectionem codicum C. G. In codice B. legitur كيوجبوغا خان, in codice E. كوجبا عان خان; in codice F. كوجبا غان خان.

— l. 10. Loco vocis فاوسعوا in codicibus E. F. legitur فاسعوا.

— l. 15. Loco vocis الشهادة in codicibus E. F. legitur السعادة. Codices B. G. pro يسل habent يفوز.

— l. 23. In codicibus E. F. legitur استعدت للاحصار واستمدت للمناوسة والنفار.

— l. 24. Pro voce والبقع in codicibus E. F. legitur والبيقع; non male.

— l. 25. In codicibus E. F. loco ارغام legitur اعلام.

— l. 28. In codicibus C. F. inter voces ولانست et واستكانت inserta est vox وانصاعت, quae minus placet.

— l. 32. In codicibus E. F. elegantius legitur حكم سيمه الماضى قضى.

P. 249. l. 3. In codicibus E. F. ita legitur وخاطر بنفسه من الغراه كل نفيس، وبذل مهجته من الطغاه كل خسيس

— l. 4. Loco vocis عناه, quae est lectio codicum C. E. F; in codicibus B. G. legitur اشد; tum in codicibus E. F. legitur ومن المعشرين فى النمار.

— l. 5. Loco وشددوا in codicibus E. F. legitur وسدوا.

— — Loco تسف in codice F. legitur فشر; in codice F. فاثر.

— l. 17 In codicibus E. F. legitur روس الصخور.

— l. 18. In codicibus E. F. legitur كالاعصر الماصفة حوال.

— l. 22. In loco وغيظه غمظها نسعنها بروابر السيوف ما نسعت secutus sum lectionem codicum E. F; in caeteris lectio corrupta est.

P 250. l. 10. Codices F. G. habent وادمة بنبذ codex E. وادمة بنيان.

— l. 16. Loco vocis تعبير in codicibus E. F. legitur نعد.

P. 244. l. 26. Loco بأعكموه in codicibus E. F. legitur متحكموه.

P. 245. l. 4. In codicibus E. F. post vocem امتن verba اقول ولا في غيره a scriba quodam apposita sunt. Tum in codicibus C. G. desunt verba من الامـوال; in codice B. plura omissa sunt.

— l. 6. Loco واختوا in codicibus E. F. reperitur واحتوروا.

— l. 8. In codicibus E. F. legitur ببلا احصار.

— l. 19. Loco بمتزى in codicibus E. F. legitur بمتنى. Ibidem est نفس على ما.

— l. 25. In verbis يجب فرحها ويستحب lectionem codicum B. G. secutus sum; in codicibus E. F. legitur ويجب انتظير فرحها فيجب احتضارها وطرحها.

— l. 28. In codicibus E. F. legitur فكانوا اوفر عددا من الحصا.

— l. 30. In codicibus E. F. legitur فكان حصة كل فداك ودخل على عددهـم اكثر من الوابل

— l. 31. Loco انبارها in codicibus E. F. legitur تبارها.

P. 246. l. 6. In codicibus E. F. vox دبعو omissa est.

— l. 9. Quam secutus sum, lectio codicum B. G. est, in codice C. legitur بلولو صبار, in codicibus E. F. بلاني صبار.

— l. 19. In codice F. legitur والانام, in codicibus B. G. omissa est vox. Ibidem in codicibus E. F. loco يدرك legitur بالحفر.

— l. 24. In codice E. legitur loco بعاع vox بقاع, quae quum sit alteri بالحضيض opposita, mihi placet; at vero in caeteris omnibus legitur بعاع.

— l. 28. Loco vocis بما in codicibus E. F. legitur بما.

P. 247. l. 1. In codice E. pro voce والـدين legitur والمومنين, pro اجتهدا legitur اجتهدوا. In codice F. est واجتهدوا في اعلاك الايمان والمومنين.

— l. 4. Loco vocis الاسلام in codicibus E. F. legitur التوحيد. Loco vocis جيوشان in cod. B. G. legitur جوشان; in codice D. جيوشان, in codice F. جيوشان.

— l. 5. Vox اسفيرايين est lectio codicis C.; in codice D. G. est اسفرايين; in codice E. F. اسفرابن.

— l. 16. Loco vocis المفاخر in codicibus E. F. legitur الاعلاق.

— l. 19. In codicibus D. E. F. loco vocis للحـط legitur للحـط, quam lectionem praetulissem, si ut sensui ita homoioteleuto aptissima fuisset.

— l. 24. In codicibus E. F. omissa est vox عقود.

— l. 26. In codicibus E. F. loco vocis المناعة exstat المفازة.

P. 240. l. 29. Pro انهم codices B. G. habent الوهم; codices E. F. طيب رقاده.

P. 241. l. 4. Loco رضى البال in codicibus E. F. G. legitur رخى البال.

— l. 6. Codices E. F. habent فى يوم الخميس العشرين.

— l. 8. In codice E. loco جولة legitur حوزة, loco بالساهرة legitur الساهرة.

— l. 9. Loco vocis خالوه in codicibus B. G. legitur اخلاوه.

— l. 25. Codices E. F. habent موضع خراب, non male quidem, quum vox مكان praecesserit.

P. 242. l. 8. Pro اخنوا legitur in codicibus E. F. فاحتوروا; non male, ut videtur. Pro voce جند in codice E. legitur ججند, in codice B. et G. جندى

— l. 20. Loco verborum ثم ان in codicibus E. F. legitur ثم وصلت.

— l. 21. Loco vocis ساسان in codicibus B. C. legitur ساسار.

— l. 29. Loco vocis صادفتهم legitur in codicibus E. F. ادركتهم.

P. 243. l. 9. Loco وانضموا الى العلامة codices B. G. habent منهم.

— l. 10. In codicibus B. G. vox القادة omissa est; in codice E. legitur القادات in codice C. العاده. Ibidem loco ركن الدين codices E. F. habent نور الدين. Quid rectum sit dubium videtur.

— l. 13. Loco هيبه in codicibus E. F. legitur هيئة; non male, ut videtur.

— l. 14. Codices E. F. loco والمصر habent والمصير.

— l. 24. Loco المشركين in cod. E. F. legitur الفار, ut sint quatuor homoioteleuta

— l. 27. Loco اذ ادبهم in codicibus E. F. exstat واذا دبهم.

— l. 30. In codicibus B. G. diverso ordine ita disposita sunt الخلاص وتنادوا ولات حين مناص وخانهم المدد فى شدة الافتناص وطرحهم العسكر وهم

P. 244. l. 3. Loco هيئه in codicibus E. F. legitur كسره.

— l. 4. Loco ركن الدين in codicibus E. F. legitur عز الدين. Quid sit rectum statuere non possum. At fortasse duo erant nomina viri, id quod rarius accidisse videtur conf. p. 243. l. 10.

— l. 6. Loco بكت, quae est lectio codicum C. D. G.; in codicibus E. F. جرت; in codice B. in textu et in codice G. superscriptum كفت legitur.

— l. 8. Loco vocis محل in codicibus F. F. legitur وقت.

— l. 15. Praetuli lectionem codicis G.; Codex B. sic habet ثم طغى وبغى وتكبر وزجر وتجبر, codex C. ثم نعق وتكبر وبغى وتجبر; codicis E. lectio incerta est in prima voce وتكبر وبغى وتجبر . . . .

او حـاربوا او سـالبوا وضاربوا او خابطـوا codex G. ,او حاربوا او لاسبوا او لابسوا وخاطبوا.

P. 238. l. 14. Pro الثغر codex E. habet الشر.

— l. 15 Pro جدى codex E. habet يفيد.

— l. 16. Codex C. glossam hanc recepit post vocem الجبـوق خيوق بلدة عنـد خوارز مشاه.

— l. 24. Pro فلافيناه codices E. F. habent فملافيه.

— l. 30. Pro المراودة solus codex C. habet المداوره, quae est lectio non spernenda.

— — Codex E. pro المناكدة habet المناكرة. Ita vero statuendum videtur, ut, si admittatur lectio المداورة; legatur المناكرة.

P. 239. l. 12. Codex C. habet جزاء; codex D. جزاء; codices B. G. habent اجـزاء codex E. habet سوا; codex F. ضراء.

— l. 15. Post vocem بالنسـاغون addunt codices E. F. بعد كورخـان، سلطـان سلاطين تركستان.

— l. 20. Pro كذهاب quae est lectio codicum E. G., codex C. habet كذاهب, codices E. F. كدابر offerunt.

— l. 26. Codices E. F. habent من بعض مخالفيهم من التتار.

— l. 27. Pro وهم فى سكونهم وسكونهم, quae est lectio codicis G.; codex C. habet وفى امنهم وسكوتهم; codex B. وفى سكونهم وسكونهـم; codices E. F. haec verba non habent.

P. 240. l. 2. Pro واخذتهم codices E. F. habent وعصرتهم.

— l. 4. Codices E. F. habent من غير امهال caeteris omissis.

— l. 5. Pro وانـدعـفوا legitur in codicibus E. F. وانـدفـعوا; In codice G. omissa sunt verba واندعقوا كالريح العاصف.

— l. 7. Deest in codicibus E. F. vox المحرم; at vero omissa voce rhythmus imperfectus est; sequitur enim الميرم.

— l. 11. Pro وانتقلوا unus codex C. habet وانقلبوا.

— l. 22. Non admittenda est lectio codicis C. وصلـت اليه يـده, quippe quae rhythmo repugnet.

— l. 23. Post vocem الفناء addunt codices E. F. واوصله جاق الابتلاء.

— l. 25. Vocem هـاتيكه ex codicibus E. F. inserui, quippe quae, non quidem sensui necessaria, praecedenti تلكه المعركة convenire videatur.

P. 232. l. 11. Codices E. F. offerunt ومجوس وعباد الصليب والنافوس.

— l. 17. Codices E. F. habent ولا يدخل حله.

P. 233. l. 11. Pro حقية, quae est lectio codicum C. G., habent codices B. E. حصيفة; codex F. حصبة. Omnes hae lectiones ferri possunt.

— l. 16. Pro واجحاب codices E. F. habent واجحاب ما يتحفه الانسان من الهدايا ما يتبرع به الانسان من التحفات والهدايا.

— l. 19. Codices E. F. habent بجريدة مرتكب الاوزار. Pro اكيد habent codices E. F. اكبر.

— l. 29. Codices E. F. offerunt lectionem وقس على هذا الكثير من انواعا كثير.

P. 234. l. 13. Post vocem السلطانية addunt codices E. F. وسماها التورا الجنكرخانية.

— — Pro وزمكت codex B. habet وزينت.

— l. 18. In codicibus E. F. omissa sunt verba فاذا جلس usque ad وتدبير incl.

— l. 22. Codices E. F. habent فى المغل والجغطاى.

P. 235. l. 10. Pro غالب codices E. F. habent بعض.

— l. 18. Cod. D. solus habet فوتاق, codex C. توفاق. Caeteri E. F. G. habent قوناق

P. 236. l. 6. Pro ما لا يصلح habent codices E. F. راينا شيا لا يصلح.

— l. 25. Codices E. F. post vocem الصدور addunt verba ونسكن خواطر الجمهور.

P. 237. l. 3. Codex C. solus addit verba ومنهم كانت امه واخواته وحبياله ورجاله.

— l. 4. Post vocem معاقل additum legimus in codicibus E. F. ومنهم ايضا كانت امه واخواله.

— l. 4. Vox وبلدو omissa est in codicibus B. G.

— l. 5. Pro طارق codex E. habere videtur طارف; codices B. G. habent نوايب

— l. 9. Codex E. F. habet وابتهجت البشاير وزينت الولايات بانواع الدخاير ونصبت فى ممالك السلطان قلب الدين السرابر

— l. 14. Pro voce وستعلمون codex C. habet ستعلمون, codex G. ستعلم. Utrumque ferri potest.

— l. 20. Codex E habet قابرخان, codex F. ex correctione قابرجان.

— l. 25. Codices E. F. رسم به non male. Codices autem B. G. habent حسبما برز به المثل من السلطان الى.

P. 238. l. 6. In codicibus E. F. deest vox مديده.

— l. 8. Codices B. E. habent جندا.

— l. 9. Codex B. habet حاربوا او سالبوا ولا سلبوا او نهاربوا او خابطوا, codex E.

غالب بلاد الاسلام بالستبار والبوار. Lectio codicis F., quae cum hac consentire videtur, vitiosa est.

P. 228. l. 18. Pro من كل اوب etc codex E. habet من فج عميق كانهم فزع الحريق, codex F. من كل مكان كانهم فزع الحريق.

— l. 24. Vocem مغلوك omnes codices offerunt; at paulo mutato ordine.

— l. 25. Pro فى بلادهم codices E. F. habent وبلادهم.

— l. 27. Codices B. G. offerunt برقاع الاذناب الكرباسية; codex E. habet برداع الكرباسية Codex E. F. offert وبعامل المضاربين; tum pro البر est الفقار.

— l. 29. Post vocem البحار addunt codices E. F. verba والمضاربيين فى الارض من التجار.

P. 229. l. 3. Pro الشهود codices E. F. habent النشور.

— l. 7. Codex E. habet يجارى فى استعمال سماك السماك; codex F. يجارى فى الاستعمال مسماك السماك.

— l. 9. Pro عجربا codex B. habet اعجربا; codex G. ex correctione اعجزبا.

— l. 14. Pro مغرم codex F. habet معزم, lectio codicis G. dubia est.

— l. 21. Pro اليمر codices E. F. habent نوايب.

— l. 23. Codices C. G. habent عساكرهم.

P. 230. l. 2. Pro الاصلة codex E. habet الاصلية.

— l. 19. Codices E. F. habent من عسكره الاثبات، ذوى الثبات والابطال النقات.

— l. 21. Codices E. F. فكرهم فى قطعه فلذ.

P. 231. l. 4. Codex B. فى الطعن, codex G. للاخر, codex F. وقصد كل منهم الاخر بالطعن.

— l. 7. Codex F. offert lectionem وس كان شاهد القتل وامور الحرب وموافف الجلاد والجدال، من النساء et haec non est spernenda lectio. Cum hoc consentit codex E, nisi quod والجدال والملال habet.

— l. 10. Pro ولوحاضرا codices E. F. habent ولو انه; codices B. G. وحضر.

— l. 14. Codices E. F. habent وعدهم ومنافعهم.

— l. 17. In codice E. legitur ما يوجبه من.

— l. 26. Codices E. F. post vocem عشايره addunt verba وهربت اولاد الخان ولجات الى اطراف تركستان

— l. 30. Codices E. F. G. pro لا شى habent لاش.

P. 232. l. 6. Codex E. habet شرقا وولايات الجتا والترك Cum hoc consentit codex F; nisi quod legitur ولولايات.

P. 225. l. 8. Pro النصير habent codices A. C. النظير.

— l. 19. Pro العفو codex C. habet لحق.

— l. 25. Pro نعمه codices E. F. habent نفعه.

— l. 27. Pro خاضعا codices E. F. offerunt خايفا.

— l. 32. Verba ومن العروض والقوافي المقدار الوافي والمعيار الكافي codex A. in pagina sequenti l. 7. ante verba ومن علم محاسنه inserta habet; et eodem modo codices B. G.

P. 226. l. 21. Vocem في السوق codices E. F. omittunt.

— l. 24. Praetuli lectionem codicum E. F. quod rhythmo praestare videbatur. Caeteri codices habent والمستوثقون بحفظ عباده وبلاده وبالسوال مونقون Codex G. pro المسوثقون offert المكلفون.

— l. 21. Codex E. verba فهم المتحملون usque ad والذين لا يعلمون omisit. Codex F. iis non caret.

P. 227. l. 4. Codices E. F. habent ومالك عنان للخير.

— l. 5. In codicibus A. B. legitur سبب السلطان والملوك وقلم العلماء ارباب السلك فهما حدث من شو محاه سيف السلاطين ومهما وجد من خير انبته قلم العلماء والاساطين. Codex B. pro حدث habet حصل et الاساطين sine copula.

— l. 11. Post versus multa folia in codice A. omissa sunt ita tamen ut nil deesse videatur.

— l. 14. Verba وكيف كان قطعه ووصله in codicibus E. F. omissa sunt.

— l. 15. Pro المشرق in codicibus E. F. legitur المشرق.

— l. 17. Codex F. habet عند دخول, codex B. تركوا ادخلوا.

— l. 17. Pro قبل جنكرخان codices B. G. habent قبل خروج جنكزخان, codices E. F. قبل ظهور جنكرخان. Utrumque non spernendum.

— l. 26. Pro بين codices E. F. habent بعد.

P. 228. l. 1. Codices E. F. offerunt verba وما وجدوه من هوام القفار والمبنة والسوام لا et sic codex E. habere videtur.

— l. 2. Pro البرية codices E. F. habent الجاهلية.

— l. 10. Pro فنصيب codices E. F. habent فنصب.

— l. 12. Pro حين بلغ in codicibus E. F. legitur حتى نبع; codex B. حتى بلغ habet.

— l. 16. Pro بالنفساء etc. codex E. habet بالدمار واخلى الديار والديار وعم

P. 218. l. 7. Codex C. pro الوزر habet الرزء, quae eadem bona est lectio.

— l. 18. Pro صلواته codices B. C. G. habent صلاته, codex A. صلوته.

— l. 23. In codicibus D. E. F. prius versus hemistichium omissum est.

— l. 29. Versus ولو لم in omnibus codicibus praeter codicem C. deest.

P. 219. l. 10. Pro الحايمات codices E. F. habent الهايمات.

— l. 11. In hoc versu codices non consentiunt. Secutus sum codices C. D. E. Codex A. habet تغبص نفوسها طما وخشى, codex B. habet طلما; codex F. تغيط ex correctione; codex G. تغيط.

— l. 12. Pro وترمعه codices E. F. habent وترميه.

P. 220. l. 25. Codices E. F. habent قسمته المستقيمة.

P. 221. l. 9. Pro اناهب codices E. F. habent اناوه.

— l. 14. Post vocem السهيد codices E. F. addunt verba بسرد الله مضاجعه وشيد مرفعه.

— l. 16. Pro وما حمله على ذلك habent codices C. F. لما يحمله عليه. Pro وعامر codices E. F. habent وعلمك.

— l. 18. Pro علمكم codices E. F. habent منهم; codex E. autem additum habet فى الحقيقة.

— l. 20. Pro الغالى codices B. E. F. G. habent العالى.

— l. 21. Pro غصبه codex B. habet غصبته, codex C. غصبه; codex E. اغضبه; codex G. عصبة.

— l. 23. Pro verbis الاذكر ظلامتى اولا, codices E. F. habent الاذكر حاجتى امر لا, codices A. B. G الاذكر حاجتى اولا; tum habet codex A. ام اضرب قبل ذكرهما et ita B. excepto او pro امر; codices E. F. pro sequente حاجتى habent ظلامتى. Codex G. habet امر اضرب قبل ذلك مثلا.

P. 222. l. 11. Post vocem بيان codices E. F. addunt ولا الى دليل وبرهان.

P. 223. l. 18. Codices E. F. habent عن كليمه موسى.

P. 224. l. 8. In vocibus رجسا وركسا secutus sum auctoritatem codicum E. F., quum voces hae sono simillimae essent. Codices caeteri habent رجسا ونسكا

— l. 15. Pro وابتغ codex F. habet واتبع.

— l. 28. Verba incipientia usque ad على رفقته in codicibus C. E. omissa sunt.

P. 225. l. 1. Pro لا تتعد codices A. E. F. habent لا تتعدد.

P. 213. l. 5. In codicibus A. B. G. sic legitur وجنابك المنيف ، مفرا كريما، وجنـــابا عظيما، ومجلسا.

— l. 13. Verba بنفس مطمئنة in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 21. In codice A. legitur في الخدمة وثبوت القدم.

— l. 22. Loco vocis والتوادر in codicibus E. F. legitur والطرايف.

— l. 25. Verba عليه وعليهم افضل التحية والسلام in codicibus A. G. non sunt; in codice B. pro his et sequentibus ita legitur تمر الحرو التاسع وبناسو الجرو العاشر وكان فراغه في عاشر شهر رجب الفرد من شهور سنة ١٣

P. 214. Capiti decimo in codicibus E. F. haec inscripta leguntur verba في معاملة الاعداء والاصحاب، وسياسة الرعايا والاحباب، ونكت واخباره ونوادر اخبار والامراء

— l. 2. Loco vocis نعاب in codicibus E. F. legitur مغلب.

— l. 10. In codicibus E. F. legitur وصديق صافي، وكعبل كافي، وناصح وصديق.

P. 215. l. 11. In codicibus E. F. loco vocis الموايد legitur الصوايد. In codicibus A. B. G. verba تكون usque ad موايد incl. omissa sunt.

— l. 20. In codice A. pro voce بالاستباق legitur بالاشتياق, in codice B. بالسباق, in codice G. بالاسباق.

— l. 29. Loco vocis الانفصل in codicibus E. F. الارتحال legitur.

— l. 31. Pro verbis منه لا in codicibus E. F. لوقته legitur.

P. 216. l. 8. Loco vocis واشهى in codicibus B. G. واحسب, in codice A. واحســن legitur.

— l. 10. In codice E. sine dubio ob scribae negligentiam verba ولقد usque ad verba قد l. 16 omissa sunt.

— l. 16. In codicibus A. B. G. legitur في بعض سيرانه.

P. 217. l. 1. Pro وتنال به in codice E. طاب به legitur male.

— l. 18. Pro ومن تبعهم في الاقتدا والسلوك codices E. F. habent ومن اقتدى بهم في السلـوك.

— l. 30. In verbis وتحمل et sequentibus non consentiunt codices. Codex A. habet ويجعـل C. وحمـل الحرام هوى ان يخلص B. وفي محل الحرام هوى ان يخلص الحرام هوى ان يتخلص. Codex D. incertam habet vocem تحمل; Codices E. F. habent lectionem textus typis expressi; Codex G. habet ويحمله الحرام هـوى ان يخلص.

P. 218. l. 3. Pro اذا codices E. F. habent فكان; non male.

P. 210 l. 10. In codicibus A. B. D. G. pro voce لـذى legitur لـدا seu لـدى et haec non est spernenda lectio.

— l. 14. In codicibus A. B. G. legitur لسان الحال.

— l. 30. In codicibus pluribus اشرق legitur, id quod praeferendum habeo.

— l. 32. Loco vocis الاسحـار in codicibus A. B. G legitur الادوار, verba autem مسبحات الواحد القهار omissa sunt.

P. 211. l. 1. In codicibus A. C. G. loco verborum وضـروب ضروب الـموسيقاه legitur ويبرزان الموسيقار. In codice B. plura omissa sunt. Voces autem ومطـربات رنات الاوطـار ex codicibus E. F. inserui. At pro voce الاوطـار in codice F. الاوتار legitur, pro verbis نغمات الاوتار in utroque codice نغمـات الادوار. Quae autem sit vera auctoris lectio in mutato a scribis textu valde dubium videtur et me insertorum verborum pigere coepit.

— l. 10. Loco verborum الـدهـشـة والـهـيـبـة in codicibus A. B. G. legitur دهشته.

— l. 12. In codicibus E. F. loco verborum من لكنة الخطاب legitur من عـقـدة الخيط فى الخطاب.

— l. 15. In codicibus A. F. pro voce فابتدر legitur فابتدا.

— l. 18. In codicibus A. B. G. legitur وبمقامك من مقالك.

— l. 19. Pro voce عقيلة in codicibus E. F. عقلية legitur.

— l. 30. Loco vocis العوادى in codicibus A. B. G. الغوادى legitur.

P. 212. l. 5. In codicibus A. B. E. legitur والـولـد الرقيـق, in codice C. والـوالـد الرقيـق, in codice F. والـولـد الرقيق الرقيـق, in codice G. والـوالـد الـرقـيـق.

— l. 7. Loco vocis نزلنا codex A. habet حللنا. In codicibus A. B. D. E. F. G. legitur اولاد كرام.

— l. 22. In codicibus A. B. C. loco vocis الربا legitur البرا. Loco vocis الطبا in codicibus A. B. F. G. legitur الظبا.

— l. 27. In codicibus E. F. الصر الايوبى et لخزن اليعقوبى legitur.

P. 213. l. 1. In codice A. legitur وفى ظلال امرك ظليلنا, in codicibus B. G. وفى ظلال امنك ظليلنا.

— l. 4. In codicibus A. B. D. E. F. G. legitur فى ذروة حـصينة, et haec non est reiicienda lectio.

P. 205. l. 27. Loco vocis محاجره cum plurimis codicibus مجاره legendum est.

— l. 28. Loco verborum واقرب usque ad مذنبهم in codicibus A. B. G. legitur من الملوك والعسف واقرب رقتهم من الحرم والعدد فريهم

— l. 30. Loco vocis واحب legitur واحب.

P. 206. l. 5. A voce وبعدك usque ad voces ولى نظرهم linea sexta in pagina 208 in codice A. omnia desunt. Pro voce اطلعا in codicibus B. G. اراح legitur.

— l. 6. Verba الحاضر من الاعوج الاسل in codicibus E. F. non sunt.

— l. 7. Vox وحرمه in codicibus B. G. non legitur.

— l. 10. In codicibus B. G. haec verba leguntur المارقة للخارجه و رجوم النجوم.

— l. 29. In codicibus B. G. legitur اقدامى وطرقه الى اقاصى الدنيا.

— l. 30. Loco verborum الغير مصحيا legitur in codicibus B. G. وفاختم.

P. 207. l. 4. Loco vocis فاخمط in codicibus E. F. legitur فاخرط.

P. 208. l. 10. Loco vocis حل in codicibus A. B. G. legitur مآل.

— l. 15. Pro voce الحاق in codicibus A. B. E. F. G. legitur الواق, et haec probanda videtur lectio.

— l. 28. In codicibus B. G. legitur السقيم الشاحدى, in codicibus E. F. العصم النجدى, in codice A. السديم النجدى.

— l. 30. Loco vocis شعشه legitur صدعه in codicibus E. F.

— l. 31. Pro voce المقاهر in codicibus A. B. G. المرامر est.

P. 209. l. 6. In codicibus A. B. G. loco vocis فله legitur سفحه.

— l. 22. Post vocem الاسعار in codicibus E. F. haec addita leguntur verba ونسبهم صاحب الملك الحميرى وهو الله الواحد القهار.

— l. 25. Pro voce طموح in codice E. legitur جموح, codex F. cum textu consentit.

— l. 27. Loco vocis جناح in codicibus E. F. من جناح legitur.

— l. 28. Pro voce ومرل codices E. F. ومثف habent.

P. 210. l. 1. Loco verborum بالهزل لا in codicibus A. B. G. legitur والهزل.

— l. 3. In codicibus A. B. G. loco vocis ضبط legitur ذكر.

— l. 4. In codicibus A. B. G. pro voce نقط legitur فسر.

— l. 5. Verba الراطن بالحركى neque in codice G., nec in codicibus E. F. leguntur.

— l. 9. In codicibus E. F. pro verbis دست الطير legitur صدر الدست.

P. 201. l. 18. In codice C. sic legitur ولا يجرى فى الحصور والد عن ولد, in codicibus E. F. ولا يجرى فى العمة والد عن ولد.

P. 202. l. 4. In codicibus A. B. G. legitur واشتغلت بالشكر لموارد العطا.

— l. 7. In codicibus E. F. sic legitur والخرندار بالنسبة الى الخارس cacteris omissis. In codice A. est والخرينه دار.

— l. 10. Loco vocis السوق in codicibus A. B. G. legitur العامى.

— l. 11. Pro voce جلاب in codicibus A. B. G. est ظلاب.

— l. 14. In codicibus A. B. G. حلنه المكروب بالنسبة legitur.

— l. 16. In codicibus A. B. G. haec verba sunt وكذلك المقطوع احوال المصلوب على الجذوع.

— l. 18. In codicibus A. B. G. sic legitur الى حال السعيدان وعلى هذا فيل شعر.

— l. 22. In codice A. verba ليعلم ان مصائب قوم عند قوم فوائد omissa sunt.

— l. 23. In codicibus A. G. additus legitur hic versus ولذلك قيل

قسمت بداه عفوه وعقابه فسمان ذا وبلا وذاك وبلا

In singulis autem eius verbis magna est in codicibus diversitas.

— l. 26. Pro voco لدى in codicibus C. E. F. G. legitur لذى et sic legendum videtur. Loco verborum كل نقمة, in codice C. et fortassis in codice G. كل نعمة, et haec non est omnino spernenda lectio.

P. 203. l. 16. Verba مفصحا معلنا مستعينا بضمنا شعر in codicibus A. B. G. non sunt

— l. 24. Loco vocis بجم in codicibus A. B. G. legitur تجنب.

— l. 29. In codicibus E. F. pro voce بالبهجة legitur بالبهجة والابتهاج.

P. 204. l. 1. In codicibus A. G. legitur سهم كل صايد, in codice B. كل سهم صايد.

— l. 8. In codicibus A. B. G. legitur من مفارقة الوطن cacteris omissis.

— l. 11. In codicibus A. B. C. G. non sunt verba وسلمت الدار بانهما et fortasse, non recte feci, quod ea ex codicibus E. F. inscrui.

— l. 30. Loco vocis ماملك in codicibus E. F. legitur ماملنا.

P. 205. l. 2. Loco vocis الامن legitur الامانى in codicibus E. F.

— l. 12. In codicibus A. B. G. legitur خال عن الدور والتزويج.

— l. 26. Pro هذا, quod typographi errore pro هاذا scriptum est, in codice B. كيف legitur.

P. 199. l. 26. Pro وراءنا in codicibus E. F. في ثانيها legitur.

— l. 31. Loco vocis علمت in codicibus A. B. G. legitur فهمت, tum legitur in codicibus E. F. من مصر وطلبه.

P. 200. l. 1. Pro voce حسنى in codicibus A. B. D. E. F. G. legitur وحاشى, quae bona est lectio.

— l. 11. Loco vocis حمام in codice E. legitur جنان.

— l. 12. In codice A. haec sunt verba وحاشاه ان يصير مصون همته بابتذال دناءه بمقصد سفاء اخلاق رجاءه, in codice B. فحاشاه ان يصم مصون همته بابتذال دناءه او بشوه جمال وقاره لمن يعرف له بمقصد حمساء اخلاق رجاءه; Codex D. consentit cum textu typis expresso nisi quod بابتذال habet et sic codex F. excepta voce يصير. Codex G. habet بابتذال, يصم et يعفو. De recto legendi modo dubius haereo.

— l. 15. Loco verborum لسعودى معارجها, in codicibus A. B. legitur لصعود معارجها, in codice C. ut videtur vitio scriptoris لسعودى معارجها, in codicibus E. F. لصعودى ومعارجها, in codice G. الصعودى معارجها et hoc est vitium.

— l. 16. In codicibus A. B. G. legitur عن المجاورة.

— l. 20. In codicibus E. F. sic scriptum كما قيل في اسميل.

— l. 20. In codice A. legitur عن وصمه للخنا, in codice B. عن وضحه للخنا, in codice G. عن وسمه للخنا. In codicibus E. F. loco vocis تقع legitur تعع لئلا.

P. 201. l. 1. In codicibus A. B. G. post vocem المنسب haec addita sunt verba فان حضرته عظيمة وسدته جسيمة تمره عن الكذب والتمتمة والافول الذميمة.

— l. 2. In codicibus A. B. G. loco vocis واعظمه legitur والغربة.

— l. 3. Pro voce اذمك in codicibus A. B. G. est استعملك.

— l. 4. A. voce واعلم usque ad والافعل الذميمة in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 9. In codice A. legitur من تلك القواعد et sic habere videtur codex G.; in codice B. est مرينة القواعد. Caeteri omnes consentire videntur cum textu typis expresso.

— l. 11. In codicibus A. B. G. sic legitur النعمة الراجح والعفة والعقل cacteris omissis.

— l. 16. Voces ومقبول وطريف ex codicibus E. F. inserui. In caeteris non sunt; dubitandum igitur videtur, num recte fecerim.

P. 196. l. 5. Pro verbis والى ربط فكه اقبلت in codicibus A. B. G. legitur وقصدت ربط فكه فاقبلت.

— l. 10. 11. Hae lineae in codice A. desunt.

— l. 18. In codicibus A. B. G. legitur وفى المصيف والشتا واطعم cæteris omissis. Post vocem الخفيف in codicibus E. F. inserta leguntur verba المجيف المثيف.

— l. 20. Loco vocis الموحشات in codicibus A. B. G. legitur الوحشات.

P. 197. l. 1. Verba واذا ذكـــاتيف الرش غرفت مصر واذى اهلها العطش in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 3. Verba والاقوات والثمار in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 4. In codicibus A. B. G. sic legitur ثمر انـــه يعمى النواظر، ويفترس نحـــت الجواهر ويعطى الحلو والمر.

— l. 5. In codicibus A. B. G. haec sunt verba والحسن، وهو المهاد والفراش، وعليه تقام اسباب المعاش،.

— l. 6. In codicibus E. F. legitur اصل غالب الكائنات.

— l. 7. In codicibus A. B. G. legitur وسنبع غالب المخلوقات.

— l. 14. Pro voce تعولنا in codicibus A. B. C. G. legitur تعويلنا, quæ lectio non minus bona videtur.

— l. 16. Post vocem الاعساف in codicibus E. F. addita leguntur verba ويعمل موجب ما قبل.

— l. 17. Versus hemistichium sequitur alterum in cod. E. F. وانت تكل المكرمات امام.

P. 198. l. 1. Loco vocis راى in codicibus A. G. legitur شاهد.

— l. 8. Loco vocis بلاد in codicibus E. F. legitur دار.

— l. 11. Loco vocis جوارحه in codicibus A. B. C. G. legitur جواره.

— l. 13. Pro voce غضبه in codicibus E. F. سخطه est.

— l. 18. Verba فى هذا المقال in codicibus A. B. C. G. desunt. Versus autem in iisdem codicibus in versus modum scriptus non est.

— l. 27. In codicibus A. B. pro voce يفيدنى legitur يفدنى, in codicibus E. F. يقتدى.

— l. 31. Pro voce وتعب in codicibus A. B. G. legitur تعض.

— l. 32. In codice E. sic legitur بالكريم الخير، وما ايها الجار الحليم السبر.

P. 199. l. 21. In codice E. pro voce تعلها legitur تفاها.

— l. 25. Loco vocis خفت in codicibus E. F. خلت legitur.

P. 191. l. 26. Loco vocis اوجب in codice B. legitur اجمع et sic in codicis G. margine correctum legitur.

— l. 31. In codicibus A. B. F. G. loco vocis والحيران legitur والحيران, quae non spernenda videtur lectio.

P. 192. l. 4. In codicibus A. B. F. G. loco vocis العواقب legitur الحوادث; et haec lectio non minus bona est.

— l. 13. Pro voce رجليه legitur in codicibus A B. F. G. يديه, in codice E. قدميه.

— l. 15. In codicibus A. B. G. sic legitur كثير الوقوع والزلل، دايم العثار والخطل quae non spernenda est lectio.

— l. 18. Loco vocis تخرق in codicibus E. F. legitur تشوك.

— l. 23. Pro verbis ولا الى وهذه الا وقد راب in codicibus E. F. legitur ولا الى اكمه الا وقد عرفت.

P. 193. l. 8. Post hunc versum in codicibus E. F. leguntur duo alii versus

واذا اراد خلاصه من هلكه اجرى له من دمعها انهارا

فترى العقول تحاصرت عن نوله وترى له فى شوقها اوطارا

— l. 26. Loco vocis المعقها in codicibus A. B. لعقها, in codicibus E. F. المعها legitur.

P. 194. l. 12. In codicibus A. B. G. legitur الى العقد والاوطار.

— l. 14. In codicibus E. F. sic legitur alterum huius versus hemistichium

اماني من ورثتي من نعوم.

P. 195. l 3. Loco vocis بعض legitur بمعان in codicibus A. B. G.

— l. 4. Pro voce ماوى in codicibus A. B. G. est وكرا.

— l. 6. In codicibus A. B. G. loco verborum ورحل عنه legitur وتركه.

— l. 8. Pro voce ومسره in codicibus A. B. C. G. ومسره legitur; et haec admitti potest lectio.

— l. 10. In codicibus A. B. G. sic legitur ولا حركة على اختلافه السمكة.

— l. 22. Loco verborum الذنوب والمطالم legitur in codicibus A. B. G. الاجرام.

— l. 29. Loco verborum ووعت ما فيها من حركة بديعة in codicibus A. B. G. وشاهدت عذه الحركة البديعة legitur.

P. 196. l. 3. Loco vocis الانس legitur in codicibus A. B. G. الخلق.

P. 186. l. 21. Verba فقدني في مثل ما بك يا حمامة versus rhythmum habent; sed in pluribus codicibus in versus modum scripta non sunt.

P. 187. l. 1. Pro voce اخدان in codicibus E. F. legitur الاحدان; sed magis placet caeterorum codicum lectio ob homoioteleuton contra grammaticae regulas peccans.

— l. 7. In codicibus A. B. C. G. sic legitur فما اسعرت به الدار حتى قرع الباب et haec ferri possunt.

— l. 12. In codicibus omnibus praeter unum C. loco vocis الزجاج legitur الدجاج et sic fortasse legendum est.

— l. 24. In codicibus A. B G. legitur ونشور مراحه والتحرف.

P. 188. l. 5. In codice A. legitur نبدها بالدعاء والندا; in codicibus B. G. يدها بالدعاء.

— l. 6. In codicibus A. B. G. legitur امنك عبدا من عباد رحمتك.

— l. 16. In codicibus A. B. G. legitur يده ولكمه et hoc ferri potest, ut وسمه enuncietur.

— l. 25. Loco verborum فامدني etc. in codicibus A. B. G. legitur فارسل اليه ملك النعمان.

P. 189. l. 8. In codicibus E. F. post vocem فعا additum legitur وصفع قفاها.

— l. 11. Ex cod. A. B. F. G. post vocem عال addenda sunt verba غزير المنافع.

— l. 24. Loco vocis السوانح in codicibus E. F. legitur السواكن.

— l. 31. In codicibus A. B. G. legitur واما وقايع الانكاد من جهة الاولاد.

P. 190. l. 2. Loco verborum عن الجانب legitur عن الجانب in codicibus E. F.; loco vocis ونزحنا ibidem est وترحلنا.

— l. 7. Loco verborum بنعهده بنعيد in codicibus A. B. G. legitur بشتغل بحفظه.

— l. 24. In codice A. haec leguntur verba على هذا راس العباد الصادق في الميعاد على لسان اشرف العباد; in B. G. eodem modo, nisi quod رب العباد habent.

— l. 30. In codicibus A. B. G. legitur حقاقو الرغبوت, quae lectio non reiicienda videtur; praecesserat enim دقيق. Auctor vero earundem vocum repetitionem evitare solet. Caeteri vero codices omnes textus impressi verba habent.

P. 191. l. 9. Loco vocis جامح in codicibus A. B. G. legitur طامح.

— l. 13. Loco vocis موارد in codicibus E. F. legitur مسعد.

— l. 16. Pro voce مسطورة in cod. A. C. legitur مسطورة, et sic videtur legendum.

P. 181. l. 32. Loco vocis فقصدت, quæ est lectio codicum C. E. F., in codicibus A B G. فقصدت legitur, id quod vehementer probo.

P. 182. l. 8. In codicibus E. F. haec leguntur وتلاقه فلذه تبده.

— l. 10. Loco vocis لحب in codicibus E. F. legitur لتحبيت.

— l. 25. Loco verborum والترحمي والاكرام legitur in codicibus A. B. G. والاكرام والاحترام.

— l. 30. In codicibus E. F. legitur وتلاق من تحمل الي هذه الرفعة.

P. 183. l. 5. In codicibus E. F. legitur كحالك نصبت حالي, in codicibus A. B. G. لكنت تمدح حالك. Ibidem A. B. C. G. الشوك من العسف habent.

— l. 22. Verba واحضار الجمل البري والذب السعبي in codicibus A. B. E. F. G. desunt. Post vocem والوزير in codicibus E. F. insertum legitur واحضر الجمل البري والذب السعبي.

P. 184. l. 2. In codicibus A. B. G. omissa sunt verba الغائلة والعظائم الموذية.

— l. 5. In codicibus A. B. G. legitur المخالفة والشقاق, tum ما تمضيه السرع.

— l. 8. In codicibus A B. G. haec sunt verba وشهد برشدها وصلاحها النساء من الناظرون.

— l. 12. In codicibus A. B. G. legitur فرار وزير, وهم وزجر.

— l. 20. Post vocem والشكر in codicibus A. B. G. addita haec leguntur وزادت قدمه وعلت مرتبته.

P. 185. l. 7. Verba وقدمه usque ad وجوده incl. in codicibus E. F. desunt.

— l. 10. Post vocem الجلال in codice E. additum legitur والتفضل والاكرام.

— l. 18. Loco vocis وصفات in codice A. مضادات, in codice B. وصفات, C. مضادات legitur.

— l. 22. In codicibus E. F. loco vocis مهودها legitur مهدوها.

P. 186. l. 4. In codice A. a versu وليس etc. usque ad verba كما قيل شعر in linea nona incl. omnia omissa sunt.

— l. 8. In codice E. a verbis الا من usque ad verba هذه للحي in linea decima quarta omnia omissa videntur.

— l. 17. Verba وذاك لان المرء يحمى بلا بد ورجل لا تلفاه يحبى بلا صيد in versus modum scripta sunt in codicibus A. G. In codicibus E. F. haec desunt. In codice E. horum loco legitur وايضا المرء بلا ساق بلا عضد ولا رجل بلا قلب ولا نكد; in codice F. hic versus incipit verbis وامرء يحبى بلا; finitur verbis ولا كبد; non autem in versus modum scriptus est.

— l. 20. Deest in codicibus E. F.

الوعسر والاختباط, quae non spernenda est lectio. Codicis C. lectio incerta videtur.

P. 176. l. 5. Loco vocis وتخبرني in codicibus E. F. legitur وتعرفني.

— l. 9. Pro voce كمن in codicibus E. F. legitur واحمقي.

— l. 23. In codicibus A. B. G. legitur روس حماعته.

P. 177. l. 6. Loco vocis تطيب in codicibus B. E. F. G. legitur تطيب.

P. 178. l. 1. In codicibus E. F. legitur بسلامر وامان; ibidem خطامر ولا عران.

— l. 26. In codicibus A. G. sic legitur لما فهمت بالخبر وامر العبر, in codice B. vitiosa est lectio لما فهمت الكبر دامر العبر. Loco vocis صادمت in codicibus A. B. G. legitur عاندت.

P. 179. l. 7. In codicibus A. B. G. legitur لما دخلت الدار.

— l. 26. In codicibus A. B. G. legitur الزوالي وبتركني اقسي القلق والارق واعاني فاخذ الرجل.

— l. 27. Loco vocis للحاضرين in codicibus A. B. G. est للجماعة والجيران.

— l. 28—29. In codicibus A. B. G. haec sunt verba واختصما وبين الرجل صدقه وعفنه بسهاده الصلحاء والعلماء وظهر الله للخلف وسهد جماعة على المراة بالرسوم.

— l. 30—31. In codicibus A. B. G. sic legitur غيانة الذب وامانة الجمل نيعلمر والرجل اذا غلب عن (A. على) فعل

P. 180. l. 1. In codicibus A. B. G. verba a وفي قضايا incipientia usque ad الكتاب incl. omissa sunt.

— l. 9. In codice A. pro voce الجمرة legitur ججرة, in codice B. جمرة والتمر, in codice G. جمرة والتمر, in codicibus E. F. دمرة والحمر.

— l. 11. Loco vocis ابراء in codicibus A. B. E. F. G. legitur براة.

— l. 15. In codice E. legitur وابن عرس والجرد, in codice F. وابن ابن عرس والحرد.

— l. 27. Ex codicibus A. B. C. E. F. G. inserenda sunt post السلاطين verba وملوك الاساطين, quae vitio omissa sunt.

P. 181. l. 8. Loco verborum كان توهمه in codicibus A. B. G. legitur هي عليه.

— l. 16. In codicibus A. B. G. legitur واستعمل فيه احد عباره, in codicibus E. F. واستعمل من حسامر رابه احد عباره.

— l. 17. In codicibus A. B. G. loco vocis اهمد legitur سكن.

— l. 20. In codicibus A. B. G. legitur في المامل والتاخير.

codicum C. D., nisi fallor, in legendi modo recepi. Neque vero haec probanda videtur. Omissa autem voce مد. in vocibus مانك et لـك homoioteleuton percipitur.

P. 174. l. 7. In codicibus A. B. E. F. G. legitur فلقد ضاقت فى السبل ، ودعطعت دى لحمل, quae lectio praeferenda videtur, si verborum cum nominibus coniungendorum rationem habemus. Sic enim aptior videtur coniunctio, quamvis et altera excusationis locum habet.

— l. 10. In codicibus E. F. haec sunt verba وانما صمم العربة يعنى العرم.

— l. 14. In codicibus E. F. legitur صمر وصمو وحصمط.

— l. 15. Loco vocis ضيف in codice A. حصلطيم, in codicibus E. F. منطبق. Ibidem post vocem بروبقة in codicibus A. B. G. ad hunc sunt verba قد يده.

— l. 16. In codicibus A. B. G. loco vocis فماوت legitur فا وسعه الا انه تماوت.

— l. 17. Loco vocis وحرس in codicibus E. F. legitur وطسف.

— l. 18. Pro voce الارم in codicibus E. F. legitur ونصرم. In codicibus A. B. G. post vocem مصمصة additum legitur مطـوسـه, in codicibus E. F. محررة مطوية.

— l. 21. Voces واى غصة in codicibus A. B. C. G. desunt, et quamvis haud inepte addita sunt, tamen non est quod abesse non possint.

— l. 25. In codice A. legitur مراعصا ولا شعا, in codicibus C. E. F. G. ولا مدنعا et sic corrigendus est textus.

P. 175. l. 7. In codicibus A. B. C. G. omissa est vox دنوانمن et me ex codicibus E. F. insertae vocis piget.

— l. 12. In codicibus A. B. E. F. G. haec sunt verba ولا تستعجـل تلقاء ولا تجلع للخوض للخذاء فمل الوصول الى الماء ولا تبتمر.

— l. 14. In codicibus E. F legitur الراى العاصم.

— l. 16. Loco vocis والنهيت in codicibus A. B. E. F. G. legitur وتشبثت.

— l. 21. In codicibus A. B. D. F. post voces ما اسمنعت idem repetitur, id quod recipiendum videtur, praecessit enim simili modo coniunctum وصنعت ما صنعت.

— l. 31. Post vocem للحل in codicibus E. F. addita leguntur وتوحل من الهم فى اوحل, loco vocis الاوحال habet الاحوال.

— l. 32. Loco verborum الهـم والاحـمـبـاط in codicibus A. B. G. legitur

P. 171. l. 18. In codice C. sic legitur فشم زوجها من فعلها رجحة وخاف ان يودى الى العصيحة; et haec non minus bona est lectio.

— l. 20. In codicibus E. F. haec leguntur فقالت فارصدى بابك، واحفظى جنابك، ومثلى حفيظة، ومثلى من يكن رئيسة. In codicibus A. B. G. verba واسدلى جلبابك omissa sunt, pro الشر legitur السوء.

— l. 22. Loco vocis كالمتوجه in codicibus A. B. E. F. G. legitur احسن من تجهيز الحجاج.

— l. 27. Pro verbo ولكن in codice C. legitur ومن هوله.

P. 172. l. 2. Loco vocis ووعده in codicibus A. E. F. G. ووعد et haec non spernenda est lectio.

— l. 8. 9. In codicibus E. F. legitur الطريد البعيد عن الحبايب.

— l. 12. In codicibus A. B. E. F. G. legitur عن مسك تعبيره للحمام

— l. 15. In codice E. solo videtur legi ووقوعه فى شبكه pro verbis وبريدون ملكه; sed illud reiiciendum est.

— l. 18. In codice C. post vocem اعتبار, additum legitur ورفعة المقدار; tum in codicibus A. B. E. F. G. sic legitur فاخذ الذهب، والى اهله مسرورا انقلب، Utraque bona est lectio.

— l. 20. Post vocem فحلصا inserenda sunt verba وقصد مراداها, quae tum sensus tum homoioteleuti causa necessaria sunt.

— l. 28. In codicibus A. B. E. F. G. haec sunt verba احسانا وانه لا يخون ولا يمين، فيما يقع عليه العهد واليمين، فقالت اريد جميع etc. caeteris omissis.

— l. 31. In codicibus A. B. E. F. G. scriptum legitur وتعبير هذا المنام، والله الخبير العلام، انه فى.

— l. 32. In codicibus A. B. E. F. G. omissa sunt verba وحبوة هنية.

P. 173. l. 4. In codicibus A. B. E. F. G. verba وحبوة هنية omissa sunt.

— l. 8. In codicibus A. B. E. F. G. legitur فاناها وقد كواه لحبيا كيدا.

— l. 21. In codicibus E. F. legitur والجامع والمواهب السنية،

— l. 26. Pro voce والخلف, quae in codice A. omissa est, in codicibus E. F. legitur والخبث.

— l. 29. Pro simplici تصرف in codicibus A. E. F. G. legitur تصرف فيه, in codice B. تصرف به. Neque unum nec alterum homoioteleuto aptum videtur, quippe una eadem voce فيه idem constitui non possit. Lectionem

خور ولا سماك اكلة ولا, tum sequitur spatium vacuum. In codice C. autem verba لم يجعل منا usque ad ولا انكسر incl. omissa sunt.

P. 165. l. 27. Loco vocis راجل in codicibus E. F. واجل legitur.

P. 167. l. 14. Pro voce خبيثهم, quae est lectio codicum E. F, in caeteris aut فتخمتهم, aut فتخمتهم legitur.

— l. 20. Pro voce العراقص codex C. العرابص, codex E. العراقص habere videtur.

— l. 22. In codicibus E. F. sic legitur واصطدموا ، وبنار للحرب اصطاوا واصطدموا (E. واصطاموا).

— l. 24. Pro voce انحطم in codicibus E. F. legitur ارتطم.

P. 168. l. 2. In codicibus E. F. sic legitur والقيل، وتبقى ذلك الحرب الويل،.

— l. 4. In codicibus A. B. E. F. G. est ذلك عنهم (B. واسمهار) والجوار، والنهار.

— l. 5. In codicibus A. B. في الولات; in codicibus E. F. G. legitur وكف عن الذلة; et Linea 6. legitur وعف كف المعدى at vero codicis C. lectio, quam recepi elegantior videtur ob lusum verborum وعدى عن المعدى.

— l. 8. In codicibus A. B. E. F. G. haec sunt verba سلطان الازمان، والاماكن

P. 169. l. 7. In codicibus A. B. E. F. G. sic legitur وبده عن الصاحب والرفيق، فبادر

— l. 12. In codicibus A. B. E. F. G. legitur وهو في نسط واسراح.

— l. 13. In codicibus A. B. E. F. G. haec sunt verba من صباحه، وتغير عن السراحه (vel من).

— l. 22. Loco vocis دارة legitur in codicibus A. B. E. F. G. مدرة.

— l. 25. In codicibus A. B. E. F. G. legitur هذا امر مشهور معلوم.

— l. 32. Verba huius lineae in codicibus E. F. non sunt.

P. 170. l. 10 In codice C. sic legitur واحموشه نواخس الغلس et haec est bona lectio.

— l. 14. In codicibus E. F. haec sunt verba وكيف لست اذا قدر لانك ساذج لا تعرف. Verba autem وانت ساذج ساكن، سليم الفكر والباطن in codicibus A. B. E. F. G. non sunt.

— l. 27. Pro voce يديره in codicibus A. B. E. F. G. legitur يمينه.

P. 171. l. 3. Verba وتفكر احوال غدك في امسك in codicibus E. F. omissa sunt.

— l. 9. Pro verba لان in codicibus A. B. G. وانما, in codicibus E. F. لا سيما legitur. Verba بل سايرها الحيوان usque ad والانسان in codicibus A. B. E. F. G. non sunt.

P. 162. l. 24. Loco vocis ترمس in codicibus E. F. legitur ترمس.

— l. 25. Loco vocis مبدأ in codicibus E. F. legitur معجم.

P. 163. l. 4. Loco vocis فمعظم in codicibus E. F. legitur وبسع.

— l. 5. Pro voce حارها in codicibus E. F. legitur امواجها.

— l. 8. In codicibus E. F. legitur فمثل عظيم جهول, in codice A. فيل ظلوم بهلول.

— l. 10. In codicibus E. F. legitur صدمات الشجعان.

— l. 17. In codice C. sic legitur بعبارتنا الحرنة الصحيحة واقوالنا البليغة الفصيحة. Cum textu impresso consentiunt codices A. B. G. In codice E. legitur وقد بالغنا في الفصيحة, in codice F. وقد بالغنا في الفصيحة فوصل الفصيحة; in margine post hanc vocem scriptum est واباك والصيحة.

— l. 26. In codice C. legitur فسعدهم حلاوة وحسرة مرحسوه. In codicibus A. B. G sic legitur وقد قالت الحكماء الاحبار اربعة اسماء لا يستحقرها ذوو الاعتبار ولا يستخفها اولوا الابصار السقم والنوم والعدو والنار. In codicibus E. F. haec sunt فقد قالت الحكماء الاخبار والعلماء ذووا الاعتبار والعقلاء اولوا التجارب والاستبصار لا تمطر بعين الاحتقار السقم والنوم والدين والعدو والنار.

— l. 32. In codice C. haec sunt verba امر خطير وكم من عاجز فقير تمر له امر كبير وذلك بحسن التدبير ومساعدة التقدير وتاهيك. Caeteri omnes in verbis textus impressi consentiunt.

P. 164 l. 3. In codicibus E. F. loco vocis العطن legitur العين.

— l. 11. In codicibus E. F. sic legitur (E. سعاد) وارادا من البهجة السعادة, tum in codice E. بحرا من بر est; at codex F. cum impresso consentit.

— l. 25. In codicibus E. F. haec sunt verba واخفت النصف الاخر عند الغروب واستنارت الغرب ولازمت السكون.

P. 165. l. 1. Pro verbo حثت in codice C. esse videtur من خبثت, in codice B. (حبيت) تخبيت

— l. 8. In codicibus E. F. legitur وبسوء ثم خرج الى الصحرا والفلا والبعد الى الصحارى والفلا; tum in codicibus A. B. E. F. G. legitur الاجام وهو على ما هو عليه من النشاط التام.

— l. 13. In codicibus A. B. E. F. G. haec leguntur يسمى المناس ابن ملك تلك الاماكن.

P. 166. l. 19. In codice C. sic legitur ولا فرع ولا جور ولا خور. In codice F. ولا

السفاسف; at illa codicis unius C. lectio magis placet, inest enim lusus verborum.

P. 158. l. 30. Loco verborum انسى عليه in codicibus A. B. E. F. G. legitur عنه عمره.

P. 159. l. 13. In codicibus E. F. legitur وتخره كما قلت بدلها; in codice B. وتخرة سعر, in codicibus A. G. وتخره كما قلت.

— l. 18. Loco vocis حلوما in codice A legitur لحوما, in codice B. خلوما.

— l. 20. Loco vocis للعيف in codicibus A. B. E. F. G. legitur التحيف, quae non spernenda est lectio.

— l. 25. Pro voce الدعاء in codice A. الرعا, in codice B. الرعاة, in codice G. الدعا legitur.

— l. 27. Loco vocis وبقصهم in codicibus A. E. F. G. legitur بقصهم.

P. 160. l. 1. Loco verborum الامر الشديد in codice E. legitur الراى السديد; in codice F. additum est والامر السديد.

— l. 4. In codice C. pro بدائعه ان legitur بدائعه, pro محاسنه legitur ومحاسنه, pro الظرائف legitur الحروف et haec non spernenda videtur lectio.

— l. 18. Loco verborum غير موثقة in codicibus A. B. E. F. G. legitur مجتمعة

— l. 19. Pro voce عذاء in codice A. اعداء est.

— l. 30. Loco vocis فجملت in codicibus A. B. E. F. G. legitur فجمعت.

— l. 31. In codice A. ita legitur ليحترز من وقع الخلل caeteris omissis, in codice B. لتحرز عن وقوع الخطل et sic codex G., nisi quod الخلل habet. Cum hoc consentit quoque codex F., nisi quod loco vocis عن vox من scripta est.

P. 161. l. 1. Loco verborum خصوصا متصادمة in codice C. legitur ولا يثبتون لمصادمة.

— l. 2. In codice C. legitur تتلل فيتقدم.

— l. 4. In codicibus E. F. sic legitur بمائتا وعشر فاصلون.

— l. 6. In codice F. ita legitur ولكل ضرب ضرابا ولكل حرب حرابا ولكل سده شده وتلل غده غده وتلل وغره غره وتلل جره جمرة وتلل نغره نغرة. In caeteris quoque codicibus est quaedam lectionis varietas.

— l. 31. 32. In codicibus A. B. E. F. G. sic legitur الا التثقيل، ولم يفده زيادة التعب، وامثال ما كان بجده من النصب والوجب، شاء معبره. وكان في تدبيره تدبيره،

P 162. l. 15. Verba وفي محاسبات المعاريف بصاعتنا in codice E. desunt; in codice F. leguntur.

P. 156. l. 27. Loco vocis الثياب in codicibus E. F. النبات legitur.

P. 157. l. 4. In codicibus E. F. sic legitur فشرع يتامل فى هذه القضية والامور وما يمتنع منها ويتولد.

— l. 11. In codicibus A. F. G. haec sunt verba فهو امر باجتماع الوحوش والسباع والضباع. Cum hoc consentit codex B. nisi quod امرهم habet.

— l. 12. Verba وما عزم عليه ملك الافضال in codicibus A. B. E. F. G. omissa sunt. Quae quidem verba quamvis sunt tertia homoioteleuti pars, quod duabus tantum partibus compositum esse solet, retinenda tamen videntur. Huic enim auctori non raro contingere solet, ut tres, duarum loco homoioteleuti partes constituat. Tales igitur scriptoris loci corrigendo mutati esse saepius videntur.

— l. 20. Loco verborum بسرعة خطف in codicibus A. B. E. F. G. legitur كبرق خاطف. In hoc vero contra caeteros uni codici G. assentior, quippe voces بروق خطف magis aptae esse videntur praecedenti ارى بزمره رعد.

— l. 21. Loco vocis واشاروا in codicibus E. F. legitur واسمشاروا ارآ رايه in codice A. واستشاروا ارى رايه. Magis autem, tum quod magis poetica est, tum quod forma واماروه sequitur, textus impressi lectio arridet.

— l. 26. In codicibus A. B. C. G. post vocem واعوال additur وهبل, ut homoioteleuton vocibus طبل et هبل constituatur. Non recte mihi fecisse videor omittenda voce وهبل.

— l. 29. In codicibus A. B. G. sic legitur بدنع الفعل عجيب غريب الجنل والنتر. Eadem est lectio in codice C. nisi quod بدنع الفعل. Verborum autem et homoioteleuti structura in codicibus E. F. elegantior videbatur.

— l. 32. Pro voce طبم in codice C. فاجع legitur.

P. 158. l. 13. Loco vocis الدهور in codicibus E. F. legitur الدهر.

— l. 18. In codicibus A. B. E. F. G. legitur غيره فى الملك وسيره وحركوه.

— l. 19. 20. In codicibus A. B. E. F. G. haec sunt verba بين ذلك فصيره وعمر ايامه واودنه بسيرة.

— l. 21. In codicibus A. B. in textu post vocem وتحوس adduntur verba. واستعانات وعطوس. Eadem margini codicis G. adscripta leguntur.

— l. 24. In codicibus A. B. E. F. G. loco verborum سرير النسور legitur

P. 153. l. 12. In omnibus codicibus excepto codice C. verba لا صبر . . . . احترانه in versus modum scripta non sunt; sed re vera est versus.

P. 154. l. 6. Loco vocis ومحمارعه in codicibus A. B. C. G. legitur ومقارعه.

— l. 7. Pro voce الهز به legitur in codicibus A. B. E. F. G. الدسرة.

— l. 12. Loco vocis عرمه in codice C. legitur عمه.

— l. 20. In codice F. legitur فان حصل والعياذ بالله ما يناق ذلك فهو ان لا دبات. In codice E. eadem lectio esse videtur.

P. 155. l. 1. Pro فى شكرهم legitur in codicibus A. G. فشكروا منه و, in codice B. وانعموا باسان الشكر منه و, in codicibus E. F. فشكروا منه. Pro وفى الجملة etc. codices A. B. E. F. G. habent واستصوبوا حركته وترشفوا نلمانه وقد قيل.

— l. 6. In codicibus A. B. E. F. G. ita legitur ولقد تلعفت من افواه الحكما وتصانيع البلغا بل شاهدت من النوادر وحفظت.

— l. 8. Loco vocis ومشقوق in codicibus A. B. E. legitur ومشتت. Post vocem الاصحاب in codice F. haec addita leguntur وقد قيل سيد المرسلين وحبيب رب العالمين اذا اقبلت الدنيا على رجل اعارته محاسن غيره واذا ادبرت عن رجل سلبته محاسن نفسه وقيل بعض الحكما الفقر يحرس العقل عن حبه والمقل غريب فى بلده اجنبى فى اهله وقيل

الفقر يزرى باقوام ذوى حسب وقد يسود غير السيد المال.

Et ni fallor plura horum in codice E. leguntur.

— l. 9. Loco vocis التعمل et التعكر in codicibus A. B. E. F. G. legitur ان يتامل et يتفكر.

— l. 18. In codicibus A. B. F. G. legitur والتنويبخ والتقريع; in codice E. والتوسيخ والتعريع; sed in hoc legendo fortasse erravi.

P. 156. l. 5. Loco vocis دربه in codicibus A. B. legitur درايه; quae est lectio non spernenda.

— l. 8. Pro voce بنفس in codicibus A. B. C. G. legitur تنفس, quam lectionem vehementer probo.

— l. 11. In codicibus E. F. sic legitur الاقيال الكامل فى ذاته الفاضل فى صفاته العادل etc.; verba autem الحسن الى اهل مملكته in codicibus A. B. E. F. G. omissa sunt.

— l. 20. In codice A. legitur فيما نحن بصدد دوايه, in codice E. فيما نحن بصدد دوايه لدايه. Codex F. et cæteri cum impresso consentiunt.

in codice F. eodem modo; at غدا correctum videtur in عد. Lectio autem illa bona est.

P. 150. l. 22. Loco vocis استخلاص in codicibus E. F. استعفا legitur.

— l. 29. In codicibus A. B. G. loco vocis وصحارها legitur وصحاريا; et haec non spernenda est lectio.

— l. 31. In codicibus A. B. E. F. G. legitur سبيل الاطناب, quam lectionem praeferendam habeo. In codicibus E. F. omissa est vox المل, eiusque loco inserta sunt verba ولا يترك شيا من المصبح والصواب, qua re rhythmus turbatur.

P. 151. l. 5. In codice A. legitur النشيح والمصموم, in codice B. الشيخ والمصموم, in codice F. erat الشيخ والمصموم; punctum vero litterae خ deletum est. In codice G. erat النسيح المصموم; a seriore vero manu littera و superscripta et punctum litterae خ deletum. Lectio codicis A. non est spernenda.

— l. 9. Loco vocis بسحرا in codicibus E. F. legitur وهو خرا.

— l. 16. In codicibus A. B. G. legitur مدنها وحبسعها; in codice F. legitur مدنها وملاعها وحصونها وصبعها.

— l. 18. In codicibus E. F. post vocem وبقاعها additum legitur وقلتها وحصونها.

— l. 32. In codicibus A. E. F. G. verba والذر بقطعه حفاء للحالب versus in modum scripta sunt, et re vera versus dimidium complectuntur.

P. 152. l. 2. In codicibus A. B. F. loco vocis مكان legitur مدن, quod mihi vehementer placet; tum legitur الى الفعل والعمل, id quod minus bonum videtur, quod verba مدن et ظواهر opposita sunt. In codicibus E. F. legitur من مكان القول الى الفعل والعمل بما قبل.

— l. 6. In codicibus A. B. F. legitur فتوجه بكلك الى, in codice G. كتوجه الى بكلكه quae bona est lectio.

— l. 7. In codicibus A. B. G. رشيد ومن بنف الرشيد سعيد, in codicibus E. F. سعيد ومن بقف السعيد سعيد.

— l. 9. Loco vocis تسبح in codicibus E. F. legitur تسبح.

— l. 17. In codice C. ita legitur ويذرى حبات وحوله هواء الغوص ويعمل عن بحر اسفاء من البلى الى ضاحون, et haec non spernenda videtur lectio.

P. 153. l. 4. Loco vocis تسمبل in codicibus A. B. E. F. G. legitur يسنعبد.

— l. 10. In codice A. legitur افوانه واخوانه, in codicibus B. C. E. F. exstat افوانه واغصانه, et sic legendum est.

P. 147. l. 3. Codices A. B. C. habent تخولت; et haec videtur recta lectio.

— l. 7. In codicibus A. B. C. legitur تضب, et haec ferri potest lectio.

— l. 10. In codicibus E. F. sic legitur ومعه كل كبير وصغير وممور وامير من.

— l. 16. In codicibus E. F. ita disposita sunt verba وتقلبوا على بساط الامانى فى رياض الامان.

— l. 23. Loco vocis العاصون in codice E. legitur المجدون, dum in codice F. lectio textus est.

P. 148. l. 4. In codice A. B. G. legitur مقال وجدال ادا الى حرب وقتال, in codice F. مقال وجدال ادا الى حراب وقتال. Utrumque non est spernendum. Codex E. paulum differre videtur a codice F.

— l. 9. In codicibus A. B. E. F. G. ita legitur وقدره خطير ورث الملك كابرا عن.

— l. 10. Loco verborum وكل جمشه in codicibus A. B. E. F. G. legitur واكل

— l. 11. Loco vocis العوائد in codicibus E. F legitur العديد, quae est bona lectio, quod singularis forma sequitur.

P. 149. l. 2. In codicibus E. F. legitur حتى اصبحا شراك الضائع.

— l. 13. Post vocem الحواء in codicibus E. F. additur والسقم والسقاء.

— l. 14. Loco vocis يقع in codicibus E. F. legitur يقطع.

— l. 15. In codicibus E. F. pro verbis هول عليه legitur انهى اليه.

— l. 23. In codicibus E. F. legitur احدها loco vocis احديهما, in codice B. اولها; in codice G. احديها et in sequentibus cernitur ثانيها et ثالثها. Regulis aptior est codicis A. lectio احديها et ثنيهما et ثالثهما.

— l. 28. In codice E. legitur فى الاولى بالفضل فى الانعام; in codice F. انتشر صيتها بالفضل فى الاولى.

P. 150. l. 1. In codice E. legitur واشار كالمستخبر ايها الاخ والوزير الى ما ذا تشير, nisi quod in codice F. omissa sunt verba الى ما ذا تشير.

— l. 2. In codicibus E. F. ita legitur جميع ما ذكره مولانا الملك حق وجميع ما حرره وقرره صدق.

— l. 7. In codice F. legitur والكلف الذى ادت الى التلف, in codice E. eodem modo, nisi quod post vocem والكلف additum est والكرم.

— l. 9. In codicibus A. B. E. G. legitur كنوابل السلطنة وغدا المعروف من خزانة ;

P. 142. l. 4. Verba وحمر الصواحى والزرداق ex codicibus E. F. inserui; in caeteris desunt.

— l. 5. Pro voce علينا in codicibus E. F. legitur عنها.

— l. 17. Loco verborum والحمام الصقور in codice E. legitur والزرازير والسنور, in codice F. desunt.

— l. 19. Pro verbis ورغبة فى رحمه الرعية legitur in codicibus E. F. ورحمة فى امر الرعية.

— l. 23. Loco vocis مطرودا legitur in codicibus A. B. E. F. G. مردودا, quae bona est lectio.

— l. 26. Loco vocis فمبناها legitur in codicibus E. F. فان منتهاها.

— l. 28. Post vocem الزواج addita leguntur haec in codicibus E. F. واختار التخلى للصلاة على مذهب الامام شافعى رحمه الله.

— l. 31. In codicibus E. F. ita legitur وحصل للحضار الخضور والنساط.

P. 143. l. 6. In codice B. legitur فى كل العصبات تساويها, in codice E. فى كل العصابا تساويها, in codice F. فى كل العصابا باويبا; sed litterae با in voce باويها a seriore manu inter lineas scriptae sunt.

P. 144. l. 1. In codicibus E. F. legitur فلا تجهدك فيه جهدا.

— l. 8. Loco vocis سادن in codicibus E. F. legitur سابم.

— l. 13. In codicibus B. E. F. G. loco vocis والجماعة legitur مع الجاعة.

— l. 29. In codicibus E. F. legitur والجنى الجمال; ibidem pro verbis مسكة الملادة legitur العوة على الملادة.

P. 145. l. 4. In codicibus E. F. legitur وينفض من اوتاد شركة زاده.

— l. 16. In codicibus E. F. loco vocis الاسعد legitur الاسد.

— l. 20. Loco vocis الحسنى, quae est lectio codicum B. D. F. G. in codicibus A. C. legitur الحسنا. Dubito, quaenam sit praeferenda.

— l. 24. Elegantior et cum verborum lusu coniuncta lectio codicum E. F. est وشنفت بطيب النعم فى الاذان الاذان.

P. 146. l. 13. Loco vocis قبرا in codicibus E. F. legitur لحا.

— l. 30. In codice A. B. G. legitur صحصر منه; in codice F. فيحصر من.

— l. 31. In codicibus A. B. F. G. vox نفوذ omissa est.

P. 147. l. 2. Loco vocis نداه in codice A. نواه; in codice E. داه. Utrumque reiiciendum est.

P. 138. l. 19. In codicibus A. B. C. G. legitur وقد تغمرت بلادته الى النغمر; praetuli autem lectionem codicum E. F, quod in vocibus بلاده et بدلت est similitudo soni, quem lusum auctor libri vehementer amat.

— l. 21. Loco vocis تيسير in codice A. لمرى legitur, in codice B. plura omissa sunt, in codicibus E. F. تسير legitur.

— l. 23. Pro vocibus اسكال لحيان in codice videtur legi اشكال لحيتان, in codice C. لحمان, in codicibus D. E. بلحمان; in codice F. لجيان, in codice G. لحيان: quid verum sit, dubio obnoxium est.

— l. 28. Loco verborum فرده تتحون in codice B. legitur فرد. Caeteri omnes textus lectionem habent.

— l. 29 post vocem كتسجان in codicibus E. F. additum legitur

وقال شعر اذا كان الضباع ضباع سوء فلا تس بتنفع ادب الاديب

— l. 32. Verba ويمحون ما اراد ويثبت in codice A. desunt; post verba اهل الميات in codicibus A. B. E. G. addita sunt verba والعلماء الاثبات, quae probo.

P. 139. l. 2. In codicibus A. B. G. legitur هذا التعذير; in codicibus E. F. هذا التعذير والتعزير.

— l. 21. Loco vocis يعاقده legitur in codice C. يلاقى.

— l. 22. Pro ويميز in codicibus A. B. G. legitur وتميز.

— l. 25. Pro voce مقبل in codice L. legitur متصل.

— l. 28. In codicibus E. F. legitur فاحلما جيده يعود, quod non est spernendum.

— l. 30. Pro voce يتلاقه, in codice G. legitur يتلقاه, in codicibus A. B. C. يتلاقاه. Hoc magis placet.

P 140. l. 9. Loco vocis مرعون in codice A. legitur يدحون.

— l. 17. Pro voce لحسار in codice A. لجسار in codice F. لجشار. Nostro in loco non dubito, quin لحسار recta sit lectio. In loco autem Vitae Salad p. 157, ubi vox جسار legitur, de legendi modo dubitare licet.

P. 141. l. 6. Loco vocis مره legitur نصره; loco verborum الغرق لا legitur الاغراق.

— l. 10. Pro voce الامير in codicibus A. B. D. E. F. G. legitur الوزير, quod praeferendum puto.

— l. 17. E. Corani loco in codicibus E. F. omissa sunt verba a مما usque ad 21 l. 15., quod indicatum est verbis الى قوله.

— l. 27. Pro voce اخرس in codicibus E. F. legitur اسكت.

P. 135. l. 30. Quam in textum recepi lectionem فتقدم خزر من بين تلك البرز in codicibus A. C. G. legitur, in codice B. legitur خزر et البرر, in codice F. est خزز et البرر; at quum vox خزز de lepore mare adhibeatur, haec lectio proba videtur, tum vero quin البرز homoioteleuti causa legendum sit, vix dubio obnoxium est. De vocis autem significatione, incertus haereo.

P. 136. l. 2. In codicibus A. B. D. E. F. G. loco vocis الفذافة legitur الفذاره; quam praeferendam habeo lectionem.

— l. 7. Post vocem سلطنا in codice F. haec addita leguntur verba

ولقد ارشدنى من انشد حيث قال شعر

لقد جار صرف الدهر فى كل جانب من الارض واستولت عليه الارازل

هل المسخ الا ان ترى العرف منكرا او الخسف الا حين تعلو الاسافل

— l. 11. Loco verborum بين العرب in codicibus A. B. E. F. G. legitur فى العرب, quem probo legendi modum, quamvis et alter ferri potest.

— l. 12. In codicibus A. B. E. F. G. pro voce يهتدى legitur اهتدى. Utraque lectio bona est.

— l. 15. Post versum verbis ان الفتى incipientem in codice F. haec addita sunt

وقال ايضا لعمرك ما الانسان الا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن امسه

وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

— l. 17. In codicibus A. B. G. loco verborum واذ اضعفها legitur واداب افنقيها, quae mihi placet lectio. In codice C. omissa sunt verba.

— l. 28. Pro امنعتم in codicibus A. B. G. اجتنبتم legitur.

P. 137. l. 2. Loco vocis استنكاف in codice E. legitur ابعاث, dum codex F. textus lectionem offert. Loco verborum من قول ذلك idem codex habet بكلام.

— l. 3. Ibidem pro voce الاستنكاف legitur الابعاث. In codicibus E. F. ita legitur بلغ من انتظاره والزعارة والدعارة وحرفة اللصوصية.

— l. 18. Loco vocis الحرام in codicibus A. D. G. legitur التحريم, in codice B. صنعته.

— l. 29. In codicibus E. F. legitur التاديب والتهذيب والتشذيب.

P. 138. l. 1. In codice A. desunt verba وقال الفايل شعر; in codice B. nil nisi شعر; in codice C. وقال الفايل شعرا, in codice E. F. legitur قال.

— l. 16. Praeferendam puto lectionem codicum A. B. E. F. G. وسلك فيه الدين; quamvis verba textus, quae est lectio codicis C, ferri possunt.

P. 131. l. 9. Vocem نضارا ex codicibus E. F. inserui. Caeteri codices ea carent. Voce autem omissa homoioteleuti signum delendum est, ut voces ذهبا كملا واقما معمارا una serie coniungantur.

— l. 27. Omnes codices habent lectionem ابن فلعة, excepto codice D, qui ابن فلعة offere videtur.

P. 132. l. 8. Loco vocis جهد in codicibus A. B. E. F. G. legitur جهد, quae bona est lectio, sed altera quoque admitti potest.

— l. 26. Loco verborum الصدر الدكة, quae est lectio codicum C. G, et ni fallor codicis D, in codicibus A. E. legitur صدر الدكة, in codicibus E. F. الصدر للدكة.

P. 133. l. 11. In codicibus E. F. ita legitur من الاغفال بالنداء العجال; tum quoque ونقل النظر هذه الاحوال بادعل دون الاقوال.

— l. 15. In codicibus E. F sic legitur versus

فانهض وقلت فان الشر مدفعة فاسعى عساك وللماخير اتات

In codicis F. margine correctum est prius hemistichium. In codice A. post versum spatium est vacuum, quasi aliquid omissum sit et in margine leguntur verba بعض فى الاصل.

— l. 27. In codicibus A. E. F. loco vocis المرافده legitur المرادفة, quae lectio probanda non est.

P. 134. l. 13. In codice A. legitur من اليمين الى اليسار. In codice C. ita legitur وقل اليسار انى اليسار وجبر الانكسار والخروج الى اليمين من اليسار وعنوان السعود وحصول النجح والمقصود; in codice E. omissa sunt verba وجبر الانكسار والخروج الى اليمين من اليسار.

— l. 15. In codice A. legitur مسهل الامور الصعاب.

— l. 20. In codicibus E. F. legitur وعلى اعتمادى مفاصحة ورضون.

— l. 24. In codice A. legitur ولبيادر بالخدمة الى الحضور, in codice B. الخدمة بالحضور.

P. 135. l. 6. In codicibus E. F. loco vocis شاهدت legitur شهدت.

— l. 20. In codicibus A. E. legitur الوحوش والطيور, in codicibus F. G. الوحش والطير quae lectiones non sunt spernendae, quod numeris voces consentiunt.

— l. 22. In codice A. hemistichium versus posterius ita vitiose legitur

عصاه وها نحن اتينا الطيور

F. او ورد; sed ita ut littera و in codice F. inter lineas scripta sit. Prior lectio placet.

P. 128. l. 19. In codicibus E. F. legitur ما ارزن هذه النصايح والذكى ما لها من روايح.

P. 129. l. 5. Loco verborum بما اوغلت فى دلب الجمال وتربت بتيمة بالدلال in codicibus E. F. legitur وكانت ذات لهاجة لطيفة وصفات ظريفة وتربت بتيمة بالدلال.

— l. 11. Pro verbis الاعمان والروسا in codicibus E. F. legitur الامراء والوزرا.

— l. 13. In codicibus A. E. G. legitur تنعسب et تنعسد, quae est lectio non spernenda; altera vero, quam in textum recepi, non minus bona videtur.

— l. 14. Post vocem السوء in codicibus E. F. additum est لصاحبه.

— l. 15. Loco vocis الطابر in codicibus A. B. E. F. G. legitur طابر, quae lectio placet.

— l. 18. Loco vocis تشبه in codice B. legitur تشبيه, in codicibus E. F. بسبه. De voce تالى vehementer dubito. In codice A. legitur تلى, ita ut prima vocis littera dubia sit, in codice C. بالى, in codicibus B. D. E. F. G. تلى.

— l. 21. Loco verborum يضع على راسه تاج in codicibus E. F. legitur يتمرج بتاج.

— l. 32. Pro voce جمرانها in codicibus E. F. legitur زوجها.

P. 130. l. 8. In codicibus A. C. loco vocis المعلمات legitur المتلمعات, quae lectio non est spernenda. Codicis G. lectio, ab utraque diversa, incerta est.

— l. 9. Loco vocis المعالى in codicibus E. F. legitur السيات.

— l. 16. Pro voce ذات in codicibus E. F. legitur صدعات.

— l. 21. Loco verborum مال ولا مآل in codicibus A. E. F. legitur مال ولا مآل In codice C. nisi fallor verba مال ولا omissa sunt. At vero ob soni maiorem similitudinem in verbis مال ولا مآل, hanc lectionem praetuli.

— l. 22. Pro verbis بفساد النية in codicibus E. F. legitur بفاسد النية.

— l. 23. Loco vocis الافرق, pro qua ut supra p. 4. l. 23. adnotavi, plures habent codices الافرق, in codicibus E. F. الشرق legitur.

— l. 25. Pro verbis من اصل الملاحة in codicibus A. B. G. legitur فى اصل الحسان, quam lectionem praeferendam puto, ne eadem vox repetita sit. In codicibus E. F. legitur من اصل الحاسن.

— l. 26. Pro voce يذبل in codice E. legitur تربل, in codice F. يزبل, in aliis aut يذبل aut تذبل est.

— l. 29. Loco vocis تهالكوا in codice A. legitur تكالبوا.

P. 123. l. 7. Loco vocis للبيان in codicibus A. B. G. legitur البيان.

— l. 25. Addendum est ex codicibus B. C. E. F. G. من الملك post voces على الملك.

— l. 30. In codicibus E. F. legitur عن كلمه وموجب ما دعا له. Ibidem voces حمال الى عوف usque ad الخدمة l. 31. omissae sunt.

P. 124. l. 3. In codicibus A. B. G. legitur البيذى والقسم.

— l. 20. Post versum hunc alter in codicibus E. F. legitur

وتسلمت عربه الامير عطت من عكمر السوايف

— l. 27 Loco verborum حاصل حاصل in codicibus E. F. حقه نتيجة legitur.

— l. 29. Pro voce بمذكر in codice C. legitur بمعصر.

P. 125. l. 5. Pro voce ترتب legitur برتب.

— l. 10. Loco vocis بما in codicibus E. F. legitur بموجب.

— l. 11. In hoc versu magna est lectionum varietas. Codex B. pro voce اسهلوا habent المسوا: codex C. اسهلوا: codex E. سلامسوا; codex F. اسماسوا. Loco verborum الى حلب legitur in codicibus E. F. الجم والنعمر.

— l. 20. Pro voce تليد plures codices habent تليد.

— l. 21. Hic versus in codice A. deest. Pro voce غيبا codex E. habere videtur عيبا.

P. 126. l. 5. Loco vocis الصباون in codicibus E. F. legisse mihi videor الضباعن.

— l. 13. Loco vocis صاحب legitur in codicibus D. E. F. هو صاحب, in codice B. فهو صاحب, non male.

— l. 27. In codicibus E. F. legitur واعشمر من هذا انه حس نفسانى وباطنو ملاى

— l. 29. In codice A. legitur وحوحسكه et وحوحسكه et in codice B. F. est ورجوعك. Sed homoioteleuto contraria videtur lectio.

P. 127. l. 6. Loco verborum فى الحضر in codicibus E. F. legitur فى الدنيا.

— l. 15. Loco vocis تسعير in codicibus E. F. legitur تسعير.

— l. 16. In codice A. pro verbis مع النعام legitur مع العيلم, in codicibus B. F. G. مع النعام, quae bona est lectio

P. 128. l. 1. In codicibus A. G. وحمز واستفهر, in codice B. واحمر واكتهر, in codice E. legitur واحمر واستعهر.

— l. 10. In codicibus A. B. G. pro واورد legi videtur اورد, in codicibus E.

P. 120. l. 13. In codicibus E. F. sic legitur ولم يكن فى خزانته من بارز المال وباطنه ولا فى ذخائره من ظاهر الوفد وصمائره.

— l. 15. Post vocem الانحلال in codicibus E. F. additum legitur وملكه على الاختلال.

— l. 19. Loco verborum وامرهم بنصب السلم والبحث عن الارقم وتتبع اثارها واتلفا شرارها haec leguntur in codice E. بمعاول المباشين. In codice F. haec verba sunt addita.

— l. 25. In codicibus E. F. sic legitur وكان قد اشرف على الاختلال وعقد نظامه على الانفراد والانحلال.

P. 121. l. 27. In codicibus A. B. D. E. F. G. loco vocis الاموال legitur المال.

— l. 28. In codicibus E. F. loco vocis فلائف legitur فلائوف.

P. 122. l. 10. In codicibus A. B. D. E. F. G. legitur واتحافى احبابى واحبابى اتحف quae lectio bona est; sed altera non minus.

— l. 11. Loco vocis الود plures codices habent المودة.

— l. 17. In codicibus E. F. legitur والمعدة بسمنها البهم.

— l. 20. Versus hoc modo legitur in codice F.

وانى رسول خائف ان يردنى زمنى بما لاقى دسار الكواعب.

— l. 28. Loco vocis مواقف in codicibus E. F. legitur مواطئ.

P. 123. l. 2. Post vocem ابدا in codicibus E. F. haec addita leguntur verba كما فعل الملك الظاهر انوفى ابو سعيد محمد جقمق حين اضطرمت الاوام واضطربت العساكر واضطدمت الامور وخرج عليه من عساكره الجمهور وقل المعين وقل ذلك فى سنة اثنين واربعين فعمى سنكرى (تمكرى E.) وترمس فى حلب وادام بالمراصفة الغلب وادخل الحكمى بالشام وكانبه الخطبة العظام وهرب بالعشيرة العزيز وارث السلطنين فسلك الازيز وخيبت تلك الجعيد العرفان وفشا فى عساكر الاسلام الطربان فسفه الحلم وحار الحكيم وحل خطل ذى راى قويم فنبت الملك الظاهر جقمق فعرف الى الله تعالى قبل اسيخانه واصفى سرائره وقد نزل سريرته ظاهره وكان الله قونه ونصره فاتمى بادنى تنبيه سوائل تلك الثائرة وقد بسط ذلك فى سيرته الزاهرة فتبدل الجحيم بالنعيم ورفع عن الاسلام والمسلمين العذاب الاليم كل ذلك ببركات نبات الحلم وعلو الهمم ولم يحصل هذه النعمة السرمدية الراجحة الا بالتؤدة المثبتة والتيقظ الصالحة. Quae verba a seriore manu esse addita, ex eo colligi posse videtur, quod sunt in eo res gestae novissimi temporis descriptae.

addita videntur. Non possum autem quin dubitem de legendi modo in verbis وتخس المسلة على l. 12.; multum enim dissentiunt codices. Codex A. habet وتحصل المسبله على; codex B. وتحش المسله على; codices E. F. وتخس المسلة على habent, codex G. وتخس المسلة على.

P. 117. l. 25. In codicibus A. B. loco vocis وارصده legitur وافعده.

— l. 32. Loco verborum والا ابداء التصرر ممنوعون in codice A. legitur والى الابداء والتصرر ممنوعون, in codicibus B. E. F. G. eodem modo nisi quod ممنوعون legitur.

P. 118. l. 2. In codice C. pro مواضع legitur مـوانع, in codice A. pro voce ذراك legitur مارك.

— l. 5. In codicibus E. F. legitur اجلست البـث الوفود والجنود, tum pro voce جنودهم legitur عبودتهم.

— l. 16. Loco versus in codicibus E. F. hic legitur اذا لـم تكـن عون من الله للغني فزل ما يجني عليه اجتهاده.

— l. 20. Pro voce عرفت in codicibus E. F. legitur رجعت.

— l. 26. Loco vocis النصب in codicibus A. B. D. E. F. G. legitur الخيب.

— l. 29. In codicibus E. F. loco vocis غضي legitur غـ م.

P. 119. l. 6. Loco vocis ووجب in codicibus A. B. L. F. G. واجـب, quae lona est lectio.

— l. 9. Loco vocis واعيق in codicibus E. F. legitur والحرق.

— l. 12. Pro voce كبار in codicibus A. B. E. F. G. legitur سمان, quae non spernenda est lectio.

— l. 16. Loco vocis المطاع legitur in codicibus E. F. المطامع, loco vocis الطماع legitur الاشامع

— l. 18. Pro voce مرتقى, in codice E. legitur منتفى, in codice F. من نقى.

— l. 25. Legendum est cum pluribus codicibus et Corani loco, ex quo desumta sunt verba, لمهدمت.

— l. 28. Pro voce الجبناء in codice C. legitur الجبناء

P. 120. l. 5. Verba وحسبك etc. usque ad verba يسار كل l. 7 p. 121 desunt in codicibus A. B. G.

— l. 7. In codicibus E. F. legitur حتى صاروا برباسيم على الدنيا جمال.

— l. 8. Pro voce العراقين in codicibus E. F. legitur العراق.

P. 116. l. 16. Pro ذى العتاب in codicibus E. F. legitur ذى العباب.

P. 117. l. 6. Pro voce واد codex A. ذا, codices C. E. F. وادى, codex G. ودا.

— l. 10. Pro voce فى in codicibus E. F. legitur عمى.

— l. 13. Loco vocis لجميعنا in codicibus E. F. legitur لبعضنا.

— l. 17. Pro محابل السعادة in codicibus A. B. F. legitur محابل السعاده, in codice G. pro altera voce السعاده legitur السياده. Una vox السعادة mutanda est homoioteleuti causa, quamnam vocem mutaveris nil refert. In codicibus A. B. E. F. G. pro voce متعاظر legitur متعظر; at vero vox تتعاظر elegantius dicta videtur.

— l. 19. Post hanc lineam, cuius verba versus non sunt, in codicibus A. B. E. F. in textu, in codice G. in margine addita leguntur اما بلغك يا خير غانم، ما رواه الشيخ علاى الدين ابن غانم، ذو الفضل العميم، عن تاج الدين ابن الاثير، قال بسار، اخبرنى بهذه الاخبار، دل قال ابن الاثير، وهو بالزوراء خبير، اخبرنى بذى المعانى، عن الامير حسام الدين البركه خانى، دل كنت فى عصر الشباب، اصحب من صالح الشباب، الملك المظفر، قطر العصفر، وكان خشداشى، وبروبته انعاشى، فكنا ونحن صبيان، كالفتا شبان، عمر انا كما فى قله، فكنت افلى فمله، واسرح راسه، واذهب باسه، وتقدمت انعه، بالشرط عليه، ان يعطينى لكل فملة فلسا، او اصفعه صفعه ملسا، فمى بعض الاوقات، اخذت عنه فملا كبيرا وصفعته صفعات، وقلت فى غضون ذلك، ونحن فى حال حالك، امنى على الله عز وعلا، ان يعطينى امره خمسين رجلا، فقال لى بلسان حاضرك، وسر سرائرك، وانى ابلغك سولك واعطيك مسولك، واجعلك امير خمسين فارسا، فابشر فلا تكن عابسا، فصفعته صفعه، وقلت ويلك انت تعطينى امارة ورفعه، فقال نعم، واغمرك بالنعم، وصفعته اخرى، فاردت نكرا، فقال لى علا، ونخس المسله، يا قليل البطين، اتريد شيا غير امرة خمسين، انا والله اعطيك، اعلبك على ذوبك، فقلت ويلك كيف تعطينى وتعلمنى، فقال املك هذه الديار، واكسر التتار، واحمل الكفره العلوج دار البوار، فقلت له يا مغبون، انت مجنون، بعولك وفالك، وغرك وذلك، تملك الديار المصرية، وتكسر سلطان البرية، هل نعم، ولا تقل زعم، فانى رايت فى المنام، النبى عليه السلام، وقال لى انت تملك الديار المصرية وتكسر التتر، ولا شك فيما يخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من خبر، قال فامسكت عنه، لانى كنت اعرف الصدق منه، ثم تقلبت به الاحوال، وتنقل الى ان بلغ الكمال، وتملك هذه الديار، ثم كسر على عين جالوت التتار، واعطانى، ما وعدنى به وارضانى، وانما اوردت هذا المثال، لتعلم ان سلطنك غير محال، Quae verba quamvis sensui vehementer apta sint, a seriore nihilo minus manu

P. 109. l. 19. In codice F. ita legitur الحمات فلا يوثر فى لسانه وامعاه ولا يتالم لذلك فيها ولا جسدها ويذهب كل ذلك معدتها ولا يتدمر له لسانها ولا فرجوبها Cum hoc paucis exceptis codex E. consentit.

— l. 23. Pro voce وسائر in codicibus E. F. legitur وغالب

— l. 25. Post vocem النار in codicibus E. F. additum legitur ذات الشرار

— l. 28. In codicibus E. F. legitur قد غلطت بلزمت الغاط

P. 110. l. 4. Loco vocis تختر in codicibus A. B. E. F. G. legitur للحفل, quae lectio bona est.

— l. 8. In codicibus A. B. D. E. F. G. legitur الى ما مر من حكيت. Et haec est bona lectio propter codicum multitudinem.

P. 111. l. 5. Pro voce التلبيث in codice E. legitur والتلبيث. In codicibus A. B. C. haec vox non est et sensu minus necessaria ea videtur.

— l. 24. Loco vocis احسن in codicibus E. F. legitur اعظم.

— l. 25. In codice E. sic legitur كمالك كل سهم امل فوقه ودحو شاكله وعدد اظلعه فن بعد اسعاد السعد اسمت الغرض

P. 112. l. 7. Pro voce سماوه in codice E. legitur دماوه

— l. 8. Loco vocis قابه in codicibus B. E. F. G legitur امره.

— l. 11. Pro voce وعقبانا in codicibus E. F. legitur عنبانا

P. 114. l. 7. In codicibus E. F. legitur ويمطلح الكبـاش والوعول، وبكسر اتحجب الغرون من العجول

— l. 9. Pro voce مهول in codicibus E. F. legitur ملهوف.

— l. 13. Loco vocis الغاضيه legitur الفاضيه

— l. 22. Pro voce وطى in codicibus A. C. legitur واطى.

— l. 24. Pro voce السباب in codicibus C. E. F. legitur الشاب.

P. 115. l. 4. Loco vocis الادرع in codicibus E. F. legitur الكارع.

— l. 6. In codicibus C. G. legitur والقصاب بهيئته المهوله، وراءه بالسكين مسلوله. Codex B. eodem modo habet, nisi quod السكين legitur.

— l. 14. Pro فمر etc. legitur in codicibus E. F. ففر كل منهما. In codice E. verba معصحين فى مخامنهما omissa sunt.

— l. 25. Post vocem اهلا codex E. habet ومرحبا وسهلا يا حبيب الاحباب.

— l. 31. In codicibus A. B. pro voce ساعى legitur ترای, in codice G. ساقى

P. 116. l. 13. In codicibus A. E. F. legitur للحارب.

P 108. l. 5. Loco vocis اطراف in codicibus E. F. legitur اعداب.

— l. 6. In codicibus E. F. omissa sunt verba ومامور وامير وجابل وحقير; ibidem quoque legitur حاصل pro voco خالص.

— l. 10. Pro وصلوا in codicibus E. F. legitur انتهوا.

— l. 11. In codicibus E. F. pro voce مواقف legitur مواقف et نشروا loco vocis ذكروا.

— l. 26. Multum discrepant codices in verbis والانسان مدني بالطبع. Verba textus sunt lectio codicum A. C. D. G, nisi quod codex A, ut videtur vitio scriptoris, الانساني habet; at in codice B. legitur والانسان مدني الطبع in codicibus E. F. والانسان مجبول بالطبع.

— l. 29. Quam recepi lectionem, ea in codicibus C. F. F. legitur, nisi quod in codicibus E. F. والمدبر et والمبصر legitur. Codicis G. lectio incerta est. Codex C. habuisse videtur بسبر et بمسمار. وبعتبر باخبار. In codice A. legitur دسبر et بمسبار, quae lectio bona est.

P. 109. l. 1. Lectio بعقر هنها in codicibus A. C. E. F. est; sed videtur legendum cum codice G. بعقرعها; nam codex B. quoque بعقرعها habet; figurae enim et sensui aptior videtur vox. Pro verbis اردانت بها etc. in codicibus E. F. legitur اذا دانت بها من جود جنان, verba autem ومقصورات خيام الدهور والازمان omnino omissa sunt. In codice B. legitur ان دانت, in codice C. اذ دانت aut ازدانت.

— l. 2. Pro voce يطمئن in codice C. يطبن, in codice B. يطمسن legitur, pro voce فاختلب in codice A. B. فاجلدت, in codice C. E. F. فاختلت legitur.

— l. 3. Loco vocis فاسلب in codice A. واسلت, in codice C. واستلب legitur.

— l. 9. Loco vocis المودة in codicibus A. B. E. F. G. legitur المروة, et quamvis vox non sit aptior sensui altera, tamen quum plures eam habeant codices, praeferenda videtur.

— l. 10. Pro verbis وبلا الاعداء والاصحاب in codice C. legitur وحلب الاصدقا والاصحاب, in codice E. loco vocis بلا legitur جرب.

— l. 14. Pro voce المسامع legitur in codicibus E. F. الاسماع.

— l. 16 Loco vocis الحبدبة legitur in codicibus E. F. الزبدية, in codice G. الذبذبة.

— l. 17. Post vocem اوصافه in codicibus A. F. additur vox واعضايه, in codicibus E. G. واوضاعه, in codice B. واعضائه.

que post vocem الفخر addita sunt verba وانشد الزمان، باسان البيان، ما صورته et eodem pene modo codex E.

P. 105. l. 8. Pro voce صنعت in codicibus A. B. F. G. legitur وجمعت, quem probo legendi modum, codex E. autem habet وجدت.

— l. 20. In codicibus E. F. legitur بما غلب على عقله; in codice A. legitur غصوب عقله et بدر.

— l. 31. In codicibus A. B. E. F. G. legitur من الفخار الحمار. Vox autem الحمار quamvis sensui minime necessaria propter codicum plurium auctoritatem in textum recipienda est.

P. 106. l. 6. Pro voce نصبا in codice E. legitur لها زوجا غيره, in codice F. ربيها.

— l. 11. Loco vocis واسعدني legitur in codicibus E. F. واسعد.

— l. 13. Loco vocis التحجح in codicibus E. F. legitur التصبح, et loco vocis الصلاح codices A. E. habent الاصلاح.

— l. 16. Legendum fortasse est كله quemadmodum codices plures habent.

— l. 18. In codicibus E. F. post vocem مذبوح addita leguntur verba وقطع بعضاء في الطريق، وشوى معك واكل المعوبون.

P. 107. l. 2. Pro voce سلمنا codex C. habet سلمنا, in codicibus E. F. legitur ساختنا.

— l. 5. Loco vocis غيلة in codice A. legitur غابة in codice C. غفلة.

— l. 7. In codicibus A. B. C. loco vocis اسما legitur اسا, tum in codicibus A. B. C. G. legitur لمعاطي et pro voce فلمك in codice C. legitur حلماك.

— l. 8. Pro vocibus ونفسي فيمن المعمود in codicibus A. B. E. F. G. legitur فيمن المعصوم, quae non est spernenda lectio.

— l. 17. 18. In codice E. pro verbis في الصلح وسعيه العناد legitur في السعي لاصلاح العناد, in codice F. في السعي لاصلاح الفساد.

— l. 32. In textum recepi lectionem codicis C. In codice A. legitur وما حال جفاه احياه وشمت به اعداه واقصاه مولاه, in codice B. legitur وما حال من جفاه اودا وشمتت به اعداه واقصاه مولا; in codice D. وما حال من حفاه عداه واقصاه مولاه; in codicibus E. F. وما حال من جفاه عداه واقصاه مولاه. In codice G. in textu legitur وما حال من جفاه عداه واقصاه مولاه; in margine autem addita sunt verba اودا وشمتت به; ita ut legendum sit وما حال من جفاه اودا وشمتت به عداه.

P. 108. l. 3. Loco vocis بالتقدم in codicibus A. B. C. legitur بالتقديم.

P. 103. l. 1. Pro voce قابه in codicibus A. B. F. G. legitur القلب, quæ bona est lectio.

— l. 5. In codicibus E. F. vox شغ omissa est; at vero addita hac voce figura fit magis exculta.

— l. 9. Lectionem ينلب الاعراض من الامراض ex codicibus A. C. sumsi, in cæteris multa est discrepantia. Codices E. F. habent نسب الاعراض الى الامراض; in codice B. est يسلب الاعراض من الامراض; in codice G. يقلب الاعراض من الامراض.

— l. 12. Pro voce النوقع in codicibus B. G. legitur التوقيع. Ibidem vocem والاطلاق ex codice F. inserui; at mihi iam male fecisse videor.

— l. 13. Loco verborum والسلطان التهمام in codice E. legitur وسلطان الامام, in codice F. sunt verba يا مولانا التهمام والسلطان الامام.

— l. 14. In codicibus E. F. post vocem بالنسب addita legitur vox بالنلب.

— l. 15. Pro voce التحرير, in codicibus B. F. G. legitur التخمير.

— l. 31. Pro voce شهد in codice E. legitur يشهد, quod minus probandum est.

P. 104. l. 1. Codex A. ita habet واخذ جده جده ولا يليف الان رده; codex B. واخذ جده جده ولا يلبوق ان ارده, codex E. et F. واخذ جده جده ولا بابوق بكرمى رده; codex G. واخذ جد جده ولا يلبوق بكرمى ان ارده. Ibidem in codice F. legitur من اسلاق, in codice G. على اسلاق.

— l. 4. De voce فجم, quae in lexicis non legitur, quin sit vera lectio, vix dubitare licet; est enim bene scripta in codicibus B. D. E. F. G. et optime eadem convenit sequenti النجم. In codice A. legitur فجم, in codice C. legisse videor فحم. Quae vox homoioteleuto minus apta significationem habet sensui non contrariam.

— l. 13. Loco vocis صافى in codicibus A. B. E. F. legitur صادق. Magis placuit lectio codicis C, quod vox صاق praecedenti صفى sono similior esset.

— l. 25. In codicibus E. F. legitur الجاوس على السرير.

— l. 26. Vox عامه in pluribus codicibus omissa est.

P. 105. l. 2. Pro voce الا in codicibus E. F. legitur اوفوق من.

— l. 5. In codicibus A. B. C. legitur بعض loco vocis بعد, quae non minus bona est lectio.

— l. 7. In codicibus E. F. legitur درجات القضاء pro حادث القضاء; tum quo-

P. 99. l. 30. Pro غايا in codice F. legitur قلبي.

P. 100. l. 5. In codicibus E. F. post vocem الاستاذ additum legitur الامين الدمشقي.

P. 101. l. 1. In codicibus A. B. C. G. loco vocis محايد legitur كاس, quae lectio non omnino reicienda est.

— l. 8. In codice F. loco vocis واستاذ legitur وانيذك et ita in codice G. exsistere videtur. At quum esset forma altera praecedenti انتهاك magis consentanea, hanc praetuli. Ibidem in codice C. legitur ونحن لا نرتضي بذا المذهب ولا هذا المذهب; caeteri autem codices in textus impressi verbis consentiunt, nisi quod in codicibus E. F. legitur نامه خلف.

— l. 10. In codicibus A. C. legitur ابي جهير, in codicibus B. E. F. G. ابن جهير. Quaenam sit recta lectio, dubitare licet.

— l. 17. In codicibus A. B. E. F. G. loco vocis سير legitur سنابر, quae multum placet mihi vox.

— l. 18. Pro voce اعظم in codicibus E. F. legitur اربع.

— l. 20. Versus voce يسعطون incipiens in quibusdam codicibus non scriptus est in versus modum.

— l. 22. In codicibus E. F. haec post vocem وغيرهم sunt verba ولا يتناجيا عن مصاحبة الجيا جنوبهم

— l. 31. Pro صفي in codicibus pluribus legitur صبته.

P. 102. l. 7. In codicibus E. F. ita legitur اوراديا ويقيس عليها على مبرانه من افعله, in codicibus A. G. وجمع عليه.

— l. 9. Pro verbis به يغرى in codicibus E. F. legitur عليه ويولب, in codicibus A. G. وجمع عليه.

— l. 10. In codicibus E. F. ita legitur بصلاة الصلاة (بصلات) »Donis misericordiae.« Pro voce بعدا in codicibus D. E. legitur بغضي, quae bona est lectio.

— l. 15. Pro voce احسن in codicibus D. E. F. legitur حسن.

— l. 19. Pro voce والتجديع in codice A. legitur التخريع, in codice B. التجريع, in codice C. التخديع.

— l. 21. In codice C. legitur امر كاس.

— l. 24. Pro من التستمر in codice A. legitur من النشر, in codicibus E. F. من الشيم.

P. 97. l. 1. In codice F. legitur آس من نفسى; sed ita ut من inter lineas scriptum sit. Lectio bona est.

— l. 4. Loco vocis احشم in codice F. legitur احسم, quae bona est lectio.

— l. 6. Loco verborum حميم . . . . ادفع in codice E. legitur الـى فـوله ذو حظ عظيم.

— l. 9. In codice E. F. pro voce محوط legitur مضبوط, tum additur وبالحافظة عليها محوط.

— l. 15. Loco verborum ومنهم من يطلب هاى خدمته usque ad لموجـب سخطه in codice E. legitur ومنهم من يراعى لسفله وعلله لتغير خاطره وسخطه; in codice F. ومنهم من تعرض نسفله وغائله لتغيير خاطره وسخطه.

— l. 16. Loco vocis بنهك in codice F. بنهاك et ita codex G. habere videtur. Sic mihi legendum videtur.

— l. 22. Loco vocis جـرب in codicibus E. F. legitur محـب, quam lectionem probo.

— l. 31. In codicibus E. F. legitur للجاء تتجبه ومن اليمر, tum يجبر كسر ذلك الوهن ابدا.

P. 98. l. 1. In codicibus E. F. desunt verba فى طريق مكيدته.

— l. 9. In codicibus E. F. post verba فى نيب additur المقام الى طيب المعاد.

— l. 10. In codicibus E. F. legitur ومصير كما فعل.

— l. 12. In codicibus E. F. legitur مشتمل ضرائب.

— l. 25. Pro voce والعسر in codicibus E. F. legitur والصبر.

P. 99. l. 2. Pro voce واقف in codicibus E. F. legitur وادك; pro قصة legitur قضية.

— l. 7. In codicibus E. F. pro voce الصنع legitur الازهار.

— l. 10. Loco verborum نعم الانطف legitur in codicibus E. F. جاع الانعام.

— l. 11. In codicibus E. F. legitur الخرم الخرديم, tum quoque الجذم العظيم.

— l. 14. In verbis مانع جامع مانع لجنده بكلام لجنده dissentiunt codices. In codice A. est lectio textus impressi, cum hoc consentire videtur codex B. In codice C. est مانع نافع لجنده لجد, in codicibus E. F. est جامع لجد لجنده مانع, in codice G. مانع جامع لجد لجنده.

— l. 16. Pro vocibus وتيمن انعل وحسن ابال in codicibus E. F. legitur وحسن البال وحسن الحال.

— l. 19. In codicibus E. F. legitur الاريب الحكيم, quod praefero.

P. 93. l. 26. Loco vocis فابا legitur in codicibus E. F. فابى.

— l. 28. Loco verborum فى الكلام in codicibus A. B. D. E. F. legitur بالكلام, id quod praeferendum puto.

— l. 31. Loco vocis مرامه in codicibus E. F. legitur ملامسه; in codicibus B. C. legitur معرفة مرامه.

P. 94. l. 3. Loco vocis الاغتناء in codice E. legitur الاعناء.

— l. 10. Loco vocis الطبيعة in codicibus E. F. legitur الشريفة.

— l. 13. In codice F. ita legitur وخاف ان يكون السكوت رضى، وان هو رضى يفوت منه المنا.

— l. 20. Loco vocis وفرحه in codicibus E. F. legitur و رفعه.

— l. 23. In codice E. legitur عرضا ولا عوضا, in codice F. عرضا وعوضا.

— l. 30. In codice F. legitur بخالف الامير, quod minus probo.

P. 95. l. 12. Post vocem السعيدة in codice F. legitur additum والاكابر يعفون، والاصاغر يهفون.

— l. 16. In codice E. vox مكروه omissa est, in codice F. legitur ابطال.

— l. 22. Pro voce الالمو in codicibus E. F. legitur اللامو; sed altera forma ob sequentem formam الاوفق praeferenda videtur.

— l. 23. Ante verba وقد كان in codice F. legitur وقال سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، ينادى منادٍ من قبل الله تعالى يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، من كان له عند الله تبارك وتعالى يد فليقم، فلا يقوم الا من عفى وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله.

— l. 32. In codicibus E. F. legitur مجتمعا فى قمر وحمرة.

P. 96. l. 1. In codice F. legitur جاءت لتلبى فمكرت. Hoc non male; codex E. offerre videtur جاءت تتلبنى فمكرت.

— l. 3. Loco verborum كالشاعر الذى انشد in codicibus E. F. legitur مثل المنشد.

— l. 7. In codicibus C. F. vox دار omissa est.

— l. 13. Verba واجعل فى مداره حولا in codicibus E. F. desunt.

— l. 15. Post verba اهنى معشر in codicibus E. F. legitur وقد صرت فى محرم سرور، ومرآة فايد وصدور.

— l. 18. Pro voce واطوف in codicibus F. Γ. legitur واصول, tum pro voce بوقع legitur بوضعنى, denique pro بحله legitur بمقله.

P. 91. l. 26. Ante versum voce كعصفورة incipientem sunt in codicibus C. D. duo versus.

متى يشتفي منك الفواد المعذب وسهم المنايا من وصالك اقرب
بعاد وهجر واشتياق ووحشة فلا انت تدنيني ولا انا اقرب

Qui quum deessent in codicibus caeteris, eos omisi.

— l. 27. Pro voce فيرثني in codicibus E. F. legitur يرق, in codice E. pro voce فيذهب invenis فيهرب. Post versum in codice C. legitur hic versus

ولي الف وجه قد عرفت طريقه ولكن بلا قلب الى ابن اعرب

In caeteris omnibus deest.

— l. 28. Verba من مكره in codicibus E. F. desunt.

— l. 31. Loco vocis فصه in codicibus E. F. legitur قصبة.

P. 92. l. 5. Post versum in codice F. haec addita leguntur

وقال ايضا ان كنت اخطأت فما اخطأ القدر اسمع ايها العاقل قول القايل شعر

اذا اراد الله امرا بامرئ وكان ذو عقل وسمع وبصر
وحيلة يصنعها في دفع ما نفى به محتوم اسباب القدر
اصم اذنيه واعمى قلبه وسل منه عقله سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه رد عليه عقله ليعتبر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى فكل شي بقضاء وقدر

— l. 7. Post vocem اغترارى in codicibus E. F. addita sunt verba ايها سمعت يا همام قول الامام اذا حلت المقادير ضلت التدابير. Ibidem loco vocis ملام legitur كلام.

— l. 10. Loco vocis وزيره legitur وانيته.

— l. 12. Verba كان هذا in codicibus E. F. omissa sunt.

— l. 14. Loco verborum اللطف المعهود legitur in codicibus المعهود تلطف.

— l. 23. Pro وتذكرت in codicibus E. F. legitur اذا تذكرت.

— l. 26. Pro vocibus عنده مرارة in codicibus E. F. legitur اذا مر بحاطري غصص.

— l. 28. In codicibus E. F. legitur لبكائه رفيقه وبريقه.

P. 93. l. 6. Loco verborum وطارقي وتلميذي e codicibus E. F. G., legitur in codicibus A. B. C. وطارقي وتليدي. Praetuli alteram lectionem, quod verba tum antecedentia tum sequentia personas significant.

— l. 9. Pro يتلافونه legitur in codice E. يتلاطفونه.

— l. 25. Loco vocis بارز in codicibus E. F. legitur بادر.

P. 89. l. 9. In codicibus A. B. C. G. legitur ولا يكشف ستري ولا يهتف بسري, quae bona est lectio.

— l. 16. Loco vocis غرقوا in codicibus E. F. legitur تغرقوا.

— l. 19. Loco vocis الكسير legitur in codicibus E. F. السجير.

— l. 31. In codicibus E. F. legitur من الطعام.

P. 90 l. 5. Post vocem الشوحا in codice haec leguntur اذا ساوها وفلوها وهي تلاوم حمياحا ومسا ويفر منها الرجل والنساء وحيد كل احد عنها.

— l. 7. In codicibus E. F. ita legitur اطلقته حبسك وان ساعته افترسك ibidem quoque pro بيد legitur تبده.

— l. 8. In codice E. post vocem اسيره hi additi sunt versus

ان العاقل من الكلام بقله حسن وان كثيره ممقوت
ما ذل قوم وما من مكثر الا بذل وما بذاب صموت
ان كان ينطق ناطق من فضة فالصمت در زانه اليعقوب

— l. 11. Post vocem بالنطق in codice E. addita leguntur وقيل احفظ لسانك لا تقول فتقتل. Ibidem quoque in codice E. post verba حسرة الملوك haec verba addita sunt وبعد ارسدة من انشدة حيث قال شعر

اذا ما اضطررت الى كلمة فدعها وباب السكوت اوصد
فلو كان نطقك من فضة لكان سكوتك من عسجد

— l. 13 In codicibus E. F. loco vocis دعنا legitur دعاها.

— l. 16. Codices A. F. habent رواه et زواة.

— l. 21. Loco vocis خدنا in codicibus E. F. legitur حرنا.

— l. 25. Loco verborum احد في in codicibus E. F. legitur لاحد.

— l. 26. Pro في عالم in codicibus E. F. legitur من عالم. pro voce خارج legitur خارجا.

P. 91. l. 8. Post vocem سنة in codice E. addita leguntur verba وقيل ايضا

سوء حظي انالمني مثلك هذا فعلى الخط لا على اللام

— l. 10. Verba وفعل الامالي والادمان ex codice F. inserui: sunt enim sensui aptissima. Fortasse autem non sunt auctori tribuenda, quod in uno tantum codice leguntur.

— l. 18. Loco vocis البنادق in codice E. legitur البيارق, in codice F. النيارق.

— l. 21. In codicibus E. F. loco vocis عايد legitur مني.

P. 87. l. 23. Pro vocibus واختصوا et واستعدوا in codicibus E. F. legitur واختص et واستعد.

— l. 27. Loco vocis القلوب in codicibus A. B. F. G. legitur القلب, quam lectionem vehementer probo, sunt enim tam in praecedentibus quam in sequentibus singularis formae.

— l. 31. In codice C. loco verborum لا ذاك legitur ذاكلا; in codice F. post ذاك vox لا omissa est.

P. 88. l. 5. Loco vocis دخل in codicibus E. F. legitur الق. Verba وقيل لم يدرك usque ad راحة المعرفة in utroque codice omissa sunt.

— l. 8. Pro voce ورعيتك in codicibus E. F. legitur ورفقائك. Ibidem loco verborum ذو الهدى in codicibus C. E. F. G. legitur ذو هدى, quae mihi tum propter sequentem vocem سدا, tum sensus causa recta videtur esse lectio.

— l. 18. Loco vocis مراع in codicibus E. F. legitur مراعى. Utraque lectio bona est.

— l. 19. Loco verborum في سويداء in codice F. legitur من سويداء, quae lectio praeferenda videtur.

— l. 27. In codicibus E. F. transposita sunt huius versus hemistichia.

— l. 29. Post versum in codice E. addita leguntur.

وقال ايضا صن السر عن كل مستخبر وحاذر فما للحزم الا الحذر

اسيرك سرك ان صنته وانت اسير له ان ظهر

Tum sequuntur in codicibus E. F.

لا تودعن الى (ولا E) الجماد سريرة فمن الجوامد ما يبيح وينطق

فاذا الحبك اضاع سر اخ له وهو الجماد فمن به نستوثق

Sequuntur post haec in codice F. versus duo primi e codice E. allati. Denique in codice E. haec leguntur وقيل ايضا.

اذا ما ضاق صدرك من حديث فافشته الرجال فمن تلوم

اذا عاتبت من افشى حديثى وسرى عنده فانا الملوم

وقيل وجد على باب نبى وزر بخط سليمن عليه السلام افتشاء الاسرار، يورث البوار، الاعراض عن النصيحة، يورث الفضيحة، وخير الموجود، بذل المجهود، وافضل المورد، الملك الودد،

P. 89. l. 2. Loco vocis متمناها in codicibus E. F. legitur منها.

— l. 5. Pro خمر in codicibus A. E. F. legitur جمر.

P. 84. l. 3. Pro ذوى الاحتلام in codicibus A. E. F. G. reperitur ذوى الاحلام.

— l. 4. Pro verbis ذ باب in codice C. legitur كل ماب.

— l. 12. Loco verborum من الجيل in codicibus A. C. F. G. legitur ومن الحيل, quae lectio praeferenda videtur.

— l. 13. Pro الاعلاء in codice B. legitur الاستعلاء.

— l. 19. Pro verbis وتمعك مسمس legitur in codice E. وترفع حبهته; at vero codex F, quae in aliis locis, paucis exceptis, cum codice E. consentit, textus impressi lectionem habet.

— l. 24. Pro voce تعرجن in codice B. تمعرك legitur; minus probanda lectio.

— l. 31. Loco vocis والشيطان in codicibus A. B. F. legitur والجان, quae est lectio bona.

P. 85. l. 7. Pro voce الارذل, quae est lectio codicis A. B, caeteri codices habent ارذل, quod magis placet; est enim in sequentibus اذل للاعداء singularis forma. Locus autem vocis وادى in codicibus E. F. legitur وادن.

— l. 10. Post vocem وحاجه in codice B. additur وفهمه.

— l. 12. Pro voce ومصلحين legitur in codice E. ويصلحون: in codice F. ومصلحين.

— l. 15. Post vocem مستريحة in codicibus omnibus plura addita leguntur. At quum essent in omnibus diversa et ita disposita, ut scribae potius quam libri auctori tribuenda viderentur, ea typis exscribere operae pretium non fuit.

P. 86. l. 3. Loco vocis غدد in codicibus C. E. F. legitur مغزر.

— l. 6. Pro voce للحدم in codicibus A. B. F. G. legitur للحدام, pro voce الغرير, in codice A. G. legitur العرير.

— l. 10. Legitur in codicibus aut الطيشار aut الطيشار. In Kamuso leoni nomen الطيشسار vel الشيسار tribuitur. Lectio igitur الطيشار praeferenda est. Ibidem loco vocis والصعب in codice F. والعصب legitur.

P. 87. l. 4. In codicibus A. B. G. versus tres omissi sunt.

— l. 5. Loco vocis كالتقا legitur in codice E. كالتقا, in codice D. كالتقا, in codice F. lectio incerta est. Praeferendum videtur كالتقا rhythmi causa pro كتلعاء scriptum.

— l. 12. Ante vocem رفع inserta legitur in codice E. شعر; at non sunt versus.

— l. 20. Loco vocis يعيب in codicibus E. F. legitur يعتب.

P. 80. l. 20. Pro voce العلماء legitur in codicibus A. D. E. F. العقلاء; ibid. in codicibus E. F. pro مسيديا بالدلالة legitur مستدلا للدلالة.

P. 81. l. 9. In codicibus A. B. G. legitur والحكم من الاحكام ما تضمنته.

— l. 10. Loco vocis ابده in codicibus E. F. ابره legitur.

— l. 14. In codicibus A. B. G. legitur العباد بعد هذا الكون من.

— l. 23. In hodice B. post vocem الطبيعية leguntur verba addita والقوة المتميزة تتطلب غذاها من الروح الحيوانية, quae mihi reicienda videntur.

P. 82. l. 4. Pro voce ردية in codicibus E. F. legitur رضية.

— l. 6. Pro voce انعس legitur in codicibus A. B. G. انحس.

— l. 12. Pro voce والنواقى in codicibus A. B. G. legitur والحين.

— l. 14. Loco واستشطنها in codicibus E. F. G. legitur, واستسطنها, quae est bona lectio.

— l. 18. Loco vocis والتوديد in codicibus A. B. legitur والتوء.

— l. 20. In codicibus A. B. F. G. pro voce المرابع legitur التسرفع. Praetuleram lectionem codicis C, cuius forma magis apta esse videretur voci والتواضع. At vero quum in caeteris codicibus lectio التسرفع sit, inque levicis formae التسرافع non eadem quam quintae coniugationi tribuatur significatio, de lectionis التسرفع praestantia vix dubitandum videtur. In codice B. haec est lectio فكم نرى فى ربعنا من شيطان فى صورة انسان وس انسان فى هيئة شيطان.

— l. 29. Loco vocis المخلطين, quae exstat in codicibus A. B. G, legitur in codicibus C. F. المخلصين, quam lectionem vehementer probo.

P. 83. l. 9. In codicibus A. B. F. omissa sunt verba ولا يخصر بعد القبول عوده; sed tum sensui tum rhythmo aptissima sunt.

— l. 12. In codice B. pro voce والابات legitur الاثبات.

— l. 21. Loco vocis والاعتصار in codicibus A. B. E. F. legitur والدمار, in codice F. الدوار.

— l. 22. Voces والدمار والضيق omissae sunt in codicibus A. B. F. G.

— l. 25. Pro voce منبع in codice B. legitur معنى.

— l. 27. Loco verborum الصراط المستقيم in codice B. صراط مستقيم legitur.

— l. 30. Loco vocis العقل in codicibus A. E. F. legitur العدل, quae bona est lectio. In codice B. الصواب legitur.

P. 75. l. 8. Loco vocis تقريره legitur in codicibus A. C. تقريره, praetuli formam تصويره ob sequentem formam وتحريره. Vox عرفنا, quae omissa est in codice C. legitur in codicibus A. B. G. In codice F. legitur عرفناه.

— l. 14. Loco verborum اعمل صالحات in codicibus A. B. legitur الاعمال الصالحات.

— l. 18. Loco vocis وغرايب in codicibus E. F. legitur وعوايب.

— l. 19. Loco لهمر النطاعات legitur in codicibus C. F. G. لهمر الى النطاعات, quae lectio mihi placet.

— l. 26. Pro verbis ولنسايهمر النوحة legendum est cum codicibus A. B. G. ولنسايتهمر النوحة; mulierum enim antea mentionem fecerat; et iuvenes senibus melius opponuntur.

— l. 30. Loco vocis النطاحة in codicibus E. F. legitur المناوحة.

P. 76. l. 5. Loco vocis اطار in codicibus A. B. G. legitur اطل.

— l. 18. Loco vocis معدى in codicibus E. F. legitur متعدى.

— l. 20. In codicibus A. F. G. loco vocis صبغى legitur صنعى, in codice B. صفى.

— l. 22. Loco voeis جدالى in codicibus A. B. legitur جلالى.

— l. 24. Pro voce ضمار in codicibus A. B. G. exstat جواهر.

P. 77. l. 7. Pro vocibus النطس البيضة in codicibus A. B. legitur الدست البيضة.

— l. 20 Loco voeis الاعجام legitur in codicibus B. G. الاعاجم.

— l. 26. Verba احتلاى وفى البيلسة حفدى in codicibus A. B. G. omissa sunt.

— l. 27. Verba وصنان للجبال والرسناق ورحالة الصحرى والاروان in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 30. Aut cum codicibus A. B. G. بعضهمر سرهمر وخواهمر, aut cum codicibus E. F. بعض سرى خواهمر legendum est.

P. 78. l. 8. Ex codicibus A. B. F. G. post vocem الانوار addenda sunt verba واستولى عليه الرجيف، وسقط من الوحيف، فما ابدى ولا اعاد، ولم قام للصلاح ذلك الفساد،

— l. 13. In codicibus A. D. E. F. G. loco vocis المغساليت legitur المغاليث.

— l. 14. In codicibus A. E. F. legitur ردبتها وان ابيت.

— l. 15. In codicibus C. E. F. واسال اوديتها ومودانا legitur.

P. 79. l. 2. In codice A. legitur ولاعراف لعبقة الاعراق, in codice F. لعقبة الاعراق والاعراف, in codice G. لعبقة الاعراف.

P. 80. l. 2. Pro محله فى in plurimis codicibus legitur الى محله, id quod praeferendum videtur.

P. 72. l. 10. Loco verborum في شكل الاثنين legitur in codicibus C. G. في شكل اثنين; in codice F. في الشكل اثنين.

— l. 11. Pro verbis تدوير المحجن, quae est lectio codicum A. B., legitur in codicibus C. G. تدوير المحجن, quae est recta lectio. In codice F. legitur تدبير المحجن, minus bene.

— l. 15. In codice B. loco verborum ذلك الاسل legitur ذكر الاسل.

— l. 20. Pro voce اعنى in codicibus A. B. E. F. legitur عنى, quae est haud spernenda lectio.

— l. 21. Loco verborum بالرمح الواحد in codicibus A. B. G. legitur بالرمح الثالث et haec videtur vera lectio, quum illa, quaenam esset tertia hasta antea rogavisset. In codicibus C. D. F. G. legitur عنده.

— l. 27—28. Verba ودهمه ما . . . . وذواعيه in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 28. Pro vocibus ما غمله in codicibus A. B. legitur ما اغناه, in codicibus F. G. ما عناه

— l. 30. In codicibus A. B. G. loco trium versuum sunt duo, tum primus et secundus ita contracti in unum سالت مجرا الشهد احلى ام انتك الذى للروح حذا

P. 73. l. 2. Loco vocis باخفائه in codicibus E. F. باحقابها exstat.

— l. 5. In codicibus A. B. G. pro voce وانشرحت legitur وانسرحت, quae est unice vera lectio. In codice F. legitur وانسرجت, quae est minus probanda.

— l. 10. In codicibus E. F. legitur وفى حسن مراورق.

— l. 12. In codicibus E. F. desunt verba وحلول فوانه . . . . وتحقق حالها.

— l. 23. In codicibus A. B. G. pro verbo العظيم legitur العليم.

— l. 27. Loco vocis سديد in codice E. legitur سعيد.

— l. 28. In codicibus C. E. F. post والفكر السرمن addita sunt verba والذهب تلب الرجل الحازم والعقل السديد الجازم; sed his similia praecesserunt.

P. 74. l. 9. In codicibus A. B. F. G. legitur ويستمر هذا العار عليهم الى يوم القيمة et haec est non spernenda lectio.

— l. 11. Loco vocis وصار in codicibus B. D. est وشاط; loco شان هذا in codice C. فى شان هذا; in caeteris من شان هذا, id quod rectum videtur.

— l. 12. In codicibus A. B. legitur وارهبتم بان اعتنم.

P. 75. l. 1. 2. In codicibus A. B. G. legitur الا غلبتم من الانس وغيركم اضعف جنس

— l. 5. Loco verborum شاكرين . . . ومن خلفهم legitur in codicibus A. F. الى قوله.

P. 67. l. 23. In codicibus A. B. loco vocis ورقصت legitur وقرصته, quae lectio reiicienda est, quum contra homoioteleuti regulas sit.

P. 68. l. 3. In codicibus A. B. omissa sunt verba . . . ظالما غشوما.

— l. 8. Loco ما مر بكم in codicibus A. B. C. G. legitur ما مر منكم; non male. Ibidem loco vocis تسفر legitur in codicibus A. B. G. تسفر, quod praeferendum puto.

— l. 16. Loco فرص رغسف legitur in codicibus A. B. F. G. قرص او رغيف, quod magis placet.

P. 69. l. 3 Loco واخبطت in codicibus A. B. G. legitur واخبطت.

— l. 8. Loco vocis البرباط legitur in codicibus A. B. G. الكابنات.

— l. 82. Loco vocis الصالح legitur in codicibus A. E. G. الصابح.

P. 70. l. 1. Pro ذلك الملال cum codicibus B. F. G. legendum est من ذلك الملال.

— l. 4. In codice A. legitur في صدر الديوان وحوالبه سابر الوزراء والاركان. Cum hoc consentit codex B. et G. nisi quod pro voce الديوان habet الايوان.

— l. 5. Pro صاحب زمانه in codice A. est في زمانه, in codice B. في زمامه.

— l. 8. Pro voce النجاح in codibus B. G. est الفلاح.

— l. 15. In codice A. ita legitur المقول ليعلم مولانا الغول وشمخ المرده المهول.

— l. 28. In codicibus A. B F. G. legitur ومصايد المصايب ومراصد النوايب.

P. 71. l. 1. Loco بحيب in codicibus E. F. legitur بجول.

— l. 2. In codicibus A C. F. G. legitur وبكتب; non male.

— l. 3. In codicibus E. F. verba وبسبر . . . بعف عامه omissa sunt.

— l. 7. Pro verbo ننسب in codicibus A. C. legitur بنسب.

— l. 8. Loco verborum ظرف بستانه in codicibus E. F. legitur ضرف بستانه quod minus probandum videtur.

— l. 10. In codicibus A. B. G. legitur يا ذا الحلم.

— l. 13. Loco vocis الاديب in codicibus A. B. F. legitur الكثيب, in codice G. الاديب.

— l. 16. In codicibus E. F. pro voce البدور legitur الامور, male.

— l. 17. Pro voce الانهار in codibus A. B. G. legitur الابرار.

— l. 21. Pro voce الدلال in codicibus E. F. legitur الدال.

— l. 29 - 30. Verba وعلى هذا الكلام غنية desunt in codicibus A. B. et tam sensus quam rhytmi causa haud necessaria videntur.

P. 63. l. 32. Pro احسن in codicibus F. G. legitur اعور, pro voce مثل in codice F. est بين.

P. 64. l. 1. Loco vocis منثرة in codicibus F. G. legitur مبثرة.

— l. 2. Pro بيطارا, ut in codice B. legitur, codices A. F. G. habent بقيارا id quod rectum videtur.

— l. 3. In codicibus A. F. G. loco vocis الحجن legitur الحجن.

— l. 4. Loco vocis معربة in codicibus F. G. legitur معربة.

— l. 11. Pro فساحسد codices F. G. habent فساحسد; in codice A. legitur فعد.

— l. 13. Pro معه codices F. G. habent منه.

— l. 15. In codice F. legitur زمام الايام.

P. 65. l. 1. In codicibus A. B. legitur عن طرق اهل العلم, in codicibus F. G. legitur طرق العلم.

— l. 18. Lectionem فى باطن in codicibus A B. inveni; caeteri vero codices من باطن habent, quae est lectio non spernenda.

— l. 20. In codice B. loco vocis منى legitur فصى; in codice A. autem وبنى على ذلك العجايب والغرايب.

— l. 28. In codice A. legitur لما توافقوا الانصار وتواثقوا ان لا يفارقوا ولا يتشاقفوا.

— l. 30. Pro سلوك in codicibus A. B. legitur سكون.

P. 66. l. 5. In codice B. legitur اعلى الاغصان.

— l. 6. In codice B. pro نرز legitur تاوى.

— l. 11. In codice B. loco vocis دهيها est دهاها.

— l. 13. Ibidem pro بصدود legitur بالصدود.

— l. 19. In codicibus A. B. vox سنة omissa est.

— l. 25. In codicibus A. B. legitur وهو حفظ.

P. 67. l. 1. In codicibus B. G. loco الواطى legitur الواطن.

— l. 5. In codice B. loco vocis تكرم legitur تعضل.

— l. 8. Ita corrigendus est locus وتستنصر باعوانه وتستصرى على, in quo typographi error deprehenditur.

— l. 17. In codicibus E. F. versus duo sunt, ut omissus alterum praecedat. Talis est ابعين معتقر اليك نظرتنى فحفرتنى وقذفتنى من حالق.

— l. 22. In codicibus C. F. G. loco نايا وهو ذيا legitur نايا, quod magis placet.

P. 61. l. 8. Pro انفسنا codex A. habet انفاسنا.

— l. 13. Pro وجلب به in codice B. est وجلب به.

— l. 16. Codex A. habet حل بابعتنى بمسـاق وتركب ى مراق. Cum hoc consentit codex B; nisi quod in eo pro بسمابنى legitur بما ى.

— l. 18. Pro الهجوم in codicibus A. B. الهجمر est.

— l. 20. Pro الفقيه السريف cum maiore codicum parte الفقيه الظريف legendum est.

— l. 30. Pro الفصيلة codices A. B. الفتيل habent.

P. 62. l. 3. Loco vocis لعنا codex A. habet شمما.

— l. 15. Loco vocis تصورها codex A. habet تصوبها.

— l. 18. In codice F. legitur غزير النزا. Ibidem loco الغرى legitur الفقرا.

— l. 25. In codicibus F. G. post verba دعا له additur سواله واجاب.

— l. 26. Codices F. G. habent وابك ان تنكسر.

— l. 27. Pro لوقته legitur in codicibus F. G. نعته.

— l. 29. Pro احدثما, quae est lectio codicum B. F, in codicibus A. G. احداهما est.

P. 63. l. 3. Pro بأسهل تبين codices A. F. G. habent بشكل انتبين, quae non spernenda est lectio.

— l. 7. In codice F. G. ita legitur اسهد الرئيس الذاتى النفيس شيخ الكر والمابس والبلسة والندليس, quod praeferendum videtur.

— l. 9. Codices F. G. habent بحديث النظر, quae forma magis consentanea videtur sequenti وعمق النظر.

— l. 12. Pro simplici وملائكته, quae est lectio codicum A. B in codicibus F. G. legitur وملائكته المقربين. Tum ita rhythmus disponendus videtur الكاتبين وملائكته المقربين.

— l. 13. Pro الرفيعة in codicibus F. G. legitur ارفعه: non male.

— l. 24. In codicibus A B. F. G. additur المسلوب النلاح post فعسر الفلاح. quae verba incuria omissa sunt.

— l. 28. Pro منانس, quae est lectio codicis B, in codicibus F. G. مبانس legitur.

— l. 30. In codicibus F. G. legitur وتلميذه ى الطب حكماء; at lectio textus impressi in codicibus A. B. est.

P. 56. l. 12. Verba ولا تخرج الروح ولـو كثرت للجروح non nisi in codicibus B. G. leguntur.

— l. 22. Codex A. B. habet فى معاملات الاسباب.

P. 57. l. 2. Pro ودونك يا غول حسـن هـذا المقـول legitur in codicibus A. G. فانـه قـد قيـل.

— l. 4. Pro verbis ومن هذا المقـال يا ابا اغوال codex A. habet وقد قيـل, codex B. وقيل.

— l. 9. Codices A. B. G. habent فى هذا الامر للخطير, caeteris omissis.

— l. 14. Codex B. habet ويسخر الاشباح وبروح الارواح.

— l. 21. Pro المجدى codex A. B. E. habent المجد.

— l. 31. Omnes codices praeter unum B. مهواه رمسه habent.

P. 58. l. 5. Pro من كيدنا codices A. G. habent من فكرنا.

— l. 10. Loco هذا المصاب in codice B. legitur هذا الباب.

— l. 14. Pro خدور codices C. F. G. habent خدود, quae est bona lectio.

— l. 19. In codice B. ita legitur فتحاسدوا وتحاشدوا وتحازبوا وتحاربوا وتقابلوا وتقاتلوا وتدابروا وتفاخروا ونكابوا وتصاربوا وتوانبوا وتجاذبوا وتهاربوا وتراهبوا وتجانبوا وتناهبوا وتلاسبوا وتسالبوا وتفرقوا etc.

— l. 23. Codices A. B. haec habent verba وجذبتهم اغراض الانجا.

P. 59. l. 7. Codex A. habet زدل شيخ للجن اكشف لنا عن بليد ذلك الفن codex B. pro اكشف habet اخبرنا.

— l. 15. In codicibus A. B. omissa sunt verba وجوب بالامانة يده وبالطهـارة جيبه In codice F. et G. loco جوب legi videtur جرب.

— l, 16. Codices A. B. habent شافقا صارخا ثايرا صايحا وا ويلاه.

— l. 17. In codicibus C. F post حالك addita leguntur verba ولا انعش بالك.

— l. 24. Pro تحفظى codices C. F. habent تيقظى.

P. 60. l. 16. Codex A. F. loco vocis ووقع habet وعلق.

— l. 20. Loco vocis معان in codice B. legitur ضرر.

— l. 27. Codex A. et C. loco vocis انفصلوا habet انفصلوا.

P. 61. l. 1. In codice B. ita legitur جندى والثانى فقيه والثالث شريف والرابع والاكرام بالهشاشة.

— l. 4. Codex A. habet سامح pro voce سارع.

— l. 5. In codicibus A. B. legitur وانما انت سفيه.

— l. 7. In codicibus A. B. exstat

P. 54. l. 1. Lectionem على ميدان الفضل ex codice B. adsumsi, qui pro راس habet راسن. Hunc scribendi modum lubenter praeferrem, etsi nil obstat, quin voci راس eadem significatio tribuatur. »Sensus verborum autem est. »Cui mons scientiae super campo excellentiae altus, firmus est.« Quae autem verbis inest figura, quum praeterea adhibuerit vocem طود montis, ea magis mihi arrisit, quam alterius lectionis, quam caeteri codices offerunt راس اشمخ بدون الفضل علمه على من طود. »Cui mons scientiae suae super corpore excellentiae est altissimum caput,« quippe mons scientiae aptior esse videatur campo excellentiae, quam corpori excellentiae.

— l. 2. Codices C. F. F. G. habent حكاية ما طرزه.

— l. 4. Codices A. B. habent علو علمه ونمو علمه ونهو حكمه وتمو حكمه.

— l. 7. Codices C. E. F. habent الزمان.

— l. 8. Pro البياسة, quae est lectio codicum C. G. codex B. بلية; codex F. بليسة offert. Ita quoque codex A. habere videtur.

— l. 11. Codices A. B. habent هذه اشهر واعوام.

P. 55. l. 6. Pro تنزيا, quae est lectio codicum A. B., codices C. F. G. habent تتزايا, id quod non videtur spernendum, quum تتزايا praecesserit.

— l. 9. Pro الاقران codex A. habet الاولين et وافراد الراهان. In codice B. وافر الزهاد legitur.

— l. 19. Codex B. habet الى ابليس اللعين العنيد.

— l. 22. Codex B. C. وس ورايه هذة اثناب non bene, ut mihi videtur; dentium enim antea mentio fuit.

— l. 23. Pro منسا codices C. E. habent منهسا, ut referatur ad antecedens الدارس.

— l. 31. In codicibus B. G. legitur العفريت شكوى هذه الدعوى A. العفريت شكوى هذا الدعوى.

— — Codex B. habet تامل ما في مطاوى محاويها من معنى اشتعلت نيران غضبه; Codex A cum hoc consentit, nisi quod pro محاويها habet فحاويها.

P. 56. l. 1. Pro لعالميا codices A. G. habent لعاملها.

— l. 9. Pro جربوا legitur in codicibus C. E. F. G. جزموا, quae lectio probanda videtur. Codices A. B. lectionem جربوا offerunt.

P. 47. l. 19. In codice F. addita leguntur وقد ارشد، من انشد، حيث قال شعر

ما فى زمانك من ترجو مودته ولا صديق اذا جار الزمان صفا

فعش فريدا ولا تركن الى احد الى نسمحتك فيما قلته ودفى

— l. 30. Pro وسلم etc. legitur in codice F. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

P. 48. l. 23. Pro عداك codices E. F. habent اعداك.

P. 49. l. 8. Pro بطا codices E. F. habent ابطا.

— l. 15. Pro الملك offerunt codices E. F. المالك; non male.

P. 50. l. 6. Pro بذره codices E. F. habent ببزره.

— l. 25. Verba واقبل على ربك بحوارحك وقلبك in codice F. desunt.

P. 51. l. 5. Codices C. E. F. G. habent جميلا; huic vero voci اليه minus aptum videtur, pro quo male codex E. عليه offert.

— l. 13. Legas اتجاحت.

P. 52. l. 2. Post vocem المومنين in codice F. haec addita leguntur واعلم يا مولانا الخاقان، كفك الله شر مكايد الشيطان، وحبب مقاصدك من الزمان، ان الدرجة العالية، والمرتبة السنية، لا تنال بهوة ولا عزمة ولا شجاعة ولا همة، وانما هى عنايه ربانية، واسرار رحمانية، لاقوام سبقت لهم من الله الحسنى وزياده، وانتظموا فى سلك اهل السعادة، فهم اهل الفضل والسيادة، اسبل الله عليهم سوابغ الانوار، وفتح لهم ابواب الاسرار، فهم السادة الاخيار، والقادة الابرار، ذموا باداء ما وجب عليهم، ونزدوا ما خلفهم واستبشروا بما لديهم، فانوارهم ساطعة، واسرارهم لجميع الاقطار ذائعة منعه، تركوا زخارف هذه الداره وارادوا دار القرار، وجوار الملك الغفار، فهم الهداه الى الله، الدالون على الله لا يعتريهم كدر الاوهام، ولا يشتغلون عن خدمة خالقهم مد الايام، هم العبد المجتهدون، والعبد المقربون، الذين مدحهم الله تبارك وتعالى فى كتابه المكنون، فقال وهو اصدق القائلين، الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون. In margine vero verbis additis من قوله واعلم الى واعلم ليس من اصل الكتاب وانما زاده الكتاب indicatur spuria haec esse.

— l. 2. Pro فعاص codices E. F. habent فحص; codex B. habet فعاصى.

— l. 3. Pro للحسران, quae est lectio codicum A. B.; codices C. E. F. G. habent للحسره; non male.

— l. 9. Post versum تسلت additur versus in codice F.

وقيل فمتع النفس بالتقليل والا تطلبت منك فوق ما يُرضيها

— l. 21. Pro متبعا codex E. habet مستعجلا.

P. 53. l. 3. Pro تغفور codices E. F. habent تغفور.

P. 41. l. 23. Pro حبست وحُبيت codex F. habet وحُبيت, in codice E. eadem lectio esse videtur. Non male.

P. 42. l. 1. Pro التغاحب non ita sensui congruam lectionem habet codex F. التباغض.

— l. 18. Observandum videtur, codices B. F. G. habere تحمل جميلتك, codicem A. تحمل جميلك; codicem C. تجمل جميلك. Et p. 40. l. 21. legitur تجملت منه جميلته. Et ibi codices A. G. فتحملت منه جميلته, codex B. C. F. فتحملت منه جميلته habent. Multum autem haesi, quaenam lectio praeferenda esset, quum de sensu vocis dubitare liceat.

— l. 19. Pro سرا codices E. F. habent خبرا, pro خبرا autem ضبرا.

— l. 25. In codice C. legitur وسرح فى اللهو. Codex E. F. وسرح فى ميدان اللهو, codex A. habet وسرح فى متن ميدان اللهو et ita codex G. habere videtur. In codice B. legitur وشرح; quod propter vocem متن in textum recepi.

P. 43. l. 1. Pro من لا يتولاك codices C. F. habent من يتولاك.

— l. 7. In codicibus F. G. pro او تصدق legitur وتصدق.

— l. 27. Pro هذا codex F. habet هذى. Hoc non reprobandum.

P. 44. l. 7. Pro قويت بهم habent codices E. F. G. قويت اليهم; codex A. B. قويت فيهم. Unum et alterum ferri potest; sed praeferendum videtur قويت اليهم.

— l. 8. Pro مكتونهم legitur in codicibus E. F. G. مكتومهم.

— l. 9. Voces واى هنتاه omissae sunt in codicibus E. F.; male quidem.

P. 45. l. 14. Pro صفوا, quae est lectio codicum A. B. G., in codicibus C. E. F. legitur محوا, quod spernendum non est.

— l. 21. Pro من المسلم والكافر والعرب legitur in codicibus C. E. F. من ادم العرب.

— l. 23. Pro العزيز علي codices C. E. F. habent العزيز الغالى على.

P. 46. l. 5. Quam praetulimus, est lectio codicum A. B. C. F; arridet autem iam nobis lectio codicum E. F. وتناولنا فى الشفاق ، شوق الاعراق ، وفارت العاوب بالاعراض ، من الامراض ،.

— l. 6. In codicibus C. E. F. legitur ومن المواصمة للملاكمة.

— l. 7. In codicibus E. F. desunt verba ثم اجتهدت ملبه وذحته وتركته.

— l. 19. Pro تلافيها codices E. F. habent تلافيها.

— l. 20. Pro ورد codices E. F. وردة habent, quae bona est lectio.

— l. 24. Pro نبائه codices E. F. habent ببانه.

P. 38. l. 14. In codicibus E. F. verba وخاصت من العلة المشتكة omissa sunt.

— l. 19. Pro هذه الانكال codices E. F. offerunt هذا النكال. Ibidem loco الاحتيال exstat الحال.

P. 39. — 4. Codices E. F. habent ان للتجوار.

— — 15. Quamvis in codicibus C. E. F. legitur فلا شك انه فلاك وبنار النهاجر والجفاء سلاك, praeferendam putavi lectionem codicis A. B., ita tamen ut voci فلاك priore loco significationem odit te, posteriore coxit te tribuerim.

— — 27. Voces ودماغ دبرك زبدا, quae obscuriores sunt, leguntur in codicibus A. B. E.; codex C. G. habet دبرك; codicis F. lectio dubia est.

P. 40. — 1. Pro للحمود codices E. F. habent الراى لحمود; caeteri الراى. Utrumque vero non est spernendum.

— — 12. Post vocem العمل codex F. addit verba ومن يسمع يخل.

— — 15. Cum codicibus A. B. E. F. G. legendum المودة القديمة, ne eadem vox repetatur.

P. 41. — 8. Pro واكل شاكل, quae est lectio codicum A. B., codices C. F. G. habent والماكل مناكل.

— l. 9. Pro voce يعتنى, quae est lectio codicis unius B.; caeteri codices يصطفى habent. Lectionem codicis B. autem praetuli, quod ea magis sono conveniret cum praecedente يقتنى.

— l. 15. Pro ومرآة النجادب in codicibus E. F. G. est ومرآة النحايب والغرايب Praetuli autem lectionem codicum A. B. ob praecedentes voces ومكسبة التجارب, nam ut voci مكسبة una tantum vox التجارب addita est, ita et voci ومرآة una tantum vox addenda videtur.

— l. 20. Post versum in codice F. addita sunt verba, quae sequuntur

وقد قيل شعر ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك شتت شمله ليجمعك

وايضا قد قيل شعر

اميل مع الصديق على ابن عمى وافضى للصديق على الشقيق
وان العيننى ملكا مطاعا فانك واجدى عبد الصديق

واعلم ان الاخ العالمى

— l. 22. Post vocem يسرك in codicibus C. F. sunt verba فالصاحب الشفيف خير من الاخ الشقيق.

P. 32. l. 26. Post vocem بقلعك in codice F. haec addita leguntur verba ولقد قال امير النحل، ذاك الاسد الفحل، ما تمت نعمة الله على عبد الا وحدث له من الناس حاسدا، وفي الحديث ان لنعم الله اعداء وما لهم من اعداء، فمل من ثم يا رسول الله، قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله والحديث ايضا يقول الله تعالى، وعز كبريا وجلالا، الحسود عدو نعمتي، غير راض بقسمتي، وقال الاسد الغالب، على ابن ابي طالب، الحاسد مغتاض على من لا ذنب له، يريد سلب النعمة عن عند اوثر الله عليه من الخير اكماله، وفي بعض الحكايات المنصمنة لملك الحكايات، قال سخص من الملاعين، لابليس اللعين، ان فلانا ابن فلان، من اهل مدينة خراسان، لله عليه نعمه ورحمة، وله منها منافع جمة، وقد جنح الى الحسد، الذي لم يحل منه جسد، وقال اريد ان اتوصل الى ازالتها واستعين، على ذلك بما يغصبه راحة العين، فعز ابليس فارحا، وقال فاغبا، وصعد الى اعلى الجبال، ونادى باعلى صوته يا للرحال، وقال من سره ان ينظر الى من هو اشر من ابليس، فلينظر الى هذا النعس فلذلك من اكرم . . . Observandum est, plura legi in codicibus E. F. a seriore manu addita.

P. 33. — 1. Pro يحسبون codices C. F. G. habent يجتنبون.

— — 9. Post vocem ضمعه codex F. addit hemistichium فكف عنه يامليك وامنعه.

— — 16. Verba ولسع ادرة ذلك الاثار المحرم in codice F. desunt.

— — 26. Post versum قد فعل additur in codice F. وقال ايضا

النقول كالمن للحلوب ليس له

رد وكيف يرد الحالب اللبن

P. 34. — 4. Pro واتمامها in codicibus E. F. legitur واحكامها.

— — 13. Post vocem زاهمة legitur in codice F. زايدة نامية.

— — 30. Codex F. caret verbis وتحكم في الكبير والصغير.

P. 35. — 30. Legendum cum codicibus ملك بابل.

— — 31. Codices C. F. legunt طابعها; quod sono magis convenit cum praecedente طالعها. Tum vocabulo طابع significatio naturae tribuenda videtur.

P. 36. — 8. Codices E. F. Post vocem مولانا addunt verba الملك الجليل الذي خراسان.

— — 11. In codicibus B. C. omissa sunt verba على سبيل المكافاة لا على طريق المودة والمصافاة فاذا كان الاحسان.

— — 13. Codices E. F. G. habent الحاقر, quod sono simillimum est praecedenti المقر.

— — 19. Codices omnes exhibent بالنقار aut بالنقار, exceptis codicibus F. G. qui يا للنار habent; at haec vera lectio est.

P. 26. l. 6. Codices A. F. G. pro ممنا, habent رمتنا.

P. 28. l. 14. Pro تجبر codices E. F. habent تخبر, quod non est spernendum.

— l. 15. Pro والعشي والابكار والعدو والاصل habet codex unus والعشي والابكار non male propter homoioleuton; caeteri vero omnes codices textus verba offerunt.

— l. 19. Pro الاولاد legendum est cum codicibus B. C. F. G. الاوداء, quod homoioteleuto magis convenit.

— l. 26. Pro طوابف in codicibus E. F. legitur ظرايف.

— l. 27. Pro. الاعمت codices E. F. offerunt lectionem المقامات.

P. 29. l. 18. Pro نعمه مع codices E. F. habent عن العوم.

— l. 20. Pro ظلامه codex C. G. habet ظلامه, codex A. ظلاماته codex B. ظلماه, codex F. ظلماته. Non spernenda est pluralis lectio, quum plurales praecedant.

— l. 30. Pro منادى قوله تعالى codex F. habet منادى الفضل والمنة, quae lectio homoioteleuto praecedentis vocis الجنة favet. At vero codex E. loco verborum فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون haec habet verba تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون. Tum post verba ربيسر منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم addit برحمة. Codex F., qui haec verba habet, addit praeterea ex Corano اجر عظيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده.

P. 30. l. 3. Pro اعلام, quae est lectio codicum A. B. H.; codex C. F. offert الاعلام.

— l. 15. Pro بالبغض codices C. F. H. بالنقص habent.

— l. 23. Codices E. H. habent كيف كان quod placet.

P. 31. l. 17. Codex E. habet في خبايل codex C. وحبايك شدايده. Offendit nos vox eadem repetita eodem sensu. Quod si lectionem خبايل praeferendam censes, vox a singulari خبال derivanda videtur.

— l. 25. Pro وشدتي legendum cum codicibus. A. B. F. H. في شدتي.

— — Pro وجبت codex F. habet وخيبت.

— l. 28. Pro الكدر codex F. offert المكر.

— l. 31. Legendum بايمانك نعمهم cum codicibus A. H. et signa homoioteleuti post vocem سمعهم et نعمهم ponenda sunt. In codicibus B. C. legitur بايمالك. Codex E. habet بايمال نفعك.

P. 32. l. 4. Pro بعد المودة legendum نقد المودة cum codicibus A. E. F. H. Codices B. C. habent lectionem بعد المودة.

P. 20. l. 31. Pro التبغى codex E. et F. habet التبتنى.

P. 21. l. 8. Codex A. B. E. F. G. habent تكن معى, quod praeferendum puto, quamvis et تكن, ut referatur ad vocem حرز, ferri posse videtur. Ibidem quoque in codicibus E, F. legitur معى فى مسيرى ومضاجعى.

— l. 19. Codices A. D. E. F. habent ذكرا; sed propter praecedentem اخرى ex codicibus B. C. G. lectionem ذكرى praetuli.

— l. 20. Pro التقصى codices A. B. C. F. G. habent المقصى, ut vix dubitem, quin voci effugiendi significatio tribuatur. Codex C. habet التقصى Et haec lectio aliis in locis observatur.

— l. 24. Verba a voce فصل incipientia usque ad قطعة l. 27 ob simile ut videtur initium, excidere ex codicibus E. F.

P. 22. l. 1. Codices A. B. E. F. G. habent الراحة, at vero codicem C. secutus, praecedentem ob vocem ساحة sine articulo, راحة, recepi.

— l. 5. Observandum videtur, in codicibus non nisi unum exstare aut سكر كرزنه aut سكر حرزنه. At vero quum et unum et alterum, ut homoioteleuton perfectum esset, necessarium videretur, utramque lectionem in textum recepi. Num recte fecerim, dubitare licet.

— l. 23. Codices E. F. pro ولا تنظر الى habent ولا تصعد بالخلاف.

— l. 26. Pro ذو طبع legitur in codicibus E. F. ذو صنع; codex G. صبع habet.

— — Pro بلا توان عما codex F. habet فلا تتهاون فيما et ita E. habuisse videtur.

P. 23. l. 19. Omnes codices, excepto uno A., habent ارخاء pro ارجاء et hanc lectionem praeferendam puto tum ob codicum multitudinem tum quod sensus aptior et elegantior videtur.

P. 24 l. 4. Ex codice C. adsumseram lectionem ولا تهنوا لنابئة; sed inspectis codicibus Lugdunensibus et re diligentius expensa aut ولا تهنوا النابئة, quae est lectio codicum A. B. G. aut تهينوا, quae in codicibus E. F. est, legendum puto.

P. 25. l. 6. In codice A. omissa sunt verba ان الذليل الذى ليست له عدة. Codex E. pro عدة habet عصة.

— l. 9. Pro فى شدة الضعف legendum videtur فى الشدة والضعف, quae est lectio codicum A. F. G.

P. 26. l. 2. Cum codicibus B. F. legendum puto يناجون. Codex G. habet ينادون

P. 17. l. 19. Pro مستنجع legitur in codicibus E. F. et G. منجع Hoc non spernendum.

— — Pro ضعف habent codd. A. F. G. عنجاب, quae vost elegantior est et rarius a scriptoribus adhibita.

P. 18. l. 1. Pro الصوت codices B. C. F. G. habent صوت, quam vero lectionem eam ob causam sprevi, quod propter homoioteleuton non bene posse coniungi videretur vox cum sequentibus.

— l. 5. Codices A. B. F. G. pro الحد legunt الذجاة, quae lectio eadem proba et ipsi الحد praeferenda videtur.

P. 19. l. 3. Codex F. habet مسد الطنب, codex G. وشد الطنب. Lectio codicis B. vitiosa est.

— l. 23. Codices A. B. E. F. G. Labent طاحون sine articulo. Ego vero praetuli vocem cum articulo ex codice C, quum in praecedente homoioteleuto vox الزبون articulum haberet, et sensus loci non impediret, quominus الطاحون legeretur.

— l. 23. Pro اوسعوه حملا in codicibus E. F. legitur ارنقوه حبلا.

— l. 28. Codices A. B. E. F. G. addunt post vocem بحباله verba وهذا يسوّى بنقله. Quae verba quamvis sensui non sunt necessaria, ex plurium codicum auctoritate addenda videntur.

P. 20. l. 2. Codex A. B. post وحقاديهم addit وابلاديهم, codex F. وتحمل بلاديهم codex G. وبلاديهم.

— l. 5. Codex F. habet. من الاوصاب والتلغوب.

— — Pro الجر codices B. D. E. F. habent الجور; male quidem.

— l. 8. Pro لاستغنت codex F. habet لاسنغنبت. Quae lectio non omnino spernenda videtur, quippe cuius sonus similior sit voci sequenti لاسنشعبت.

— l. 10. Codices E. F. pro دارها habent دراها, de quo idem iudicium ferre licet, quum eius sonus praecedenti رباها similior sit.

— l. 12. Codices F. G. والجوارح الحواسر sine copula و habent. Et hoc probandum videtur, praecedentibus verbis copula carentibus.

— l. 14. Codices A. B. E. F. G. habent نعيم منعم sine articulo, quod magis placet, quia verba sequentia عيش رغيد articulo destituta sunt.

— l. 21. Pro الاعمه legitur in codice F. الاعمه.

— l. 27. Pro وفرغ codices E. F. habent وانعش.

P. 11. l. 4. Codices E. F. habent طلع وحس, quod praferendum puto.

— l. 9. In codic. A. C. F. pro السمح legitur البسم, quae lectio non omnino spernenda videtur.

P. 12. l. 10. Pro تخلف codices A. B. G. تدفن habent; in codice F. تكاشف

— l. 16. Pro واذن in codice F. واتخذت legitur.

— l. 19. Pro لباس codices E. F. habent ملابس.

— l. 20. Pro المجمع legitur in codicibus E. F. المجمع, hoc non male.

— l. 31. A. C. E. هو احد وافتن التشع habent.

P. 13. l. 1. A. C. E. post vocem والعراسه addunt verba والتعاشه والعمل.

— l. 15 [illegible] codd. B. F. G. ذره ارتضاك praeferendum videtur, quum sequatur على ارائه الدعاء.

— l. 25. Codices E. F. legunt استلمها pro سلمها. Utrumque fieri potest.

— l. 27. In codicibus A. F. legitur عمر ممن, hoc non male.

P. 14. l. 16. Pro اسراف codices B. F. G. habent والشراع »Ortae . . . quae lectio non spernenda est, etenim mentis lux cum solis radiis comparatur.

— l. 23. Codic B E.F. habent من حميا, quae quidem lectio, quamvis ea sit consentanea cum Corani loco, ex quo desumta sunt verba, reiicienda tamen videtur, quum libri auctor Corani verba, ut sensui aptiora essent, mutaverit videatur.

— l. 29, Cum codicibus B. F. G. legendum est احسن مرعى, quod magis aptum voci حدا, quae praecedit.

— l. 32. Codex F. habet مسعدتى, non male.

P. 16. l. 6. In codice G. legitur post versum أى incipientem versus alter.

اول وقد ذهبت بوشد حجى لسه عدم على وزد الخدود

Caeteri codices carent hoc versu, praeter codicem D., cui ad marginem adscriptus fuit. Cohaerent quidem in pocnate versus, sensus autem loco minime aptus est.

— l. 7. Pro هذا الغربة codices B. F. G. habent هذه الغربة, quam lectionem praferendam esse puto.

— l. 9. Pro نسب codices A. B. E. F. G. habent بحسب. Sensus idem est; at vero haec lectio quum in pluribus codicibus legatur, praeferenda est.

— l. 18. Pro مسامهم legendum est مسهمهم tam ex codicum auctoritate, quam propter sequens لجنابهم

Pag. 5. l. 23 Lectionem المقصى adsumsi ex codice B., caeteri aut التقصى aut المعصى offerunt. Lectio المعصى non est spernenda.

— — 24 Pro لمنطر codices A. F. G. habent لمطر.

P. 6. — 6. Lectionem ضنف e codicibus A. B. elegi, quae mihi vox opposita videretur alteri نظف. Caeteri codices, excepto F, cuius lectio dubia videtur, ضنف habent.

— — 20. In lectione واما قصده من وضع الكتاب secutus sum codices B. C., codices E. F. G. offerunt lectionem واما قصده وضع كتاب. Codex A. consentit cum his, nisi quod واما ما قصده habet.

— — 8. Praetuli وقديم ex codd. A. E. F; quod stylo huius operis magis convenit, quam lectio codicum. B. C. والقديم et codicis G. عهد قديم, quae faciliores sunt lectiones.

— l. 25. Pro تتقلب codex A. habet ينقلب, cod. C. بتقلد.

P. 7. l. 6. Codd. A. F. habent وجمع الادبر, hoc non male.

— l. 11. Pro تتكر ر habet A. F. تتكتر, cod. E. تكبر, cod. G. بكثر لك.

— l. 11. Pro حسن ارانك in codic. A. D. F. legitur اذابك, non male. Conferas lin 17.

— l. 12. Pro بيان معانيك codices A. F. بنان معانيك. Eodem modo codex C. habuisse videtur. Quum lectionem non spernendam esse puto, quum praecesserit يد تصريفك, ut de digitis sensuum cogitare liceat.

— l. 24. Ante ادعوكم codd. E. F. G. ex Corano addunt يا قوم ما لى.

— l. 27. Codices A. F. offerunt lectionem بالامكار; non male quidem, quum بالاعتبار sequatur.

P. 8. l. 3. Codices A. E. F. G. pro يتبع habent يمشى.

— l. 24. Praeferenda videtur lectio بمرسوم ex codicibus A. B. E. F.

— l. 24. Codices F. G. habent تبرز.

— l. 26. Pro القمر codices E. F. habent القمر.

P. 9. l. 5. Pro وخره legitur in codicibus E. F. ووخره.

P. 10. l 28. Lectionem تلذعه شر لذعه unius codicis B. praetuli, quod sono magis cum voce لسعة convenire videbatur, quam caeterorum codicum lectio تلدغه شر لدغة, quae bonum sensum praebet.

P. 11. l. 1. Pro لرفع codices F. G. habent لدفع.

— l. 2. Pro وغذوا codices A. B. G. وغدوا habent. Non male.

Pag. 2. l. 24. Pro بوجه cod. F. habet بوجهة; quae vox significatione non diversa ratione usu ab altera distinguitur.

— l. 26. Pro فارتاحت codices B. C. D. offerunt lectionem وارتاحت, cod. G. فارتاحت. Non spernenda est lectio codicis فرتاحت, minus probandum videtur وارتاحت.

— l. 29. Legendum est الذى رفع الله له الدرجات, quae est lectio codicis A B. aut والذى رفعه الله الدرجات, quae est caeterorum.

— — Pro وانتصب habet codex F. فانتصب, cod. F. فانتصبت

— l. 31. Codex F. فى هذا الكلم tanquam singularis pro الكلام; sed minus bene, quum لكلم pluralis praecedat.

P. 3. l. 1. Codex F. من اهل القول male.

— l. 2. Codices E. F. يشرف et يكرم.

— — — — — — — — يرادون.

— l. 6 Pro كالمه cod. F. legit كتابه.

— 9. Pro يدعون legendum يدعون, quae est Corani lectio cum codice B. E. F.

— l. 21. In codice F. ex Corani loco addita legitur post vocem ينقص, vox قائمه.

— l. 26. Codex F. المعط.

— — In codicibus C. D. تلصب pro الصب الى legitur.

— — Post vocem الاسد additum est in codice A. وغزالا فى حلة حمراء

— l. 28. Pro بيته فى habet codex C. فى بيتى.

— l. 30. Codex C. habet تحككت بالعقرب الافعى; codex G. تحككت العقرب بالحية.

P. 4. l. 9. Pro فجاء legendum est cum codicibus فجمعت.

— l. 11. Pro فجاء in codicibus A. E. F. G. ووضعت, quod idem praeferendum videtur lectioni codicum B. C. D.

— l. 19. Pro التميز habent codd. A. E. F. G. التنبز, quae lectio alteri praeferenda videtur.

— l. 23. Pro الاعرق codices A. B. G. habent الافرق in omnibus locis. Vox derivanda est a voce افرق aut افرق, quo nomine appellatur sexti libri initio canis dominus. Quae autem esset recta auctoris lectio, definire non ausus sim.

P. 5. l. 3. Codex F. فى غبر من pro فيما غبر من.

Adnotationes criticae et correctiones.

Pag. 1. l. 1. In codicibus A. F. وتطفت legitur.

— l. 4. Pro نمر in codice F. ناصر legitur, quod non est probandum.

— — Pro ك' ذله in codice F. بان الذله.

— l. 8. Ex plurium codicum lectionibus compositi textum. Codex A. hanc lectionem offert فبعض معرب بلسان ذله وبعض مغرب بيمان حذله Cod. B. C. معرب بلسان حذله Cod. D. مغرب بلسان ذله et معرب بيمان حذله Codices E. F. G. معرب بلسان حذله et معرب بلسان ذله. Ne vero una eademque vox repeteretur, ex codice D. recepi مغرب, ex codicibus E. F. G. معرب بيمان. Aptius enim dicitur de voce بيان, quae est arti rhetoricae propria, معرب, quam مغرب, quamvis et alterum tam معرب بلسان حذله quam مغرب بيمان حذله dici posse, non negamus.

— l. 9. Pro بلطنيا habent codd. B. E. G. برطنيا. Cod. A. utramque lectionem offert; et revera, quaenam sit lectio praeferenda, dubitare licet.

— l. 13. Codd. E. F. pro صاوانه l. حلانه.

— l. 19. Cod. F. pro بالغصاص male بالخلاص habet.

— — Cod. F. تسلما كسرا male.

P. 2. l. 1. Silentio praeterire non posse videtur, codices E. F. in locis e Corano adductis longioribus, plura saepius e medio omittere; dum voces ك' قوله huius rei indicandae ergo inserantur.

— l. 17. Pro حذره in codicibus F. G. جذره.

— l. 20. Pro صنع in codicibus E. F. صنع. Hoc reiiciendum est.

— l. 21. Pro ذوو, quae est lectio codicum A. F., codices C. D. E. habent ذو; codices B. G. ذوى. Non est probanda lectio ذو, quum in caeteris vocabulis pluralis forma sit; at vero lectio ذوى non omnino est spernenda. Post particulam سوى tum nominativus, tum genitivus locum habet.

Pag. ٧٤ l. 11. dele signum post الحجن l. 13. leg. وخر et ثره.
» ٧٥ l. 25. leg. بخرشنه.
» ٧٦ l. 6. leg. وحسب l. 7. leg. والعفن l. 8 leg. والعشاء l. 26. leg. الجوس l. 27. leg. نوح l. 28. leg. في.
» ٨٠ l. 21. leg. كذلك هو.
» ٨١ l. 1. leg. المكرمة.
» ٨٢ l. 9. Pro خذان leg. نذان.
» ٨٣ l. 17. leg. فذروا et الى هذا.
» ٨٥ l. 22 leg. معبده et منفية.
» ٨٨ l. 1. leg. احدثنا l. 29. leg. عن رجلا et الشمر l. 31. leg. سو
» ٩٢ l. 29 leg. سلف.
» ٩٣ l. 18. leg. حل به العذاب
» ٩٥ l. 19. leg. الحواس.
» ٩٦ l. 24. leg. بعامر.
» ٩٨ l. 6. leg. و omisso ه.
» ١٠٠ l. 2. leg. السحنين.
» ١٠١ l. 4. leg. بكسر l. 5. leg. بمعنه l. 11. leg. علب
» ١٠٣ l. 13. leg. الموح.
» ١٠٩ l. 7. leg. وفي منسوبه.
» ١١٥ l. 9. leg. الصفت l. 16 انصدا.
» ١١٩ l. 29. leg. حصر.
» ١٢٠ l. 4. Deleas homoioteleuti signum post لحمي.
» ١٢١ l. 4. 5. Commutandae sunt voces معنه l. 22. leg. دنت l. 23. dele signum post اردوح
١٢٥ l. 1. leg. محمه l. 28. leg. غربه
» ١٢٦ l. 9 Homoioteleuti signum dele post بموارث.
» ١٢٩ l. 19 leg. او بعه
» ١٣٠ l. 32. leg. حمعت
١٣٤ l. 30 leg. اسعفي
» ١٣٥ l. 8. leg. نوبانه l. 29. leg. طوبو
» ١٣٦ l. 28. leg. وبشر بدي.
» ١٣٧ l. 9 leg. بعض الحاضر.
» ١٣٨ l. 18. leg. من له غرض.
» ١٣٩ l. 3. leg. المشرق l. 4. leg. بغداد l. 25 leg. اسلاح
١٤٠ l. 31 leg. خدموا مواليه.
» ١٤٥ l. 4 leg. الجمعه

Pag. ١٤٨ l. 8. leg. وهل بقبل.
» ١٤٩ l. 28. leg. من الغرب
» ١٥٥ l. 31. leg. والاصعف.
» ١٥٦ l. 8. leg. ومن هم l. 19. leg. فلن
» ١٥٩ l. 15. leg. افتر.
» ١٦٠ l. 8. leg. حدث.
» ١٦٦ l. 27. leg. راحل.
» ١٦٨ l. 14 leg. وكفاه امنه. Deleas signum post والاربب l. 15. Dele signum post والحرب
» ١٦٩ l. 11. leg. الحبساء l. 29. Delendum videtur homoioteleuti signum post قلب et ponendum post صلب.
» ١٧٠ l. 10. leg. واحموسنه
» ١٧١ l. 23. leg. عبدرت.
» ١٧٥ l. 18. leg. الجلاء
» ١٨٣ l. 6. leg. ما نعلا.
» ١٨٩ l. 31. leg. المشرعه l. 32. Dele signum post احمى.
» ١٩٧ l. 23 leg. ثروسه l. 24. leg. نخله
» ١٩٨ l. 16. leg. مدنيد.
» ١٩٠ l. 5. leg. واسفسه مع الانفعل et الاحوال.
» ١٩١ l. 12. leg. بوفي.
» ١٩٢ l. 24. leg. لعضعه.
» ١٩٤ l. 21. leg. وبننمي l. 29. وسكنت
» ١٩٥ l. 6. leg. المنسب l. 18. leg. عمارة l. 24. leg. الاسفى.
» ١٩٧ l. 17. leg. وذكر.
» ٢٠٢ l. 26. leg. وكم بعمة.
» ٢٠٥ l. 2. leg. مما درة
» ٢٠٨ l. 11. leg. بحصنه
» ٢١٠ l. 30 leg. او آواه.
» ٢١٠ l. 12. Deleas رابنه.
» ٢١٩ l. 15. leg. بعد مفاسات.
» ٢١٣ l. 5. leg. فتوجست l. 16 legas والاضمئلي
» ٢٢٥ l. 21. leg. عمله
» ٢٢٥ l. 2. leg. ابصريمي
» ٢٢٩ l. 1. leg. الموعد
» ٢٣١ l. 13 leg. ملك.
» ٢٣٨ l. 2. leg. حمكرحس
» ٢٤٢ l. 1. leg. في الارض بلادم
» ٢٥٠ l. 19 leg. ابن نوح

CORRIGENDA.

Pag. ٢ l. 29. Deleas لا.
» ٤ l. 12. legas في الجناب والجواب.
» ٥ l. 25. leg. عند.
» ٧ l. 22. leg. محسن l. 25. Homoioteleuti signum post ماله dele.
» ٨ l. 23. leg. نعثروا l. 31. legas الى القدوم
» ٩ l. 16. leg. ولجتنط.
» ١١ l. 10. leg. المسلذات.
» ١٢ l. 12. leg اذا عمر.
» ١٤ l. 6. leg. واعرضوا.
» ١٥ l. 29. leg. راكب.
» ١٩ l. 18. leg. مسقم et متشرفا l. 21. leg. بجريمة احد ابدا
» ٢٠ l. 6. Deleas homoioteleuti signum post لى.
» ٢١ l. 1. leg. وفلسبى. l. 13. legas سوقمني.
» ٢٢ l. 8. leg. وحساوبها l. 16. legas كل عاقل.
» ٢٣ l. 14. leg. وعزم l. 18. leg. بمقتضى
» ٢٣ l. 15 leg. الجمعة والجماعة et وانعزل في ذيل جبل
» ٢٦ l. 2. leg. وتناجون.
» ٢٨ l. 6. leg. والرعمة.
» ٣٠ l. 3. leg. الخمانين.
» ٣١ l. 13. leg. دارى l. 19. leg. واخلص
» ٣٢ l. 11. leg. شخص l. 12. leg. تقبل l. 20. leg. عليه l. 22. leg. السلطانية l. 29. leg. ارآء l. 31. leg. ما الجز.
» ٣٥ l. 13. leg. يجسس l. 23. legas الرئيس وحرق l. 26. leg. اعلم با نعيس
» ٣٦ l. 22. leg. منزوى l. 24. leg. جبلية.
» ٣٧ l. 2. leg. عليهم.
» ٣٨ l. 12. leg. واعتدى.
» ٣٩ l. 11. leg. وآرت.

Pag. ٤٠ l. 9. signum homoioteleuti post vocem العمر deleas.
» ٤٢ l. 6. Pro اتى legas اتت l. 20. leg. ميتعين deleto signo post اليمين.
» ٤٢ l. 21. leg. اصبعه et وترغم.
» ٤٥ l. 21. leg نصف l. 24. الكلام.
» ٤٩ l. 16. leg. تخفى.
» ٥٠ l. 4. leg. بشعد.
» ٥٠ l. 24. Dele homoioteleuti signum post راحلا.
» ٥٣ l. 4. leg. بغرنكم.
» ٥٥ l. 22. leg. اذن et حنيه.
» ٥٧ l. 9. leg. الحكمه et العلاء l. 11. dele homoioteleuti signum post مجر.
» ٥٩ l. 8 leg. كان et مكان l. 15. legas بن.
» ٦٠ l. 5. Finem huius lineae coniunge cum sequenti بالله.
» ٦٢ l. 9. leg. اتمنى l. 16. leg. حس l. 30. leg. سعدة.
» ٦٣ l. 3. leg. عمى deleto و l. 15. leg. بسر.
» ٦٤ l. 18 leg. حسبا.
» ٦٥ l. 20 dele homoioteleuti signum post الانسن l. 21. legas عندمه.
» ٦٦ l. 11. leg. من الكتب l. 27. leg. تجرد deleto signo.
» ٦٨ l. 9. leg. وبغرى.
» ٦٨ l. 3. legas انتجبت omisso و l. 29. leg. الملتمى.
» ٧٠ l. 18. leg. لحبائل.
» ٧١ l. 3. leg. ... l. 15. leg. تعلموا l. 23. leg. وحمى

etiam monitos velim, ne istas varias lectiones tanquam minutiora minimi faciatis vel tanquam molesta et parum utilia fugiatis, in quibus enim si satis diligentiae adhibueritis, fore spero, non solum ut, quaenam sit codicum Arabicorum ratio, melius intelligatis, verum etiam ut in linguae Arabicae rationem magis penetretis.

At vero quum, variis quia saepe alluditur rebus tum historicis tum grammaticis tum ad alias artes spectantibus, tanta huius libri difficultas sit, ut, si non doctioribus, at saltem tironibus molestiam exhibeat, in eo potissimum laborare statui, ut textui Arabico versionem ex Arabicis in latinum sermonem ad verba magis expressam et adnotationes vel sensum vel res illustrantes addam. Quod si denique ea est operis conditio, ut non solum linguae Arabicae studiosos, verum etiam, quod maius est, inerudítos delectare et erudire possit, quid mirum, si textum Arabicum Germanice, non tantam vocabulorum singulorum quam rerum rationem habituro, transferre mihi in animo est. Quam vero rem, quum et brevior atque facilior sit et magis apta ad animum recreandum, me citius perfecturum spero.

Vos autem omnes, qui litteris Arabicis cupitis, ut Terentiani illius memores, »errare humanum est«, ob errores commissos excusatum me habeatis mihique faveatis, etiam atque etiam rogo

Scribebam Bonnae Idibus Iunii

illi in variis lectionibus mirifice consentiunt, sic hi interdum etiam in vocabulis vitiosis conf. p. 109. l. 1. Hisce autem quum insint plurima vel addita vel mutata vel omissa conf. p. 117., 123., 243. l. 10., 244. l. 4. etc. nescio, an dubitare liceat, quin illi codices A. B. C. D. G. textum veteriorem sequantur. Codices E. F., quod in aliis capitibus exempli gratia in quinto plura, quam in aliis mutata offerunt, id non tanta nos afficere debet admiratione, quippe unus locus addendis magis faveat altero.

Qualis sit singulorum codicum status et nexus quidam inter se, etsi breviter satis tamen explicatum arbitror. Sequitur, ut illa persequar, quae pertinent ad adnotationes criticas libro subiunctas.

In libris Graecis atque Romanis ut, quotquot essent, varias lectiones colligerent et diiudicarent, operam dare consueverunt editores. Quam rem, etsi in illis. tum quod graviores singulae lectiones, tum quod minus copiosae sunt, et praebet utilitatem et facilis perfectu est, si in omnibus operibus Arabicis imitaremur, non solum parum commodi haberet, verum etiam sumtus in ea faciendos vehementer augeret. In codicibus enim Arabicis et praesertim in operibus huic similibus, tantus saepe exsistit, variarum lectionum numerus, ut iis enumerandis ut operis moles sic pretium augeatur, necesse sit. Quod si igitur omnes, quotquot in septem codicibus reperiuntur, in adnotationibus accurate recensuissem et diiudicassem, vix dubitaverim, quin libri moles duplo maior exsisteret. Quaenam autem ex tot enumeratis vitiis vel variis lectionibus nil ad sensum mutandum facientibus legenti prodire potest utilitas? Nullam prorsus puto, nisi ut intelligatur, parum saepius prudentiae atque diligentiae in describendo adhibuisse Arabum scribas et variarum admittere linguam Arabicam formarum usum. Quis autem non videt, in tanta lectionum multitudine, electionem esse habendam, qua graviora tantum, caeteris neglectis recenseantur. Qua vero in re si non omnibus pariter satisfecerimus, id erit cogitandum, aliis alia gravia haberi. Verba quaedam a scribis omissa esse, in adnotationibus saepe diximus; id vero non ita dictum accipiatis, quasi omnia ista scribarum negligentiae tribuenda sint, vix enim dubium est, quin permulta in codicibus E. F. omissa sint, ut homoioteleuti partes regulis magis convenirent.

Vos autem, iuvenes, qui litteris Orientalibus operam navatis, etiam atque

posse videtur, ab auctore opus anno 858 finitum esse, falsa esse habenda; li enim anno 840 est compositus et auctor, ut supra monui, anno 854 diem premum obiit. Quae verba ne de tempore, quo scriba volumini finem impos rit, accipiantur, ipsa eorum conditio obstare videtur. De externa autem illor codicum Parisiensium conditione nil habeo, quod scribam.

Codex unus Gothanus littera A. insignitus parvis litteris expedite quid sed non sine negligentia scriptus est. Consulto autem, ni fallor, scriba omni pagina 227. l. 11. usque ad paginam 250. l. 29. omisit post versus sic perg تعسا لك احبركم ايها الملوك, ita ut omnia de Djenciscani rebus gestis exposita desi rentur. Caret homoioteleutorum signis et finitus est die Jovis decimo qui mensis Redjeb anni 1105.

Alter codex Gothanus, cui littera B., non ab eadem manu quum scrip sit, variam in variis locis habet auctoritatem. Minor eius pars pag. 2. — 11. 23 usque ad libri quarti finem p. 84, p. 151 in fine usque ad p. 153 initio p. 161 cum parte paginae 162 et vetustate et scribentis maiore diligentia, non homoioteleutorum signis additis maiori codicis parti modo rectius modo ne gentius scriptae multum praestat. Codicem die Martis decimo mensis Redjeb a 1025 absolutum esse, id quod nonnisi de maiore eius parte intelligendum, fine codicis legimus. Codicem in suum usum vir quidam Abu-Beer-Muhi-Al appellatus descripsit.

Codex Lugdunensis Nro. 731 a me littera F. notatus ab eodem viro, non omnibus locis aequaliter modo maioribus modo minoribus litteris descrip et homoioteleutorum signis ornatus est. Scriba die Saturni vicesimo quinto m sis Djumadae prioris anni 996 opus ad finem perduxit.

Codex Lugdunensis Nro 956 a me littera G. notatus a viro quod Mohammede ben-Salam etc. appellato decimo tertio mensis Zafari anni absolutus est. Scriptura est bona et homoioteleuti signis instructa; sed qu attinet ad signa diacritica, sit venia verbo, non semper distincta.

Hisce generaliter dictis addam quaedam magis specialia. Inter omnes prin pem locum occupare videtur codex C. Parisiensis, ita tamen ut codicis Gothani B. nor pars auctoritate non multum inferior sit. Omnes autem codices in duas par dividendi, ut uni codices A. B. C. D. G. accenseantur, alteri codices E. F, ut ei

sive ut homoioteleuto satisfacerent, sive alia de causa, admiserint, de lectionibus non recte iudicetur. Atque in iis lectionibus, quarum formae etsi sint diversae, eundem tamen sensum legenti praebent aut in synonymis conf. p. 118. l. 29. p. 119. l. 5. p. 124. l. 10. 12, quaenam potest esse causa, cur unum alteri praeferamus? Quae autem lectiones quum neque ex interna sensus conditione neque ex externa, formarum scilicet, diiudicari possint, nil reliquum est nisi codicum auctoritas et consensus; illorum vero auxilium in huiusmodi scriptoribus quam infirmum sit, quis est, qui non intelligat? Quae autem in codicibus singulis addita leguntur, ea si maioris momenti habentur, ex scribae ingenio prodisse saepissime videntur, sin vero minus gravia sunt, ut ea tanquam a scribis negligentibus omissa auctori saepius adiudicemus, necesse est.

Breviter expositis, quae ad leges in edendis libris Arabicis observandas spectant, restat, ut de codicibus, quibus usus sim, pauca addam. Erant illi septem numero, tres Parisienses, duo Gothani, duo Lugdunenses. Horum usum amicitiae cl. Hamackeri, illorum Gothanorum cl. Molleri debeo. Aliquot ante annos quum Parisiis versatus inter alia in id animo intentus essem, ut mihi opera, quae ederentur, digna compararem, cogitationes meas ad hoc opus describendum direxi et istum in finem codicem Nro. 1509, in adnotationibus meis littera C. insignitum elegi, ita ut eundem cum codicibus Nro. 1510. st 1511. litteras D. E. in adnotationibus gerentibus conferre statuerem At vero quum singulari erga me benignitate viri illustr. Silv. de Sacy illius codicis apographi a Mich. Sabbagho facti in usum adhibendi copia esset data inque huius apographi initio plura ad marginem ex caeteris codicibus adscripta reperirentur, re conferendi admodum molesta in illis locis me supersedere posse putabam. Postea experientia edoctus quum intelligerem, non prorsus omnia ex codicibus illi exemplari esse adscripta, ab initio illos conferre vehementer cupiebam, quam rem quominus perficerem, impedivit tum instans iter tum aliae occupationes, quibus eram implicitus. Nec vero est, cur multum in ista intermissione damni inesse videam, ut enim unus codex Lugdunensis littera F. notatus a codice Parisiensi Nro. 1511. perraro dissentit, sic caeteri codices cum Parisiensi Nro. 1510. plurimis in locis consentiunt. Silentio autem praetermittere non possum, verba a me in fine adnotationum criticarum e codice C adscripta, ex quibus colligi

hae, animis nonnisi ad res descriptas intentis, verba parum curantes aut nullam in his mutandi causam viderent aut res ipsas maioris facerent, quam ut verba mutare auderent. Qua re factum est, ut in historicis Arabicis edendis non sint aliae, quam in Graecis atque Romanis leges statuendae. Id vero ante oculos semper sit nobis, scriptores Arabicos opera sua sine punctis diacriticis scripta interdum edidisse atque in iis describendis scribas non potuisse hanc ob causam quin saepius in errores inciderent.

In operibus huic a me edito similibus longe aliter res se habet, nam quum in rebus eligendis parum studii ponerent et omnes potius operam, illas interdum negligentes, in stylo exornando consumerent, non mirum videtur, quod non eandem in his quam in illis historicis describendis rationem sequerentur. Quibus autem in operibus quum externa verborum conditio, quibus sensus exornaretur, praecipua libri virtus duceretur, tantum aberat, ut homines scriptorum verba posteris immutata tradendi desiderio flagrarent, ut quilibet pro suo ingenio atque doctrinae, qua polleret, copia, aliis de suo aliquid addere, alia in meliora mutare, *si non laude dignum at saltem licitum putaret*. Itaque, ipsa linguae Arabicae indole magnam tum in formis tum in construendi modo diversitatem admittente, nescio an in ullo alius generis opere maior aut additorum aut mutatorum numerus reperiatur. Quid autem de magna in talibus operibus edendis criticae artis exercendae difficultate dicam? Num maior ulla in re, quam in illis lectionibus diiudicandis cogitari potest difficultas? Editoris officium esse, ut librum auctoris autographo simillimum in lucem emittat, quis est, qui neget? At vero tanto in numero a scribis mutatorum quomodo auctoris verba ab illis mutatis discerni possunt? Tribuatur quidem codicibus veteribus maior quaedam auctoritas, quam recentibus; sed illa non tam in codicis vetustate quam in interna eius conditione quaerenda est, fieri enim potest, ut recentior codex ex veteriore fluxerit aut ab accuratiore et ut ingenio sic doctrina magis insigni viro descriptus sit. Quae autem res quum ita se habeat, quid, quaeso, erit faciendum, ut recta a falsis discernamus? Eruntne lectiones, quae vel aptiore sensu vel figuris pulcrioribus sese nobis commendant, caeteris semper praehabendae? Minime vero; namque illae scribarum industria haud raro ortae videntur. Quid, quod ex regulis grammaticis, quum eiusmodi scriptores interdum formas regulis grammaticis non congruas

Abu'l'Mahaseno facultatis docendi diploma scripsit, hic liber nondum finitus erat

His expositis sequitur, ut de tribus reliquis partibus praefationis breviter dicendum sit, de ratione in libro edendo sequenda, de codicibus in usum adhibitis et de adnotationibus criticis.

Ante omnia lectores monere liceat, nec easdem in omnibus scriptis Arabicis artis criticae leges esse statuendas, neque in scriptis Arabicis edendis eandem ac in Graecis aut Romanis adhiberi posse rationem. Aliae enim sunt leges in historicis, aliae in operibus stylo sublimiore scriptis et cum homoioteleuto (Rhem) coniunctis, aliae in carminibus edendis. Cuius rei causa cernitur tum in modo diverso, quo memoriae nostrae prodita sunt ista Arabum scripta, tum in diversa, quae in variis Arabum scriptis inest, indole ac natura. Carmina Arabum antiquissima ore posteris tradebantur et ita impediri non potuit, quominus contra hominum voluntatem memoria fallente plura mutarentur. Huic accedebant et aliae mutandi causae non levioris momenti. Erant enim in carminibus antiquissimis aut plures dialectis quibusdam propriae voces et formae, quae una cum caeteris omnibus post Mohammedis imperium a Koraischitarum dialecto expellerentur et prope delerentur, aut in versibus componendis multa ingenio facile indulserant veteres, quae accuratiore rei metricae cognitione poetae serioris aetatis tanquam errores sensim sensimque removebant. Ita factum, ut et in ipsis codicibus vetustate insignibus ipsorum poetarum verba immutata frustra quaerantur et in restituendis illis parum auxilii vel a regulis metricis vel a grammatica petatur, quo magis enim lectio aliqua in illis carminibus regulis apta est, eo minus probanda saepius videtur. Nec vero eadem est ratio in carminibus recentioribus, quae non tam ore poetarum, quam scriptis memoriae traditae Koraischitarum dialecto composita et regulis metricis congruentissima reperiantur

Libri historici, exceptis traditionibus, quas dicunt, quae ore posteris traderentur, et opera huic edito similia quamquam ad unum omnia scripturae ope ad nostram aetatem pervenerunt, tamen ars critica in istis edendis diverso agat modo necesse est. In libris historicis praeter scribarum vitia nulla vel admodum pauca invenimuntur, quae a scribis consulto mutata habeantur, quippe enim scri-

Quos quum perlegisset auctor sex eiusmodi versus composuit Hanc ob rem magna admiratione affectus alter versus scripsit, in quorum homoioteleuto littera ر cum littera ا coniuncta adhibita esset. Primus horum versus est.

من لحربی من ظلوم منه ابعدت فرارا

»Quis mihi auxilium praestat contra iniustum, a quo longe fugi.«

Quibus in versibus quum auctor omnia homoioteleuto apta vocabula adhibita intelligeret, rescripsit versus Hamid Aldinum imitans in dialecto Bagdadica. quorum primus hic est.

ای خداوند عَجَبْو عن مولاه التناغی

»Nisi fallor haec scripta sunt verba pro

ای خداوند اعجب من مولاه المناغی

»O domine! miror, quod sermo intelligibilis continuetur.«

Quae tum inter illos continuata in libri molem accreverunt. Totus autem liber nonnisi versibus consistere videtur.

Omnia autem auctoris opera, quae versibus scientias tractant, perdifficilia sunt intellectu.

Inter ea, quae non versibus; at stylo sublimiore cum homoioteleutis scripta sunt opera, primum, si temporis ratio habeatur, tenere videtur locum Vita Timuri, cui titulus est عجایب المقدور فی نوایب تیمور. »Res admirandae a Deo decretae in fatis Timuri.« Confectus est liber anno 840 (conf. Vit. Timur. T. I. p. 376.)

Tres sunt huius operis editiones, una Golii, quae ob permulta in ea vitia parum tantum commodi legenti adferre potest; altera quidem melior est Mangeri, sed ob plura, quae remanserunt vitia, legenti molesta. Versio autem latina non ubique recta Optima denique est editio tertia, quae Calcuttæ anno 1818. in lucem prodiit et Makrizius, historicus celeber in librum scripsisse videtur commentarium

1. Sequitur liber, quem edidimus تزکیة النفوس ومعاکیة الحلق inscriptus.

2. الترجمان المترجم بمنتهی الارب فی لغة الترک والعجم والعرب »Interpres explicans cum perfecta peritia in lingua Turcica, Persica et Arabica.« De lingua Turcica, Persica et Arabica agere librum, indicat titulus, quas contineat res, accuratius definiri nequit

3. عزة السیر فی دول الترک والتتر »Morum excellentia in regnis Turcarum et Tatarorum. Initio autem mensis Dsu'l'Hidjdjah anni 851, quo

Libros versibus scriptos praemittam, quantum potero, temporis, quo editi sunt, rationem habiturus.

1. حلوة الامداح الجالبة فى حلى العروض والعربية »Splendor laudum ad pulchritudinem (vel ad Djemal-Aldinum) spectantium in vestibus artis metricae et grammaticae.« *)

2. مراة الادب فى علمى المعانى والبيان »Speculum doctrinae in scientiis sensuum et explicationis.« **)

3. العقد الفريد فى علم التوحيد »Margarita singularis in scientia unitatis Dei. (Res religionem spectantes continet liber.)

4. مقدمة فى النحو »Institutiones grammaticae praemittendae.«

5. عقود النصيحة »Margaritae admonitionis« Ex initio libri, qui in diplomate ab auctore descriptus est, nil accuratius definiri potest.

6. خطاب الاهاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب »Allocutio corii lacerati et responsio stellae fulgentis.«

Causam huius libri componendi talem exposuit codicis Lugdunensis auctor. Vir quidam Alborhan Albauhni appellatus miserat auctori sex versus, in quorum homoioteleuto littera ظ erat adhibita, quorum primus sic sonat.

احمد لم تكن والله فظا ولكن لا ارى لى منك حظا

»O Ahmedes! tu per Deum! non eras inhumanus; sed non video mihi portionem ex te acceptam.

---

*) Vocabulo العربية a quibusdam grammaticae significatio tribuitur, at vero amplior significatio accipienda videtur. Auctor enim ipse scientiam istam in duodecim partes dividit 1. علم اللغة 2. علم الصرف 3. علم الاشتقاق 4. علم النحو 5. علم المعانى 6. علم البيان 7. علم العروض 8. علم القافية 9. علم الخط 10. علم القرض والانشا 11. علم المحاضرات 12. علم البديع et, ni fallor, omnes scientiarum partes complectitur, quae ad linguam Arabicam et bene intelligendam et bene loquendam pertinent.

**) Additur in codice Lugd. والبديع, ut de artis rhetoricae praeceptis agere videatur (conf. de vocabulis بديع, بيان, ادب, معانى et lexicon nostrum et de Sacy Anthol. gram. Arab. p. 305). In scribendo libro auctor modum carminibus غزل appellatis proprium secutus est. Hadji Chalifa, cl. Hamakero referente, circiter mille versus continuisse opus, dicit; in codice Lugd. duplex est versuum numerus. In vita Timuri versus ex hoc opere desumti leguntur conf. Vit. Tim. T. I. p. 184. II. 978.

Damascum invitatus, ut antea memoravi, non redierat. Hamid-Aldino iudice de verborum iuris querente, cum in malefícorum carcerem duci iusserat, ex quo quinto die, quum in morbum implicitus esset, dimissus post duodecim dies mortem cum vita commutavit.

Fuit autem et pulchro corpore et eo vultu, in quo pietatis tum erga Deum tum erga homines indicia conspicerentur, non minus doctrina quam ingenio insignis, in tribus linguis, Arabica, Persica atque Turcica maxime versatus. Erat quoque in eo mira suavitas oris et vocis et cum summa humanitate coniuncta magna modestia. Quae vero eius fuerit doctrina, quantum ingenium, nullum est certius indicium, quam quod tam brevi temporis spatio et tanta in penuria (conf. Vit. Timuri T. II. pag. 972. 974.) tot et tales libros composuerit, quorum si nonnisi trium, quos Mangerus in praefatione ad vitam Timuri appellavit, auctor fuisset, talem in suo genere haberet gloriam, qualem in eo nemo ante eum habuit maiorem. At decem vel plures etiam libros tum versibus tum stylo sublimiore aut Damasci aut in oppido Cairo scriptos edidit. Quos enim decem postquam in diplomate, cuius antea mentio fuit, recensuerat, verba addidit haec وافتصر فى التذكرة على هذه العشرة للوجازة etc. »Brevitati studens nonnisi decem hos libros appellavi,« ex quibus coniicere vel suspicari poteris, plures eum libros confecisse. Quibus in recensendis nec quem auctor in diplomate secutus est, nec ordinem codicis Lugdunensis imitari possum, quippe qui temporis nulla habita ratione et versibus scriptos et alios inter se miscuerint *).

---

* In codice Lugdunensi aliis omissis alii, quam in codice Parisiensi, librorum tituli leguntur, quos recensere operae esse videtur 1 كتاب فى علم النحو. „Liber de grammatica agens, doctorum circiter versuum, quos in modum apud recentiores Ghasal appellatum fecit. 2) Carmen praecedenti forma simile de grammaticae parte صرف appellata (de inflexionibus) agens, quo quendam procerem laudavit. 3) Fides Muhammedica ducentorum circiter versuum, quorum commentarius ab auctore scriptus volumine continetur. At vero dubitare licet, num ab illis in codice Parisiensi descriptis diversi sint libri. Qui primum tenet locum, is idem liber ac ille مقدمة فى النحو appellatus esse videtur et nescio an non secundus primi sit pars habenda. Qui denique tertius est, is in codice Paris. inscriptus esse videtur العقد الفريد فى علم التوحيد.

824 principe Ebn-Otsman, in patriam redeundi consilium cepit. Quum primum Halebum iter direxisset, eodem anno die Veneris festo sacrificii (الاضحى) oppidum intravit, quo tempore Ebn-Kazuh rebellabat, et ibi per quatuor mensium spatium *) mansit. Tum, loco isto relicto, Damascum mense Rabiae posterioris **) anni sequentis pervenit. Ibi sedem habens in hospitio templi Alkazab appellati (مسجد القصب), totum se dedidit religionis cultui et Dei contemplationi. Anno 830 duce Schehab-Aldino ben-Alhabbal Alhanbali librum inscriptum صحيح مسلم perlegit. Fine mensis Almoharrami anni 832, quum Mecca cum peregrinantibus reversus esset, Ala-Aldinus Abu Ahbd-Allah Mohammed ben-Almohammed Albochari, intima se cum eo amicitia coniunxit, eoque duce summo cum studio iurisprudentiae eiusque principiis, rhetoricae et doctrinae Sophorum aliisque litterarum partibus operam dedit, quae amicitia nonnisi morte viri illius, cui octavo mensis Ramadhani anni 841 succubuit, interrupta est. Ab anno 840, quo in Aegyptum Cairam migraverat, semper religionis cultui, ad Sophorum disciplinam adhaerens ***), ut monachi vitam egisse videatur, litteris colendis occupatus erat. Raro istum locum (legimus enim eum post pestem anno 850 urbem Mizrum intrantem), relinquens plurium virorum doctorum amicitia usus est, inter quos non infimum locum tenet celeberrimus ille historicus Abu'l'Mahasenus, cuius antea mentio facta est. Mortis causam, quam die Lunae decimo quinto mensis Redjeb anni 854 sexaginta et duos annos, sex menses et viginti dies natus Cairae †) obiit, hanc fuisse, tradunt auctores. Aegypti princeps Almalic Altsahir Djakmak, qui, ut videtur, aegre tulerat, quod auctor

---

*) In codice Lugdunensi legitur trium annorum spatium, quod falsum est.

** In codice Lugdunensi est mense Djumadae posterioris.

***) Habitabat enim in oppido Caira coenobium Zelahiticum, quod referente cl. Hamakero ex Makrizii libro, Sophis pauperibus ex terris longinquis venientibus anno 569 Zelah-Aldinus in usum concesserat.

†) Corrigendus est Herbelotius, qui Damasci eum vitam exspirasse narravit et Mangerus, qui in praefatione ad Vitam Timuri iudicis munere cum functum esse scripsit. Damascum enim postquam redierat, nonnisi religionis cultui et litteris vitam consecrasse videtur. Unde Mangerus istam rem hauserit, nescio.

prudentiae eiusque principiis operam navans. Anno 814 eum ibi degisse ex loco Vit. Timur. T. I. pag. 376. colligitur. Inde eodem, ut videtur, anno, suis relictis *) in terram Krim appellatam profectus cum pluribus viris doctis societatem coluit, quorum praecipuos nominarunt Arabum scriptores Ahmedem Biruk, Scharaf-Aldinum, qui anno 847 Adrianopoli decessit, Mahmudum Albulghari, Mohammedem Allubbabi et Ahbd-Almudjidum poetam praeclarum, qui poema elegantissimum de Josepho inscriptum موئس العشاق lingua Turcica composuit. Mox mari Graeco traiecto in regnum Ghijats-Aldini Abu'lFatah Mohammed ben-Abi Jasid ben-Murad ben-Aderchan ben-Otsman Adrianopolin se contulit, ibique in principis gratiam tantam intravit, ut litteris ab Almalic-Altshahiro Abu-Sahid Djakmak, quibus in Syriam vocaretur, datis, ille eum demittere nollet. Primo autem tempore et docendo et libros in linguam Turcicam vertendo occupatus, principis iussu librum جامع حكايات ولامع الروايات inscriptum **) sex circiter volumina complectentem e lingua Persica in Turcicam, nec non Abu'lLaitsi (mort. anno 383) librum, quo Coranum interpretatus est, et alium librum تعبير العساكرى appellatum in versus Turcicos transtulit. Quibus operibus quum in dies crevisset eius auctoritas, princeps eum habuit ad manum scribae loco, quod multo apud Orientis gentes honorificentius est, quam apud Romanos, quod necesse est, omnium consiliorum eum esse participem. Principis nomine lingua Persica epistolas ad Kara-Jusufum aliosque scripsit, Turcica alias ad Deschti principes eorumque imperatorem, Arabicas ad Muajjedum Schaich, Mogolicas ad Schah-Ruchum aliosque dedit. Nec vero isto tempore litteras neglexit et explicavit duce Borhan-Aldino Haidar Alchawafi librum المفتاح ***) inscriptum simulque in grammaticae studium incubuit. Mortuo eius patrono anno

*) Nulla posthac familiae eius mentio fit apud scriptores, et in codice Parisiensi توجهت „profectus sum“ legitur.

**) Liber iste auctore Hadji-Chalifa a Djemal-Aldino Mohammede Alaufi in gratiam Nizam-Almolki ministri celeberrimi Malik-Schahi compositus fuit. Errorem autem Hadji-Chalifa commisisse videtur, qui illius libri vertendi iussum Murado secundo tribuerit.

***) Nisi fallor est liber مفتاح العلوم, in quo de grammatica, rhetorica et arte metrica egit Abu-Jakub Josephus Alsaccaki.

minibus Medinae supremum diem obiit. Anno 809 Samarkandi congressus est cum Alschaicho Alorjahn Aladhami, qui isto tempore aetatis annum 350 egisse et postea virginem in matrimonium duxisse fertur. (Mortuus est in regione Turkestan anno 830). In lingua autem Persica et scriptura Mogolica multum profecerat. Anno 811, viginti annos natus, in Alchathae regiones suis relictis profectus est *). In terris Mogolicis praeceptores habuit Borhan-Aldinum Alendecani et iudicem Djelal-Aldinum Alschirami (الشيرامى) **), quem Muhammedis traditiones narrantem audivit (اخذ عنه). Grammaticam edoctus est ab Hadjio. Chawaresmiam cum suis profectus praeceptoribus usus est memoratu dignissimis, nempe Nur-Allaho, Ahmede ben-Alschems Alajimmah (Antistitum sol) Alserai (Serai oriundus) ***), qui rex linguae Persicae, Turcicae et Arabicae appellatus est. Inde familia comitante in regiones Descht se contulit, primum in urbe primaria Serai habitavit, tum in oppido Hadji Torchan sedem fixit. Hoc in loco praecipuo praeceptore usus est Hafits-Aldino Mohammede ben-Nazir-Aldin Mohammed Albassasi Alcerderi †) per quatuor circiter annorum spatium iuris-

*) Dubitare licet, quonam tempore Samarkandum reliquerit in illas regiones proficiscens. Annus 811 in codice Lugdunensi adnotatus est, ubi sic legitur ونقل الى سمرقند خرج منها فى سنة احدى عشرة وجال ببلاد الشرق „et Samarkandum in captivitatem abductus est, tum exiit ex isto loco anno 811 et terras Orientis pervagatus est“ Terrarum Orientis nomine Chatae regiones comprehendi, in dubium vix vocari potest, nec non Chathae regiones et Mogolorum terras easdem esse. At vero quum in codice Lugdunensi cum solum (مفرده) iter hoc fecisse legamus, postea vero cum suis in Chawaresmiam migrasse, ex codice Parisiensi appareat, incertum est, utrum Samarkandum redux iterum cum suis iter fecerit in Chawaresmiam, an eius familia ipso non comitante in Chawaresmiae regiones ad eum profectus sit. De itinere in Chawaresmiam facto magis accurate codex Parisiensis utitur voce توجهنا „profecti sumus“, minus accurate codex Lugdunensis habet توجهت „profectus sum.“

**) In codice Lugd. legitur السيرامى.

***) In codice Lugd. السرانى.

†) De modo vocabuli Alcerderi scribendi haud satis mihi liquet. Ut in codice Parisiensi الكردرى sic in margine codicis Lugd. scriptum legitur, sed in textu codicis Lugd. et in Vit. Timur. T. I. p. 376. ed. Mang. nec non in editione Calcutt. legitur الكردى.

Damascenus, natus est die Veneris, vicesimo quinto mensis Dsu'l'Kahdae *) anni 791, et Corani librum, ut Arabum mos fert, ad verbum edidicit magistro Ohmaro ben-Alahbbas Almokri. Anno 803 Damasco a Timuro occupato (conf. vit. Timur. ed. Mang. T. II. p. 55 sqq.) cum matre, fratribus et sororis filio Ahbd-Alrahmano ben-Haulan Samarkandum in captivitatem abductus est **). Quamdiu ibi commoratus est, pluribus utebatur praeceptoribus, inter quos insignes sunt Mohammedes Aldjordjani in collegio Aideutimur appellato habitans, et Schems-Aldinus Mohammedes Aldjesri in collegio Bagh-Choda sedem habens. Utrique hi filii erant viri celeberrimi Borhan-Aldini Almarghinani Alhanefi, qui librum الهداية inscriptum composuit (conf. Vit. Timur T. I. p. 374. sq.) Nec vero silentio praetermittendi sunt Ahmedes Altermedsi Alwaits, Ahmedes Alkozajjir, Husam-Aldinus et Mohammedes Alsahid, qui explicato Corani libro centum volu-

---

dubio accepit, quod diu inter peregrinos versabatur eorumque linguam bene callebat. Non erat cognatus duorum virorum simile nomen gerentium nempe Daudi et Zalihi Mohammedis ben-Ahrab Schah filiorum, qui Hamadani oriundi, Damasci habitabant.

*) In codice Lugdunensi cum medio mensis Dsu'l'Kahdae natum esse, legimus.

**) Auctor ipse, se in captivitatem abductum esse, non narravit, sed utitur verbis hisce واتفق ان توجهت فى الفتنة الواقعة فى سنة ثلاث وثمانمائة من تمرلنك المخذول مع الاخوة والوالدة الى سمرقند. „Accidit, ut proficiscerer tempore belli gesti a Tamerlano anno 803 cum fratribus et matre Samarkandum"; sed vix alia huius itineris causa cogitari potest, quam captivitas. Legimus quoque in codice Lugdunensi, quendam auctorem scripsisse كان ممن اسر مع الملك ونقل الى سمرقند. „In eorum numero fuit, qui captivi cum Timuro erant et Samarkandum translati sunt." Maximum quoque inde auctoris nostri in Timurum odium ortum videtur, quod ubique et supra modum in scriptis manifestat. Quae autem fuerit causa, cur cum suis in captivitatem abduceretur, vix coniectura explicari potest, oppidum enim post biduam obsessionem Timuro traditum est securitate, ut videtur, concessa, ut credendum non sit, eum ex incolis eius sine causa urgente homines abduxisse. Arcem autem demum post obsidionem quadraginta et trium dierum, multis de suis occisis, in deditionem accepit. Illius autem incolas et defensores eum in captivitatem abduxisse, verisimile videtur. Erat fortasse pater auctoris, nam, quo tempore mortuus sit, ignoramus, in numero defensorum arcis, ut haec captivitatis causa admittatur.

terum Abu'l-Mahasenum cognomine Taghri Berdi, historicum satis notum, qui in libro suo منهل الصفي etc. inscripto auctoris nostri vitam narravit Erat autem intimae amicitiae vinculo cum isto coniunctus, ut optime res eius nosset. Vitae eius inseruit licentiae docendi diploma (اجازة), quod Ebn-Arabschah sua manu Abu-l'Mahaseno scripserat. Sunt in eo plura ex libris eius minus notis excerpta, ex quibus et quae contineant et quomodo scripti sint, paulo accuratius cognoscitur. Quae res quum ita se habeat, isto articulo scriptores alii tanquam fonte, ex quo haurirent, usi sunt, et mihi summa fide videtur dignissimus *).

Ahmedes ben-Mohammed ben-Ahbd-Allah ben-Ibrahim ben-Abi-Nazr Mohammed ben-Ahrab-Schah ben-Abi-Beer Alustad Alschehab Abu-Mohammed ben-Alschems cognomine Ebn-Arabschah et Aladjemi **), illo magis noto,

---

componendi ceperit consilium, id nondum finito saeculo peregerit, sunt enim in isto opere, Hamakero amicissimo in litteris ad me datis referente, virorum vitae descriptae, qui sub ipso saeculi fine decesserunt, quapropter annum 902 obitus tempus habendum videtur. Librum vero editum esse initio saeculi decimi, ex eo patet, quod et Alsoiuthius defunctus anno 911 et Siradj-Aldinus Ohmar ben-Ahmed Alhalebi defunctus anno 915 et Schehab Aldinus Ahmed ben-Ahbd-Alselam Aldimaschki mortuus anno 923 in auctore refutando operam posuerint. Compendium operis البدر الطالع من الضوء اللامع inscriptum, in quo Ebn-Ahrabschae vita non legitur, refutandi operis causa, ut videtur, factum, ab Hadji-Chalifa Ahmedi ben-Ahbd-Alselam tribuitur.

* Huius articuli aprographum accuratissimum, coniecturis quibusdam viri illustrissimi de Sacy ornatum debemus amicitiae Munkii Berolinensis, iuvenis olim inter commilitones nostros Bonnae insignis, nunc Parisiis totum se litteris Orientalibus dicans. Qui quum pulchris ingenii dotibus ornatus indefesso in istas litteras studio incumbat, multa de eo praeclara proditura praesagire possumus.

**) Observare operae pretium videtur, esse quandam inter codicem Lugdunensem et Parisiensem in nomine discrepantiam, cuius causa in eo esse videtur, quod plura saepe nomina inter alia omitti solent. In codice enim Parisiensi sic legitur nomen: Ahmedes ben-Mohammed ben-Ahbd-Allah ben-Ibrahim Schehab-Aldin Abu'l'Ahbbas Aldimaschki Alraneti cognomine Ebn-Ahrabschah notus. In codice Lugdunensi haec addita leguntur verba والد التاج عبد الوهاب. „Pater Altadji (Tadj-Aldin) Ahbd-Alwahhab. In vita Timuri (ed. Mang. T. II. p. 699) nomen eius brevius est. Cognomen العجمي inde sine

ut enim regis gladio exstirpari malum, sic eruditorum pennis bonum confirmari, ut, hisce si rebus vitium inesset, totus mundus corrumperetur. Quae verba ansam praebuerunt, ut ad Djencischani res gestas enarrandas accederet. Primum agit de Djencischani origine, de terris, quas Tatarorum gentes incolebant, de Tatarorum moribus, religione, opibus, quibus sub Djencischani imperio potiti sunt. Djencischanus ipse describitur eiusque in imperio initium. Post bellum eius contra Chinae imperatorem Altunchanum sequuntur belli contra Muhammedanos gesti causae et variae in isto contra Chawaresmschahum bello res gestae. Djencischanus in morbum implicitus in regiones suas rediit, relictis Tulichano et Sonatano et Jemao cum copiis. Djencischanus anno 624 diem supremum obiit. Quae postquam perdix mas ad usum monitorum suorum converterat, ab aquila magno affectus est honore. At princeps Hasib his verbis quum sermoni finem imposuisset, a rege de rebus gravissimis in consilium adhibitus, ut regni perturbatas res in integrum restitueret, operam dedit. Totus liber Dei prophetaeque Muhammedis etc. laude concluditur.

Argumentis capitum, quae liber continet, expositis, deinceps de auctore eiusque scriptis agendum est, qua in re duos sequar auctores, unum Schems-Aldinum Mohammed ben-Ahhd-Alrahman Alsechawi (السخاوى) Almizri, qui in libro الضوء اللامع لاهل القرن التاسع »Splendor corruscans de hominibus saeculo nono viventibus« inscripto, hominum, qui saeculo nono florebant, vitas exposuit *, al-

---

* Non possum silentio praetermittere, doctissimum Weiers Hollandum, virum specimine critico, exhibente locos Ibn-Khacanis de Ibn-Zeiduno, de litteris Arabicis optime meritum, rogata clarissimi Hamakeri vitam auctoris ex isto opere summa diligentia exscriptam mecum communicasse, quae res et meas et omnium, qui litteris hisce favent, gratias meretur. Magnum est opus quinque voluminum, quorum duo in bibliotheca Lugdunensi asservata litteram ع, sunt enim vitae ordine alphabetico descriptae, tota litteram ع a nomine عتيبى incipientem, litteras غ, ف, ق, ك, ل, et partem litterae م continent. Virorum vitas, qui saeculo nono diem supremum obierunt, non exclusis iis, qui saeculo octavo nati sunt, descripsit, quae res causa fuisse videtur, cur in quibusdam Hadji-Chalifae codicibus libri titulus legatur الضوء اللامع فى اعيان القرن التاسع والتاسع. Qui vero in exemplari uno (in altero enim 902 subscriptus, at superscriptus annus 851 Lugd. obitus annus 851 legitur, is errori tribuendus, fieri enim vix potuit, ut, qui talis libri

felici eventu certiorem factam ad regem adduxit. Ibi multis utrique beneficiis ornati honorificentissimum inter regis ministros locum obtinuerunt.

CAPUT DECIMUM.

De modo, quo tractandi sunt ministri, dilecti, inimici et socii

Capite nono absoluto, rex, ut pergeret atque insequeretur longius, principem rogavit. Hic regis desiderio satisfacturus praecedentibus adnectit sequentia hoc fere modo. In secreto colloquio aliquo die aquila perdicem ita allocuta dicitur. »Multae mihi sunt cuculo gratiae referendae, quod te ad me adduxit et te animo ipsi deditissimum esse oportet, quod verum se tibi amicum probavit. Descripsit enim te mihi quum virum prudentia insignem tum experientia edoctum, quapropter vehementer opto, ut mihi consilia des. Perdix mandatum ita exsecutus est, ut primum omnium rerum mundanarum fundamentum, quo niterentur, mentem seu rationem et legem nominaret, tum rationis significationem amplius describeret, denique hortaretur, ut Anuschirewani regis exemplum secutus summa erga subditos semper iustitia uteretur. Narravit quoque res inter Anuschirewanum regem et senem quendam gestas ad probandum, hunc mundum esse locum serendi, cuius fruges in altero mundo perciperentur. Regi vero, huic loco praeposito in altero rationem reddendam esse. Bellum contra infideles gerendum tanquam praecipuum regis officium laudavit monuitque, ne iniuste atque dure homines tractaret, non enim posse iniustitia adhibita peragi pia opera, quod iniustitia omne meritum tollat. In Iliasi historia esse officii admonitionem. Regiam autem dignitatem esse fidei commissum, quod homini gravia officia iniungeret. Rediit tum ad iustitiam illustrandam et ostendit, quantopere ea regi prodesset. Hominum iustissimos esse prophetas et Anuschirewani gloriam propter iustitiam cultam ad posteritatem pervenisse. De Dei iustitia tum agere pergens narravit, quomodo Deus Mosi iustitiam suam in homines ostenderit. Ita ad Muhammedis religionem describendam ductus, quae omnium esset religionum iustissima, iustitiam [عدل] in fide et precibus definivit. Exposito autem modo recto atque ratione in scientiis comparandis, litterarum utilitatem descripsit. Tali denique disputationi finem imposuit eo, quod gladium regis et eruditorum pennas huius mundi fulcra appellaret, quibus hominum res fulcirentur,

Ad aquilam confugiamus, in quo enim quum sit misericordia, non dubito, quin nos sit in tutelam recepturus. Quibus de verbis magna admiratione affecta femina, sic nos, inquit, vinculis traderemus, quemadmodum in fabula piscis fecit. Tum perdix mas ait, ut in natura sic in aquila vis duplex est aut nocendi aut iuvandi. Atque quum infirmum opprimere dedecus sit, fore spero, ut ab omni iniuria tutos nos praestet aquila. Rem in dubium vocatura, respondit femina, quamquam hoc fieri posset, se tamen timere, ne in ipsos advenientes, antequam coram rege verba fecissent, omnes natura cogente subito irruerent aut si in ipso itinere in mala incidissent, se non videre, quomodo illis se expedirent. Similes ipsos fauros corvo illi in fabula cum mustela agenti. Se igitur, quum res esset factu perdifficilis, eum obtestari atque obsecrare, ut multum et diu de re cogitaret Perdix mas sermoni finem impositurus, tanta autem est, inquit, regis maiestas, ut, quicunque in regis tutelam se receperit, is ea non privetur. Omnes igitur res sunt leves habendae, dummodo ad eum usque perveniamus. Perdix autem femina non amplius repugnans, quasdam mari erga regem agendi regulas observandas exposuit et rogante mare nonnullas a rege quodam leges datas declaravit. His verbis finitis ad regis sedem iter ingrediuntur et post multos labores periculaque superata ad montem Karin perveniunt. Ibi relicta femina in loco tuto, perdix mas cuculum quendam, qui ex intimis regis ministris auctoritate multum valebat, adiit auxilium imploraturus. Benigne exceptus statum exposuit et, ut sibi ad regem aditum pararet, rogavit. Cuculus, auxilio promisso, aquilae indolem describens, sperare illum iubet; sed festinandum esse, quod non omni tempore faciles ad regem aditus sint. Tum consiliis perdici datis periculosissimam regis societatem esse declarat, et rei probandae causa Timuri factum narrat, quo finito consilia explicare pergit. Perdix mas cuculi sapientiam laudans gratias ei agit maximas. Posthac ad aquilam cuculus statim profectus, mox vultu laetus rediit et perdicem marem ad regem comitatus est. Regia sedes et aves regem circumdantes describuntur Intrandi venia concessa, perdix regem laudibus ornavit et, cuculo hortante, ut bono animo esset metumque deiiceret, libere rem suam exposuit. Hoc finito rex benigne cum tractavit et opes servosque adducere iussit. Ille vero conditionem suam describens, se esse virum pauperem opibusque destitutum, qui unam tantum sociam haberet, dixit. Tum illam de re

CAPUT NONUM

De avium rege et perdicibus duobus a patria calamitates fugientibus

In monte confini alteri, Karin appellato, ubi aquilae avium regis sedes erat, duo habitabant perdices. Accidit, ut quotiescunque ova excluserant, totiescunque pulli vix educati ab aquila venatum profecta eiusque comitante turba perderentur. Qua re commotus perdix mas e patria migrandi consilium feminae proposuit, triste enim esse, quod prole omni carerent. Illa quidem, licet rei veritatem non negaret, non faciles esse dixit res ad iudicandum menti atque rationi subiectas, quippe in rebus, quae sensibus perciperentur, error facile committeretur. Huius vero argumentum inesse rebus, quae inter mulierem Bagdadensem eiusque amatorem gestae narrarentur. Amor quoque patriae animo innatus, quum esset religionis pars habenda, ut vix evelli posset, timere se, ne patria relicta in calamitates inciderent. Posito autem atque concesso, futurum, ut sors et ipsis melior esset et proles superstes, magnam tamen in ipsis liberis causam esse parentibus et doloris et curarum, ut qui in alio praeter Deum fiduciam posuerit, non recte fecisse putaretur. Quapropter sibi rectum videri tum Deo gratias agere tum in loco permanere. Tum perdix mas inquit, qui in tempore fallaci fiduciam ponit, is stultissimus habendus namque ut caveat, neminem praemonet et cum variis calamitatibus ex inopinato irrumpit. Fac autem unum ex nobis hisce calamitatibus interiisse, quid commodi erit alteri superstiti in nostro habitaculo? Nonne dolor ob amici decessum maior erit, quam ut ulla re lenatur? Prudenter igitur et caute agendum, quemadmodum asini camelique fabula docet. At femina reponit. Homines ad res mundum spectantes consequendas variis in agendo sequuntur rationes, sunt enim, qui opibus utantur et exercitibus. Alios fortuna adiuvat, alii multam operam atque studium impendunt; alii autem quod nimis festinanter agunt, de spe decidunt, alii mox lassi desistunt. Tu vero cogita, cuinam parti hac in re attribuendi simus. Nos vero, quum simus omnino impares aquilae, patientia utamur, fieri enim potest, ut statum nostrum permutet tempus futurum. Quid autem est, ait mas, quod in tempore fallaci nitamur?

ut caute agam et ex camelo, quaenam res sit, quaeratur Probato isto a rege consilio advocatur camelus. Hic autem haud immemor iurisiurandi urso dati, quamquam leo benigne eum excipiebat multumque hortabatur, tamen secreta prodere nolens, tum tristitiae tum macici causam timori a temporis calamitatibus tribuit et quum et leo et corvus interrogando instarent, nil amplius respondit. Talpa autem quaedam omnia illorum verba urso retulit, quo factum, ut, ubi proditum se a camelo putaret, festinanter ad leonem currens, his fere verbis camelum alloqueretur. Quod si ista verba turpia non fecisses, melius tibi esset; sed iam tuam erga regem perfidiam Deus manifestabit. At camelus, num putas, inquit, me verbis tuis terreri Si testes tibi sunt, adduc eos, sin vero testes non habes, eum rem non statim regi indicasti. Aut igitur es mendax, aut erga regem perfidus. Et si insanandum a me non accepisses, crimen tuum patefacerem: non alia vero tua contra me res facta est, quam illa contra fabrum lignarium ab uxore peracta, quum ianuam clausisset. Utrumque rex in carcerem, cuius custos vulpes erat, abduci iussit Quibus rebus peractis glis, quem camelo et ursi sermones audivisse antea narravi, vulpem carceris custodem adit, quinam rei foret exitus, interrogaturus is et quis sit sons et quinam rei exitus futurus, se nosse negavit. Rogavit tum glis, ut, si regis sententia ad unius aut alterius culpam inclinaret, id sibi indicaret Quae verba quum vulpem in opinionem adducerent, esse gliri rei notitiam vellet, ut eam sibi aperiret At ille, vir, inquit, etsi nil nisi rectum spectat, tamen non prudenter agere mihi videtur, si regum rebus se immiscet et ego inferior sum, qui tale quid audeam. Carceris custos, non recte dicis, respondit, bonum enim consilium gratum acceptumque est habendum Ne igitur rem tace; sed sequere ministri regis Anuschirewani exemplum. Res quidem est, quemadmodum dixisti inquit glis sed timorem abicere non possum, ea vero conditione, ut rem non divulges, eam tibi patefaciam. Quod ubi promiserat carceris custos sermones inter camelum ursumque glis narravit. Rex autem de vero rei statu a carceris custode certior factus, corvo suadente concionem convocavit, ut publice res iudicaretur Ibi adductis camelo ursoque praesentibus rem exposuit et ut sententiam ferrent, imperavit Omnes, magnum esse crimen, pronunciant et advocatus glis contra ursum testimonium dicit Ursus autem nil contra proferre ausus et regis misericordiam frustra implorans, nece poenas dedit

mutanti tempori obediunt, cuius rei argumentum ex textoris fabula ducere licet, ita ut cautio haud inutilis habeatur. Pluribus inter utramque partem disputatis, tandem camelus huius rei remedium interrogat ursum. Hic diu ubi cogitaverat, praevenias, inquit, leonem ad exemplum serpentis in fabula, nam socors perit-urus est. Camelus respondit, sibi haud verisimilem videri rem, quia semper nonnisi maximo a leone honore affectus esset, neque vero se propter leonis apud ipsum collocata beneficia, ab animo impetrare posse, ut hostiliter contra eum ageret, neque se, si vellet, rei perficiendæ potestatem habere. In Dei clementia sibi esse fiduciam ponendam et, hoc optimum cuilibet esse auxilium, probari rebus inter agricolam, lupum et serpentem gestis. Se vero ab urso petere, ut de re futura atque incerta non amplius cogitaret. Quam rem quum in dubium vocaret ursus, quemlibet enim rei finem spectare debere dicens, camelus, ne in errorem timore falso inducaris, inquit, felicitas enim, qua fruor, leonis erga me probat benignitatem. Atque si ipsi leoni malum inferre animum inducerem, vires mihi deessent; quapropter verbis hisce abstineas velim. Glis quidam in propinquo degens omnes utriusque sermones audierat. At vero ursus, quum conatum suum irritum intelligeret, multam egit poenitentiam. Camelum autem res tantopere afflixerat, ut omni abiecta laetitia emaciaretur. Cuius rei admiratione affectus leo, corvo ministro suo, ut causam exploraret, imperavit. Corvus regis ut mandatum exhauriret, camelum adiit, sed nullum tulit responsum. Quapropter clam camelum observans, aliquo die sitis explendae causa quum ad aquam ille constitisset, haec proferentem verba audivit. O quam felices sunt pisciculi in aqua ludentes habendi, quibus a rege timor non sit; sed o me miserum! Quæ verba quum corvus leoni nuntiasset, magnopere eum perturbarunt, quid enim commodi in vita mea est, inquit, si temperantiae et abstinentiae, cui operam do, non habetis fiduciam. Vos igitur omnes etiam atque etiam rogo, ut quae vobis displiceant, mihi aperiatis, quo enim quisque liberius vitia mea indicabit, eo carior mihi erit. Omnibus regem laudibus ad coelum efferentibus, ursus, qui intelligeret, cameli rem significari, apud regem remansit dicens, camelum ob multa regis beneficia insolentia elatum rebellionem parare Leo autem falsum hoc iudicans corvum consuluit. Is leoni in eo, quod falsa haberet ursi verba, omnino assentiens, in urso esse cameli tristitiae causam opinatur suadetque

reddat hoc, imperat. Aut fugiendum aut elephanti imperio se subiiciendum esse leoni. Quibus de verbis admodum iratus leo et vix se continens, quin in legatum irrueret, vulpi responsum mandavit. Vulpes autem elephanti stultitiam vituperans, leoni victoriam praedixit, huius rei probandae causa gliris et vici principis fabulam narrans, efficaciorem enim robore esse astutiam. Primum autem omnium id sibi videri agendum, ut elephantis timor, qui magnam in animos vim haberet, iniiceretur. Itaque lupus cum litteris, quibus audax leonis animus elephanto patefiat, mittitur. At ille, lupo repulso, suos bellum parare iubet. Atque leo, vulpe suadente, quod elephantis nonnisi impetus vehementis in pugna modus esset, ferarum autem genera varios pugnandi modos sequerentur, aquas in proclii campum dimittendas curavit, ut nonnisi viae angustae inter aquas elephantis relinquerentur et magna cum arte prout singulis ferarum generibus aptum erat, copias disposuit, quo factum, ut magna elephanti clade afficerentur.

CAPUT OCTAVUM

De leone temperante et camele fugace

Erat leo ut potentia praeclarus sic temperantia insignis, namque Deo fore se sanguine animalium abstinentem promiserat. Aliquo die, quum corporis recreandi causa in campis amoenis deambularet, ursum invenit, quem, promisso facto, ut carne vescenda abstineret, in societatem recepit. Non multo post camelo oberranti occurrit. Quem quum leonem comitantes ferae lacerare cuperent, rex interdicens, cavete inquit, ne sors vestra similis sit illi Cosrois, venatum proficiscentis. Advocatum tum ad se camelum tanto adfecit honore, ut inter honoratissimos regis ministros locum teneret. At ursus, qui in dies camelum crescere intelligeret tum odio incitatus tum carnis vescendae aviditate commotus perdere eum studuit. Quapropter ut contra leonem irritaret cum operam dedit, dicens, leonis temperantiae etsi ille carnis cibo abstineret, tamen non esse confidendum, sed quod naturam sibi in hoc adversantem haberet, multam eius opus esse cautionem. Quam suspicionem quum in dubium vocaret camelus, non negotiosus inquit probum leonem esse animum, sed ut aqua ad pristinum saepius locum redit, sic homines saepius mutatos mores iterum admittunt, omnes enim omnia

terea diversa sunt dimicandi genera, elephantis unum tantummodo; id quod illis commodo erit. Atque elephantorum rex fratris pravi consilio adductus, copias contrahi iussit. Corvus quidam in leonis ditione domicilium habens, ubi comperit, talia moliri elephantorum regem, leoni rem indicavit. Convocatis feris leo exposuit rem, et, ut quisque sententiam diceret, iussit. Statuerunt autem, ut quilibet ordo unum ex suis eligeret, qui caeterorum vice fungeretur, et ut omnes, quod hi decrevissent et rex sancivisset, iuste peragerent. Leo, pardus, vulpes et lupus duces creantur, quibuscum rex leo consilium init. Primus leo de tribus agit, de fuga, de pace facienda, de bello gerendo. In fuga esse dedecus leonibus, non esse pacem componendam, quod fieri non posset, ut leones elephantorum imperio se submitterent; reliquum igitur nil esse nisi bellum gerendum. Tum pardus, sunt, inquit, elephanti viribus maiores et bene armati et verendum est, ne impetui eorum non resistatur; inter nos enim sunt debiles, quibus elephantorum adspectus terrorem incutit. Mittatur igitur legatus tum status eorum melius explorandi, tum pacis faciendae causa. Quod si pax conciliatur, habebimus quod optamus, sin vero bellum gerendum, re explorata ad pugnandum erimus melius parati. Nocturnus autem impetus multum praeferendus. Vulpus regi, ut elephantorum animos placaret, suasit. Vulpes denique, quum essent ipsi elephantis viribus impares, astutia adhibita utrinsque vires aequari debere. Non autem silentio esse praetereundum, leonum exercitui commeatum opus esse portandum, dum elephanti gramina sibi necessaria quolibet invenirent loco, ferarum quoque naturas esse diversas et multas multarum inter se inimicitias. Ad rem probandam felis et venatoris fabulam adducit. Non esse pardi de impetu nocturno sententiam omnino reiiciendam; sed cautionem in hoc quam maxime adhibendam, nam, si quis contra astutiam uteretur maiore astutia, fieri posse dixit, ut illa noxia esset auctori, quemadmodum in fabula cameli eiusque domini contigerit. Non esse pacem donis missis conciliandam, in quo essent infirmitatis indicia. A re autem non futurum alienum, si rex legatum prudentem mitteret, qui tum inimicitiae novae causam cognoscere studeret, tum ferarum et fortitudinem et belli gerendi experientiam exponeret, tum ipsorum elephantorum statum exploraret. Quo consilio probato lupus mittitur legatus. At elephantorum rex a legato leonis laudem praedicatam aegre ferens, elephanto cuidam, ut responsum

daretur, multisque stipendia persolverentur. Talem Timuri in agendo fuisse rationem. Tum rex quamquam iam in eo erat, ut ad hunc se inclinaret, alterius tamen consilii particeps esse voluit. Quapropter ille bonus frater, viri sapientes, inquit, monuerunt, ne quis aliorum ex damno commodum capere studeat. Quod si agatur expensis regni opes non sufficiunt, ad potius agendum, ut rebus civitatis melius dispositis et illa diminuantur et haec augeantur multumque fallitur, qui hominum animos nonnisi opibus conciliari putat. Quid autem stultius, quam in re studium consumere, quae tum opibus erogatis vitaeque periculo comparata, tum multis laboribus atque curis conservata mox evanescet. Alter autem frater, tres esse homines, respondit, quos de rerum exitu cogitare non oporteret, iter maritimum facientem et in profundum mare urinantem, bellum suscipientem, imperio potiturum. Atque probus tum frater, ii sunt prudentes habendi, inquit, qui fas et nefas distinguunt neque rei agendae initio exitus rationem habent. Nam tuo quidem iudicio de defendentis minores esse videntur vires, quam leonis oppugnantis? Nos autem quum simus in leonis ditionem irrupturi, non fieri potest, quin, etsi viribus maiores simus, periculosa sit res exitusque incertus. Fac leonis nos regnum expugnasse, num rei commodum diu duraturum putas? Viri prudentis est tum ex commodo tum ex incommodo talem rem pendere. Leo autem quum sit rex et fortis et potens et in bello gerendo versatus, verendum est, ne rei eventus perniciosissimus sit. Contra quae alter haec protulit verba. Dignus habetur rex, qui imperium suum amplificet, nec ullam in hoc vituperii causam video. Quid, quod parvi lucri faciendi causa mercator et opes et vitam in discrimen dat? Regine minus audacter agendum? Nec vero ii audiendi, qui elephantorum agmen leonum agmini impar iudicant. Multis enim inter leonis subditos est mens alienata, multi rebellandi occasionem captant. Sunt quoque ex illis provinciis, qui, quum ob opum multitudinem neque fugere nec elephantorum impetum resistere possint, ad societatem meundam cogantur. Ad quae probus ille frater a rege rogatus respondit. Quae res quamquam accidere potest, tamen non est veri simile, ut eventura sit: sunt enim illarum ferarum et elephantorum naturae quam maxime diversae. Et fieri solet, ut canes se invicem lacerantes irrumpente lupo concordes sint. Quae autem cernitur inter leonis subditos diversitas, ea nonnisi externa est et omnibus eadem natura. Illis prae-

est, quemadmodum res a coqui servo in fabula peracta luculenter declarat. Quibus verbis auditis et rex et regis minister summam eius prudentiam laudaverunt et ut redux factus quae audiisset, suis aperiret, rogarunt. Regis igitur litteris et publica fide instructus ad feras cum palumbe rediit. Convocantur earum singulae gentes. Ibi in concione regiis litteris a palumbe praelectis et data fide convenit, ut statuto die sacramenti dicendi causa ad regem omnes se conferrent. Cuius rei quum palumbes nuntium adtulisset, canentibus tubis lituisque laetitia ostenditur. Atque rex, quia timebat, ne pars earum adspectu ipsius perterrita in fugam se daret, in publicum non prodeundi consilium ministro aperuit, rei explicandae gratia vulpis et galli fabulam narrans et, ut diversae cuiuslibet naturae in agendo rationem haberet, imperavit simulque ut esset ad ea semper paratus, quae contra opinionem caderent. Sibi autem non videri a re alienum in advenientium occursum mittere palumbem, ut singulos de rerum statu certiores faceret. Regis tum minister post palumbem missum statim profectus, cum avium proceribus principi ferarum cuilibet dignitatis suae locum tribuit, quo factum, ut ad unum omnes sub regis imperio fruerentur felicitate. In fine capitis, quale eius sit commodum, exponitur.

CAPUT SEPTIMUM.

Pugna inter leonem elephantorumque regem commissa.

In Indiae quadam insula elephantorum agmen erat, in quod unus eorum regium imperium habebat. Qui rex, quum de saltu quodam amoeno a leone rege cum ferarum agmine habitato comperisset, et ab intimis, ut ea poliretur, saepe incitatus esset, tandem ex illius occupandi desiderio laboravit. Duo autem erant elephantorum regi fratres, quibuscum in consilium ire solebat, unus vir probus rerumque experientia insignis, alter ad quodlibet damnum inferendum pronus. Probus itaque ille, ut regem a consilio illo removeret, operam dedit, iniustum enim esse dicens, regem, quocum pax coleretur e loco iam dudum occupato depellere, pravus autem, ut rem peragerei, impulit, leonem enim esse regem iniustum, cuius ab imperio subditos liberare, officium haberetur. Magno quoque rege dignum esse, quam plurimas terras in ditionem redigere, quo maiora dona

cata canis natura impura, a consilio removere studuit. At palumbes, huius ut sententiam refelleret, quid est, inquit, quod ad imperium exercendum aptum reddit virum, nisi iustitia, originis enim nulla est ratio habenda. Canis pulcherrima animi indole multis hominibus praestat, et quae in eo sunt praviora, ea corrigi possunt; praeterea, ut se carne vescenda abstineret, promisit. Vobis autem commodo erit, si tali regi obsequium praestaveritis, sin vero renuitis ob damnum vestrum me excusatum habete. Ut vero in fabula fur prudens scorti verbis commotus pravam agendi rationem mutavit, sic tu verba mea haud negligens respice finem. Canis enim naturam exuit neque res gestae inter Mahmudum ben-Sebectecin ministrumque eius Hasanum Almeimendi huius rei veritatem evertere valent. Quod si igitur placet vobis, mecum mittite legatum, in quo fiducia habenda, ut rem oculis perlustret. Quo consilio ab omnibus probato dorcas eligitur et cum palumbe mittitur. Rex a palumbe de re certior factus, ut cum avium agmine dorcadem advenientem, benigno vultu exciperet, ministro suo imperavit. Rogavit vero regem hircus, ut si legatus verba faceret, sibi respondere liceret, fore enim, ut, si pulchre respondisset, regi honori esset, sin male, ut a vituperio rex liberaretur. Dorcas a rege benigne exceptus, legationis causam explicavit et pro feris fidem publicam postulavit. Qua data, dorcas, est vero, inquit, inter ferarum genera, quum diversas habeant naturas, odium et inimicitia continua, ut lex ad omnes pertinens necessaria videatur, qua in unam gentem coniungantur. Tum minister ad regis nutum respondit, non rectum hoc videtur, sicuti enim solis radii, quocum rex comparandus, ad omnes mundi partes perveniunt, ita regis imperium ad omnes redundat. Ita fiet, ut, simulac cognitum fuerit, feras omnes ad huius regis tutelam pertinere, non sint, qui invicem inimicitias gerere audeant. Quamvis vera sint, quae dixisti, inquit dorcas, leges tamen sunt dandae; quae pauperes atque infirmos tueantur; quemadmodum fuit illa Anuschirewani erga asinum agendi ratio. Peto vero a rege, ut, si quis oppressus ad eum se contulerit, ipse rem eius agat, neque ullius personae hac in re rationem habeat. Nec non in creandis praefectis id potissimum est regi spectandum, ut subditorum salus ipsis sit cordi, quae enim res homini non est cordi, ea male agitur. Denique diversae cuiuslibet rei naturae in agendo summa sit ratio, quod enim uni confert, id alteri non aptum

tiae et temperantiae operam dare, quemadmodum agricola in fabula fecisset. Se vero sorte sua contentum esse. Quae verba quamquam hirco multum placuere, haec tamen contra protulit. Quod si Deus te in locum altiorem adtollere decrevit, nemo erit, qui principatu te deiciat. Iam tandem canis, idcirco, inquit, tibi oblocutus sum, ut mentem tuam explorarem, nunc vero tuae curae rem perficiendam lubenter committo. Quare summopere laetatus hircus, omnibus viribus iam id agam, inquit, ut regno potiaris. Tu vero, animo firmo in rebus, audacia, constantia utere. Cavendum est, ne odio, mendaciis, arrogantiae aliisque rebus noxiis studeas, ne in consessu publico multa verba facias, id quod dignitatem minuit. Omnes vero a te removeas, qui aliis nocere cupiunt nec obtrectatoribus aures des. Ne temere et inconsulte exerceas iustitiam, verbis obscenis abstineas, quibus rebus in aliorum odium venires. Nunquam vero qui fuit inimicus, verus erit amicus, quemadmodum ex fabula felis et gliris cognoscitur. Canis tum, postquam se id facturum promiserat, et mihi sunt, inquit, quaedam conditiones ferendae. In omnibus quae agis, tibi semper cordi esse oportet et regni et regis salus, ita ut regis salus tui ipsius saluti praehabenda videatur, in omnibus Dei voluntas ante oculos tibi esse debet, cuius enim potest esse rei prosper eventus nisi causa agendi in te fuerit bona. Est hac de re pri cuiusdam peregrinatoris fabula scripta. Qui autem res ad se non pertinentes tractat, is, prout ille Bagdadi vivens sericarius textor, in noxam incidit. Quibus verbis finitis, iam restat, inquit hircus, ut regnum occupes. Omnes vero sermones sub arbore, in qua palumbis nidus, collati erant. Qua de re quum multum denique cogitasset palumbes audiens, si auxilium utrique ferret, commodo sibi futurum putavit et auxilium igitur promisit. Illi vero boni eventus omen in hoc videntes sententiam eum rogarunt. Tum ille, se ad aves regis legatum profecturum eosque, ut regis imperio obedirent, invitaturum. Consilio approbato palumbes aves eo adduxit, ut obsequii declarandi causa ad regem iter ingrederentur. Cuius rei quum palumbes regi festinato nuntium pertulisset, hircus regis minister advenientibus obviam ivit eosque honorifice excepit. Tum ad feras palumbes mittitur legatus, quas, quum iam audivissent, quae negotia agerentur, consilia inituras invenit et propter summam cani fidem innatam ad obsequium praestandum propemodum paratas. Quod quum intellexisset leporum dux, eas expli-

sermonis, gratiae agendae sunt regi, inquit, in hoc enim, sicut res inter Anaschirewanum regemque rebellem gestae ostendunt, est omnis salutis nostrae causa. Ut vero nonnisi in regis benevolentia omnis hominum salus est posita, sic rex nonnisi per homines potestatem imperandi habet. Unus altero eget, quemadmodum avium fabula docet.

CAPUT SEXTUM

De fatis admiratione dignis hirci et canis.

Hircus a pastore in oppidum ductus a lanio emitur et mactatum abducitur. Qui vero quum mortem imminere videret, ruptis vinculis aufugit et per noctem in spelunca quadam latuit. Postero mane hircus, socii quaerendi causa exiens, cani occurrit, quocum amicitiam iniit. Sermonem tum cum cane conferens inter alia haec protulit. Spe teneor, te aliquando ferarum regem futurum. Hoc fieri posse negat canis, se enim cum illis diverso genere natum ipsis inimicum esse, neque se parentum mores, id quod vituperio dignum, cum aliis commutaturum. Tum hircus, multum, inquit, abest ut ad tui aut ludibrium aut adulationem hoc dixerim, ut prorsus ita sentiam, ut dixi. Quum enim frontem tuam fortunae indicia prae se ferre videam, sperare licet, fore, ut si conditionibus quibusdam ferendis satisfeceris, res ad felicem exitum perducatur. Cane id promittente, exuenda igitur est, inquit hircus, ferarum natura, cupiditates frenandae, moderatio et continentia in omnibus adhibenda. Quod si ferae in te cognoverint, tuo imperio omnes lubenter se submittent. Ad quae ita locutus est canis. Tamdiu animus hominis tranquillus est, quamdiu rei cuiusdam consequendae spe non irritatur, quapropter etiam atque etiam te rogatum volo, ut priusquam rem aggrediaris, de rei eventu cogites, ne animus noster rei non consequendae spe perturbetur. Tum hircus, res quidem, inquit, se ita habet, et omnia, quae eventura sunt, quum Dei decretis nitantur, fit, ut quem ex Dei consilio fortuna adiuvat, ei omnia prospere succedant. Cuius rei exemplum in Ihmad Aldaulae historia legitur. Non potest quidem canis rei veritatem negare, at vero, dicit, quum cupiditatum imperio homines in servitutem rediganter, stultum esse, si quis in mundi opibus spem posuerit. Praestare igitur continen-

me accuset, iam agam quum summo studio tum omni prudentia causam tuam. Postero mane quum ad leonem intrasset, vidit ursum verba, vulpi quae nocerent, excogitantem. Itaque ut ursi consilium irritum faceret, loqui incepit tum vulpis mentionem faciens, tum leonem laude celebrans. At ursus, quod, quantam in regis animum vim haberent hyaenae verba, intellexit, totam se irae tradens, moderationis viam in verbis reliquit. Qui regis inimico, inquit, auxilium praestat, is regis inimicus habendus, id quod tibi haud ignotum esse potest. Quae verba aegre ferens leo tanta exarsit ira, ut vix se contineret, quin in illum irrueret, tum ursum increpavit et ad laudem, quae hyaenae tribuenda esset, comprobandam, regis cuiusdam agendi rationem narravit. Ursus autem, quem spe nocendi sibi ademta, facti sui poenitere, pacem cum utroque socio facere optavit. Quod quum, nisi vitia sua illis nudasset, facto difficilimum intelligeret, magna cum tristitia affecit. Quum in hoc statu res esset, ecce advenit dorcas, quae apud ipsum amici locum occupabat. Quae quum ursi tristitiam vidisset, quid est, inquit, quod te sollicitet angatque. Ille rem narrat. Dorcas dixit, cum hunc apud regem rei eventum praevidere potuisse, prudentisque esse, rei eventus in agendo rationem semper habere, quemadmodum mercatoris in oppido Balch historia doceret. Nunc sibi videri pacem inter omnes esse quam celerrime conciliandam et in pace fidem servandam, quo enim essemus erga alios animo affecti, eodem erga nos alios futuros; plurimorum autem hominum quum talis esset amicitia, ut amicis mala pro donis rependerentur, quales se gessuros ipsum putare, quibus malum intulisset. Ursus postquam iureiurando fidem suam confirmaverat, dorcadi agendam tradidit rem. Illa ad hyaenam statim profecta, quum curis pressam invenisset, quaenam res esset interrogavit et de causa certior facta respondit, ursum se male egisse intelligere et poenitentia ductum iam nil amplius cupere, quam auxilio ferendo rem reparare. Utrique igitur ad Abu-Naufalum se conferunt ibique pacem inter ursum sociosque regis constituunt. Qua re finita ursus cum dorcade hyaena caeterisque ducibus vulpem a rege deprecantur. Rex autem eorum votis adnuens vulpem in gratiam recepit et, concione dimissa, intimis suis, quae esse eorum agendi ratio debeat, qui ministerio apud regem fungerentur, exposuit. Res vero socii Faghfuri probare, tacita apud regem relinquenda esse, quae argumentis haud facile patefierent. Dorcas denique in fine

ursum, ne nocendi occasionem e membris emitteret, praesentem conspexit. Initio quidem hyaena, quid ageret, dubitans, quum intelligeret, futurum, ut ursus, si ipsa abiisset, contra vulpem verba proferret, rei mentionem fecit. Magni reges, inquit, peccata hominum ignoscere solent, inprimis eorum qui probo erga ipsos sunt animo, quapropter vulpes peccatum suum agnoscens, regis veniam sperat. Regi nil respondenti multum ista verba placuere. At ursus, verborum vim ut diminueret, cuivis ministri est, inquit, veritati semper studere neque in consiliis dandis alium quam regi gratum finem sequi. Qui furem adiuvat, fur est habendus, qui crimen praesertim contra regem commissum excusat, ipse peccat. Contra quae haec protulit hyaena. Quemlibet ob naturae suae conditionem culpae obnoxium esse, labentemque sustentare, cuiuslibet probi officium sibi videri. Maximo autem honori cuilibet regi futurum esse, si gravius peccanti condonaverit, quo enim maiorem quis puniendi potestatem habeat, eo magis in ignoscendo meritum esse. Plura tum postquam criminum genera exposuerat, vulpis crimen levius esse habendum ostendit. Regem, quum ut puniendi ita condonandi potestatem haberet, si crimini *ignoverit*, *maiorem* habere gloriam. Item se ita habere, ex Ibn-Solaimani *historia* patere. Ursus, sunt vero, inquit, *quaedam* regiae auctoritatis conservandae artes regi non negligendae, quarum una est, ut quibusdam non ignoscat, nec iis fiduciam habeat. His autem largius descriptis, eum se pravum habere addit, qui pravum honore afficiat. Quae ut refelleret, vulpem horum in numero habendum non esse, contendit hyaena, esse potius virum et fide dignissimum et multis animi dotibus ornatum. Talem non esse omnino reiiciendum propter unum, quod commiserit, peccatum et tanta quum poena afflictus sit, nil nisi regis clementiam erigere animum eius posse. Quibus verbis urso ad silentium redacto, hyaena rei actae certiorem factura socium ad carcerem properat, hortaturque, ut bono animo sit, se enim in leone reverentis benevolentiae indicia vidisse. Atque vulpes gratias agens, timere se dixit, ne calamitatis finis longius abesset. Ut Croesi, annulum quum perdidisset, fortunae adiuvantis momentum exspectandae fuisset, sic et ipsis faciendum, quum nulla res sine fortunae ope recte perag posset. Res quidem est, inquit hyaena, quemadmodum dicis, at vero quum viderem, ne regis iram contra te falsis nuntiis irritaret inimicus, non amplius cunctandum putavi. Ne vero quis negligentiae

philosophiam tum ad religionem quaestionibus, spectantibus, ad seram usque noctem continuantur sermones et postero demum die victus daemon abit.

CAPUT QUINTUM.

Res mirae inter leonem sociosque eius vulpem et hyaenam gestae

In latebris silvosis vixit potentia et virtutibus praestans leo, cui erant duo socii, unus vulpes Abu-Noufal appellatus, alter Abu-Nachschal hyaena. Ursus ministri regis munere fungebatur. Qui quum vereretur, ne illorum cum leone intima amicitia ipsius auctoritas diminueretur, odio plenus eos aut perdendi aut saltem a rege removendi occasionem quaesivit. Accidit vero, ut nocte quadam, quum rex sermones cum socis contulisset, vulpes, quod rex somno opprimeretur, risus ederet. Quare vulpes ab hyaena vituperatus, non se videre causam dixit, cur is qui virtutibus excelleret, aliorum vitia non derideret. Quod negans hyaena respondit, stultissimum esse, si quis et vitiis vacuum et aliis prudentiorem se haberet. Vulpes tum vitium suum agnoscens ex eo, quod inter amicos res ita cecidisset, solatium cepit. Nihilominus tamen, inquit hyaena, ista tua agendi ratio vituperatione digna videtur, quid enim est stultius, quam secretum proferre, ex quo evulgato damnum nobis oritur. Nonne eius imperio, cui proditum a nobis est, nos ipsi parere cogimur? Non autem est secretum appellandum, cuius duo sunt conscii, quale fuit furis secretum pulici proditum. At vero leo, qui utriusque sermonem audierat, summopere iratus, vulpem in carcerem abduci iussit. Quapropter magnae tristitiae se tradens ad vulpem in carcerem proficiscitur hyaena ibique temeritatis atque imprudentiae accusat amicum, verba quum prolata captivum facerent auctorem. Nihilque vero ipsi ingratius accidere potuisse, quam amici calamitatem. Vulpes autem, ut rei culpam a se depelleret, calamitatis causam appellavit fatum. Sibi id accidisse, quod upupae avi in fabula, quae perpetua fortuna seducta nimis secura fuisset. Nunc autem id agendum, ut in integrum res restitueretur. Se vero, quum neminem nisi Acim-Nachschalum amicitiae vinculo sibi connunctum haberet, ab ipso speiare auxilium. Hyaena se nullo loco ei defuturam promittit. At vulpes, festinandum est, inquit. Quare hyaena statim profecta, ad leonem introgressa est et ibi

rum fabula exemplum legeretur. Quartus denique principis minister sententiam rogatus, quo maior est, inquit, de re inter viros prudentes dissensio, eo difficilius verum cognoscitur, quippe res alia saepe videtur, alia est, sicut fabula nos docet viri habentis filium strabonem. Quum vero in omni re gerenda utile sit, exitum respicere, tum maxime in hac causa necessarium. Hominis autem animus a Deo pulcerrimis dotibus ornatus ad summum perfectionis gradum pervenire potest. Quid igitur vobis inter nostram illiusque viri sapientiam interesse videtur? Nonne eadem est nostra ac illius stulti rustici cum medici peritissimi comparata sapientia? Quapropter de doctrina certamen non videtur ineundum, astutia potius atque dolo est utendum. Quum vero rei perficiendae per nosmet ipsos simus impares, ut in fabula glis contra serpentem, fortiorum vel ipsorum inimicorum auxilium nobis comparare debemus. At vero quum iniuriae voluntatem habeamus, ne ipsi poena affligamur, admodum vereor. Fabula est hospitis et uxoris, quae docet omnino rationem esse habendam rei eventus. Vir autem ille sapiens quum sit insignis tum doctrinae copia tum morum probitate, malum rei exitum non possum non praevidere. Id quod caeteri ministri exemplo rerum inter Basardjmirum et Cosroem gestarum confirmant. Princeps autem de ministrorum sententia certior factus, quaenam potissimum ipsis remedia adhibenda viderentur, rogavit. Tum unus eorum, mulieribus utamur, inquit, maxima enim est earum astutia, quae patet res in rebus inter uxorem principis virumque doctissimum gestis. Quod si vero publicum cum eo certamen inire audemus, magno profecto nobis erit dedecori. Quibus de verbis summopere iratus, quid est, inquit daemonum princeps, quod hominum sapientiam in coelum tollatis, nostram minimi faciatis. Habeo in animo cum isto viro certamen inire, scio enim, fortem decere cum forti certare. Accedunt ministri timore perculsi ad principis consilium. His in colloquio rebus gestis legatus ad virum mittitur, qui quae res sit exponat petatque ut daemonem statuto die atque loco certaminis causa conveniat. Petenti sapiens adnuit. Reversus autem legatus, quum, qualem vidisset, rogaretur, talem descripsit, ut magnum daemoni iniceret timorem. Statuto die discipulis et sociis sapientis congregatis, sapiens et daemon inter se pacti sunt, si ad omnes sapientis quaestiones, quas daemon proponeret, respondisset, ut non amplius in hominum conspectum venirent daemones. Propositis igitur quum ad

inimico semper resistendum esset. Cavendum esse, ne quis nimis magnam spem foveat, omnes enim res a Deo creatas contingere. Is vero quum inter subditos pastoris locum occuparet, illorum salutem quam maxime regi cordi esse debere nihiloque faciendum mundi splendorem evanescentem.

CAPUT QUARTUM.

Quaestiones inter virum sapientem daemonemque pravissimum habitae.

Quaerit a fratre rex, num cognitas habeat res daemonis, qui Bagdadi forma haeretici indutus prodierit, tum felicis eventus spe frustratus in Syriam fugerit. Res quidem eius, respondet iuvenis, latius patere, quam ut paucis narrentur, non dissimile esse id, quod daemonum principi cum sapiente disputanti contigerit. Vixisse enim in Syria virum sapientem, qui ut doctrina sic morum probitate praeclarus multis auctor fuisset, ut a male agendi ratione recederent. Daemonum autem principem, quod suam in homines summam potestatem diminutam videret, in daemonum conventu rem tractari statuisse. Perorata inter convocatos causa et singulis sententiam rogatis, primus dixit regis minister. Fortuna, inquit, omnium rerum dominatrix, quem adiuvat, is vinci non potest. Itaque quum mutabilis sit, tempus exspectandum est, quo virum illum sapientem reliquit. Tum alter, vera quamquam sunt, quae protulisti, tamen providendum est, ne negligentia et fortunae potestas et viri auctoritas augeatur. Tertius denique minister hanc protulit sententiam. Si palam contra eum pugnarent, fieri posse, ut ipsis damnum gravissimum oriretur, ipso enim sapiente occiso, futuros quam plurimos eius amicos, qui magistri caedem vindicarent. Itaque secretis potissimum armis pugnandum sibi videri, ut voluptatum illecebris irretirentur, fore enim ita, ut inter se dissentientes unus contra alterum arma ferret, nihil autem ad eos corrumpendos atque perdendos aptius futurum, quam si amore sui impleti mendaciis operam darent, cuius rei exemplum esse in mercatoris servique fabula. Quibus verbis auditis daemonum princeps cum sapiente publice disputandi consilium cepit sperans fore, ut si interrogationum laqueis irretitum eum teneret, asseclae contemtum relinquerent, cuiusmodi in hortulani et quatuor viro-

fuit Raschiki cum hospite amicitia. Omnium autem perniciosissima cognatorum est inimicitia, qui amicorum speciem prae se ferunt. Huiusmodi fuit inter filium regis Babylonis eiusque patruum nexus. Alii propter praemia, quae inhiant, amicos se praebent, quorum amicitia simul ac votis potiti sunt, desinit. Quale fuit in fabula illa inter hominem daemonemque amicitiae vinculum. Nec vero aliter in hominibus, qui cupiditatibus animi ducti amicitiam colunt, res se habet. Talis fuit vulpis cum anate amicitia. Rex tum, principis illius amicitiam veram esse multis confirmat, se eam in vitae casibus gravissimis sicut in fabula mercator ille expertum. Non multo post quum pater exspiraverat, omnes natu maximi imperio paruere, quo factum, ut magna et diuturna felicitate uterentur.

CAPUT TERTIUM.

Res sapienter tractatae inter Turcarum regem eiusque generum.

Antiquissimis erat temporibus Turcarum quidam rex Chakan appellatus, qui ut virtutibus eluxit, sic meritis inter homines fuit praeclarus. Unam tantum habuit filiam, quam ne mortem ipse repentinam occumberet, timens, viro nuptam dare animo habuit. At illa, ne hac in re festinationem adhiberet, obsecravit, permagnam enim inter coniuges debere esse similitudinem. Atque de rei veritate persuasus rex misit, qui optatis animi dotibus ornatum iuvenem explorarent. Inveniunt iuvenem principem in secessu degentem, nonnisi vitae aeternae curis occupatum. Regis iussu hic non invitam puellam in matrimonium ducit. Accidit vero, ut quum rex aliquo die visendi causa filiam adiisset, haec de domus angustia cum patre quereretur. Obtulit statim rex alteram genero domum dono, quam ille se accepturum negavit, timere enim se, ne variis distraheretur curis animus. Viri autem esse temperantis, uni tantum rei adhaerere, cupiditatibus si quis se dederit, id esse perniciosissimum. Rex, ne his angi se pateretur curis, monuit, multas enim sibi esse domos, quibus omnibus, si vellet, tanquam suis, uteretur. Omnibus autem se praepositurum praefectos, ut ne minima earum cura ipsum attingeret. Contra quae haec protulit iuvenis. Domos esse opes vanas, animam ipsam variis impletam cupiditatibus esse homini inimicissimam, cui

principis iuvenis prudentiam laudat et rex beneficiis quam plurimis in um collatis, ut admonitionem ulterius prosequatur, rogat.

CAPUT SECUNDUM.

Regis cuiusdam celebris praecepta et monita filiis suis morte appropinquante tradita.

Tradidit Abu'l' Mahasenus Hasanus, vixisse regem quum potentia tum virtutibus atque meritis clarum, cui sex fuissent filii, quorum natu maximus pulcerrimis animi dotibus inter caeteros excelleret. Qui quum mortem appropinquantem sentiret, filios advocari iussit, eosque advenientes his fere verbis allocutus est. Tristissimo hoc, inquit, temporis momento, quo iam abeundum mihi a vobis est, hoc maximum mihi affert solatium, quod tales relinquam filios, quales vos esse scio. Praecepta igitur, quae vobis nunc tradere in animo est, non ita accepta velim, quasi vos putem ea ignorare, sed ita, ut persuasum habeatis, eorum utilitatem in recordatione maxime positam esse. Gratias persolvere sitis semper parati, aequum in rebus adversis conservetis animum, evitetis tam nimiam pecuniae erogationem quam avaritiam, clementiae non minus erga inimicos, quam amicos studeatis, indulgeatis bonorum consuetudini, fugiatis pravos, qua in re ante oculos vobis sit fabula agricolae et serpentis. Tam in cogitando quam agendo longe remoti sitis a malo interque vos sit summa concordia. Ne fiduciam habeatis hominibus vobis ignotis et nondum probatis et in agendo illius iuvenis mercatoris aeternam vitam semper spectantis exemplum imitemini. Filius tum natu maximus gratias patri agens, quum magna sit fratrum propter iuventutem rerum imperitia, fieri posse dicit, ut ab improbis seducti illi a recta via recedant, mutata erga ipsum amicitia in odium. Qua re necesse sibi videri, ut, dum in vivis esset, pater huius mali remedium indicaret. Petenti autem auxilium non denegare officium esse homini, ex muris fabula cognosci posse. Rex filii verba probans, multos se filiis relinquere, respondet, adiutores, quos inter Chorasanae principi vero tanquam amico maxima fiducia habenda sit. Filius his verbis inductus variam hominum amicitiam describit. Sunt, qui commodi causa quod appetunt, ostendant se amicos; re vera autem non sunt. Talis

iustitia et misericordia erga subditos, nullaque res ad hominum conditionem aut in melius aut in deterius mutandam maiorem vim habet, quam regis animus et voluntas. Fugienda est levitas animi atque inconstantia, fugienda illa inutilis pecuniae erogatio. Sit regi et summa humanitas et magna communitas, ut nemo tam humilis sit, cui non ad eum aditus pateat. In mandatis cernatur summa constantia, ne idem nunc iussum nunc interdictum videatur. Ut in praemiis sic in poenis rectus teneatur modus. Monitis semper praebeat aures apertas et animum haud repugnantem. Civitate autem seditionibus perturbata nil amplius peto, quam in secessu tranquillam agere vitam semper paratus ad omne regis obsequium. Non quidem sum nescius stultissimum esse, regibus praesentibus aliis uti verbis, quam quae rogatus responderis; at vero, quo erga regem affectus sum animo, nil enim aliud nisi eius salus cordi mihi est, plura ipso permittente dixi. Se quidem approbare, quae dixerit, respondet rex; sed si res ex sententia ministri sui, viri summa prudentia agatur, fore sibi gratissimum. Se igitur rogatum velle fratrem, ut cum isto rem diligenter retractet. Tum regis minister laude, ut colloquii initio fieri solet, praemissa, rectum dicit, sequi regem regendi modum, quid enim aliud, quum sint corruptissimi homines, ad eos coercendos adhibendum nisi in puniendo severitas; stultum esse, si quis peccanti ignoscat. Non esse profecto qui ad regis tanquam a Deo creati et in eius locum constituti voluntatem ultro se temperarent. In eo esse causam, cur Deus summam in homines potestatem regi tradiderit. Quam ministri sententiam ita refellere studet princeps iuvenis, ut regem cum sole comparans, e quo lux omnis in mundum emanet, regis splendore evanescente, totum regnum obscurari dicat. Quod si igitur rex erga subditos clementia, in qua omnium salus posita, utetur, bene et ipsi et hominibus esse, sin vero loco benevolentiae atque clementiae in agendo adhibeat inhumanam severitatem et crudelitatem, non posse non alienari hominum animos. In summa autem severitate vix aliter accidere posse, quam ut interdum in innocentem poena redundet, quod perniciosissimum. Exposita tum pluribus regis boni agendi ratione, inprimis hortatur, ut maiores suos imitetur inducitque rei illustrandae causa lupi fabulam et haedi. Qui vero huic contraria via incedat, eum non cogitasse videri de rerum exitu, qui infelix futurus sit ut in fabula asini et hylaeis. Quorum verborum veritate persuasus minister

ipsum Muhammedem seriore tempore viventibus magistrum et ducem fuisse. Eandem autem in scribendo rationem secutus sperat auctor, hoc sibi in altero mundo laudi futurum; rerum narratarum auctorem appellavit Abu'l'Mahasenum Hasanum.

Totum opus in decem capita divisum est, quorum primum inscriptum »De Arabum rege, qui totius libri et causa et auctor fuit« hoc habet argumentum. Pristinis temporibus regi cuidam sapienti quinque erant filii, quorum quatuor provinciarum erant praefecti constituti, natu minor apud patrem degens ut ingenii acumine sic morum probitate excellebat. Nomen gerebat Hasib. Mortuo patre maximus natu imperio potitus, postquam maiore regni splendore caeteroeum trium, ut inter fratres fieri solet, invidiam moverat, quominus inimicitiarum odiique ignes exarderent, impedire non potuit. Cuius rei quum natu minor exitum tristissimum praevideret, neque tamen aut ob iuventutem spretus partes suas agere posset aut repugnante animo totum se uni ex fratribus adiungere vellet, in locum ab hominum conspectu remotum recedendi consilium cepit. Quam rem approbantibus amicis regem, ut sibi libri componendi veniam daret, rogavit. Rex statim neque concedens nec abnuens ministrum quendam sibi addictum meritis clarum et prudentia insignem consuluit. Qui quum inimicitiam clandestinam contra principem iuvenem foveret, a rege petiit, ut sibi in concione cum principe rem agere liceret, sperabat enim subdolus, fore ut iuvenis imperitiam palam ante oculos omnium irretiret. Hoc consilio a rege probato regni proceres atque sapientes convocantur. Ac primum quidem rex iuveni loquendi veniam concedit. Ille vero gratiis regi solutis, requiritur inquit, ante omnia adtentus animus ad dicta hortantis, tum recte agendi voluntas, denique recte agendi ratio. Omnium autem recte factorum fons est, ut in agendo nullius nisi vitae aeternae atque Dei optimi maximi ratio habeatur. Qua in re eo maior cura ponatur necesse est, quo minus animus amore quodam peccatorum declinatus sapientiae praeceptis locum dare avet. O quam beatus habendus est, qui verae sapientiae memor omnium rerum eventum diligenter considerat, et mentem omnium, quorum Deus participes nos fecit, pulcerrimum et optimum esse intelligit! Inter homines post legatos a Deo ad homines missos regibus primus locus concedendus, inter reges autem qui legi divinae atque humanae obediens est, primum locum tenet. Nil autem est, quod regem magis deceat, quam

tempus futurum reposuerim, spe autem teneor, fore ut, cui nunc est mora interposita, ei mox perficiendo Deus optimus maximus vires necessarias benevolenter concedat. Neque vero hoc ita acceptum velim, quasi neglectum iaceat lexicon Arabicum, imo vero tantum abest, ut immensi huius operis curas abiecerim, ut omni potius mente in eo absolvendo dies noctesque versor. De Hamasae interpretatione non est, cur litterarum fautores eius moram aliquam magnopere doleant; ea enim ratio est studiorum, quae Hamasam aliquamdiu interceperunt, ut ad eam ipsam tractandam aptiorem me reddant. Quae autem est huius operis gravitas, ea et latius patet, quam ut paucis absolvatur et magis aperta est, quam ut ampliore descriptione egeat, sole isia clarius lucet et facilius animo intelligitur, quam verbis describitur. Nullus enim liber, neque si utilitatem in legendo persequaris uberiorem, nec si voluptatem petas, maiorem hoc tibi parabit. Gravissimae res tanta arte, tanta varietate in eo tractantur, ut bonarum artium studiosus maximam utilitatem cum summa voluptate inde haurire possit; rebus autem severioribus narratiunculae ioco plenae immixtae, quibus legendis animus recreatur. Argumentum uberrimum summa diligentia atque arte excultum, singulae eius partes sicut serta diversis floribus pulcre ornatae. At vero tanta in arte adhibita in singulis nativus quidam lepos et facilitas cernitur. Sed quum neque ex totius libri, qui ut Arabum mos fert, poeticus est, nec ex titulis, quibus singula eius capita inscripta sunt, argumentum recte cognoscatur, paulo accuratius indicandum erit. Quae si longior videatur rei expositio, cum magnitudine operis comparetur, ita fortassis brevior videbitur. Titulo vero totius libri, qui ad verbum de Arabicis expressus sic sonat »Fructus imperatorum et iocatio ingeniosorum« hic fere sensus inesse videtur: ab ipsis imperatoribus ex libro fructum capi posse, qui eruditorum et ingeniosorum disputationes ioco plenas contineat. Praemisit autem auctor praefationem, qua post laudem Dei et legati Muhammedis enunciatam et causam et rationem, quam in scribendo secutus sit, breviter exponit. Quum igitur Deus optimus maximus in rebus omnibus et creandis et conservandis summae sapientiae et benevolentiae argumenta, quibus homines ad bene recteque agendum incitarentur, praebuerit, neque tamen omnes homines ea indicia intelligerent aut in suum usum verterent, ut res esset facilior intellectu, fabulis atque parabolis usos esse sapientes, docet auctor, eaque in re

Litterarum Arabicarum studiosis fautoribus patronis

S. P. D.

G. W. FREYTAG

Quod si verum est, non prudenter agere eos, qui negotiis gravioribus nondum absolutis, novum susceperint, non decrunt sane, qui et me vituperent, quod nec Hamasae versione edita, nec lexici Arabici editione completa hoc mihi opus edendum sumserim Qua vituperatione quamquam plures me dignum iudicabunt, non defuturos tamen spero, qui eadem in re si non laudandi at saltem excusandi causam videant. Quod enim Arabum philosophi tradiderunt, hominum rationes ita temporibus esse subiectas, ut non minus laude dignus sit, qui opus susceptum paulum distulerit, quam qui tempore incommodo absolverit, id in meam causam cadere, ii non negabunt, qui quantis difficultatibus et molestiis implicatae sint litterae Orientales, non ignorant. Quippe molestum enim non solum est, curare editiones, sed maxima in edendis textibus Arabicis difficultas inde oritur, quod et maiores sumtus requirant, nec multos emtores inveniant. Quamobrem, nisi virum illustrissimum Stein ab Altenstein, cuius sapientissimae curae Germania nostra laetissimum litterarum florem debet, Orientalium etiam litterarum cultores adiutorem habuissent, eae litterae apud nos adhuc spretae prorsus iacerent. Suis igitur laudibus virum illustrissimum et nostra aetas ornat et sera posteritas celebrabit. Quod ad me attinet, certum quidem est, me sine huius viri summa in me benevolentia neque hoc opus vobis tradere, neque quae iam ediderim ad finem perducere potuisse. Ita factum, ut non nimium fortunae, quae fallax sit, fidem habens, nunc difficiliores res tractandas sumserim, caeteras easque faciliores in

VIRO ILLUSTRISSIMO

LIBERO BARONI

STEIN AB ALTENSTEIN

IN BORUSSIA RERUM SCHOLASTICARUM OMNIUM PRAESIDI

ETC. ETC.

LITTERARUM ORIENTALIUM

PATRONO ET MAECENATI

PRO TOT TANTISQUE IN SE ET LITTERAS ORIENTALES BENEFICIIS COLLATIS

GRATUM ANIMUM TESTIFICATURUS

HUNCCE LIBRUM

ANIMO DEVOTISSIMO

D. D. D.

EDITOR.

LIBER ARABICUS

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء

SEU

FRUCTUS IMPERATORUM

ET

IOCATIO INGENIOSORUM

AUCTORE

Ahmede filio Mohammedis

COGNOMINATO

Ebn-Arabschah

QUEM

PRIMUM E CODICIBUS EDIDIT ET ADNOTATIONIBUS CRITICIS INSTRUXIT

Georg. Guil. Freytag Dr.

PROFESSOR LINGUARUM ORIENTALIUM IN UNIVERSITATE FRIDERICIA GUILIELMIA.

PARS PRIOR

CONTINENS

PRAEFATIONEM, ADNOTATIONES ET TEXTUM ARABICUM.

BONNAE,

TYPIS REGIIS ARABICIS IN OFFICINA F. BAADENI.

VENDITUR LIPSIAE APUD C. CNOBLOCH

MDCCCXXXII.

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔